الدكتور حسين عطوان

الدعوة العباسية

تاريخ وتطور

دار الجيل

بيروت

Bibliotheca Alexandrina
01334221

الدعوة العباسية

تاريخ وتطور

الدعوة العباسية

تاريخ وتطور

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف: 909,097
رقم التسجيل :

909,097

تأليف

الدكتور حسين عطوان

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

دار الجيل

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الثانية
١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥م

«المحتويات»

مقدمة :	١٣
تمهيد : المصادرُ عَرْضٌ وتحليل :	١٧
(١) من جهود الباحثين :	١٩
(٢) كُتُبُ المغازي والسِّيَر :	٢٢
(٣) كُتُبُ التاريخ :	٢٥
(٤) كُتُبُ البُلدان :	٥٢
(٥) كُتُبُ الأنساب :	٥٩
(٦) كُتُبُ الطَّبقات والتَّراجم :	٦٢
(٧) كُتُبُ الفِرق :	٧٣
(٨) كُتُبُ الحديث :	٧٦
(٩) كُتُبُ الأدب :	٧٩
(١٠) الدَّواوين والحماسات :	٨٢

الفصل الأول : العباس بن عبد المطلب : ٨٥
(١) مكانَتُهُ في الجاهلية : ٨٧
(٢) تاريخُ إسلامه : ٨٩
(٣) مكانَتُهُ في الإسلام : ٩٢
(٤) ارتباطُهُ بالطَّالبيين : ٩٦
(٥) تضخيم العباسيِّين لشَخصيتِهِ السياسية : ٩٨
(٦) تَعْقيبٌ ونَقدٌ : ١٠٦

الفصل الثاني : عبد الله بن العباس : ١١٩
(١) مكانَتُهُ وثقافتُهُ : ١٢١
(٢) إبْعادُهُ عن السياسة : ١٢٦
(٣) مبايعَتُهُ لعليٍّ وعَمَلُهُ له : ١٢٩
(٤) مبايَعَتُهُ لمعاوية ورُضُوخُهُ له : ١٣٢
(٥) تَهْويلُ العباسيِّين لِشَخْصيتِهِ السياسية : ١٣٤
(٦) تَعْقيبٌ ونَقْدٌ : ١٣٧

الفصل الثالث : علي بن عبد الله بن العباس : ١٤٣
(١) مكانَتُهُ وثقافتُهُ : ١٤٦
(٢) ارتِحالُهُ إلى الشام : ١٤٨
(٣) انتقالُهُ إلى الحُمَيْمَة : ١٥١
(٤) علاقَتُهُ بعبد الملك بن مروان : ١٥٢
(٥) سعيُهُ للخلافة وضَرْبُ الوليد له : ١٥٤
(٦) إكرامُ سائر الأمويين له : ١٥٨

الفصل الرابع : الإمام محمد بن علي :	١٦١
(١) مكانَتُهُ وثقافتُهُ :	١٦٣
(٢) علاقَتُهُ بأبي هاشمٍ وَوَصيَّتُهُ إليه :	١٦٦
(٣) استِنادُ العباسيين إلى وصيَّةِ أبي هاشم :	١٦٩
(٤) اختيارُ خراسانَ لِبَثِّ الدَّعوَةِ :	١٧١
(٥) استِعمالُ كبير للدعاةِ بالكوفة :	١٧٢
(٦) التزامُ خُطَّةِ أبي هاشم :	١٧٣
(٧) احتِواءُ شيعةِ أبي هاشم :	١٧٥
(٨) نَشرُ الدعوةِ وإنشاءُ مجالِسِها بخراسان :	١٧٩
(٩) انكشافُ بعضِ الدُّعاةِ بخراسان :	١٨٤
(١٠) تَعيينُ بكير بن ماهان كبيراً للدُّعاةِ بالكوفة :	١٨٨
(١١) وفُودُ الدُّعاةِ إلى خراسان :	١٩١
(١٢) انحرافُ خِداش عن مبادىء الدَّعوةِ :	٢٠٣
(١٣) مُعالجةُ الإمام محمد لانحرافِ خِداش :	٢٠٦
(١٤) رحلاتٌ بين خراسان والحجاز :	٢١٣
(١٥) انتظامُ أبي مسلم في الدَّعوةِ :	٢١٦
(١٦) علاقةُ الإمام محمد بالأمويين :	٢١٨
(١٧) مُناهضةُ هشام للإمام محمد :	٢٢٣
(١٨) وفاةُ الإمام محمد :	٢٣٠
الفصل الخامس : الإمام إبراهيم بن محمد :	٢٣٣
(١) مكانتُهُ وثقافتُهُ :	٢٣٥

(٢) توجيهُ بكير بن ماهان إلى خراسان : ٢٣٧
(٣) اتصال أبي مسلم بالإمام إبراهيم : ٢٤٠
(٤) إرسالُ أبي سَلَمَة الخَلاَّل بالرَّايات إلى خراسان : ٢٤٣
(٥) تَعيينُ أبي سَلَمَةَ الخلالِ كبيراً للدّعاةِ بالكوفة : ٢٤٥
(٦) تَولِيَةُ أبي مسلمٍ أمْرَ الدعوةِ بخراسان : ٢٤٨
(٧) وَصيَّةُ الإمامِ إبراهيم لأبي مسلمٍ : ٢٥٠
(٨) مُعارضةُ سليمانَ بن كثيرٍ لأبي مسلمٍ : ٢٥٧
(٩) انقيادُ سليمانَ بن كثيرٍ لأبي مسلمٍ : ٢٦١
(١٠) نشاط أبي مسلمٍ في نشر الدّعوة : ٢٦٣
(١١) إظهارُ الدعوةِ بخراسان : ٢٦٥
(١٢) احتلالُ مَرْوِ الشَّاهجان وإعلانُ الثورة : ٢٧٢
(١٣) هَرَبُ نَصرِ بن سَيَّارِ اللَّيْثيِّ ومَوْتُهُ : ٢٩١
(١٤) قَتْلُ شيبان بن سَلَمَةَ اليشكريِّ الحَرُوريِّ : ٢٩٤
(١٥) قَتلُ عليٍّ بن جُدَيْعٍ الكِرْمانيِّ : ٢٩٨
(١٦) قَتلُ العربِ المخالفينَ للدَّعوةِ : ٣٠١
(١٧) تَولِيَةُ قحطبةَ بن شبيبٍ قيادةَ الجيوشِ العباسيّةِ : ٣٠٥
(١٨) انتصاراتٌ عسكريةٌ عباسيّةٌ كاسحةٌ : ٣٠٦
(١٩) هَلاك قحطبةَ بن شبيبٍ الطَّائيِّ : ٣١٩
(٢٠) تَولِيَةُ الحسن بن قحطَبَة قيادةَ الجيوشِ العباسيّة : ٣١٦
(٢١) دُخُولُ الكوفةِ وتَسليمُ الأمرِ إلى أبي سلمةَ الخَلاَّل : ٣١٧
(٢٢) أسبابُ اعتقالِ الإمامِ إبراهيم : ٣٢٠
(٢٣) تاريخُ اعْتِقالِ الإمامِ إبراهيمَ واغْتيالِهِ : ٣٢٣

الفصل السادس : بَيعَةُ أبي العباس السفاح : ٣٣٣

(١) عَزْمُ أبي سلمةَ الخَلاَّلِ على تَحويلِ الخلافة إلى العلويين : ٣٣٥

(٢) تنكُّرُ أبي سلمَةَ الخَلاَّلِ للعباسيِّين بالكوفة : ٣٣٩

(٣) الاهتداءُ إلى أبي العباس بالكوفة : ٣٤٣

(٤) إخراجُ أبي العباس ومبايعتُهُ : ٣٤٨

(٥) السيطرةُ على سائرِ الأمْصار : ٣٤٩

(٦) تَوجيهُ العُمَّالِ إلى الأمصار : ٣٥١

الفصل السابع : التَّخلُّصُ من النُّقباء والدّعاةِ المتمردين : ٣٥٣

(١) قَتْلُ لاهزِ بن قُرَيْظٍ التميميِّ : ٣٥٥

(٢) قَتلُ سليمان بن كثيرٍ الخزاعيِّ : ٣٥٧

(٣) قَتلُ شُرَيْكِ بن شيخٍ المَهْريِّ : ٣٦١

(٤) قَتلُ زيادِ بن صالحٍ الخزاعيِّ : ٣٦٢

(٥) قَتلُ عيسى بن ماهان الخزاعيِّ : ٣٦٤

(٦) قَتلُ أبي سَلَمَة الخَلاَّل : ٣٦٦

(٧) قَتلُ أبي مسلمٍ الخراسانيِّ : ٣٧٠

(٨) قَتلُ أبي الجَهْمِ بن عطيَّةَ الباهليِّ : ٣٩٣

(٩) قَتلُ خالد بن إبراهيم الذُّهْليِّ : ٣٩٥

(١٠) قَتلُ جَهْوَرَ بن مَرَّارٍ العِجْليِّ : ٣٩٧

الفصل الثامن : استِئصالُ العباسيِّينَ للأمويين : ٣٩٩

(١) قَتلُ مروانَ بن محمدٍ : ٤٠١

(٢) قَتلُ الأمويينَ بمصر : ٤٠٦
(٣) قَتلُ الأمويين بدمشقَ : ٤٠٧
(٤) نبشُ قُبورِ الأمويينَ : ٤١٠
(٥) قَتلُ الأمويين على نهر أبي فُطْرسٍ بفلسطين : ٤١٤
(٦) قَتلُ سليمانَ بنِ هشامٍ وابْنَيهِ بالحِيرَةِ : ٤٢١
(٧) سَلامَةُ الأمويِّينَ بالبصرةِ : ٤٢٦
(٨) قَتلُ أنصارِ الأمويينَ بالمَوْصِل : ٤٣٣
(٩) قَتلُ الأمويين بمكة والمدينة : ٤٣٥
(١٠) مُلاحظاتٌ وتَعقيباتٌ : ٤٣٨
(١١) مَصَارِعُ الأمويين في شعر المُخَضرَمين : ٤٤١
(١٢) أسماءُ قَتلَى الأمويينَ في المصادرِ المختلفة : ٤٤٨
(١٣) التَّهوينُ من قَتْلِ العباسيِّينَ للأمويين : ٤٥١
(١٤) استِبقاءُ بعضِ الأمويين وأنصارهم : ٤٥٣
(١٥) تَعليقٌ وخُلاصة : ٤٦٣

الفصل التاسع : انتفاضات الأمويين والشاميين : ٤٦٧

(١) انتِفاضاتٌ متقطعةٌ فاشلةٌ : ٤٦٩
(٢) ثورةُ حبيب بن مُرَّةَ المُريِّ بالبَلقاء والبَثْنيَّةِ وحَوران : ٤٧١
(٣) ثورَةُ عثمان بن عبد الأعلى الأزدي بدمشقَ : ٤٧٣
(٤) ثورةُ مَجزأةَ بن الكوثَرِ الكلابي بِقنّسرينَ ٤٧٤

(٥) ثَوْرةُ إسحاقَ بن مسلمٍ العُقَيليِّ بالجزيرةِ : ٤٧٦
(٦) ثَوراتٌ أخْرى بالجزيرة : ٤٧٨

خاتمة : ٤٨١

المصادر والمراجع : ٤٩٩

«مُقَدِّمَةٌ»

صِلَتي بالدعوةِ العباسيّةِ قديمةٌ، تَعُودُ إلى أكْثَرَ من خَمسَةَ عشرَ عاماً، فقد اطَّلَعْتُ على قَليلٍ من مَصادِرِها، وَأَلْمَمْتُ بأطرافٍ من أخبارِها، يوم كتبتُ كتابي : الشعر العربي بِخُراسانَ في العَصرِ الأُمَويِّ.

ثم قَوِيَتْ صِلتي بها ، فَأَحَطْتُ بكثيرٍ من مَصادِرِها ، وَوَقَفْتُ على فَيْضٍ من أخبارِها ، واستَبَنْتُ أشهرَ تَفاسيرِها ، يومَ كتبتُ كِتابي : الشعراء من مُخَضْرمي الدَّوْلَتينِ الأُمَويَّةِ والعبّاسيّةِ ، إذْ كانَ مَوْقِفُهُم من الدولةِ العباسيّةِ وأثَرُهُ في شِعرِهِم أحدَ فُصُولِ الكِتابِ.

وظلَّ اهتمامي بها يَزدادُ على الأيام ، فكنتُ أَتَتَبَّعُ مَصَادِرَها ، وأتَعَقَّبُ ما وُضِعَ من مُؤَلَّفاتٍ ومقالاتٍ فيها ، وكان لأخي الكريمِ الأستاذِ الدكتور عبد العزيز الدوريِّ أكبرُ الفَضْلِ في اتِّساعِ مَعرفتي بِمَصَادِرِها ، واستِظْهاري لِتفاسيرِها ، فقد كُنتُ أُجاذِبُهُ الحَديثَ في أَمْرِها ، فكانَ يُنفِقُ معي وقتاً طويلاً في مُناقَشَةِ بَعضِ الآراءِ ، وتَقْليبِها على وُجُوهِها ، وتَبصيري بالصَّوابِ منها ، وكانَ يُرْشِدُني إلى المَصَادِرِ ، وَيَدُلُّني على المراجعِ ، ويَمُدُّني بالمَقالاتِ ، ويُسدي إليَّ النُّصْحَ.

ثم قَدَّرْتُ أن أُفرِدَ للدَّعوَةِ العباسيَّةِ فَصْلاً في كِتابٍ أُعِدُّهُ عن الثقافةِ بِخُراسانَ في

العَصْرِ الأُمويِّ، أُرَكِّزُ فيه الكلامَ عليها، وأَسْتَدرِكُ ما فَاتَني من مَسائِلِها. فلمَّا جَمَعْتُ المادةَ، إذا هي وفيرةٌ وَفْرَةً شديدةً، وإذا ما تَتَضَمَّنُهُ من خفَايا، وما تُثيرُهُ من قَضايا أكبرُ من أنْ يَسَعُهُ فَصْلٌ واحدٌ. فَحِرْتُ في الأَمْرِ، وزَادَني فيه حَيْرَةً أنَّ الدَّعوَةَ العباسيَّةَ مَقْسومَةٌ بين بلادِ الشامِ، والعراقِ، وخراسانَ، ففي الحُمَيمَةِ كان أهْلُها وأَئِمَّتُها، وفي الكوفةِ كان رئيسُ دُعاتِها، وفي مَرْو الشَّاهجانِ كانَ عُظْمُ شيعَتِها، ومنهم كان جميعُ نُقبائِها وأكثرُ دُعاتِها، وفي بُلدانِ خراسانَ وما وراءَ النَّهْرِ كان سائرُ شيعَتِها، ومنهم كان بَعضُ نُظراءِ نُقبائِها وَبَقِيَّةُ دُعاتِها. فَرَجَعْتُ أَتَدبَّرُ الأمرَ، وأُجيلُ فيهِ الفِكرَ، وأُرَدِّدُ فيهِ النَّظَرَ، ومكثتُ على ذلك زمناً حتى قَرَّرْتُ أنْ أُجَرِّدَ للدَّعوَةِ العباسيَّةِ كتاباً مُستَقِلاً، أدْرُسُها فيه دَرْساً ضَافياً، وأَبْسُطُ فيه الحديثَ عنها بَسْطاً وافياً، وأغراني بذلك أن الباحثين السَّابقينَ لم يُسَجِّلُوا حَرَكَتَها ومَسيرَتَها تَسجيلاً كاملاً، وأنهم لم يُمَحِّصوا بعضَ أحْداثِها وَوَقائِعِها تَمْحيصاً دقيقاً، وأنهم أغْفلوا بعضَ مَبادِئِها وأَساليبِها إغفالاً تامّاً.

وقد خَصَّصتُ هذا الكتابَ لتاريخِ الدَّعوةِ العباسيّةِ وتَطَوُّرِها، فَشَخَّصْتُ فيه نَشأَتَها وانتشارَها، وتَحَدَّثْتُ عن تكوينِ مَجَالِسِها ومُنَظَّماتِها، وَوَضَّحْتُ نُمُوَّها وُرُسوخَها، وأبَنْتُ عن انْحِرافِ بعضِ دعاتِها وخُرُوجِهِم على مِنهاجِها، وجَلَوْتُ إصْلاحَ الإمامِ محمد بن عليٍّ لاعْوِجَاجِها، وضَبْطَهُ لأمْرِها، ولم أَزَلْ أَرْسُمُ مَعالِمَ قُوَّتِها وتَعاظُمِها إلى نِهايَةِ المرحلةِ السِّرِّيَّةِ منها. ثم صَوَّرْتُ إظْهارَها وإعْلانَ ثَورَتِها، وَعَدَّدْتُ مَعَارِكَها وحُرُوبَها، وحَدَّدْتُ أسبابَ نجاحِها، وَوَصَفْتُ قيامَ دَوْلَتِها، وابْتِداءَ سياسَتِها، وكشفتُ عن مُعامَلَةِ العباسيِّينَ لنُقبائِهِم ودُعاتِهِم بعدَ فَوْزِهِم بالخلافةِ ومُزاوَلَتِهِم للحُكْمِ، فإنهم أبْقوا على مَنْ أَخْلَصُوا لهم وأطاعُوهُمْ، واغْتالُوا من اتَّهَموهُم وانتَقَدُوهُم، وأَهْلَكوا من تَصَدوا لهم وتَحَدَّوهم، وفتكوا بِمَنْ طَاوَلُوهُم ونازَعوهُم. وَعَرَضْتُ لموقِفِهِم من بني أميّة، فإنهم كانوا ساخِطِينَ عليهم،

كما كانوا مُتَخَوِّفينَ منهم ، فَقَتَلوا كثيراً من أُمرائهم ، وضَيَّقُوا على أزواجِهِم وأبنائهم ، وعنُفُوا بأنْصارِهِم وأوليائِهم ، وبَطَشُوا بثُوّارِهِم وزُعمائِهم .

واعْتَمَدْتُ في الكتابِ على مَنْهجِ كُتُبِ الأنسابِ ، وهو من مناهج المؤرخينَ الأَصيلَةِ ، وكانَ البلاذريُّ أَوّلَ مَنْ سبَقَ إليه ، وأخَذَ به منهم ، ثُمَّ التزَمَهُ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العبّاسية . وإنما اخترتُ هذا المنهجَ وَفَضَّلتُهُ لأنه من أَصْلَحِ المناهجِ لدراسةِ تاريخِ الدّعوة العباسيّةِ وتَطَوُّرِها ، فإنَّ مَسيرَتَها قامَتْ على جُهودِ أفرادٍ من الأسرةِ العباسيّةِ ، كَانَ كُلُّ فَرْدٍ منهم يُسهِمُ بِنَصيبٍ فيها ، فإذا أَحَسَّ بِدُنُوِّ أجلِهِ أَوْصى بالإمامةِ إلى فَرْدٍ آخَرَ ، ولم يَزَلْ بَعْضُهُمْ يُوصي بالإمامةِ إلى بَعْضٍ ، ويُواصِلُ الخالفُ منهم عمَلَ السّالِفِ حتى فُجِّرَتِ الثَّورَةُ ، وقامَتِ الدَّولَةُ .

ودَأَبْتُ في دراسةِ كلِّ مَسأَلةٍ من مَسائلِ تاريخِ الدَّعوةِ العباسيّةِ وتَطَوُّرِها أنْ أَحْصُرَ أخبارَها ، وأُوازِنَ بينَ رِواياتِها ، وأُنَبِّهَ على الزِّيادةِ والنُّقصانِ فيها ، وأُشيرَ إلى وُجُوهِ الاتّفاقِ والاختلافِ بينَها ، وأَتَبيَّنَ مُيولَ رُواتِها . وقد مكّنني ذلك من الانتهاء إلى رأْيٍ قاطعٍ في بَعْضِها ، وإلى رَأْيٍ راجحٍ في غيرِها .

أمَّا أخي الكبيرُ الأستاذُ الدكتورُ عبد العزيز الدوريُّ فهو صاحبُ الفَضْلِ في اهتمامي بالتَّاريخِ الإسلاميِّ ، ومَعرفتي بالصِّلَةِ الوثيقَةِ بينَهُ وبينَ الأَدَبِ العَرَبيِّ . ولا يَقْتَصِرُ فَضلُهُ على هذا الكتابِ وَحْدَهُ ، فلطالما أَفَدتُ من عِلمِهِ ورأيِهِ ، وما أعظَمَ ما بَذَلَ لي من عَوْنِهِ وتَشجيعِهِ ، وما أكثرَ ما استَفرَغَ من وَقتِهِ وجُهْدِهِ في إرشادي إلى الصَّحيحِ من وُجُوهِ الرَّأْيِ ، فله مني أخلَصُ الشكرِ ، وأَصْدَقُ التَّقديرِ كِفاءَ ما أَوْلاني من رِعايَةٍ ، وما حباني من تَوْجيهٍ .

وأرجُو أنْ أكونَ وُفِّقْتُ في تَصويرِ تاريخِ الدّعوةِ العباسيةِ وتَطَوُّرها ، وأنْ يكونَ في هذا الكتابِ بعضُ الجديدِ النافعِ ، فإن قَصَّرْتُ عن الإشْراف على الغايةِ فَعُذري أنني اجْتَهَدْتُ ، وقَدَّمْتُ أقصَى ما استَطَعْتُ. والله أسأل أنْ يَهْديني إلى سَواء السَّبيل.

حسين عطوان

عمان في ١/ ٥/ ١٩٨٤

« تمهيد »

« المصادر عَرْضٌ وتَحليلٌ »

(١) من جُهُودِ الباحثين

اهتمَّ المُستَشرِقُونَ والعربُ المُحدِثُونَ بالدعوةِ العباسيّةِ اهتماماً كبيراً ، وَبَحثوها بَحثاً كثيراً ، ولم يزالوا يَنظُرُونَ فيها ، وَيَستَدرِكونَ مَا فَاتَهُمْ من مَصَادِرِها ، ويُعالِجونَ ما غابَ عنهم من قَضَاياها ، ويُنَقِّحونَ تَفْسيرَهُم لها منذ ما يزيدُ على قَرْنٍ من الزَّمانِ.

وقد اعتَمَدَ المُتَقَدِّمونَ منهم على المَصادِرِ التاريخيّةِ ، ولم يُلْقُوا بالاً إلى المَصادرِ الأخرى إلاَّ قليلاً ، وخَضَعُوا في البَحثِ للمَفاهيمِ العُنصريَّةِ والقَوميَّةِ ، وَسَعَوا سَعْيَهم لإثباتِ أفكارٍ سابقةٍ. فكان فيما كَتَبوا عن الدَّعوةِ العباسيّةِ خَلَلٌ ظاهرٌ ، وتحكُّمٌ شَديدٌ ، وشَطَطٌ بَعيدٌ ، ويبدو ذلك جَليّاً في كتاب فان فلوتن : «السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية» ، وفي كتاب يوليوس فلهاوزن : «تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية» ، وفي كُتُبِ مَنْ تَأثَّر بهم منَ المُستَشرقينَ والعرب المُحدِثينَ[1] .

وأخَذَ مَنْ خَلَفَهم منَ الباحثين يَستَقصونَ المصادرَ المختلفةَ شيئاً فشيئاً ، ويَنفكُّونَ من إسارِ الآراءِ الشائعةِ بالتَّدريجِ ، ويظهر ذلك بيِّناً في كتاب الدكتور عبد العزيز الدوري : «العصر العباسي الأول» ، وفي كتابه : «مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي» . وفي مقالاته المُتعدِّدَة عن قضايا الدعوةِ العباسيَّةِ المُتَنوِّعَةِ ، ولا سيما

---

(١) انظر العباسيون الأوائل ، للدكتور فاروق عمر ١ : ٣٣.

مقالَتُهُ: «ضَوْءٌ جديدٌ على الدَّعوَةِ العباسيّةِ»[1]، ومقالَتُهُ: «الفكرةُ المَهدِيَّةُ بين الدَّعوةِ العباسيّةِ والعصر العباسي الأول»[2]، وفي كُتُبِ بَعْضِ المُستَشرقين ومَقَالاتِهِم[3].

وكان الدكتور عبد العزيز الدوريّ قد عَثَرَ على مَخطوطَةِ كتاب: «أخبار الدولة العباسيّة»، وفيه أخبارُ العباس بن عبد المطلب وَوَلَدِهِ، وهو لمؤلفٍ مَجهولٍ من مَوالي العباسيِّين من رجالِ القَرْنِ الثالث، فَعَرَّفَهُ، ونَوَّهَ بقيمَتِهِ، وَعَرَضَ ما فيهِ من معلوماتٍ جديدةٍ، تُوَضِّحُ بعضَ المسائلِ المُبهَمَةِ في تاريخِ الدَّعْوَةِ العباسيَّةِ وتَطَوُّرِها، وتُصَحِّحُ بعضَ الأحكامِ المُتَدَاوِلَةِ وتُقَوِّمُها[4].

واطَّلَعَ الباحثون على مخطوطةِ الكتابِ قبلَ أن يُنشَرَ، كما اطَّلعوا على أخبارِ العباس بن عبد المطلب وَوَلَدِهِ في مَخْطوطةِ كتابِ أنسابِ الأشرافِ قبلَ أن يُنشَرَ القِسْمُ الثالثُ منه أيضاً، وَوَقعُوا على ما فيهما من خَبايا ومَكنوناتٍ ونُصوصٍ وروايات طريفةٍ، وانتَفَعُوا بها، واندَفَعوا يُعنَوْنَ بالأُسُسِ الدِّينيَّةِ والاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والسياسيّةِ للدعوةِ العباسيّةِ، وَيَكْشِفُونَ عن مُشارَكَةِ الفئاتِ والجماعاتِ المختلفةِ فيها، ويُبرِزون حَظَّ العَرَبِ والموالي والعجمِ المسلمين منها. ويبدُو ذلك قويّاً في كتاب الدكتور محمد عبد الرحيم شعبان: «الجذور الاجتماعية والسياسيّة للدعوةِ العباسيّة»، وفي كتاب الدكتور فاروق عمر: «الخلافة العباسية»، وفي كتابه: «العباسيون الأوائل».

---

(١) مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الثاني لسنة ١٩٦١.

(٢) دراسات عربية وإسلامية مهداة الى إحسان عباس، الجامعة الأميركية في بيروت ١٩٨١ ص: ١٢٣.

(٣) انظر العباسيون الأوائل ١: ٣٤.

(٤) مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الثاني لسنة ١٩٥٧، ص: ٦٤.

وقد ظلّتْ جوانبُ من تاريخِ الدعوةِ العباسيّةِ وتطوُّرها غامضةً ، وبقيتْ طائفةٌ من مبادئها وأساليبها خافيةً ، ولم يزلْ قليلٌ مِمَّا احْتُفِلَ به منها بحاجةٍ إلى الدّرسِ والتَّمحيص ، وسببُ ذلك أنَّ الباحثين لم يَتَتَبَّعُوا مادة كلِّ الموضوعاتِ تَتَبُّعاً شاملاً ، ولم يَجمعوها جَمعاً مُتماثلاً ، بل تَبايَنَتْ عِنايَتُهم بها ، فمنها ما استَوفَوا مادَّتَهُ واستَقْصوها ، ومنها ما وَقَفُوا على مادّتِهِ في بعضِ المَصادِرِ ، واقتَصَرُوا عليها .

ويُلاحَظُ أنهم عوَّلُوا على كُتُبِ التاريخ تَعْويلاً شديداً ، وأهملوا كُتُبَ الحَديثِ ، وكُتُبَ الطّبقات والتَّراجم ، وكُتُبَ الأدبِ ، فلم يَعودُوا إليها ، ولم يَجرُدُوها ، ولم يَستفيدوا مما بها من معلوماتٍ غزيرةٍ نادرةٍ إلاَّ يسيراً ، فإنَّ أقلَّهُم التَفَتَ إليها ، واعتَمَدَ عليها ، واستَمَدَّ منها ، حين درسَ بعضَ قَضَايا الدَّعوةِ العباسيّةِ ، وخيرُ مثالٍ على ذلك مقالةُ الدكتور عبد العزيز الدوريّ عن « الفكرةِ المَهدِيَّةِ بينَ الدَّعوةِ العباسيّةِ والعصرِ العباسيِّ الأول » .

ومُراجَعَةُ المَصادِرِ المُتَعَدِّدَةِ تُعينُ على الإحاطَةِ بالمادةِ ، وتُمكِّنُ من استِدراكِ النَّقْصِ فيها ، وتُساعِفُ بالجديدِ منها ، وتساعدُ على المُقابَلَةِ بينَ رواياتِها ، وتَهْدي إلى مَعرفَةِ مُيولِ أصْحابِها ، وتُفضي إلى التَّمييزِ بينَ قَويِّها وضَعيفِها ، وتُؤدِّي إلى تَبيُّنِ صَحيحِها من مَنْحولِها ، وتَقُودُ إلى التَّدقيق في بحثِ مسائلِ الدَّعوةِ العباسيّةِ وَقضاياها ، وتُيَسِّرُ تَجلِيَةَ ما غَمُضَ من جوانبِ تاريخِها وتَطَوُّرِها ، وتُسَهِّلُ إظهارَ ما خفيَ من مَبادِئِها وأساليبِها .

(٢) كُتُبُ المَغازي والسِّيَر

مِنَ المَصادِرِ المُهِمَّةِ كُتُبُ المَغازي والسِّيَر، وما فيها من أخبارٍ عن بني العباس قليلٌ، فهي لا تشتملُ إلاَّ على بعضِ أخبارِ العباسِ بنِ عبدِ المطلب في الإسلام.

في المغازي للواقديِّ المتوفيِّ سنةَ سبعٍ ومائتين أخبارٌ عن مَوْقِفِ العباس بن عبد المطلب من الإسلام، ولكن الواقديَّ لم يَنقُلْ شيئاً من أخبارِهِ قبلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، فلم يَذكُرْ أنه خَرَجَ مع المشركين من قُرَيْشٍ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولا أنه أُسِرَ وفُودِيَ، ولم يُحَدِّدْ تاريخ إسلامِهِ، بل نَقَلَ كثيراً من أخبارِهِ بعدَ غَزوَةِ بَدْرٍ، فَرَوى خَبَرَ مُكاتَبَتِهِ للرَّسولِ في غَزوَةِ أُحُدٍ، يُحَذِّرُهُ قريشاً، ويصفُ له عَدَدَهُم وعُدَّتَهُم وسِلاحَهُمْ[١]، ورَوَى خَبَرَ فَرْحَتِهِ بانتِصارِ الرسولِ في غزوةِ خَيْبَر، وأنه أَطْعَمَهُ مائتي وَسْقٍ[٢] تَمْرٍ[٣]. ورَوَى خَبَرَ تَطَلُّعِهِ إلى تأميرِ ابنِهِ الفَضْل وابن أخيهِ ربيعةَ بن الحارثِ بن عبد المطلبِ على الصَّدقاتِ بعدَ غَزوَةِ خَيْبَر، وأنه بعثهما إلى الرسول يَسْألانِهِ ذلك، فَنهاهما عنه، وقال لهما: «إنَّ الصَّدَقاتِ لا تَحِلُّ لمحمدٍ ولا لآلِ محمدٍ، إنما هي أوْساخُ الناس»[٤]، ورَوَى خبرَ استِشفاعِهِ لأبي سفيانَ عندَ الرسولِ يومَ فَتحِ

---

(١) المغازي ١ : ٢٠٣.

(٢) الوَسْق : حمل بعير، وهو ستون صاعاً بصاع الرسول، وهو (٣٤٥٦ و٢٥٢ لتر أو ٣ و١٩٤ كغم من القمح). (انظر المكاييل والأوزان الإسلامية ص : ٧٩).

(٣) المغازي ٢ : ٦٩٣.

(٤) المغازي ٢ : ٦٩٧.

مكة[1] . وروى خبرَ طَلَبِهِ من الرَّسولِ أنْ يُولِّيَهُ السِّقايَةَ والحِجَابَةَ بعدَ فتحِ مكة[2] ، فَقَبَضَ منه الحِجابَةَ ، وأعطاه السِّقايَةَ[3] ، وروى خَبَرَ مشارَكَتِهِ في غزوةِ حُنَينٍ ، وأنه أبْلَى فيها بلاءً حَسَناً[4] ، وروى خَبَرَ مُساهَمَتِهِ ببعضِ الرَّكائِبِ في غَزْوَةِ تَبُوكَ[5] .

وكأنه جامَلَ العباسيينَ بعضَ المجامَلَةِ ، فقد تَوَلَّى قَضاءَ بغداد لهم ، وكان مُقَدَّماً لَدَيْهِم ، حَظِيّاً عندَهم[6] ، فَحمَلَ منَ الأخبارِ ما يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِ جَدِّهِم العباس ابن عبد المطلب في الإسلام ، وأهمَلَ الأخبارَ التي تُسيءُ إليه ، وتَضُرُّ به ، وتَضَعُ منه ، وتَدُلُّ على تَأَخُّرِهِ عن دُخولِ الإسلام !

وفي السِّيرَةِ النَّبويَّةِ لابن هشامٍ المتوفَّى سنة ثماني عشرةَ ومائتين أكثرُ ما رواهُ الواقديُّ من أخبارِ العباس بن عبد المطلب في الإسلام[7] ، وفيها خَبَرُ حُضُورِهِ بَيعَةَ

---

(1) المغازي ٢ : ٨٠٨.

(2) المغازي ٢ : ٨٣٣.

(3) المغازي ٢ : ٨٣٨.

(4) المغازي ٣ : ٨٩٨.

(5) المغازي ٣ : ٩٩٤.

(6) انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٤٢٥ ، والجرح والتعديل ٤ : ١ : ٢٠ ، والفهرست ص : ١٤٤ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٤ ، وتاريخ دمشق المخطوط ، الجزء ١١ ، الورقة ٣ ظ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٥٥ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٤٨ ، ونور القبس ص : ٣١١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٤٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦١ ، والوافي بالوفيات ٤ : ٢٣٨ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٨٤ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٨ .

(7) السيرة النبوية ٣ : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٤ : ١٦ ، ١٧ ، ٥٩.

العَقَبَةِ الكبرى مع الرَّسولِ ، وهو يومئذٍ على دينِ قَوْمِهِ[1] ، وفيها بعضُ الرواياتِ العباسيّةِ التي تشيرُ إلى أنه أَسلَمَ قبلَ غزوةِ بَدْرٍ ، وأنه كان يُسِرُّ إسلامَه[2] .

وقد سَكَتَ ابنُ هشامٍ عن خروجِهِ مع المشركين من قريشٍ في غَزْوَةِ بَدْرٍ ، كما سكتَ عن أَسْرِهِ ومُفاداتِهِ[3] ! !

وفي الرَّوْضِ الأُنُف للسُّهَيْليِّ المتوفَّى سنةَ إحدى وثمانين وخمسمائةٍ بعضُ ما أَعْرَضَ الواقِديُّ وابنُ هشامٍ عن نَقْلِهِ من أخبارِ العباسِ بن عبد المطلب في الإسلام ، وقد رَوَى أنه أسْلَمَ بعدَ أن أُسِرَ في غَزْوَةِ بَدْرٍ[4] ، وساقَ خَبَرَ أَسْرِهِ . وأخَذَ على ابن اسحاق وابن هشامٍ أنهما لم يَذْكُرا مَن أَسْلَمَ من أَسْرى المشركين بِبَدْر ، يقول[5] : « لم يُسَمِّ ابنُ إسحاق ولا ابنُ هشامٍ مَنْ أَسلَمَ منهم ، والحاجةُ ماسةٌ بقارئ السيرةِ إلى مَعرِفَةِ ذلك ، فأَوَّلُهُم وأَفْضَلُهُم العباسُ عَمُّ رسولِ اللهِ » ، ثم أحْصَى بَقيَّتَهُم .

---

(1) السيرة النبوية ٢ : ٤٩ .

(2) السيرة النبوية ٢ : ٢٨٩ .

(3) السيرة النبوية ٢ : ٣٦٤ ، ٣٦٧ .

(4) الروض الأنف ٣ : ٦٦ .

(5) الروض الأنف ٣ : ١٢٥ .

(٣) كُتبُ التاريخ

ومن المصادرِ المُهِمَّةِ كتُبُ التاريخِ ، بل هي أهمُّ المصادرِ على الإطلاقِ ، وهي تَحتوي على معلوماتٍ سياسيَّةٍ وعسكريَّةٍ عن العربِ بخراسانَ ، ولكنها لا تَخلو من معلوماتٍ سُكانيةٍ واجتماعيّةٍ واقتصاديةٍ عنهم ، وهي تحتوي أيضاً على أخبارِ الدعوةِ العباسيّةِ. وهي تختلفُ في المَنهَجِ ، وتتباينُ في المادةِ ، وتتَفَاوَتُ في القيمةِ.

ففي تاريخِ خليفة بن خياطٍ العُصفريِّ المتوفَّى سنةَ أربعين ومائتين أخبارٌ عن فتحِ خراسانَ ومَن نَزَلَها من القبائل ، وعَدَدِ العرب بها ، وما انعقَدَ بينهم من أحلافٍ ، وما ثارَ بينَهم من عصبيّةٍ ، وما نَشبَ بينهم من حروبٍ. وقد أهمَلَ خليفة بن خياطٍ أكثرَ أخبارِ الدَّعوةِ العباسيّةِ في المرحلةِ السِّرِّيَّةِ ، فلم يذكُرْ منها شيئاً. ولكنه اهتمَّ بأخبارِ الثورةِ العباسيّةِ ، فَروى أخباراً عن احتلالِ أبي مسلمٍ لمرو الشَّاهجان ، ومعاركِ قحطبةَ بن شبيبٍ الطائيِّ ، وفَتْحِ الكوفةِ ، ومبايعةِ أبي العباس ، واستيلاءِ الجيوشِ العباسيّةِ على سائر الأمصارِ ، ومَحقِها لِفُلولِ الجيوشِ الأمويَّةِ ، وَقَتْلِ بني العباس لأُمراء بني أميّة [1]. وبعضُها مُسنَدٌ إلى رُواةٍ مشهورين بمَيلِهم إلى بني أميةَ ، وبعضُها مرفوعٌ إلى رجالٍ أدرَكوا الأحداث وشاهَدُوها ، ومُعظَمُها يُفارِقُ الشائعَ من الرِّواياتِ، وربما كانت تُمثِّلُ الروايةَ الأُمويَّةَ للأحداثِ، فقد كانَ يزيد ابنُ

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩٠— ٥٩٢ ، ٦٠٠— ٦٠٣ ، ٦٠٥— ٦١٢.

زُرَيْعٍ البصريُّ أكبرَ شيوخِهِ ، وكانَ عُثمانيّاً[1] . وقد فَصَّلَ خليفةُ ابنُ خياطٍ تاريخ الأمويِّين تَفْصيلاً ، ولخَّصَ تاريخَ العباسيِّين تَلْخيصاً مُخِلّاً ، ولعلّ ذلك يَدُلُّ على هواهُ الأمويِّ الخَفيِّ ، ولكن من تَرْجَموا له لم يشيروا إلى ذلك ، بل ذكروا أنه كان عالماً حَافِظاً مُتْقِناً ، ومُؤَرِّخاً ثِقَةً ثَبتاً[2] .

وفي الأخبارِ المُوَفَّقياتِ للزبير بن بكّارٍ المتوفَّى سنة ستٍ وخمسين ومائتين نَزْرٌ يَسيرٌ من أخبارِ بني العباسِ السياسيةِ والأدبية ، فقد حفظَ ما يُوحي أنَّ العباسَ ابن عبد المطلب لم يكنْ يَطْمحُ إلى الخلافةِ ، وأنه كان يُقدِّمُ عليَّ بن ابي طالبٍ ، ويَعُدُّهُ رَجُلَ بني هاشمٍ[3] ، وحفظ بعضَ قَصَصِ الدعوة العباسية ، وأنَّ أحدَ النَّصارى بشَّر محمد بن عليٍ بمصيرِ الخلافة إلى ابن الحارثية من وَلَدِه[4] ، وحفظَ بعضَ وصايا محمد بن عليٍ المأثورةِ ، وأقوالهِ المشهورةِ[5] .

وفي أنساب الأشراف للبلاذريِّ المتوفّي سنةَ تسعٍ وسبعين ومائتين مادةٌ وفيرةٌ من أخبارِ العرب بخراسان ، وهي مَبْثُوثةٌ في القسم الرابع من الكتاب ، وهو خاصٌّ بأخبار بني عَبْدِ شَمْسٍ بن عبد منافٍ ، وبعضُهُ منشورٌ ، وهو يشملُ الجزءَ الرابع ، وهو قسمان اعْتَنى بِنَشْرِهما شلوسنجر ، والجزء الخامسَ ، وقد اعْتَنى بِنَشْرِهِ غويتين ، والجزءَ الحادي عشر ، وقد اعْتَنى بِنَشْرِهِ الوارت ، وبَعْضُهُ مَخْطوطٌ ، وهو يشملُ بقيةَ ترجمةِ عبد الملك بن مروان وتراجمَ من تَلاهُ من الخلفاءِ الأمويين . والقسمُ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ : ٢٨٩ .

(٢) انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢ : ١ : ١٧٥ ، والجرح والتعديل ١ : ٢ : ٣٧٨ ، والفهرست ص : ٣٢٤ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٤٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٤٣٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣١٢ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ١٦٠ ، وتقريب التهذيب ١ : ٢٢٧ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٣٠٣ ، وشذرات الذهب ٢ : ٩٤ .

(٣) الأخبار الموفقيات ص : ٥٧٨ .

(٤) الأخبار الموفقيات ص : ٣٥٢ .

(٥) الأخبار الموفقيات ص : ٣٩٩ — ٤٠٠ .

الثالثُ من الكتاب خاصٌّ بأخبار العباس بن عبد المطلب ووَلدِهِ ، وهو مطبوعٌ ، وقد حَقَّقَهُ الدكتور عبد العزيز الدوريُّ ، وفيه أخبارُ بني العباس ، وأخبارُ دَعْوتهم ونُقبائهم ودُعَاتهم ، وأخبارُ دَوْلَتهم إلى أيام المَهْديِّ . وهو من أغنى المصادر وأوْفاها بأخبار الدعوة العباسية ، لأنّ البلاذريَّ اتَّبعَ منهجَ كُتُبِ الأنسابِ ، وتَرْجَمَ لجميع بني العباس ، وحَشَدَ كلَّ ما وَقَعَ عليه من أخبارهم ، وساقها برواياتها المختلفة ، ورسمَ صورةً كاملةً لنَشاطِ كل فَرْدٍ منهم ، وأحاطَ بسيرةِ النابهين من نُقبائهم ودُعاتهم وقَادتهم . وانفرد بأخبارٍ ورواياتٍ كثيرةٍ ، وهي تكشف عن وُجُوهٍ جديدةٍ لبعضِ وقائعِ الدعوةِ العباسيةِ ومسائلها ، وتُزيلُ الغُموضَ الذي يَلُفُّ بعضَ قَضاياها .

وفي أخبارِ الدَّوْلَةِ العباسيةِ لمؤلِّفٍ مجهولٍ من موالي العباسيين من رجالِ القرن الثالث مادةٌ غزيرةٌ نادرةٌ عن الدَّعْوَةِ العباسيةِ وقصصها ، وهو من أوْسَعِ مصادرها وأَحْفَلِهَا ، بل هو مَعْقُودٌ لها ، مَقْصُورٌ عليها (١) . وقد حذا مُؤَلِّفُهُ حَذْوَ البلاذريِّ ، واقْتَدَى بِمَنْهجِهِ ، ولكنه لم يُحافِظْ على خُطَّةِ كُتُبِ الأنسابِ . ولم يَلْتَزِمْهَا التزاماً دقيقاً ، فإنه لم يُتَرْجم لجميع بني العباس ، بل تَرْجَمَ للابن الأكبر من أبناءِ كل واحدٍ منهم ، وعُنِيَ بالأسانيدِ واختلافِ الرِّواياتِ . وهو لا يهتَمُّ بكلِّ أحْدَاثِ الدعوةِ العباسية ، بل يَهْتَمُّ بأخْطَرِهَا ، ويُفَصِّلُ القَوْلَ فيها . وقد روَى أخباراً جديدةً عن بداية الدَّعْوَةِ ، وكَشَفَ عن كثيرٍ من أسْرَارِهَا ، فأبانَ عن تَعَلُّقِ بني العباسِ بوَصِيَّةِ أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحَنَفِيَّةِ ، واسْتِنادِهِم إليها في الدَّعْوَةِ إلى أنْفُسِهِم ، وأظْهَرَ اسْتيعابهم لشيعةِ أبي هاشمٍ ، واتِّكالِهِم عليهم ، ووضَّحَ أصْلَ الغُلُوِّ في الدَّعْوَةِ ، وجَلَّى جُذُورَ التَّطرف فيها ، وأحْصَى مَجَالِسَها ، وسَمَّى رجالَ كُلِّ مجلسٍ منها ، وأَبْرَزَ نشاطَ النَّابهين من نُقَبائها ودُعَاتها . ومما يزيدُ من قيمةِ الكتابِ أنَّ مُؤَلِّفَهُ

---

(١) انظر مقدمة الدكتور عبد العزيز الدوري للكتاب ص : ٧ — ٢٠ .

أخذَ بعضَ الأخبارِ من طُرُقٍ تَتَّصِلُ بحَلَقاتِ الدعوةِ السرِّيَّةِ ، ودُعاتِها البَارزينَ ، وأخذَ بعضَها من طرقٍ تَتَّصِلُ بالعباسيين. ويُصَوِّرُ الكتابُ مَوْقِفَ العباسيينَ من الإمامةِ ، وطُمُوحَهم إليها ، وعَمَلَهم لِلْفَوزِ بهَا. وقد سَقَطَ من أَوَّلِهِ عَدَدٌ من الأوراق ، وهي تَسْتَغْرِقُ أكثر ترجمةِ العباسِ بن عبد المطلب ، وفي تاريخ الخلفاء[1] لمؤلفٍ مجهولٍ من رجالِ القَرْنِ الحادي عشرَ ما يُعينُ على تَحْديدِها ومَعْرِفةِ محتواها ، وهو يتكَوَّنُ من قسمين : الأول في تاريخِ الخلفاء الراشدين والأمويين ، والثاني في تاريخ الخلفاءِ العباسيين. وذكر المؤلفُ أنَّ القسمَ الثاني مُختَصَرٌ من أخبارِ الدولةِ العباسية ، وأنه يُسَاوِي رُبْعَ الأصْلِ. وترجمةُ العباسِ بن عبدِ المطلب في تاريخ الخلفاء أربعُ صفحاتٍ ، ومعنى ذلك أنَّ ترجمتَهُ في أخبارِ الدولة العباسية كانت حوالي ست عشرةَ صفحةً ، وما بقيَ فيه منها ثلاثُ صفحاتٍ ، ومعنى ذلك أنَّ ما سقطَ منها يُقاربُ ثلاثَ عشرةَ صفحةً. وذكر مؤلفُ أخبارِ الدولة العباسية في تضاعيف الكتاب أنَّ المَهْديَّ أبْطَلَ وَصِيَّةَ أبي هاشمٍ ، وأشاعَ أنَّ الإمامةَ أَتَتْ العباسيين من جِهَةِ جَدِّهم العباس بن عبد المطلب[2] ، ولكن ترجمةَ العباس في تاريخ الخلفاءِ لا تَتَضَمَّنُ شيئاً من الأخبارِ والأحاديثِ التي رُوِّجَتْ في زَمَنِ المنصور والمَهْدِيِّ ، واتُّخِذَتْ وسيلةً إلى إثْباتِ حَقِّ العباسِ في الإمامة ، بل تَتَضَمَّنُ إشارةً عابرةً إلى أنه عَمُّ النَّبِيِّ وصِنْوُ أبيه[3] . وقد اهتمَّ مؤلفُ أخبارِ الدولة العباسيةِ بعبد الله بن العباس ، وضَخَّمَ شَخْصِيتَهُ ، ورَوى أنه كان يُبَشِّرُ بانتقالِ الخلافةِ إلى وَلَدِهِ ،

---

(١) نَشَرَ الأستاذ بطرس غريازنيويج الكتاب مُصَوَّراً عن الأصل المخطوط بعنوان : «تاريخ الخلفاء للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر» ، بمنشورات معهد الدراسات الشرقية ، آثار الآداب الشرقية ، السلسلة الكبرى للنصوص ، رقم : (٦) ، موسكو ١٩٦٧.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٦٥.

(٣) تاريخ الخلفاء ص : ٢٣٨ ظ.

وأنه كانَ زعيمَ الهاشميينَ من عباسيينَ وعَلَوِيِّينَ ، وأنه كانَ يُنافِحُ عن حَقِّهم في الإمامةِ ، ويُجَادِلُ فيه الأُمويِّينَ والزُّبَيْرِيِّينَ . وسببُ ذلك أنَّ أخبارَ الدولةِ العباسية لا يُمَثِّلُ رأيَ العباسيينَ في الإمامةِ في المَرْحَلَةِ التي أُلِّفَ فيها ، بل يُمَثِّلُ رَأْيَهُمْ في خلالِ دَعوَتِهِم ، وفي أَوَّلِ دَوْلَتِهِم .

وفي الأخبارِ الطِّوالِ لأبي حنيفة الدِّينوريِّ المتوفّي سنة اثنتين وثمانين ومائتين أخبارٌ مُتَفَرِّقَةٌ عن العرب بخراسان ، وفيه أخبارٌ عن الدعوةِ العباسية ، وهي مُختاراتٌ من الرِّواياتِ . وفيها أخبارٌ صحيحةٌ أَصيلةٌ ، وفيه أخبارٌ جديدةٌ فريدةٌ . ولكن أبا حنيفة الدِّينوريَّ خَلَطَ بعضَ الرواياتِ ببعضٍ ، ودَاخَلَ بَيْنَها ، وأَعادَ صِيَاغَتَها ، ولم يُدَقِّقْ في نَقْلِ بعضِ الأخبارِ ، وتَصَرَّفَ في بعضِها ، فَقَدَّمَ فيها وأَخَّرَ ، وغَيَّرَ وحَوَّر ، ولم يُبالِ بالحقيقةِ المُجَرَّدَةِ ، وأكثرَ من المبالغةِ والتَّهويلِ ، ولذلك فَشَا في كِتابِهِ الخطأُ في التواريخِ والأسماءِ والأنساب ، وعلى الرَّغم من أنه عَرَضَ تاريخَ الدعوةِ العباسيّة عَرْضاً مُتَّصلاً مُتكامِلاً[1] ، فَإنَّ عَرْضَهُ له أقربُ إلى أنْ يكونَ قَصصاً أدبيّاً منه إلى أنْ يكونَ تَدويناً تاريخيّاً عِلميّاً . وقد أفرَطَ في إظهارِ مُساهَمَةِ الموالي والعجم المسلمين في الدَّعوةِ العباسيّةِ إفراطاً شديداً ، وضَخَّمَ أثرَ أبي مسلم فيها تَضخيماً عجيباً ، وعَظَّمَ شَخصيَّتَهُ تَعْظيماً غَريباً[2] . ولعله تأثَّرَ في ذلك نَفْخَ الفُرْسِ في شخصيَّتِهِ ، وتكثُّرَهُم فيما يزيدُ من قَدْرِهِ ، حتى جَعَلُوهُ بطلاً شَعْبيّاً خياليّاً ، ورجلاً أُسطوريّاً خُرافيّاً ، وآمنوا بِغَيْبَتِهِ ، وانْتَظَرُوا رَجْعَتَهُ ، لِيَقْضيَ على السُّلطان

---

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٣٢— ٣٤٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠— ٣٦٩.

(٢) الأخبار الطوال ص : ٣٦١.

العربيِّ ، ويُطفئَ الدينَ الإسلاميَّ ، ويَبعَثَ مجدَهم السياسي ، ويُحيِيَ دينَهم المجوسيَّ[1] .

وفي تاريخ اليعقوبيِّ المتوفّي سنةَ أرْبَعٍ وثمانينَ ومائتينِ أو سنةَ اثنتين وتسعينَ ومائتين أخبارٌ كثيرةٌ عن العرب بخراسان ، وهي تتفاوتُ في الطُّولِ والقِصَرِ ، وفيهِ أخبارٌ موجزةٌ عن بني العباس ، وقد رَوَى اليعقوبيُّ أَنَّ العباسَ بن عبد المطلب خَرَجَ مع المشركين يوم بَدْرٍ مسْتكرَهاً كالأَسيرِ ، فأُسِرَ فيمن أُسِرَ منهم ، وافْتَدَى نَفْسَهُ وابني أَخَوَيْهِ عقيل بن أبي طالب ، ونَوْفَلَ بنَ الحارث ، وحليفاً لهما من بني فِهْرٍ ، وأَسْلَمَ ورَجَعَ إلى مكة يكتمُ إسلامَه[4] . وفيه أخبارٌ وفيرةٌ قَصيرةٌ عن الدعوة العباسية ، وأَغْلَبهَا تلخيصٌ لرواياتٍ طويلةٍ لها أُصولٌ عند المؤرخين الآخرين ، وأَقَلُّهَا من قَصَصِ الدَّعوةِ العباسيةِ ومَلَاحِمِهَا . وهي ترسم صورةً دقيقةً مُخْتصرةً لتاريخ الدعوة العباسية وتَطَوُّرها ، فهي تكشفُ عن نَشْأَتِهَا ، وتُبينُ عن نشاطِ دُعَاتِهَا ، وتَصِفُ إعْلَانَ ثَوْرَتِهَا ، وتُوَضِّحُ ابْتدَاءَ دَوْلَتِهَا . ونَوَّهَ اليعقوبيُّ بوَصِيَّةِ أبي هاشمٍ ، ونَبَّهَ على أَنَّ محمد بن عليٍ انتفعَ بها ، واعتمدَ على خُطَّةِ أبي هاشمٍ وكُتُبِهِ وعِلْمِهِ الذي أفْضَى بهِ إليه ، واسْتَفادَ من شيعتِهِ ، واتَّخذَ منهم دُعاتَهُ[5] ، وروى أَنَّ الدُّعَاةَ كانوا يَدْعُونَ إلى بني هاشمٍ كافةً لا إلى بني العباس خاصةً[6] . واهتمَّ بإبادةِ العباسيينَ للأمويينَ ، فاسْتَقْصَى أخبارَ مَقَاتِلِهم ، وسَرَدَ وقَائِعَ مَصَارِعهم ، وأشارَ إلى أنَّ العباسيينَ فتكُوا بهم انتقاماً منهم لأنفسهم ، وانتصافاً للعلويينَ أبناء عُمومتهم ، وذكرَ أنَّ أبا العباس

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٢٦ — ٢٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥ ، ٤٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٦ — ٢٩٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٩ ، ٣٤٢.

كَتَبَ إلى عَمِّهِ عبد الله بن علي يأمُرهُ أن يأخُذَ بثأرِهِ منهم[1] . ويَدُلُّ كلُّ ذلك على خُضُوعِه لهَواهُ العَلويِّ ، ولكن هَواهُ لم يَغْلِبْهُ كثيراً ، فإنه لم يَخْضَعْ له إلاّ قليلاً ، فقد كان مُعْتَدِلاً في تَشيُّعِهِ للعلويِّينَ ، وكان مُلاطِفاً للعباسيِّينَ[2] .

وفي الإمامةِ والسياسةِ لمؤلفٍ مجهولٍ من أهْلِ المشرقِ من رجالِ القَرْنِ الثالث[3] بَعْضُ أخبارِ الدعوةِ العباسية[4] ، وقد أكَّدَ مُؤَلِّفُهُ أنَّ الإمامةَ آلَتْ إلى بني العباس بوصيَّةِ أبي هاشمٍ ، وأنَّ دَعْوتهم كانت تَتِمَّةً لِدَعْوتِهِ ، وأنَّ عملَهم كان تكملةً لعَمَلِهِ[5] . واحتَفَلَ بآخرِ المَرْحلةِ السرِّيةِ من الدَّعْوَةِ ، وأوَّلِ الدولةِ ، فتحدَّثَ عن قُدُومِ أبي مُسْلمٍ خراسانَ ، وروَى وَصِيَّةَ الإمام إبراهيم بن محمدٍ له ، ووصفَ نشاطَهُ في بَثِّ الدَّعْوَةِ وتَقْويتها ، وصوَّرَ ظُروفَ إظْهَارِهَا ، وألمَّ بعواملِ انتصارهَا ، وعَرَضَ لموتِ الإمام إبراهيم بن محمدٍ ، وأثرِهِ في نُفُوسِ شيعةِ بني العباسِ ووَقَفَ عند مبايعةِ أبي العباس بالكوفةِ ، وقَتْلِهِ لأبي سَلَمةَ الخلاَّلِ ، واستِئْصَالِ العباسيين لأكثرِ الأُمَرَاءِ الأمويين .

وهو يُزاوِجُ بين الرِّواياتِ العَلَويَّةِ والعباسيةِ، وَيَجْمَعُ بينها وبين الرِّواياتِ الأخرى . وهو ينْفَرِدُ بأخبارٍ جديدةٍ عن مَوْقفِ أبي العباس من قَتْلِ بعضِ الأمراءِ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٦.

(٢) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٥٢ ، ٥٣.

(٣) في مؤلف الكتاب ،وفي العصر الذي عاش فيه اختلافٌ كثيرٌ. وقد حقَّقه سعيد صالح موسى ، ونال به درجة الماجستير من الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٨ . وناقَشَ نِسبَتَهُ إلى ابن قُتَيبَة وإلى غيره مناقشةً طويلةً دقيقة ، وانتهى إلى أنه لمؤلفٍ من أهل المشرق من رجال القرن الثالث ، واستَنَدَ في ذلك إلى شيوخ المؤلف وأسانيده . (أنظر مخطوطة الكتاب بمكتبة الجامعة الأردنية ١ : ٣١ — ٤٢).

(٤) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٠ — ١٣٢ ، ١٣٦ — ١٦٣ .

(٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣١.

الأمويين ، فقد ذكرَ أنه أنكرَ على عَمِّهِ عبد الله بن علي قَتْلَهُ لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، لأنه كان يَعْرِفُهُ ، ولأنه كان أشدَّ قريشٍ ورَعاً وتَقْوَى ، وأوْسَعَهم فَضْلاً وخَيْراً ، وأَمَرَهُ أنْ يَكُفَّ عن تتبُّعِ بني أميّة وألاَّ يَقْتُلَ أحداً منهم إلّا إذا رَفَعَ إليه أمرَهُ ، وأَذِنَ لَهُ في قَتْلِهِ[1] . ولكنه يُخَلِّطُ في بعضِ ما يَرْوي من أخبارِ الدعوةِ العباسيّةِ ، ولا يُدَقِّقُ في نَقْلِها ، بل يَذْكُرُها على ما فيها من عِلّاتٍ قادحةٍ ، وأغْلاطٍ واضحةٍ .

وفي تاريخ الرُّسُلِ والملوك لابن جريرٍ الطبريِّ المتوفّي سنةَ عَشْرٍ وثلاثمائةٍ مادة ضخمة عن العرب بخراسان ، ففيه أخبارٌ عن فَتْحِهم لها ، ورَحيلهم اليها ، واستقرارهم بها ، واختلافهم وتَوَزُّعهم في حِلْفَيْنِ مُتَنافِسَيْن ، وتخَاصُمهم وتصادُمِهم ، لتناقُضِ أهْوائِهم ومذاهبهم السياسية ، وتضارُب مصالحِهم ومنافعهم الاقتصادية . وفيه أسماءُ رُؤَسائهم وأخبارُهم[2] ، وأسماء شُعرائهم وأشعارُهم[3] . وفيه أخبارٌ عن الموالي والعجم المسلمين من أهلِ خراسان ، وأحوالهم الاجتماعية والمالية ، وهو أغْنَى المصادرِ بأخبارِ العربِ والموالي والعجم المسلمين من أهلِ خراسان .

وفيه أخبارٌ كثيرةٌ مُتعدِّدةُ الروايات عن بني العباس ، ويُسْتَخْلَصُ مما حَمَلَهُ من أخبارِ العباس بن عبد المطلب أنه لم يُسْلِمْ قَبْلَ غزوةِ بَدْرٍ ، فقد سارَ فيها مع المشركين ، ولكنه رَوَى أنه سارَ معهم مُرْغماً مُضْطراً لا مُريداً مختاراً ، فأُسِرَ ،

---

(1) الإمامة والسياسة ٢ : ١٤٧ .

(2) انظر مقالة الدكتور صالح العلي : «استيطان العرب في خراسان» بمجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد الأول ، لسنة ١٩٥٩ ، ص : ٤٢ — ٥٨ .

(3) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ١٧ .

وافْتَدَى نَفْسَهُ ، ثم رَجعَ إلى مكة[1] . ويَقْطَعُ ما حَمَلَهُ من الرواياتِ العباسية أنه أسْلَمَ قَبْلَ غزوةِ بَدْرٍ ، وأنه كان يُسِرُّ إسلامه [2] ! ويُستَخْلَصُ منه أيضاً أنه أظهرَ إسلامَهُ قبلَ فَتْحِ مكة بقليلٍ[3] ، ثم صارَ من أقْربِ أصْحَابِ رَسُولِ الله ، وأقْوَى أنصارِهِ ، ومِمَّنْ شاركَ معه منهم في سائِرِ غَزَواتِهِ[4] .

وفيه أخبارٌ وفيرةٌ عن موقفِ عبد الله بن العباس السياسي ، وهي تَدُلُّ على أنه انضمَّ إلى علي بن أبي طالبٍ ، وأيَّدَهُ ، وعَمِلَ له ، وناضَلَ عنه مُدَّةَ خلافته ، فلما قُتِلَ سنة أربعينَ عادَ ابنُ عباسٍ الى مكة ، واعْتَزَلَ السياسة ، ثم بايع معاوية بن أبي سفيان ، وبايع يزيد بن معاوية[5] ، ولم يزل مُطيعاً للسُّفيانيِّينَ وَفِيًّا لهم ، ثم للْمَرْوانِيِّينَ من بَعْدِهم إلى آخر حياتِهِ.

وفيه تَرْجمةٌ قصيرةٌ لعلي بن عبد الله بن العباس[6] ، وهي تشتملُ على معلوماتٍ عن مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ ، وكُنْيَتِهِ الأولى ، وانْتِقالِهِ الى الشام في أيام عبد الملك بن مروان ، وإكرامِ عبد الملك له وإحسانه إليه ، وتَغْييرِهِ لكُنْيَتِهِ من أبي الحسن إلى أبي محمدٍ. وقد أعرض ابن جرير الطبريُّ عن روايةِ أخبارِ علي بن عبد الله بن العباس مع الوليد بن عبد الملك ، فلم يَنْقُلْ شيئاً من أخبارِ سُخْطِ الوليد عليه ، وضَرْبِهِ له ، وتَشْهيرِهِ به ، ونَفْيِهِ اياه ، بعد أنْ بَلَغَهُ أنه يتطلَّعُ إلى الخلافةِ ، ويَسْعَى لها ، ويتكهَّنُ بمصيرها

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٢٦ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٤٦١ ، ٤٦٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٥٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٧٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٥ : ٣٤٣ .

(٦) تاريخ الطبري ٧ : ١١٨ .

إلى وَلدِهِ ، وأعْرَضَ عن روايةِ بَقِيَّةِ أخبارِهِ مع سليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عبد الملك .

وفي تاريخ الرُّسُلِ والملوك أخبارٌ غزيرة عن نَشْأَةِ الدَّعْوَةِ العباسية ، ووُفود دُعاتِهَا الذين نَشَرُوها بخراسان ، وكبارِ دُعَاتِهَا بالكوفة ، ومَجْلسِ نُقَبائها ، واتِّصالِ نفرٍ من رِجالِهِ بالإمامِ محمد بن علي ، والإمام إبراهيم بن محمدٍ ، ولقائهم لها لقاءً مُنْتَظَماً بمكة والمدينة في مواسمِ الحجِّ ، وجُهودهم في بَثِّها وتوطيدِهَا وضَبْطِ أمْرِهَا ، وتَهْيئةِ شيعَتِها ، وتَعْبئةِ أتباعِهَا ، وإظهارِهَا وتفجيرِ ثَوْرتها ، وحُرُوبِهَا ، وانْتصارِهَا ، وقيامِ دَوْلتها . وهو أوْفَى مصادِرِها وأَوْثَقِهَا وأعْلَاهَا ، فقد جَمَعَ ابن جريرٍ الطبريُّ أخبارَ تلك الأحداث ، وروى مُعْظَمها من طُرُقٍ مختلفةٍ ، واعْتَنى بالأخبارِ ، وتغاضَى عن القَصَصِ ، وهو أدَقُّ من نَقَلَ أخبارَ الدَّعْوَةِ العباسية ، وهو يستَقِلُّ بأخبارٍ لم يَنْقُلْهَا غيره من المؤرخين ، وما يَبْدُو عِنْدَهُ من اختلافٍ أو اضطرابٍ في بعض الأحداثِ مَصْدَرُهُ الرواياتُ التي انْتَخَبَهَا وأثْبَتَهَا ، وسَبَبُهُ مُيُولُ رُواتِهَا وحَمَلَتِها ، والرواياتُ الأخرى التي أورَدهَا عن بعضِ الأحْدَاثِ تَفْصِلُ في الاختلافِ ، وتزيلُ الاضطرابَ . ومن المعلومِ أنَّ مَنْهجَهُ في كتَابةِ التاريخ كان ثمرةَ دِرَاسَاتِهِ الدينيةِ ، ومَعْرِفتِهِ بالحديث والفِقْهِ ، وهو منهَجٌ أسَّسَهُ على الاختيارِ من الرِّواياتِ ، ولم يتطرَّقْ الى نَقْدِ ما اخْتَارَهُ منها ، بل قَدَّمَهُ كما وجَدَهُ ، مُكْتفياً بقوةِ أسانيدِهِ ، ومُلْقياً تبعةَ ما فيهِ من الصَّوابِ والخَطأ ، ومن الحَقِّ والباطلِ على رُواتِهِ وحَفَظَتِهِ(١) ، وقد صَرَّحَ بذلك في أوَّلِ كتابِهِ ، فهو يقول(٢) : «ما يَكُنْ في كتابنا هذا من خَبرٍ ذكرناهُ عن بَعْضِ الماضينَ مما يَسْتَنكِرُهُ قارِئُهُ ، أو يَسْتَشْنِعُهُ سامِعُهُ من أجْلِ أنَّهُ لم يَعْرِفْ له وَجْهاً

(١) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ١ : ٨.

في الصحَّةِ ، ولا مَعْنًى في الحقيقةِ ، فلْيَعلَم أنه لم يُؤْتَ في ذلك من قِبَلِنا ، وإنما أُتِيَ من قِبَلِ بعضِ نَاقِلِيهِ إلينا ، وأنَّا إنَّما أدَّيْنَا ذلك على نَحْوِ ما أُدِّيَ إلينا».

وقد ألَمَّ ابن جريرٍ الطبريُّ بِقَتْلِ العباسيِّينَ للأمويِّينَ ، وبَطْشِهِم بأكثرِ أمرائهم إلماماً سريعاً ، فذكَرَ عَناوين مَذَابِحِهِم ، وأغْفَلَ تَفاصيلهَا . ولعل ذلك يُشيرُ إلى مُصانَعتِهِ للعبَّاسيِّيِّنَ بعضَ المُصانعةِ ، ولكنه على كلِّ حالٍ أكبرُ المؤرِّخينَ قَدْراً ، وأشدُّهم اتِّزاناً ، وأكثرُهم اعْتِدالاً .

وفي كتاب الفُتُوح لابن أعثَم الكوفي المتوفّي سنةَ أربعَ عشرةَ وثلاثمائةٍ معلوماتٌ قيّمةٌ عن العربِ بخراسانَ ، ففيه أخبارٌ عن احْتلالهم لها ، وقبائِلِهم التي سَكَنَتْها ، ومواطِنِها وأماكنِها ، وتنازُعِها في الولايَةِ والمَنْفَعةِ ، وتَفرُّقِها في مَجْموعَتَيْنِ مُتَسابِقَتَيْنِ مُتحاسِدَتَيْنِ ، وتَصارُعِهَا وتقاتُلِهَا ، واشْتِدَادِ العصبيَّةِ بين رؤساءِ اليمانيَّةِ والمُضَريَّةِ منها في نهاية الدولة الأموية ، وفيه أخبارٌ ورواياتٌ مختارةٌ عن الدعوةِ العباسية ، ونُقبائها ودُعاتها ، وتَطَوُّرِها ، ومُلَابساتِ إظهارِهَا ، وأسبابِ نَجاحِهَا ، ونشُوءِ دَوْلَتِهَا[1] .

وكان ابن أعثم الكوفيُّ شيعيَّ المَذْهب[2] ، ويَبْدُو أثرُ تَشيُّعهِ واضحاً في حديثِهِ عن الدَّعْوَةِ العباسيةِ ، فهو ينْظُرُ إليها على أنها لم تكن خالصةً للْعبَّاسيين في أوَّلِ الأمْرِ ، بل كانت لأهلِ البَيْتِ من العلويِّينَ والعباسيِّينَ ، وأنَّ العباسيينَ غَلَبُوا عليها واستَبدُّوا بها في آخرِ الأمْرِ ، وهو يغُضُّ الطَّرْفَ عن تَغيُّرِ أبي سلمةَ الخَلَّالِ للعباسيِّين ، وسَعْيهِ في تَحْويلِ الخلافةِ الى العَلَويِّينَ ، بعدَ قَتْلِ الإمام إبراهيم ابن

---

(١) انظر كتاب الفتوح ، مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستنبول ، رقم ٩٥٦ ، الجزء الثاني ، الورقة ٢١٧ب — ٢٢٣ أ.

(٢) معجم الأدباء ١ : ٣٧٩.

محمدٍ، وهو يُسْهِبُ في تَصْويرِ إفْناء العباسيّين للأمويّين، ويَرَى أنهم استأْصَلُوهم اقْتِصاصاً منهم لِمَنْ صَرَعُوا منْ أهْلِ البَيْتِ[1].

ويَظْهَرُ مما سَلَفَ أنَّ مُؤَرِّخي القَرْنِ الثالثِ كادوا يَسْتَوْفونَ مُعْظَمَ أخبارِ الدَّعْوَةِ العباسية، وقد رَجَعَ مُؤَرِّخُو القَرْنِ الرابعِ إلى الأُصولِ التي رَجَعُوا إليها، ونَقَلُوا عنها، واختَصَرُوا بعضَ الأخبارِ الطَّويلةِ التي رَوَوْها كاملةً غيرَ مَنْقُوصةٍ. ولكنهم اطَّلعوا على مصادرَ لم يَطَّلِعْ عليها مُؤَرِّخُو القَرْنِ الثالثِ، وأخَذُوا عنها أخباراً جديدةً، وَوَضَّحُوا بعضَ القضايا التي أعْرَضُوا عنها، وذكروا كثيراً من الأخبارِ عن بعضِ الأحداثِ التي أوْجَزوا القَوْلَ فيها، ولم يَحْمِلُوا إلاّ قليلاً من أخبارِهَا، وأدْلَوْا بآرائهم في بَعْضِ المسائل، وأصْدَرُوا أحْكامهم عليها.

في تاريخِ المَوْصلِ لأبي زكريا الأزْدِيِّ المتوفّي سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاثمائة بعضُ أخبارِ الدَّعْوَةِ العباسيةِ التي جاءت في تاريخ الرُّسُلِ والملوك، وفي غيره من الكُتُبِ السابقةِ، وهو يَسُوقُها بأسْنادِهَا وأكثرِ ألْفاظِهَا. ولكن الأزديَّ رَوَى أخباراً جديدةً طويلةً عن صِلَةِ الإمام محمد بن عليٍ بهشام بن عبد الملك[2]، وعن انْحِرَافِ مَرْوانَ بن محمدٍ عن أهْلِ اليمن[3]، وعن نُصْرةِ القَبائلِ اليمانيَّةِ للجيوشِ العباسية، ومُساعدَتهَا لها على احْتلالِ العراقِ ودُخُولِ مُدُنِ الجزيرةِ الفُراتيَّةِ[4]، وتَوَسَّعَ في الكلام على قَتْلِ يحيى بن محمدٍ لأَهْلِ المَوْصلِ تَوَسُّعاً شديداً[5]، فأحاطَ بأسبابهِ

---

(١) انظر العباسيون الأوائل ١ : ٢٧.

(٢) تاريخ الموصل ص: ٤٦ — ٤٨.

(٣) تاريخ الموصل ص: ١٣٦ — ١٣٨.

(٤) تاريخ الموصل ص: ١٢٥ — ١٣٤.

(٥) تاريخ الموصل ص: ١٤٥ — ١٥٤.

المختلفة ، ولا سيّما غَلَبَةُ رُوحِ العُروبةِ على أهْلِ المَوْصِلِ ، ورَفْضُهم أن يكونَ أوّلُ عاملٍ للعباسيين عليهم من الموالي ، ومَيْلُهم إلى بني أمية ، وروَى وقائعَ قتْلِهم ، وحَدَّدَ عَدَدَ قتْلاهم ، وسَمَّى العلماء والنُّساكَ منهم ، وأشار إلى عَواقبِ قتْلِهم ، ونتائجه السياسية ، وأهَمُّها كُرْهُهم للدولةِ العباسية ، وانْفرَدَ في ذلك بتفاصيلَ ودقائقَ نادرةٍ استَقاها من شُيُوخِ أهل المَوْصلِ .

وعلى الرّغم من أنَّ الأزديَّ نَبَّهَ في كتابهِ على أنه ذَكَرَ ما وجَدَ ، وأنه لم يَعْدِلْ عن الصِّدْق[١] ، فإنه كان شَديدَ الحماسةِ لبَلدهِ وأهْلِهِ[٢] ، وقد أثَّر هواهُ المَوْصليُّ الإقليميُّ ، وهَوَاهُ القَبَليُّ اليَمنيُّ في بعضِ ما رَوَى من أخبارِ الدَّعْوَةِ العباسيةِ ، حتى زَعَمَ أنَّ النُّقباءَ جَميعاً كانوا من اليَمانيَّة[٣] ! ! إن صَحَّ أنَّ ذلك من أصْلِ الخَبرِ الذي أوْرَدَهُ عن المُفاخرةِ بين المُضَريَّةِ واليمانية في أيام المنصور[٤] .

وفي التَّنْبيهِ والإشْرافِ للمسْعُوديِّ المتوفّي سنةَ ستٍّ واربعينَ وثلاثمائةٍ تَلْخيصٌ لتاريخ الدَّعْوَةِ العباسية ، وقد قَرَّرَ المسعوديُّ فيه أنَّ وصيةَ أبي هاشمٍ هي الأساسُ الذي بَنَى عليه العباسيون الدَّعْوَةَ إلى أنفسهم ، وأنَّ دَعْوَتَهم بدأت سنة مائةٍ ، وروَى بعض قَصَصِهَا ومَلاحِمِها[٥] .

وتَجاوزَ المَسْعُوديُّ في مُرُوجِ الذَّهبِ عن أكثرِ أخبارِ المَرْحَلَةِ السِّرِّيَّةِ من الدَّعْوَةِ العباسية ، فلم يَعْرِضْ فيه إلاّ لآخرها ، حينَ قَدِمَ أبو مُسْلمٍ خراسانَ ، وتَوَلّى

---

(١) تاريخ الموصل ص : ٢٥٠ .

(٢) انظر مقدمة الدكتور علي حبيبة للكتاب ص : ٢٥ .

(٣) تاريخ الموصل ص : ٢٢٢ .

(٤) تاريخ الموصل ص : ٢١٨ــ ٢٢٢ .

(٥) التنبيه والإشراف ص : ٢٩٢ــ ٢٩٣ .

أمرَ شيعتها ، ولكنه استَرْسَلَ في ذِكْرِ أخبارها بعدَ إظهارهَا ، وتَعَقَّبها إلى قيامِ دَوْلتهَا ، وعُنِيَ بقصصِ الدعوةِ ، وَلَوْنِ رَايَاتهَا ، وشعارِ شيعتها في القتالِ[١] ، وتحدَّثَ حَديثاً مُفَصَّلاً عن رأيِ الرَّاوندِيَّةِ من الشِّيعةِ العباسية في الإمامة ، وتَطوُّرِ عقيدتهم السياسيَّة ، فنَصَّ على أنهم كانوا يقولون في أثناءِ الدعوةِ بانْتِقالِ الإمامة الى بني العباس بوَصيَّةِ أبي هاشمٍ ، ثم تحوَّلَ فريقٌ منهم عن ذلك بعدَ قيامِ الدولةِ ، وقالوا بإمامة العباس بن عبد المطلب ، وأنه أحَقُّ الناسِ بالامامة بعد الرسول ، لأنه عَمُّه ووارِثُهُ وعَصَبَتُهُ[٢] . وأكّدَ أنَّ أبا مسلمٍ استَوْعَبَ الخُرَّمِيَّةَ في الدَّعْوَةِ ، وأنهم كانوا يُؤْمنون بإمامتهِ في حياتِهِ ، وأنَّ بعْضَهم قال بِغَيْبَتِهِ ورَجْعَتِهِ بعدَ مَمَاتِهِ[٣] .

وكان المسعوديُّ شيعيًّا مُعْتَزليًّا[٤] ، فانْقادَ لهَواهُ العَلَويِّ بعضَ الانْقيادِ فيما رَوَى من أخبار الدَّعْوَةِ العباسية ، وآية ذلك أنه أفاضَ في الكلامِ على إبادةِ العباسيينَ للأُمويين ، وذكر أنهم سَفَكُوا دِماءَهُم انتقاماً لِقَتْلَى الهاشميِّينَ من العباسيِّينَ والعَلويِّين[٥] ، وأنه رَجَحَ أنَّ أبا سلمةَ الخلاَّلَ دَبَّرَ لِنَقْلِ الخلافةِ إلى العَلَويِّينَ بعدَ هَلاكِ الإمامِ إبراهيمَ بن محمدٍ لأنه خافَ انْتِقاضَ الأمْرِ وفَسادَهُ عليه ، إذْ لم يكن في بني العباس رَجُلٌ يطمئن إلى كفَايتِهِ ، ويَثِقُ بقُدْرتِهِ على الاضْطلاعِ بالخلافة[٦] ، وتَغافَلَ عن مَيْلِ أبي سَلَمَةَ الخَلاَّلِ الدَّفين إلى العَلويِّينَ . ولكنه لم يُكْثِرْ من ذلك ، ولم

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٥٤ — ٢٦٨ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٢ — ٢٥٤ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٣٠٥ .

(٤) لسان الميزان ٤ : ٢٢٤ .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٢٦١ — ٢٦٣ ، ٢٧١ — ٢٧٥ .

(٦) مروج الذهب ٣ : ٢٦٩ .

يُفْرِطْ فيه ، بل أقلَّ منه ، وراوَح فيما حَفِظَ من الأخبارِ بين الرِّواياتِ العَلويَّةِ والرِّوايات العباسية .

وفي تاريخ بُخَارَى للنَّرْشخيِّ المتوفّي سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثمائةٍ معلوماتٌ اقتِصادِيَّةٌ وسياسيَّةٌ دقيقةٌ عن بُخارَى ، ففيه أخبارٌ عن فَتْحِهَا وتقْسيمِها بين العرب والعَجَمِ [١] ، وما انْعَقَدَ من مَوَدَّةٍ بين وُلَاةِ خُراسَانَ ومُلُوكِ بُخَارَى [٢] ، ومُواطَأَةِ بعضِ الوُلَاةِ لهم على استيفاءِ الجِزْيةِ ممن أسْلَمَ من أهلِ بَلَدِهم [٣] ، وظُلْمِ مَلِكِ بُخَارَى لمن أسْلَمَ من الدَّهاقين ، وإذْنِ عاملِ بُخارَى له في أخْذِ الجِزْيةِ منهم ، وقَتْلِهِم للملكِ وللعاملِ جميعاً [٤] ، وفيه أخبارٌ عن ثَوْرةِ بعضِ شيعةِ العباسيِّين بِبُخَارَى بعد قيامِ الدَّوْلَةِ [٥] ، وثَوْرةِ المُقَنَّعِ وأتْبَاعِهِ من المُبَيِّضَةِ [٦] .

وفي مَقَاتِلِ الطَّالبيِّينَ لأبي الفَرَجِ الأَصْفهانيِّ المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسينَ وثلاثمائةٍ أخبارٌ عن تَنَافُسِ الحَسَنِيِّين والعباسيِّينَ في رئاسةِ بني هاشمٍ في آخرِ العصرِ الأُمويِّ [٧] ، وتَنَازُعِهِم في لَقَبِ المَهْدِيِّ ، وادِّعَاءِ كلِّ فريقٍ منهم له ، وتَجْريدِهِ للآخَرِ منه [٨] . وعلى الرغم من أنَّ أبا الفرجِ الأصفهانيَّ كان أُمويًّا شيعيًّا ، فإنه لم يَقْتَصِرْ على الرِّواياتِ العَلويَّةِ ، بل حَمَلَ أيضاً رواياتٍ عباسيَّةً وأُمويَّةً [٩] .

---

(١) تاريخ بخارى ص : ٧٣ ، ٨٠ .

(٢) تاريخ بخارى ص : ٨٦ .

(٣) تاريخ بخارى ص : ٨٧ .

(٤) تاريخ بخارى ص : ٨٩ .

(٥) تاريخ بخارى ص : ٩١ .

(٦) تاريخ بخارى ص : ٩٤ .

(٧) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٦ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ .

(٨) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٥ — ٢٠٧ ، ٢٣٧ — ٢٤٣ ، ٢٤٥ — ٢٥٩ .

(٩) تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٠ ، والكامل في التاريخ ٨ : ٥٨١ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٣٠٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٢٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٢١ ، والنجوم الزاهرة ٤ : ١٥ .

وفي البَدْءِ والتاريخِ للمقدسيِّ المتوفَّى بعدَ سنةِ خمسٍ وخمسين وثلاثمائةٍ(١) تراجمُ موجزةٌ للعباس بن عبد المطلب ، وعبد الله بن العباس ، وعلي بن عبد الله ، ومحمد بن علي(٢) ، وهي تُبْرِزُ مكانَتَهم الاجتماعية والدينيّة والعلمية ، ومَطامِحَهُم السياسيّة . وفيه اختصارٌ لتاريخِ الدعوةِ العباسيّةِ ، وابتدائها ونموِّها ، وعَمَلِ نُقبائها ودُعاتِها في نَشْرِها وتَنظيمِها ، وإظهارِهِم لها ، وتَشْميرِهم لِنُصرَتِها حَتَّى أَسَّسوا دَوْلَتَها(٣) . وفيه أخبارٌ عن علاقةِ أَئِمَّتِها ببني أمية وعُنْفِ الوليد بن عبد الملك بعلي بن عبد الله ، وَجَلْدِهِ له ، واسْتِهزاءِ هشام بن عبد الملك به . وفيه عَرْضٌ لِرأْيِ العباسيِّين وشيعتهم في الإمامةِ في المَرْحَلَةِ السِرِّيَّةِ منَ الدَّعوَةِ ، وما طرأَ عليهِ من تَعْديلٍ بعدَ قيامِ الدَّوْلَةِ ، فقد أَوْرَدَ المقدسيُّ رواياتٍ عن اسْتِحقاقِهِم للإمامةِ بِوَصيَّةِ أبي هاشمٍ(٤) ، وأورَدَ رواياتٍ أخرى عن وِراثَتِهم لها عن جَدِّهم العباس بن عبد المطلب ، وأنَّ الرسولَ أَعْلَمَهُ باسْتيلاءِ وَلَدِهِ على الخلافَةِ(٥) . وأَكثرُ ما اختارَهُ المقدسيُّ من أخبارِ الدعوةِ العبّاسيةِ مِمَّا حَفِظَهُ مُؤَرِّخُو القَرْنِ الثالثِ ، وهو يجمَعُ بينَ الأخبارِ والقِصَصِ ، ويَهتَمُّ بالرِّواياتِ العباسيّةِ والرِّواياتِ العَلويَّةِ ، وقد نَقَلَ رواياتٍ عباسيّةً طريفةً عن أَسْرارِ الدَّعوةِ والثورةِ(٦) لا نَظيرَ لها عندَ غيرِهِ من المؤرخين.

وفي تاريخِ سِني مُلوكِ الأرضِ والأنبياءِ لحمزةَ الأَصْفهانيِّ المتوفَّى سنةَ ستين وثلاثمائةٍ تَلخيصٌ مُبْتَسَرٌ لتاريخِ الدَّعوةِ العباسيّةِ ، ففيهِ حديثٌ عن نهايةِ المَرحَلَةِ السِّرِّيَّةِ منها ،

---

(١) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ٢٢٤.

(٢) البدء والتاريخ ٥ : ١٠٤ — ١٠٦.

(٣) البدء والتاريخ ٦ : ٥٦ — ٨٢.

(٤) البدء والتاريخ ٦ : ٥٨.

(٥) البدء والتاريخ ٦ : ٥٦.

(٦) البدء والتاريخ ٦ : ٦٧ — ٦٨.

وأَثَرَ أبي مُسلمٍ فيها[1] . ويُبْدي حمزةُ الأصفهانيُّ مُيُولاً عَلَويّةً في تَحْليلِهِ لأسبابِ قيامِ الدَّعوَةِ ، فهوَ يَرى أنَّ ظُلمَ الأمويِّينَ للعَلويِّين كان أَقوى الأسباب التي دَفَعَتْ أهلَ البَيتِ إلى التَّدْبيرِ للتَّطويعِ بهم ، وأنهم « غَبَروا قريباً من مائةِ سنةٍ يُحذِّرُونَ الناسَ نَاحِيَتَهم ، يُبَغِّضُونَهُم إلى النُّفوسِ ، ويَنْهونَ عن مُلابَستِهم والاخْتلاطِ بهم »[2] . وهو يُبْدي مُيولاً فارسيّةً في كلامِهِ على الجماعاتِ التي انْضَمَّتْ الى الدَّعوةِ وأيَّدَتها ونَصَرَتْها ، فهو يذهبُ إلى أنها ثَورَةٌ أَعجَميَّةٌ خُراسانيّةٌ قَضَتْ على الدولةِ الأُمويَّةِ العربيَّةِ ، يقول[3] : «كان الذينَ قاموا بِنَقلِ الدولةِ إليهم من بني أميَّة عَجَمَ خراسانَ بإفنَائِهم جُندَهُم منَ العَرَبِ والأعرابِ» . وهو يَتَزَيَّدُ في تَصويرِ أثرِ أبي مُسْلمٍ في الدَّعوةِ وفي قيامِ الدولةِ تَزَيُّداً شديداً ، ويُلْغي أثَرَ غيره من النُّقباء والدُّعاةِ والقادةِ العربِ فيها إلغاءً تامّاً ، إذْ يزعمُ أنَّ أهلَ البَيتِ لم يزالوا يُناهِضونَ بني أُميَّةَ «حتى أتاحَ اللهُ لهم مُنيرَ الظُّلمَةِ أبا مسلمٍ صاحِبِ الدَّولةِ ، فَطَهَّرَ منهم البلادَ ، ونَجَّى منهم العِبادَ»[4] ، ويَصِفُ أبا مُسلمٍ بأنه «ناقلُ الدَّولةِ»[5] من بني أميَّة إلى بني العباس .

وفي العُيونِ والحدائقِ لمؤلفٍ مجهولٍ من رجالِ القَرْنِ الرابع سَرْدٌ مُفَصَّلٌ لتاريخِ الدَّعْوَةِ العباسية[6] ، وأكثرُ ما فيه من أخبارٍ يُوافقُ ما في كُتُبِ القَرْنِ الثالثِ ، ولا يختلفُ عنها . ويَظْهَرُ أنَّ مُؤَلِّفَهُ رجَعَ إلى الأُصُولِ التي رجَعَ إليها البلاذريُّ وابن جريرٍ

---

(١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٦٠ — ١٦٢ .

(٢) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٦١ .

(٣) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٦٠ .

(٤) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٦١ .

(٥) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٦١ .

(٦) العيون والحدائق ٣ : ١٧٩ — ٢١١ .

الطبريُّ ، واستَقى منها مُعظَمَ الأخبارِ التي اختارَها ، وهو يُعْنَى بالأخبارِ والقِصَصِ ، ولكنه رَوَى أخباراً جديدةً أخذها عن مَصادِرَ أُخرى ، وبعضُها يَدُلُّ على اختلاطِ الأَمْرِ على الدُّعاةِ في صَدْرِ الدَّعْوَةِ ، فمنهم مَنْ كَانَ يَدْعُو إلى آل محمدٍ على الإطلاقِ ، ومنهم مَنْ كَانَ يَدعو إلى أبي هاشمٍ عبد الله ابن محمد ابن الحَنَفيَّةِ[١] . وبعضُها يكشفُ عن حَيْرَةِ أبي سَلَمَةَ الخَلَّالِ واضطرابِهِ بَعدَ مَوْتِ الإمامِ ابراهيم بن محمدٍ ، فقد قَرَّرَ في أوَّلِ الأَمْرِ أَنْ يجعَلَ الخِلافَةَ شورى بينَ العَلَوِيِّينَ والعباسيِّين ، حتى يَنتخِبوا مَنْ يشاؤون منهم ، ثم عَدَلَ عن ذلكَ ، لأنه خَشِيَ أنْ يختَلِفُوا ، وَقَرَّرَ أنْ يَصْرِفَها إلى العَلَوِيِّين[٢] . وبعضُها يُشيرُ إلى مَيْلِهِ إلى العَلَوِيِّينَ ، ومُخادَعَتِهِ للعباسيِّين ، فقد كانَ هَواهُ مع الصادقِ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، ولكنه كان يُخفي هواهُ ، لأنه لم يكنْ يستطيعُ مُخالفةَ الجمهور[٣] ، فلمَّا أمْكَنَتْهُ الفُرصَةُ انْتَهَزَها ، وَجَدَّ في تَحويلِ الخلافةِ إلى أحدِ العَلَوِيِّينَ مِنْ بني الحسن أَوْ منْ بني الحسين ، فكَتَبَ إلى ثلاثةٍ منهم ، وأَمَرَ رَسُولَهُ إليهم أن يبدأَ بالصَّادِقِ ، فإنْ قَبِلَ الخلافَةَ ، مَزَّقَ الكِتابَيْنِ الباقِيَيْنِ ، ولم يَأْتِ العَلَوِيَّينِ الآخَرَيْنِ[٤] .

واعتمَدَ المؤرخونَ من أهْلِ القُرونِ التاليَةِ على أخبارِ الدعوةِ العباسيَّةِ التي وَرَدَتْ في كُتُبِ المؤرخين من رجالِ القَرْنَيْنِ الثالثِ والرابع الهِجْرِيَّيْنِ ، وهم يُراوِحُونَ فيما نَقَلُوا من أخبارٍ عنها بينَ الجَمْعِ والاسْتِقصَاءِ ، وبينَ الاخْتيارِ والاخْتِصارِ ، وبَيْنَ

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ١٨٠ .

(٢) العيون والحدائق ٣ : ١٨١ .

(٣) العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ .

(٤) العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ .

التَّهْذيبِ والإيجازِ، وبينَ التَّنقيحِ والتَّمحيصِ، وبينَ النَّقْدِ والتَّقويمِ. ولكن كُتُبَهُم تَتَضَمَّنُ بعضَ الأخبارِ والرِّواياتِ الجديدةِ التي نَقَلوها عن مَصادِرَ مُتَقَدِّمَةٍ مَفْقودَةٍ.

ففي الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفَّى سنة ثلاثين وستمائةٍ ذِكرٌ لما جاء في تاريخِ الرُّسُلِ والمُلوكِ من أخبارِ العربِ والموالي والعَجَمِ المسلمين من أهلِ خُراسانَ، ومن أخبارِ المشهورينَ من رجالِ بني العباس، ومن أخبار الدعوةِ العباسيّةِ. وقد حافظ ابنُ الأثير على أُصولِ كثيرٍ من الرِّواياتِ، وهَذَّبَ قليلاً من الرِّواياتِ، وضَمَّ بعضَ الرواياتِ إلى بَعْضٍ. ولكنه لم يَقْتَصِرْ على ما جاء في تاريخِ الرُّسُلِ والملوكِ وَحْدَهُ، بل عادَ إلى غيرِهِ من المصادرِ التاريخيَّةِ والأدبيةِ، مثل أنساب الأشراف للبلاذريِّ، والكامل للمبرِّد، والأغاني لأبي الفرج الأصفهانيِّ، واقْتَبَسَ منها بعضَ الأخبارِ والرِّواياتِ، وتَدارَكَ بها ما أعْرَضَ ابنُ جريرِ الطبريُّ عن روايَتِهِ من أخبار علي بن عبد الله بن العباس مع الوليد بن عبد الملك[١]، ومِنْ أخبارِ قَتْلِ بني العباس لبني أُميَّة[٢]، ومِنْ أخبارِ انحرافِ خِداشٍ عن الدعوةِ العباسيّةِ[٣].

وفي مُختَصَرِ التاريخ لابن الكازَرونيِّ المتوفَّى سَنَةَ سبعٍ وتسعين وستمائةٍ مُقتَطَفاتٌ مُوجَزَةٌ من أخبارِ العباس بن عبد المطلب[٤]. وعبد الله بن العباس[٥]،

(١) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٦ — ٢٥٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ — ١٩٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٩ — ٤٣٢.

(٤) مختصر التاريخ ص : ٧١.

(٥) مختصر التاريخ ص : ٨٣— ٨٦— ٢٦٦.

وعلي بن عبد الله بن العباس(١) ، ومحمد بن عليٍّ(٢) ، وابراهيم بن محمد(٣) . وفيه إشارةٌ إلى بدايةِ الدَّعوةِ العباسيّةِ ، وان أبا هاشمٍ أعْلَمَ محمد بن عليٍّ أنَّ الأمْرَ في وَلَدِهِ عبد الله بن الحارثية(٤) ، وفيه شيءٌ يَسيرٌ من أخبارِ الدَّعوةِ بخراسان ، ونَشاطِ كبارِ دُعاتِها من أهلِ الكوفةِ ، وفُشُوِّها وكَثْرَةِ اتباعِها في أيامِ هشام بن عبد الملك(٥) .

وقد وَهِمَ ابنُ الكازرونيِّ في بعضِ ما أوْرَدَ من أخبارِ الدعوةِ العباسيّةِ ، فقد ذَكَرَ أنَّ أبا مسلمٍ دَخَلَ على الإمامِ ابراهيم بن محمدٍ ، وهو مُستَتِرٌ بالكوفةِ ، فبايَعَهُ(٦) ، وهو يريدُ أبا العباس ، على ما يُرْوَى في بعضِ الأخبارِ من أنَّ أبا مسلمٍ بَلَغَهُ قَتْلُ الإمامِ إبراهيم بن محمدٍ ، وهَرَبُ أبي العباس وأهْلُ بيتِهِ من الحُمَيمَةِ ، واستِخْفاؤُهُم بالكوفَةِ ، فَسارَ من خراسانَ حتى قدمَ الكوفةَ ، ودَخَلَ على أبي العباس فبايَعَهُ(٧) .

وفي الفَخْريِّ في الآدابِ السُّلطانيّةِ لابنِ الطقطقيِّ المتوفَّى سنةَ تسعٍ وسبعمائةٍ تَلْخيصٌ مُوجَزٌ لتاريخِ الدعوةِ العباسيّةِ(٨) . وقد احْتَفى ابنُ الطقطقيِّ بآخرِ المرحلةِ السريةِ من الدعوةِ ، وأوضَحَ عن اجتهادِ أبي مسلمٍ في نَشرِها وإظهارِها ، وتَفْجيرِ ثَورَتِها ، وقيامِ دَوْلَتِها . وهَوَّلَ أَثَرَهُ فيها ، حتى زَعَمَ أنه هو الذي قادَ الجيوشَ من

---

(١) مختصر التاريخ ص : ١٠٠ ، ١١١ ، ٢٦٦ .

(٢) مختصر التاريخ ص : ١٠٢ ، ١١٠ .

(٣) مختصر التاريخ ص : ١٠٦ .

(٤) مختصر التاريخ ص : ٩٥ .

(٥) مختصر التاريخ ص : ١٠٠ .

(٦) مختصر التاريخ ص : ١١١ .

(٧) انظر الأخبار الطوال ص : ٣٥٩ .

(٨) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥ — ١٣٧ .

خراسانَ إلى الكوفة ، وأخرَجَ أبا العباس وبايَعَهُ بالخلافة[1] . وكانَ يَتَشَيَّعُ تَشيُّعاً ظاهراً ، فَخَضَعَ لِهواهُ العَلَويِّ خُضُوعاً شديداً ، فهو يَشُكُّ فيما ذَكَرَهُ بنو العباس من أنَّ الرسولَ بَشَّرَ عَمَّهُ العباس بانتقالِ الخلافةِ إلى وَلَدِهِ[2] ، ويُقَرِّرُ أنَّ محمدَ بنَ عليٍّ تَهَوَّسَ بالخلافةِ بعدَ أنْ أوْصى إليه أبو هاشمٍ بالإمامة[3] وهو يَتَغاضَى عن تَنكُّرِ أبي سَلَمَةَ الخَلاَّلِ لبني العباس ، حينَ قدمُوا الكوفةَ ، وَيَدَّعي أنه أخْلى لهم داراً ، وأمَرَ لهم بها ، وتولَّى خِدْمَتَهُم بنفسِهِ[4] !! وهو يُطنِبُ في الحديثِ عن قَتْلِ العباسيّين للأمويينَ ، ويَصفُ تَشفِّيَ أبي العباس بِقَتْلِ مروان بن محمدٍ ، ويَرَى أنهم أعْمَلُوا السيفَ فيهم ولم يَرْحَمُوهم اقتِصاصاً منهم لِقَتْلى العَلَوِيِّينَ والعباسيين[5] . وهو لا يُعنَى بِصحَّةِ الأخبارِ التي تُؤَيِّدُ رأْيَهُ ، بل يُلقيها على عَواهِنِها ، وآيةُ ذلك أنه ذكَرَ أنَّ هشامَ بن عبد الملك رأى من فصاحة أبي هاشمٍ ورياستِهِ وعِلْمِهِ ما حَسَدَهُ عليه ، وخافَ منه ، فبعثَ إليه ، وقد رجَعَ إلى المدينةِ ، مَنْ سَمَّهُ[6] !! والمَقصودُ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، كما وردَ في بعضِ الرِّواياتِ العلويَّة .

وفي المُختَصَرِ في أخبارِ البَشَرِ لأبي الفِداء المتوفَّى سنةَ اثنتين وثلاثين وسبعمائةٍ مُنْتَخباتٌ قصيرةٌ من أخبارِ العربِ بخراسان[7] ، ومن أخبارِ العباس بن عبد

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦ — ١٢٩ .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦ .

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦ .

(٤) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٩ .

(٥) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٣ — ١٣٤ .

(٦) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦ .

(٧) المختصر في أخبار البشر ١ : ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

المطلب[1] ، وعبد الله بن العباس [2] . وقد اهتمَّ أبو الفِداءِ بآخِرِ المَرحَلَةِ السِرِّيَّةِ منَ الدَّعوةِ ، وألَمَّ بأخبارِها بعدَ إظْهارِها وتَتَبَّعَها إلى ابتداءِ دَولَتِها[3] ، وتَحدَّثَ عن قَضاءِ العباسيينَ على الأمويِّين ، وسَمَّى مَنْ قَتَلُوا منهم [4] . وعَوَّلَ في كُلِّ ما اختَارَهُ واختَصَرَهُ من الأخبارِ على الكاملِ في التاريخِ ، وهو من المصادرِ التي صَرَّحَ بأنه اعتمدَ عليها في تأليف كِتابِهِ [5] .

وفي تاريخِ الإسلامِ للذَّهبيِّ المتوفَّى سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وسبعمائةٍ مُعظَمُ أخبارِ العربِ والموالي والعَجمِ المسلمينَ من أهلِ خراسانَ ، وفيه تراجمُ وافيةٌ للمقدَّمينَ من رجالِ بني العبّاسِ ، وفيه جُلُّ أخبارِ الدعوةِ العباسيّةِ من بدايتِها إلى نهايتِها ، وأغلبُ أخبارِ نُقبائها ودُعاتِها ، وهي تُبينُ عن جُهُودِهِم المُتَّصلةِ في نَشرِها وتَوسيعِها ، وَضَبطِها وتَنظيمِها ، وفيه حديثٌ عن إبادةِ العباسيِّين للأمويين.

وقد استمدَّ الذهبيُّ المادةَ من كُتُبِ التاريخِ السابقةِ ، واطَّلعَ على غيرِها من كُتُبِ الطبقاتِ والتَّراجمِ والأدبِ ، واقتَبَسَ منها ، وتَوخَّى الصَّحيحَ من الأخبارِ والرواياتِ ، واختَصَرَ بعضَها ، وساقَ بعضَها بأُصولِها القديمة.

وفي سائرِ كُتُبِهِ مثل العِبَرِ في خَبَرِ من غَبَر ، وسِيَرِ أعلامِ النُّبلاءِ ، ودُوَلِ الإسلامِ شذراتٌ من الأخبارِ التي أورَدَها في تاريخِ الإسلامِ ، فإنه المَنجَمُ الذي استخرَجَ منه مادةَ كُتُبِهِ الأخرى.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١ : ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٤٣ .

(٢) المختصر في أخبار البشر ١ : ١٩٦ .

(٣) المختصر في أخبار البشر ١ : ٢٠٨ — ٢١٠ .

(٤) المختصر في أخبار البشر ١ : ٢١٢ — ٢١٣ .

(٥) المختصر في أخبار البشر ١ : ٣ .

وفي البدايةِ والنهايةِ في التاريخ لابن كثيرٍ المتوفَّى سنةَ أربعٍ وسبعينَ وسبعمائةٍ مُجمَلُ أخبارِ العربِ والموالي والعجم والمسلمين من أهلِ خراسانَ، وفيه تَراجمُ ضافيةٌ للعباس بن عبد المطلب[1]، وعبد الله بن العباس[2]، وعلي بن عبد الله ابن العباس[3]، ومحمد بن علي[4]، وابراهيم بن محمد[5]. وفيه أكثرُ أخبارِ الدعوةِ العباسيةِ من نُشوئِها وبُدُوِّها إلى إظْهارِها وقيامِ دَوْلَتِها، وفيه ذكرٌ لآثارِ نُقبائِها ودُعاتِها في بَثِّها وإحكامِها، وفيه تراجمُ للمَشهورينَ منهم، كأبي سَلَمةَ الخَلاَّل[6]، وأبي مسلمٍ[7]، وهي تحتوي على أخبارٍ ورواياتٍ ونُصوصٍ جديدةٍ. وفيه حديثٌ عن إفناءِ العباسيِّين للأُمويِّين[8]. وقد عُنِيَ ابنُ كثيرٍ بالأخبارِ والقِصَصِ، وعَقَدَ فَصْلاً طَويلاً سمَّاهُ: «ما وَرَدَ في انْقِضاءِ دَولةِ بني أميّة وابْتِداءِ دَولةِ بني العباس من الأخبارِ النَّبويَّةِ»[9]، جمع فيه ما رَوَّجَهُ العباسيّونَ من أحاديث في التَّبشيرِ بخلافَتِهم، ونَظَرَ فيها، وَضَعَّفَها، وأنكرَ أكثرَها. وتحرَّى الدِّقَّةَ فيما نَقَلَ من الأخبارِ، ولم يَقْتَصِرْ على الاختيارِ والاختصارِ، بل تخطَّى ذلك إلى النَّقدِ والتَّمحيص.

---

(١) البداية والنهاية ٧: ١٦١ — ١٦٢.

(٢) البداية والنهاية ٨: ٢٩٥ — ٣٠٧.

(٣) البداية والنهاية ٩: ٣٢٠ — ٣٢١.

(٤) البداية والنهاية ١٠: ٥.

(٥) البداية والنهاية ١٠: ٣٩ — ٤٠.

(٦) البداية والنهاية ١٠: ٥٦.

(٧) البداية والنهاية ١٠: ٦٣ — ٧٣.

(٨) البداية والنهاية ١٠: ٤٤ — ٤٦.

(٩) البداية والنهاية ١٠: ٤٨ — ٥١.

وفي كتابِ العِبَرِ وديوان المبتدأ والخبرِ لابنِ خلدون المتوفَّى سنةَ ثمانٍ وثمانمائةٍ عَرْضٌ مُفَصَّلٌ لمطامحِ أهلِ البيتِ في الخلافةِ، ونَظَرِيَّتِهم في الإمامةِ، وما فيها من غُلُوٍّ وتَطَرُّفٍ، واسْتِغلالِ العباسيِّينَ للغُلاةِ من شيعَتِهم[1]. وقد ذَكَرَ ابنُ خلدون «أنَّ أهلَ البيتِ لمَّا تُوفِّيَ رسولُ اللهُ صلّى الله عليه وسلَّم، كانوا يَرونَ أنَّهم أحَقُّ بالأمرِ، وأنَّ الخلافةَ لرِجالِهم دون مَنْ سِواهُم من قريشٍ». وكان العباس بن عبد المطلب، وعليٌّ بن أبي طالبٍ يَودانِ أنْ يجعلَ الرسولُ الخلافةَ لهم، فَجمَعَهم في مَرَضِهِ الذي ماتَ فيه، ليكتبَ لهم كتاباً، فاختَلَفُوا عنده في ذلك وتنازَعوا، ولم يَتِمَّ الكتابُ، وزعمَ بعضُ شيعَتِهم أنه أوْصى في مَرَضِهِ لعليٍّ، ولم يَصِحَّ ذلك من وَجْهٍ يُعَوَّلُ عليه. وكان عليٌّ المُقدَّمَ من أهلِ البَيتِ، وتَشيَّعَ له جماعةٌ منَ الصحابةِ، وكانَ عبد الله بن سَبَأ من أكثرِ الناسِ خَوْضاً في التَّشيُّعِ لِعليٍّ بما لا يَرضاهُ من الطَّعْنِ على عثمانَ وعلى الجماعةِ في العُدُولِ إليه عن عليٍّ، وأنَّهُ وَلِيَ بغيرِ حَقٍّ، فأخْرَجَهُ عبد الله بن عامرٍ من البصرةِ، ولحقَ بمصرَ، فاجتمعَ إليه جماعةٌ من أمثالِهِ جَنحوا إلى الغُلُوِّ في ذلك، وانتحالِ المذاهبِ الفاسِدَةِ فيه.

فلما بُويعَ عليٌّ سَكَنَ أهلُ البيتِ، واطمأنَّ شيعتُهم، فقد تَحقَّقَت آمالُهم، وأصبحت الخلافةُ لهم. ثم قُتِلَ عليٌّ، وَغَلَبَ بنو أُميَّةَ على الخلافة، وافترَقَ أهلُ البيتِ وشيعتُهم فِرقاً، فكان منهم المعتَدلونَ، وهم شيعةُ الحسينِ بن عليٍّ، وشيعةُ زَيْد بن عليٍّ، وكان منهم المُتطرِّفونَ، وهم شيعةُ محمد بن الحَنَفيَّة، وشيعةُ ابنه أبي هاشمٍ، وهم أكثرُ شيعةِ أهلِ البيتِ، وقد تَحوَّلوا إلى محمد بن عليٍّ بن عبد الله ابن العباس بِوَصيَّةِ أبي هاشمٍ، فاستَوعَبَهُم العباسيون، واستَفادُوا منهم في الدَّعوةِ إلى أنفسهم. وهم يُعرَفُونَ بالكَيسانيَّةِ، وهم يَقولونَ بإمامةِ محمد بن الحَنَفيَّةِ بعدَ

(١) تاريخ ابن خلدون ٣: ١: ٣٦٤ــ ٣٦٩.

عليٌّ بن أبي طالبٍ ، وبإمامةِ ابنه هاشم من بعده ، ثم بانتقالِ الإمامةِ إلى محمد ابن عليّ بن عبد الله بن العباس ، ثم الى ابنه ابراهيم ، ثم إلى أخيه أبي العباس . هكذا ساقَ الكَيْسانيّةُ الإمامةَ ، وهم يُسَمَّوْنَ أيضاً الجرماقيَّةَ ، نِسبةً إلى أبي مُسلمٍ ، لأنه كان يُلقَّبُ بجِرماق[1] .

وذكر ابن خلدون أنه كان لبني العبّاس شيعةٌ يُسمَّونَ الرَّاونْديَّةَ من أهلِ خراسانَ ، وهم يزعمون أنَّ أَحَقَّ الناس بالإمامةِ بعدَ النبيِّ هو العباسِ بن عبد المطلب ، لأنه وارِثُهُ وعَاصِبُهُ ، وأنَّ الناسَ مَنَعوهُ من ذلك وَظَلَموهُ إلى أنْ رَدَّهُ الله إلى وَلَدِهِ ، ويَذهَبُونَ إلى البراءةِ من الشَّيخَيْنِ وعثمان ، وَيُجيزُونَ بَيعَةَ عليّ بن أبي طالبٍ ، بإجازة العباس لها ، لِقَولِهِ لعليٍّ يا ابنَ أخي ، هَلُمَّ أُبايِعْكَ ، فلا يَختلف عليك اثنان ، ولقولِ داود بن عليٍّ على منبر الكوفة يومَ بُويعَ السَّفاحُ : يا أهلَ الكوفةِ ، إنه لم يَقُمْ فيكم إمامٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلاَّ عليٌّ بن أبي طالبٍ ، وهذا القائمُ فيكم ، يعني السَّفاح[2] .

وذلك ما انتهى إليه الرَّاونديَّةُ من القولِ في الإمامةِ في أيامِ المهديِّ ، لأنَّ المهديَّ هو الذي رَدَّهم إلى إثْباتِ الإمامةِ للعباسِ بن عبد المطلب[3] ، وكانوا يقولون في أثناء الدَّعوةِ بانتقالِ الإمامةِ إلى بني العباس بِوَصيَّةِ أبي هاشمٍ .

وخصَّصَ ابن خلدون الفصلَ الثاني والخمسين من المقدمة للحديث عن المَهديِّ ، وسَمَّاهُ : «أمر الفاطميِّ وما يذهبُ إليه الناسُ في شأنه وكشفِ الغِطاء

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٧٠ . وسماهم المسعودي «الجريانية» ، نسبة إلى أبي مسلم ، لأنه كان يلقب بجريان . (أنظر مروج الذهب ٣ : ٢٥٤) . وفي لقب أبي مسلم اختلافٌ كثيرٌ . (انظر الكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٥) .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٧٠ ، وانظر مروج الذهب ٣ : ٢٥٢ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ١٦٥ ، وانظ مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤ .

عن ذلك » (١) ، واستَقصى فيه ما خرَّجَهُ الأئمَّةُ من أحاديث المَهْديِّ. وهو يُصَوِّرُ تصويراً دقيقاً استغلالَ العباسيّين لعقيدةِ المهديِّ في أثناءِ الدَّعوةِ ، وما زَعموهُ من أنَّ المهديَّ يَخرُجُ منهم ، ويظهرُ فيهم ، وما أشاعوهُ من أَنَّ أهلَ المَشرقِ من أصحابِ الرَّاياتِ السُّودِ هم الذين يُوطِّئونَ للمِهديِّ سُلطَانَهُ ، ويُصَوِّرُ أيضاً تصويراً دقيقاً النِّزاعَ بينَ العباسيِّينَ والعَلَويِّينَ في انْتِحالِ لَقَبِ المَهْديِّ بعدَ قيامِ الدَّولَة.

ولم يقفْ ابنُ خلدون عندَ العَرْض المُجرَّدِ ، بل تجاوزَهُ إلى النَّقْدِ ، فَتَتَبَّعَ أسنادَ الأحاديثِ الواردَةِ في المَهديِّ ، ونَظَرَ في رِجالِها ، ومَذاهِبهم ، ومِقدارِ الثِّقَةِ بهم ، وانْتَهى إلى أنَّ أكثرَ تلك الأحاديثِ ضعيفٌ مَرْدودٌ.

وفي النُّجومِ الزَّاهرَةِ لابن تَغْري بَرْدي المتوفَّى سنةَ أربعٍ وسبعين وثمانمائةٍ تَلْخيصٌ صغيرٌ لتاريخ الدَّعوةِ العباسية (٢) ، فقد نَقَلَ ابن تَغْري بَرْدي أهمَّ أخبارِها وقِصَصِها ، واختَصَرَها اختصاراً شديداً ، وتَرجَمَ لكبارِ بني العباس (٣) ، ومشاهيرِ نُقبائِهم ودُعاتِهم (٤) ، وأبانَ عن نَشاطِ كل واحدٍ منهم. ولكنّه تَميَّزَ بالحديثِ عن صَنيعِ العباسيّين بالمِصريِّين الأمويّين ، فَروي أنَّ صالح بن عليٍّ قَبَضَ على طائفةٍ منهم ، وقَتَلَ كثيراً من شيعَتِهم ، وحملَ طائفةً أخرى منهم إلى العراق ، فَقُتِلُوا بفلسطين(٥) ، ورَوَى أنه عفَا عن آخرِ وُلاةِ الأمويين على مصرَ وعن أخيه ، لأنه

(١) تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٥٥ — ٥٧٥.

(٢) النجوم الزاهرة ١ : ٢٤٢ ، ٢٧٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ — ٣١٥ ، ٣١٩ — ٣٢١.

(٣) النجوم الزاهرة ١ : ٨٩ ، ١٨٢ ، ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٢٢.

(٤) النجوم الزاهرة ١ : ٣١٨ ، ٣٣٥.

(٥) النجوم الزاهرة ١ : ٣٢٣ — ٣٢٤.

أحسَنَ السِّيرَةَ ، ولم يُفْحِشْ في حَقِّ بني العبّاس ، وقَتَلَ الأمِيرَيْنِ اللذينِ وَلِيَا مصرَ قَبلَهُ[1] .

وفي تاريخِ الخلفاء للسيوطيِّ المتوفَّى سنةَ إحدى عشرة وتسعمائةٍ حديثٌ موجزٌ عن الدعوةِ العباسيّة[2] ، فقد انتَخَبَ السيوطيُّ أشهرَ أخبارِها وقِصَصِها ، واقْتَضَبَ القَولَ فيها اقتِضاباً .

وفي شَذراتِ الذَّهب لابن العمادِ الحَنبَليِّ المتوفَّى سنةَ تِسعٍ وثمانين وألفٍ مُختاراتٌ مُختَصَرَةٌ من أخبارِ الدعوةِ العباسية وقِصَصِها[3] ، ولكن ابن العمادِ الحنبليِّ أطالَ في الكلامِ على التحاقِ أبي مسلمٍ بالدَّعوةِ ، وأثرِهِ في نَشرِها وانْتِصارِها[4] ، وأطالَ في الكلامِ على استِئصالِ العباسيِّينَ للأُمويِّينَ وشيعَتِهِم من أهلِ الأمْصارِ المختلفةِ[5] ، وأخَذَ ذلك عن تاريخ اليعقوبيِّ ، ومروج الذهب .

---

(١) النجوم الزاهرة ١ : ٣١٧.

(٢) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٦ — ٢٥٧.

(٣) شذرات الذهب ١ : ١٤٨ ، ١٦٦ ، ١٧٦.

(٤) شذرات الذهب ١ : ١٧٩ — ١٨٠.

(٥) شذرات الذهب ١ : ١٨٣ — ١٨٨.

(٤) كُتُبُ البلدان

ومن المَصادِرِ المُهِمَّةِ كُتُبُ البلدان ، وهي تَشتَمِلُ على مَعلوماتٍ جغرافيّةٍ وسكانيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وسياسيّةٍ ، يرجعُ بعضُها إلى عَصْرِ بني أُميَّةَ ، وهو يكشفُ عن أحوالِ العرب والموالي والعجمِ المسلمين من أهل خراسانَ ومشكلاتهم فيه ، ويرجعُ بعضُها إلى العُصُورِ العباسيَّةِ ، وهو قد يُوَضِّحُ جوانبَ ثابتةً من حياةِ أهلِ خراسانَ لا تزولُ ولا تَندَثرُ على مَرِّ العُصورِ ، بل تَتَغَيَّرُ فيها وتَتَطَوَّرُ ، وما آلَتْ إليه في العُصُورِ العبّاسيّةِ قد يساعدُ على تَبيُّنِ ما كانت عليه في عَصرِ بني أُميَّةَ ، ولا سيَّما ما يَتَّصِلُ منها بالزراعةِ والصِّناعةِ والتجارةِ.

ففي فُتوحِ البلدانِ للبلاذريِّ المتوفَّى سنةَ تسعٍ وسبعين ومائتين أخبارٌ ورواياتٌ كثيرةٌ عن فَتحِ خُراسان ، وما أُبرِمَ من معاهداتٍ بينَ أهلِ كُلِّ مَدينةٍ منها وبين العرب ، وما فُرِضَ على أهْلِ الذِّمةِ منهم من جِزيَةٍ ، وما فُرِضَ عليهم جميعاً من إتاوةٍ سَنويَّةٍ ، وما كانوا يُؤدُّونَ من خَراجٍ عن الأرضِ ، وتَذَمُّرِ مَن أَسلَمَ منهم من دَفْعِ الجِزيَة. وفيه أخبارٌ عن القبائلِ العربيَّةِ التي تَحوَّلَتْ إلى خراسان ، والمُدُنِ والقُرى التي استَقَرَّتْ بها واستَوطَنَتْها. وفيه أخبارٌ عن وُلاتِها وسِياساتهم ، وما احْتَدَمَ بينَ قبائِلِهم من عَصَبيَّةٍ ومنافسةٍ سياسيّةٍ[1].

---

(١) فتوح البلدان ص : ٤٠٣ — ٤٣١.

وهو أقدمُ ما وَصَلَ من كتُبِ البلدانِ ، وأغناها مادةً ، وأعْلاها قيمةً ، وأكثرُها دِقَّةً ، وأكبرُها ثِقةً .

وفي كتاب البلدان لليعقوبيِّ المتوفَّى سنةَ أربع وثمانين ومائتين أو سنةَ اثنتين وتسعين ومائتين حديثٌ موجزٌ عن فتحِ خراسان وعُمَّالها[٥] ، وفيه وَصْفٌ للطُرُقِ والمسافاتِ بين مُدُنِها ، وتَحديدٌ لخِراجِها في زمن بني العباس . على أنَّ أهمَّ ما وَرَدَ فيه هو إحصاءُ القبائلِ العربيّةِ التي سكنت مُدُنَ خراسان وقُراها في أيام بني أمية ، ولم تَزَلْ بقاياها تسكنُها في أيام بني العباس[٦] .

وفي المسالكِ والممالك لابن خُرْداذبة المتوفَّى حوالي سنة ثلاثمائةٍ[١] معلوماتٌ جغرافيّةٌ وماليةٌ عن خراسان[٢] ، وهي مُقاربةٌ لما جاء في كتاب البلدان لليعقوبيِّ . وفيه معلوماتٌ طريفةٌ عن ألْقابِ مُلوكِ خراسانَ والمَشرق[٣] .

وفي مختصرِ كتاب البلدان لابن الفقيه الهَمَذانيِّ المتوفَّى في أوائلِ القَرْنِ الرابع الذي عَمِلَهُ عليٌّ الشيرازيُّ سنةَ ثلاث عشرةَ وأربعمائةٍ[٤] مادةٌ جُغرافيّةٌ وتاريخيّةٌ وأدبيةٌ عن خراسانَ ، وهي مجموعةٌ من الأخبارِ والأشعارِ والقِصَصِ اللَّطيفةِ[٥] .

---

(١) كتاب البلدان ص : ٢٩٥ .

(٢) كتاب البلدان ص : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٠ .

(٣) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ١٥٦ .

(٤) المسالك والممالك ص : ١٨ — ٣٩ .

(٥) المسالك والممالك ص : ٣٩ — ٤٠

(٦) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ١٦٢ .

(٧) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ١٦٣ .

وقد رَوَى ابنُ الفقيهِ خَبَرَ اختيارِ الإمامِ محمد بن عليٍّ لخراسانَ، وتفضيلِهِ لها على سائرِ البلدان[1].

وفي الأعْلاقِ النَّفيسَةِ لابن رُسْتَةَ المتوفَّى في أوائلِ القَرنِ الرابع[2] سَرْدٌ لمُدنِ خراسانَ وقُراها، وطُرُقِها ومَسالِكِها، وتَحديدٌ للمسافاتِ بينها[3]. وفيه إشارةٌ إلى امْتلاكِ المهالبةِ من اليَمانيّةِ للأرضِ بخراسان، واهتمامِهم بالزراعةِ، ونُفُورِ القَيسيَّةِ منها وازْدرائِهم لها[4]. وفيه إشارةٌ إلى المُرجِئةِ من أهلِ خراسان[5].

وفي المسالك والممالك للإصطخريِّ المتوفَّى حوالي منتصف القَرْنِ الرابع[6] حَصْرٌ لمدن خراسان وقُراها وأنهارِها وزُرُوعِها وغَلاَّتِها وصِناعاتِها وتجاراتِها[7]. وفيه تَنبيهٌ على أهميَّةِ مَرْو الشَّاهجان، فقد كانَتْ مُعَسكَرَ الإسلامِ في أوَّلِ الإسلامِ، ومنها ظَهَرَتْ دَعوَةُ بني العباس، وفي دارِ النَّقيبِ أبي النَّجم المُعَيْطيِّ صُبِغَ أَوَّلُ سَوادٍ لَبِسَ المُسَوِّدَة[8].

---

(١) مختصر كتاب البلدان ص : ٣١٥.

(٢) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ١٦٤.

(٣) الأعلاق النفيسة ص : ١٦٩ — ١٧٤.

(٤) الأعلاق النفيسة ص : ٢١٥.

(٥) الأعلاق النفيسة ص : ٢٢٠.

(٦) انظر مقدمة الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني للكتاب ص : ٩ ، وتاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ١٩٩.

(٧) المسالك والممالك ص : ١٤٥ — ١٦٠.

(٨) المسالك والممالك ص : ١٤٩.

وفي أحْسنِ التَّقاسيم في مَعْرِفَةِ الأقاليم للمقدسيِّ المتوفَّى في حدودِ سنةٍ تسعين وثلاثمائةٍ[١] أوْفى مادةٍ جغرافيّةٍ وسكانيّةٍ واقتصاديةٍ عن خراسان[٢] ، وفيه حَديثٌ مُفَصَّلٌ عن مُعْتَقداتِ أَهْلِها وأهلِ ما وراء النهر ، ودياناتِهم الفارسيّة من مَجوسيّةٍ وخرَّميَّةٍ . وذكَرَ المقدسيُّ أنَّ رساتيقَ هَيْطَلَ كانَت أكبرَ معاقِلِ المُبيِّضَةِ منَ الخُرَّميَّةِ ، وأنَّ مَذاهِبَهُم تُقارِبُ الزَّنْدَقَة[٣] . وكشفَ عن انْتِشارِ الفِرَقِ الإسلاميّةِ بها ، كالخوارِجِ والجَهْمِيَّةِ والمُرجئَةِ والقَدَريَّةِ والشِّيعَةِ ، وحَدَّدَ البلدانَ والأماكنَ التي غَلَبَتْ عليها كُلُّ فرقَةٍ منها ، وكان أكثرُها قد ظهرَ بها وقَوِيَ فيها منذ نهايةِ القرنِ الأوَّلِ وبدايةِ القَرْنِ الثاني[٤] .

ورَوَى المقدسيُّ خَبَرَ اصطفاءِ الإمامِ محمد بن علي لخراسانَ ، وتَقديمِه لها على سائرِ الأمصارِ[٥] ، ورَوَى قَولَ ابن قُتَيبَةَ في مَدْحِ أَهْلِ خُراسانَ ، وبيانِ فَضْلِهِم في الإسلامِ ، وإيمانِهم بالمهديِّ المُنتَظَرِ ، وأنهم هم الذين قَوَّضُوا الدَّولةَ الأمويَّةَ ، وأقاموا الدَّولَةَ العباسيّةَ[٦] . وأوْضَحَ عن استِمالَةِ أبي مُسلمٍ للفُقهاءِ والأتقِياءِ من أهْلِ خراسانَ في أثناءِ الدَّعْوَةِ ، وعن أثَرِهم في نَجاحِها وانتِصارِها[٧] .

وفي صُورةِ الأرض لابن حَوْقَلٍ المتوفَّى سنةَ أربعمائةٍ أو بعدَها بقليلٍ كلُّ ما وَرَدَ

---

(١) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ٢١٠ .

(٢) أحسن التقاسيم ص : ٢٩٣ — ٣٥٢ .

(٣) أحسن التقاسيم ص : ٣٢٣ .

(٤) أحسن التقاسيم ص : ٣٢٣ .

(٥) أحسن التقاسيم ص : ٢٩٣ — ٢٩٤ .

(٦) أحسن التقاسيم ص : ٢٩٣ .

(٧) أحسن التقاسيم ص : ٢٩٤ .

في المَسَالِكِ والمَمالكِ للإصطخريِّ من مادةٍ عن خراسان[1] ، دونَ أدْنى تغْييرٍ أو أقلّ زيادةٍ أو نُقصانٍ[2] .

وفي الآثارِ الباقيةِ عن القرونِ الخاليَةِ للبيرونيِّ المتوفّى سنةَ أربعينَ وأربعمائةٍ فَصْلٌ طويلٌ عن الدِّياناتِ الفارسيَّةِ[3] ، وقد تكلَّمَ البيرونيُّ عن المُتَنَبِّئينَ من أهلِ خراسانَ في آخرِ الدَّولةِ الأمويَّةِ وأوَّلِ الدَّولةِ العباسيَّةِ ، مثل بَهافريد بن ماه فروذين ، وهاشم بن حكيمٍ المعروف بالمُقَنَّع ، وأحاطَ بمبادئهم ، وما فيها من إباحةٍ ، وأشارَ إلى أنَّ أتباعَهم كانوا من المَجوسِ والمُبَيِّضَةِ من الخُرَّميَّةِ ، وذكَرَ أنَّ مَبادِئَهُم ظَلَّتْ حَيَّةً فاشيةً بعدَ القَضاءِ عليهم ، وأنَّ أتباعَهُم لم يزالوا بخراسانَ وما وراء النَّهرِ إلى مَطلَعِ القَرْنِ الخامس[4] .

وصَرَّحَ البيرونيُّ أنه ترجمَ أخبارَ المُقنَّعِ عن الفارسيّةِ إلى العربيّةِ ، وأنَّه استقصاها في كتابِه : «أخبارُ المُبيِّضَةِ والقَرامطَة»[5] . وفيما تَرجَمَ من أخبارِهِ معلوماتٌ جديدةٌ لا تُوجَدُ عند غيرِه من المؤلفين على اختلافِ كُتُبِهم .

وأومأَ البيرونيُّ إلى الأهداف الدينيّةِ والسياسيّةِ القَوميَّةِ الفارسيّةِ لأتباعِ المُتَنَبِّئينَ من أهلِ خراسانَ ، فإنهم كانوا يَتَوَقَّعونَ ظهورَ نبيٍّ أو مَهْديٍّ منهم ، يُحيي دياناتِهم ، ويُرجِعُ السلطانَ إليهم ، ويُطْفيءُ نُورَ الإسلامِ ، ويمحُو مُلْكَ العرب[6] . ورَوَى أنَّ أبا عبد الله العديَّ «المُتعَصِّبَ للمجوسيّةِ جَهْلاً ، والرَّاجي

---

(١) صورة الأرض ص : ٣٥٠ — ٣٨٠ .

(٢) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ٢٠٩ .

(٣) الآثار الباقية ص : ٢٠٤ — ٢١٤ .

(٤) الآثار الباقية ص : ٢١٠ ، ٢١١ .

(٥) الآثار الباقية ص : ٢١١ .

(٦) الآثار الباقية ص : ٢١٣ .

لخُروجِ القائمِ دَهراً»، «صَنَّفَ كتاباً في الأدوارِ والقراناتِ ذَكَرَ فيه أنَّ القِرانَ الثامنَ عَشَرَ من مَوْلِدِ محمدٍ عليه السلام يُوافِقُ الألفَ العاشرَ، وهو للمشتري والقَوْس، فحكمَ على أنه يَخْرُجُ إنسانٌ يُعيدُ دولةَ المجوسيّة، ويستولي على الأرضِ كلِّها، ويُزيلُ مُلْكَ العرب وغيرهم، ويجمَعُ الخَلْقَ على دينٍ واحدٍ، وأمْرٍ واحدٍ، ويُزيلُ الشرَّ، ويَملِكُ مدَّةَ سبعِ قِراناتٍ ونصفٍ، ونَصَّ على أنه لا يَملِكُ من العرَبِ مَلِكٌ بعدَ الذي يَجلِسُ في القِرانِ السابع عشر»[1].

قال البيرونيُّ[2]: «ليسَ يَقْتَضي الوقتُ الذي أشار إليه إلاَّ المكتفي والمقتدر، ولم يَفِ بالمَوعُودِ بعدَهما. وقد قيلَ: إنَّ دَولَةَ الساسانيَّةِ في القِراناتِ الناريَّةِ، وظَهَرَتْ دَولَةُ الدَّيْلَمِ لعليٍّ بن بُوَيهِ المُلَقَّبِ بعمادِ الدولةِ في القِراناتِ النارية، وهذا هو الوعدُ الذي كانوا يَتَواعَدونَ به في عَوْدِ الدولةِ إلى الفُرْسِ، وإنْ لم تَكُن سيرتُهُم هي الأُولى. ولستُ أدري كيف آثَرُوا دَوْلَةَ الدَّيْلَمِ، وَدَلالَةُ انتقالِ الممرِّ الى المُثَلَّثَةِ ارِيَّةِ أظْهَرُ دلالةً على دَولةِ بني العباس، وهي دولةٌ خراسانيَّةٌ شَرقيَّةٌ، ثم كلاهما تَبعُدانِ عن تجديدِ دَوْلَتِهم، وأبْعَدُ عن إعادةِ دينهم».

وفي معجم البلدان لياقوت الحمويِّ المتوفَّى سنةَ ستٍ وعشرينَ وستمائةٍ مادةٌ جغرافيَّةٌ وتاريخيَّةٌ غزيرةٌ عن خراسان، وفيه مادةٌ وفيرةٌ عن فَتحِها وصُلحِها وأهلها وقبائلِها، وفيه مُقتطفاتٌ من شعرِ شعراءِ قبائلِها في عَصرِ بني أمية، ومُنتَخباتٌ من مَراثي بني أميّة، وتَنبيهاتٌ على أماكن قَتْلِهم، وتَسميةٌ لبعضِ مَنْ قُتِلَ منهم. وهو أضخَمُ كُتُبِ البلدان[3]، وقد أخذَ ياقوت الحمويُّ تلك الأخبارَ والأشعارَ عن

---

(١) الآثار الباقية ص: ٢١٣.

(٢) الآثار الباقية ص: ٢١٣.

(٣) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١: ٣٣٧.

كُتُبِ البلدانِ والتاريخِ والطبقاتِ والتَّراجمِ والأدب السابقة. ومما يزيدُ من قيمةِ ما رواهُ أنَّ طائِفةً من الكُتُبِ التي أخَذَ عنها قد ضَاعَتْ.

وفي آثارِ البلادِ وأخبارِ العِبادِ للقَزوينيِّ المتوفَّى سنةَ اثنتين وثمانين وستمائةٍ معلوماتٌ جغرافيّةٌ وتاريخيّةٌ عن خراسان. وقد نَقَلَ القزوينيُّ كثيراً منها عن معجم البلدان لياقوت الحمويِّ، ولكنها لا تخلو من أخبارٍ ورواياتٍ جديدة[1]. وهو يُفَصِّلُ القولَ حين يتحدَّث عن سِيَرِ مَشاهيرِ الرجالِ من أهلِ الأماكنِ المختلفةِ، ويُورِدُ معلوماتٍ لطيفةً عنهم، ومن ذلك أنه أشار إلى بعضِ القوانينِ الهَندسيَّةِ التي استعانَ بها المُقَنَّعُ الخراسانيُّ لإثباتِ نُبُوَّتِهِ[2].

وفي المواعِظِ والاعْتِبارِ في الخُطَطِ والآثارِ للمِقريزيِّ المتوفَّى سنةَ خمسٍ وأربعين وثمانمائةٍ تَحليلٌ دقيقٌ للمرامي الدِّينيّةِ والسِّياسيّةِ القوميَّةِ الفارسيّةِ التي كان يسعَى لِبُلوغِها مَنْ خَرَجَ من أصحابِ أبي مسلمٍ طَلَباً بثأرِهِ، ومَن ثَارَ بعدَهُم من زُعماءِ الخُرَّميةِ[3].

(١) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١ : ٣٦٤.

(٢) آثار البلاد ص : ٤٦٦.

(٣) المواعظ والاعتبار ٢ : ٣٩٤.

(٥) كُتُبُ الأنسَاب

ومن المصادرِ المُهِمَّةِ كُتُبُ الأنْسَابِ ، وبَعْضُهَا يُعْنَى بقبيلةٍ بعيْنِهَا ، وبَعْضُهَا يُعْنَى بالقبائل كلِّها ، وبعضُهَا يُعْنَى بالقبائل ومَواليها . وهي تَحْتوي على معلوماتٍ سُكَّانيَّةٍ واجتماعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ وسياسيةٍ وتاريخيَّةٍ.

في جَمْهرةِ النَّسَبِ لابن الكلبي المتوفّي سنةَ أربعٍ ومائتينِ أخبارٌ عن العباس ابن عبد المطلب ووَلدِه[١] ، وفيه أخبارٌ عن الدعوة العباسية ونُقبائها ودُعَاتها وقَادَتها من العرب[٢] ، وفيه أخبارٌ عن العَصَبيَّةِ القبليَّة والأحوالِ السياسيَّةِ بخراسان في آخر الدولة الأموية[٣] ، وفيه أخبارٌ عن إعْلَان الثَّوْرَةِ العباسيَّةِ وحُرُوبها الى دُخُولِ الكوفةِ وقيامِ الدَّوْلَةِ[٤] ، وفيه أخبارٌ عن قَتْلِ العبّاسيين لبني أمية وعُمَّالهم وأنْصَارهم[٥] .

وهو أقْدَمُ ما سَلِمَ من كُتُبِ الأنسابِ ، وهو المَصْدَرُ الذي اعتمدَ عليه النَّسَّابون . وقد اقْتَصَرَ ابنُ الكلبيِّ على الصَّحيح من الأخبارِ ، واختارَ بعضَ الرِّواياتِ

---

(١) جمهرة النسب ، مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٢٠٢ ، الجزء الأول ، الأوراق : ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ .

(٢) جمهرة النسب ، الجزء الأول ، الأوراق : ٨٠ ، ٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٩ ، ٢٥٧ .

(٣) جمهرة النسب ، الجزء الأول ، الورقة : ١٣ .

(٤) جمهرة النسب ، الجزء الأول ، الورقة : ٢٥٧ .

(٥) جمهرة النسب ، الجزء الأول ، الأوراق : ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .

دون غَيْرِهَا ، وانْفَرَدَ بأخبارٍ وروايات لم يَحْمِلْهَا أحدٌ من الإخباريِّينَ والمؤرِّخين الآخرين .

وفي نَسَبِ قريشٍ للمُصْعَبِ الزبيريِّ المتوفّي سنةَ ستٍّ وثلاثينَ ومائتينِ مُنْتَقياتٌ من أخبارِ بني العباس ، ومُخْتَصراتٌ لسير النَّابهين من رجالهم ، وهي تَدُلُّ على أقْدَارِهم الدِّينيةِ والعِلْميةِ ، ومَساعيهم السياسيةِ . وفيه ذكرٌ لِعدَّةٍ من الأمويينَ الذين قتَلَهم العباسيونَ في الأمصارِ المختلفةِ(٢) .

وقد اختارَ المصعبُ الزبيريُّ الأخبار المُوَثَّقَةَ الصحيحةَ ، وأهملَ الأخبارَ الضَّعيفةَ المَرْجوحةَ ، وساقَ الأخبارَ القصيرةَ برواياتها المشهورة التي تَنَاقَلَهَا الإخباريُّونَ والمُؤَرِّخُونَ ، ولَخَّصَ بعضَ الأخبارِ الطويلةِ .

وفي جَمْهَرَةِ نَسبِ قريشٍ وأخبارِهَا للزُّبَيرِ بن بكارٍ المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسينَ ومائتينِ مادةٌ أكثرُ وأطولُ من المادة التي حَفِظَهَا المصعبُ الزبيريُّ من أخبارِ بني العباس . وفيه مُخْتَارَاتٌ مما قيل في رثاءِ الأُمويِّينَ من قصائدَ جيادٍ ، وفيه رواياتٌ طريفةٌ عن مُواساةِ الحَسَنِيِّينَ مِنَ العَلويِّينَ لمن بَقِيَ منَ الأُمويِّينَ ، وإنكارِهم قَتْلَ العباسيِّينَ للأُمويِّينَ ، واتِّهامِهم لهم بالبَغْيِ والعُدْوانِ ، وارْتيابِهم بهم ، وتَخَوُّفهم منهم(٣) .

وقد انتخبَ الزبيرُ بنُ بكارٍ الأخبارَ القَوِيَّةَ ، والرِّواياتِ العاليةَ ، وهو مَعْرُوفٌ بالتَّدقيقِ والتَّثبُّتِ والصِّدْقِ في الرِّوايةِ(٤) .

(١) نسب قريش ص : ٢٥ــ ٣٩.

(٢) نسب قريش ص : ١٢٠ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها ص : ٤٩٨ــ ٥٠٣ .

(٤) انظر دراسة الأستاذ محمود شاكر للزبير بن بكارٍ وشيوخه ، وعلْمه ، ومقدار الثِّقة به في المقدمة التي قدم بها للكتاب ص : ٥٥ــ ٧٢.

وفي جَمْهرةِ أنسابِ العربِ لابن حَزْمٍ المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسينَ وأربعمائةٍ مَعْلوماتٌ أوْسَعُ مِمَّا وَرَدَ في كُتُبِ الأنسابِ السَّالفةِ، ولكنَّهَا أوْجَزُ منها، فقد اطَّلَعَ ابنُ حَزْمٍ على كُتُبِ الأنسابِ والتاريخِ والطَّبقات والتَّراجم السابقةِ، وجَمَعَ ما فيها من مادةٍ جَمْعاً وافياً، ولَخَّصَهُ تَلْخيصاً دقيقاً. وفي كتابهِ حَصْرٌ لبني العباس، واخْتِصَارٌ شديدٌ لأبرزِ المتَّفقِ عليهِ من أخبارهم [1]، وفيه ذِكْرٌ لِنُقبائِهم ودُعَاتِهم وقَادَتِهِم من العربِ [2]، وفيهِ إحْصَاءٌ اشْمَلُ لِمَنْ قَتَلَ العباسيون من الأمويين ووُلَاتِهم وشيعتهم [3].

وفي الأنسابِ للسَّمْعانيِّ المتوفّي سنةَ اثنتين وستين وخمسمائةٍ إلْمامٌ بكبارِ العلماء دونَ رجالِ السياسةِ من أهلِ خراسان، وقد ضَبطَ السَّمْعانيُّ أسماءَهُم وأنسابَهم، وتَرْجَمَ لهم تَرَاجمَ مُوجزةً.

واخْتَصَرَ ابنُ الأثيرِ المتوفّي سنةَ ثلاثين وستمائةٍ كتابَ السَّمْعاني وأكْملَهُ، وسَمَّاهُ: اللُّبابَ في تَهْذيبِ الأنساب. واخْتَصَرَ السيوطيُّ المتوفّي سنةَ إحدَى عشرةَ وتسعمائةٍ كتابَ ابن الأثير، وسَمَّاهُ: لُبَّ اللُّبابِ في تَحْريرِ الأنسَابِ.

ويُفيدُ كتابُ المُشْتَبِهِ للذَّهبيِّ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وسبعمائةٍ، وكتابُ تَبْصيرِ المُنْتَبِهِ بتَحْريرِ المُشْتَبِهِ لابنِ حَجَرِ العَسْقلانيِّ المتوفّي سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وثمانمائةٍ في قراءةِ ما اتَّفقَ لَفْظُهُ من أسماءِ العلماءِ من أهْلِ خراسانَ قِراءةً صحيحةً.

---

(١) جمهرة انساب العرب ص: ١٨ — ٢١، ٣١ — ٣٧.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص: ٢١٤، ٢٣٦، ٤٠٤، ٤١٤.

(٣) جمهرة أنساب العرب ص: ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٤، ١٢٠، ١٥١، ١٦٥، ١٦٦.

(٦) كُتُبُ الطَّبقاتِ والتَّراجم

ومن المصادرِ المُهِمَّةِ كتبُ الطَّبقاتِ والتَّراجمِ ، وهي تَحتوي على مَعْلُوماتٍ عِلْمِيَّةٍ ، وفيها أيْضاً قليلٌ من المَعْلُوماتِ السُّكانيَّةِ والاقتصاديّةِ والتَّاريخيّةِ والسياسية عن أهلِ خراسانَ في عَصْرِ بني أميَّة .

وهي أصنافٌ ، فمنها ما أُلِّفَ في الصَّحابة ، وأوَّلُ ما وَصَلَ منها الاستيعابُ في مَعْرفةِ الأصحاب لابن عبدِ البرِّ المتوفّي سنةَ ثلاثٍ وستين وأربعمائةٍ ، وفيه تراجمُ للعباس بن عبد المطلب[١] ، وعبد الله بن العباس[٢] ، وقُثَم بن العباس[٣] . وقد فَصَّلَ ابنُ عبد البرِّ سيرَهم ، وعَوَّلَ على الأحاديث الصَّحيحةِ ، والأخبارِ المُوَثَّقة . وتُبْرِزُ تَراجِمُهُم عندَهُ مكانَتَهُم الاجتماعيّةَ والعلميَّةَ ، ولا تُشيرُ إلى مَطامِحِهم السِّياسيّة .

وفيه تراجمُ للصَّحابة الذين اشتركوا في فَتْح خراسانَ واسْتَوْطَنُوهَا . وهي تَهْدِي إلى القَبائلِ التي فَتَحَتْ خراسانَ وإلى المُدُنِ التي سَكَنَتها ، وإلى نشاطِ هؤلاءِ الصَّحابةِ العِلْميِّ فيها .

وفي أسد الغابةِ في مَعْرفةِ الصَّحابة[٤] لابن الأثير المتوفّي سنةَ ثلاثين وستمائةٍ ، وفي الإصابة في تَمْييز الصَّحابةِ[٥] لابن حَجَرِ العَسْقلانيِّ المتوفّي سنة اثنتين وخمسين

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص : ٨١٠.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص : ٩٣٣.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص : ١٣٠٤ .

(٤) أسد الغابة ١ : ٣— ٤

(٥) الإصابة ١ : ٤ .

وثمانمائةِ استِدْرَاكٌ لما فاتَ ابنَ عبد البرِّ من أسماءِ الصَّحابةِ الذين فَتحُوا خراسانَ ، واستَقرُّوا بها ، وزِيَادَةٌ على ما أوْرَدَهُ من أخبارِ الصَّحابةِ الذينَ ذَكَرهم.

ومنها ما أُلِّفَ في الصَّحابةِ والتَّابعين معاً ، وأقْدَمُ ما بَقِيَ منها الطَّبقاتُ الكُبْرى لابن سَعْدٍ المتوفّي سنةَ ثلاثين ومائتين. وقد قَسَّمَهُ ابن سَعْدٍ على الأمْصَارِ ، وصنَّفَ رجالَ كلِّ مِصْرٍ على أساسِ السّابقةِ والقُدْمةِ في الإسلامِ ، والورَعِ والصَّلاحِ في الحياةِ ، وترْجَمَ للعباس بن عبد المطلب في الجزءِ الرابع [1] ، ولعبد الله بن العباس في الجزء الثاني [2] ، ولسائر بني العباس في الجزء الخامس [3] ، وبَسَطَ القَوْلَ في سيرَهم بَسْطاً شديداً مُعْتَمِداً على الأحاديث المتواترةِ والأخبارِ الدقيقةِ. وتُظْهِرُ سيرُهم عندَهُ مَنْزِلَتَهم الدينيةَ والعِلْميَّةَ ، ولا تُشِيرُ إلى شيءٍ من أَمَانيِّهم السياسيَّة.

وتَرْجَمَ أيضاً لأبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفيَّةِ في الجزء الخامس [4] ، ونَوَّهَ بعلمِهِ وروايتِه ، وألَمَّ بخَبرِ وَفَاتِهِ ، ونَصَّ على أنه ماتَ حَتْفَ أنْفِهِ ، وذكَرَ أنه أوْصَى بالإمامة إلى محمد بن عليٍ ، ودَفَعَ إليه كُتُبَهُ وروايتَهُ.

وتَرْجَمَ للصَّحابةِ والتَّابعينَ من أهْلِ خراسان في الجزء السابع [5] ، وتَوَسَّعَ في الحَديثِ عن أهْلِ التَّقْوى والعِلْمِ منهم ، وألْمَحَ إلى آثارهم في روايةِ الحَديث ، ونَبَّهَ على تَوَلّي بَعْضِهم القضاءَ. وهو من أكبرِ مَنْ أحْصَى أسْماءَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ الذين رَحَلُوا إلى خراسانَ ، وأقَامُوا بها ، ومَاتُوا فيها . وقد حَدَّدَ المُدُنَ والبلدانَ التي نَزَلُوهَا واستَوْطَنُوهَا ، ومَيَّزَ بينَ العرب والموالي منهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٥— ٣٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٥— ٣٧٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٥ : ٣١٢— ٣١٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٢٧— ٣٢٨.

(٥) طبقات ابن سعد ٧ : ٣٦٥— ٣٧٩.

واتَّبعَ خليفةُ بنُ خيَّاطٍ العُصْفُريُّ المتوفّي سنةَ أربعينَ ومائتين مَنْهَجَ ابنِ سَعْدٍ في التَّقْسِيمِ والتَّصنيفِ، وتَرْجَمَ لأكثرِ بني العباسِ، ولمُعْظَمِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ من أهْلِ خراسانَ[1] الذينَ تَرْجَمَ ابنُ سَعْدٍ لهم، ولكنه جَرَّدَ أسماءَهم تَجْريداً، وسَرَدَهَا سَرْداً، ولَم يَذْكُرْ إلاَّ أيْسَرَ اليسير من أخبارِ المَشْهُورينَ منهم.

وفي التَّاريخِ الكبيرِ للبُخَاريِّ المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسينَ ومائتين زِيَاداتٌ كثيرةٌ على ما جاء في طبقاتِ ابن سَعْدٍ، وطبقاتِ خليفةَ بن خياطٍ من أسماء الصحابةِ والتَّابعينَ من أهْلِ خراسانَ. وأسماؤهم منثورةٌ في تَضَاعيفِ الكتاب، لأنَّ البُخاريَّ رَتَّبَهُ على حُرُوفِ المُعْجَمِ، ولكنه افْتَتَحهُ بالمُحمَّدينَ، ثم رَتَّبَ باقي الأسماءِ على حُرُوفِ المُعْجَمِ، وقدَّمَ أسماءَ الصَّحابةِ على أسماءِ التَّابعينَ في الأبواب التي كَثُرَتْ تَراجِمُهَا. وتَرَاجِمُهُم عندَهُ مُوجزةٌ لأنه اقْتَصَرَ على إثْباتِ أهَمِّ شُيُوخِهم وتَلاميذِهم، ولم يُصَرِّحْ بالحُكْمِ على رواياتِهِم إلاَّ قليلاً.

وسَلَكَ ابنُ أبي حاتمٍ الرازيُّ المتوفّي سنةَ سَبْعٍ وعشرينَ وثلاثمائةٍ في الجَرْحِ والتَّعْديلِ سَبيلَ البخاريِّ في التَّرْتيبِ، ولكنَّهُ لم يُقَدِّمِ المُحمَّدينَ على بَاقي الأسْمَاءِ، بل وَضَعَهم في مَوْضِعِهم الأصْليِّ منْ سِياقِ حُروفِ المُعْجَم. وكتابُهُ أكبرُ من كتابِ البخاريِّ، وفيه أسماءٌ جديدةٌ، وفوائدُ عديدةٌ، وتَرَاجِمُهُ للصَّحابةِ والتابعين من أهْلِ خراسانَ وغيرهم أطْوَلُ من تَراجِمِ البخاريِّ لهم، لأنه أحْصَى أكثرَ المَعْرُوفينَ من شيُوخِهم وتَلاميذِهم، واستَقْصَى أحْكَامَ الأئمةِ على رِواياتهم.

ومِنْ كُتُبِ التَّراجمِ التي عُنِيَ مُؤَلِّفُوها بالصَّحابةِ والتَّابعينَ معاً تَهْذِيبُ الأسماءِ واللُّغات للنَّوويِّ المتوفّي سنةَ ستٍ وسبعينَ وستمائةٍ، وتَذْكرةُ الحُفَّاظ، وميزانُ الاعتدالِ للذهبيِّ المتوفّي سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وسبعمائةٍ، ولِسَانُ الميزان، وتَهْذيبُ

(١) طبقات خليفة بن خياط ص: ١٠، ٢٨٠، ٥٨٠، ٥٩٨، ٥٩٩، ٧٩٩، ٨٢٩، ٨٤٠.

التَّهذيبِ ، وتقريبُ التهذيبِ لابن حَجرِ العَسْقلانيِّ المتوفّي سنةَ اثنتين وخمسين وثمانمائةٍ. وقد اعتَمدَ مُؤَلِّفُوها على المصادر السابقةِ ، وبعضُ ما اعتَمدُوا عليه منها مَفْقُودٌ. وهي تَتفاوتُ فيما تَشتَمِلُ عليه منْ عَدَد الصَّحابةِ والتَّابعينَ من بني العباس ومن أهْلِ خراسان ، والمادةُ معادةٌ مكرورةٌ في التَّراجمِ المُشْتَرَكَةِ بينَهَا ، ومن التَّطْويلِ الوُقُوفُ عندَ كل كتابٍ منها. وتَهْذيبُ التَّهْذيبِ هو أكبرُهَا وأغناها ، وأهَمُّهَا وأعْلَاهَا ، فقد جمعَ فيه ابنُ حجرٍ العَسْقلَانيُّ أكثرَ أسْماءِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ منْ أهْلِ خراسانَ ، وحَشَدَ فيه كلَّ ما وَقَعَ عليه من أخبارهم ، وأوْرَدَ فيه أقوالَ نُقَّادِ الحديثِ في رواياتِهم.

ومن كُتُبِ التَّراجمِ والطَّبقاتِ ما هو خاصٌّ ، قد أُفْرِدَ لطوائفَ من الرِّجالِ ، جَمَعَ بينَ رجالِ كلِّ طائفةٍ منها الاشْتِهَارُ بعلمٍ من العُلومِ أو بفنٍّ من الفُنُونِ ، أو الاشتغالُ بِعَملٍ من الأعمالِ ، أو الانْتِسَابُ إلى بَلَدٍ من البلدان.

فمنها ما أُفْرِدَ للفُقَهاءِ ، وأوْجَزُها طبقاتُ الفُقَهاءِ للشِّيرازيِّ المتوفِّي سنةَ ستٍ وسبعينَ وأربعمائةٍ ، وفيه تَراجِمُ للفُقَهاءِ من بني العباس[1] ، ومن أهْلِ خراسانَ من العَرَبِ والمَوالي[2].

ومنها ما أفْرِدَ للنُّساك والزُّهادِ من العُلماءِ ، وأضْخَمُهَا حِلْيَةُ الأولياء وطَبقاتُ الأصْفياءِ لأبي نعيم الأصْبهَاني المتوفّي سنةَ ثلاثين وأربعمائةٍ ، وفيه تراجمُ طويلةٌ

---

(١) طبقات الفقهاء ص : ٤٩.

(٢) طبقات الفقهاء ص : ٩٣ــ ٩٤.

للنُّساك والزُّهاد من بني العبّاس[1] ، ومن أهْلِ خراسان من العَربِ والموالي[2] . وقد فَصَّلَ أبو نعيمٍ الأصْبهانيُّ سِيَرَهم ، وذكَرَ الأحاديثَ التي رواها كلٌّ واحدٍ منهم ، وروَى المأْثورَ من أقْوالهم .

ومنها ما أفْرِدَ للنَّحْويينَ واللُّغويّينَ ، وأهَمُّها مَراتِب النَّحْوِيِّينَ لأبي الطيِّب اللُّغويِّ المتوفّي سنةَ إحدى وخمسين وثلاثمائة ، وأخبارُ النَّحْويينَ البَصْرِيِّينَ للسِّيرافيِّ المتوفّي سنةَ ثمانٍ وستين وثلاثمائةٍ ، وطبقاتُ النَّحْويينَ واللُّغويينَ للزُّبيديِّ المتوفّي سنةَ تسعٍ وسبعينَ وثلاثمائةٍ ، ونُزْهَةُ الألباء في طبقاتِ الأدباءِ لابن الأنباريِّ المتوفّي سنةَ سبعٍ وسبعينَ وخمسمائةٍ ، وإنباه الرُّواةِ على أنباهِ النُّحاةِ للقِفْطيِّ المتوفّي سنةَ ستٍ وأربعينَ وستمائةٍ ، ونُورُ القبَسِ من المُقْتَبس لليَغْموريِّ المتوفّي سنةَ ثلاثٍ وسبعين وستمائةٍ ، وبُغْية الوُعاةِ في طبقات اللُّغويين والنُّحاة للسيوطيِّ المتوفّي سنةَ إحدى عشرةَ وتسعمائةٍ . ففي هذه الكُتُبِ تَراجمُ لمن كان له عنايةٌ بالنَّحْوِ واللغةِ من أهْلِ خراسانَ ، فَعُرِفَ بها كما عُرِفَ بالقراءةِ أو التَّفْسيرِ أو الحديثِ أو الفِقْهِ[3] .

ومنها ما أفْرِدَ للشعراءِ ، وأشهرُها طبقاتُ فحول الشعراء لابن سلامٍ الجُمحيِّ المتوفّي سنةَ إحدَى وثلاثينَ ومائتين ، والشعرُ والشعراءُ لابن قتيبة المتوفّي سنةَ ستٍ

---

(١) حلية الأولياء ١ : ٣١٤ ، ٣ : ٢٠٧ .

(٢) حلية الأولياء ٣ : ١١٢ ، ٥ : ١٩٣ ، ٨ : ٥٨ ، ١٩١ ، ١٠ : ٤٣ .

(٣) انظر على سبيل المثال ترجمة يحيى بن يَعْمُر العَدْوانيِّ البصريِّ المَرْوزيِّ في مراتب النحويين ص : ٣٠ ، وأخبار النحويين البصريين ص : ٢٢ ، وطبقات النحويين واللغويين ص : ٢٧ ، ونزهة الألباء ص : ١٦ ، وإنباه الرواة ، الترجمة رقم ٨١٥ ، ونور القبس ص : ٢١ ، وبغية الوعاة ص : ٤١٧ .

وسبعينَ ومائتين ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسين وثلاثمائةٍ ، والمُؤْتَلِفُ والمُخْتَلِفُ للآمديِّ المتوفّي سنةَ سبعين وثلاثمائةٍ ، ومعجمُ الشعراء للمَرْزُبَانيِّ المتوفّي سنةَ أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ ، إلى غيرها من الكُتُبِ الأَدبيةِ والنَّحْوية واللُّغويةِ التي تَرْجَم مُؤَلِّفوها للشعراء ، مثل أمالي القالي المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسين وثلاثمائةٍ ، وأمالي الشريفِ المرتضى المتوفّي سنةَ ستٍ وثلاثين وأربعمائةٍ ، وسِمْطِ اللآلي لأبي عُبَيْدٍ البكريِّ المتوفّي سنةَ سبعٍ وثمانين وأربعمائةٍ ، وشَرْحِ شَوَاهِدِ المُغْني للسُّيوطيِّ المتوفّي سنةَ إحدى عشرةَ وتسعمائةٍ ، وخزانةِ الأدبِ للبغداديِّ المتوفّي سنَةَ إحدى وتسعينَ وأَلْفٍ . في هذه الكُتُبِ المُتداوَلُ من أشعارِ الشعراء من أهْلِ خراسانَ ، وفيها أشعارٌ جديدةٌ لهم لم تَرِدْ في المصادرِ الأخرى ، وفيها ما قِيلَ من أشعارٍ في رثاءِ بني أمية ، وبُكَاءِ دَوْلَتهم ، وقَتْلِ العباسيين لهم في الأَمْصَارِ المُخْتلفةِ ، وفيها نَوادِرُ من أخبارِ العربِ بخراسانَ تَدُلُّ على خَفايَا من أحْوالهم الاجتماعيَّةِ والاقتصاديةِ والسياسيَّةِ (١) .

ومنها ما أفردَ للوزراء والكُتَّابِ ، وأجلُّها كِتَابُ الوُزراءِ والكُتَّابِ للجَهْشَياريِّ المتوفّي سنةَ إحدى وثلاثين وثلاثمائةٍ ، وفيهِ مَعْلُوماتٌ دقيقةٌ عن كُتَّابِ الخراجِ بخراسان ، فقد ذَكَر أنَّ أكثرهم كانوا من المجوس ، وأَنَّ الحُسْبَانَاتِ كانت تكتبُ بالفارسيَّةِ من الفَتْحِ إلى وِلَايَةِ نَصْرِ بن سيارٍ الليثيِّ ، فكتبَ إليه يوسفُ بن عمر الثَّقَفيُّ عاملُ العراقِ كتاباً سنةَ أربعٍ وعشرين ومائةٍ ، يأمُرُهُ فيه الاَّ يستعينَ بأحدٍ من أهلِ الشِّرْكِ في أعْمَالِهِ وكتابتِه . وكان أَوَّلَ منْ نَقَلَ الكتابةَ من الفارسية إلى العربية

---

(١) راجع في ذلك كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، وكتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٧٢— ٧٦.

بخراسان إسحاق بن طُلَيْقٍ الكاتبُ ، وهو رَجُلٌ من بني نَهْشَلٍ ، كانَ مع نَصْرِ ابن سَيَّارٍ ، فَخُصَّ به[1] .

وفيه تَرْجَمَةٌ طويلةٌ لأبي سَلَمةَ الخَلاَّل ، فيها أخبارٌ عن حياتِهِ ونسَبِهِ وحِرْفَتِهِ وثَقافتِهِ وانتظامِهِ في الدعوة العباسيةِ ، ونَشَاطِهِ في نَشْرِهَا ، وتَوَلِّيهِ مَنْصِبَ كبيرِ دُعَاتِهَا ، وإظْهَارِهِ الإمامةَ الهاشميَّةَ دونَ تَسْميةِ الخليفةِ ، وتَلْقيبِهِ وزيرَ آل محمدٍ ، ومَقْتَلِهِ[2] . وفي تَرْجَمتِهِ أخبارٌ جديدةٌ عن مَعْرِفتِهِ ومكانتِهِ العلميَّةِ، فقد «كان فَصيحَ اللسانِ ، عالماً بالأخبارِ والأشعارِ والجَدَلِ وتَفْسيرِ القرآن ، حَاضِرَ الحُجَّةِ ، كثيرَ الجِدِّ[3] » ، وفيها ما يَدُلُّ على صِلتِهِ القَوِيَّةِ بالعَلَوِيِّينَ ، وأنَّهُ لمَّا صحَّ عندَهُ موتُ الإمام إبراهيم بن محمدٍ ، لَقِيَ رجالاً من شيعةِ علي بن أبي طالبٍ بالكوفةِ فنَاظرهم في نَقْلِ الأمْرِ إلى وَلَدِهِ، وكَتَبَ إلى ثلاثة نَفَرٍ منهم ليَعْقِدَ الأَمْرَ لأَحَدِهم[4] .

وفيه شيءٌ من سيرَةِ أبي مُسْلمٍ من قيامِ الدولةِ إلى مَقْتَلِهِ[5] ، وهيَ تَتَضَمَّنُ تَفَاصيلَ لطيفةً تكشفُ عن ثِقَلِ وَطْأَتِهِ على أبي العباس السَّفاح ، وكثرةِ خلافِهِ إيَّاه ، ورَدِّهِ لأمره[6] ، وتَخَوُّف أبي العباس السَّفاح منه ، وسَعْيِهِ لتَقْليصِ سُلْطَانِهِ[7] .

---

(١) الوزراء والكتاب ص : ٦٧ .

(٢) الوزراء والكتاب ص : ٨٣— ٨٧ ، ٩٠ .

(٣) الوزراء والكتاب ص : ٨٦ .

(٤) الوزراء والكتاب ص : ٨٦ .

(٥) الوزراء والكتاب ص : ٨٩— ٩٠ ، ٩٣— ٩٤ ، ١١١ — ١١٢ .

(٦) الوزراء والكتاب ص : ٩٣ .

(٧) الوزراء والكتاب ص : ٩٤ .

ومنها ما أُفرِدَ لرجالِ بَلدٍ من البُلْدَانِ ، ومن أَقْدَمِهَا وأكبرهَا تاريخ بغداد لْلخَطيب البغداديّ المتوفّي سنةَ ثلاثٍ وستين وأرْبعمائةٍ ، وفيه تَراجمُ لأبي مُسْلم (١) ، وأبي العبّاس (٢) ، وأبي جَعْفرٍ (٣) ، وفيه تَراجمُ لمن نَزَلَ بغدادَ من علماء أهْلِ خراسانَ (٤) . وقد اهْتمَّ البغداديُّ بالصّحيحِ من الأخبارِ والمُسْتَفِيضِ من الرِّوايات ، ولكنه رَوَى بعضَ قَصَصِ الدَّعْوَةِ العباسية (٥) .

وفي تاريخ دمشقَ لابن عساكرٍ المتوفّي سنةَ إحدى وسبعينَ وخمسمائةٍ تراجمُ للعباس بن عبد المطلب (٦) ، وعبد الله بن العباس (٧) ، وعلي بن عبد الله بن العباس (٨) ، ومحمد بن عليٍ (٩) ، وغيره مِنْ وَلَدِ عليٍ وحفدَته (١٠) ، وإبراهيم ابن محمد (١١) ، وأبي العباس (١٢) ، وأبي جَعْفَرٍ (١٣) ، وفيه تراجمُ لمن تَردَّدَ إلى بلاد الشام

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧ — ٢١١ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦ — ٥٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠ : ٥٣ — ٦١ .

(٤) تاريخ بغداد ٦ : ١٠٥ ، ١٣ : ١٦٠ .

(٥) تاريخ بغداد ١٠ : ٤٨ ، ٥٥ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٢٩ — ٢٥٣ .

(٧) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٩ : ١٤٨ظ .

(٨) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٢ : ٤٤٠ظ .

(٩) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٥ : ٢٣٢و .

(١٠) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٢ : ٢٩٠و ، ٧ : ٢٤٩ظ ، ٨ : ١٦٩و ، ٩ : ١٣٠ظ ، ١٠ : ٤٧٣ و ، ١٤ : ٣٠٥و ، ٦٢٦ ظ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٠٦ ، ٦ : ٢٨٣ ، ٣٧٨ .

(١١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٠ — ٢٩٦ .

(١٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٩ : ١٨٠و

(١٣) تاريخ دمشق ، مصورة المكتبة الظاهرية عن مخطوطة الأزهر ٢٩ : ٦ و

من دُعاةِ بني العباس ونُقبائِهم [١] ، وفيه تَراجمُ لمن وَرَدَهَا من عُلماءِ أهْلِ خراسانَ وشُعَرائهم [٢] ، وفيهِ نَصٌّ على الأُمويِّينَ الذينَ قتَلَهُم العباسيُّونَ [٣] ، أو حَبسُوهم [٤] ، أو صَفَحُوا عنهم [٥] .

وقد جَمَعَ ابنُ عساكرٍ أخبار بني العباس من المصادرِ المختلفةِ ، وساقَ في تَراجمهم أخبارَ طَريفةً لم تَرِدْ في المصادرِ السابقةِ المُتَنَوِّعَة ، أخذهَا عن كُتُبٍ مَفْقُودةٍ ، وهي تُوَضِّحُ جَوانِبَ جديدةً من نَشأَتِهم ، وتَرْبيتِهم ، وثَقافَتِهم ، وصِلَاتهم بالعَلَويِّينَ أبناء عُمُومتهم ، وآمالهم السياسيةِ ، ومَسَاعيهم للفَوْزِ بالخلافةِ ، ومواقِفِ بني أميَّةَ منهم ، منها أنه ذَكَرَ خَبَراً عن عَلاقَةِ محمد بن عَليٍّ بأبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحَنفيَّة ، وهو يُشيرُ إلى تَتَلْمُذِهِ عليه ، فَقَد أرْسَلَهُ أَبوهُ إليه بالمدينةِ ، ليَطْلُبَ العلمَ عنده ، فأُعْجِبَ أبو هاشمٍ بذكائِهِ وطُموحِهِ ، وانْعَقَدَتْ بينهما مَوَدَّةٌ صادقةٌ [٦] . ويُفَسِّرُ هذا الخَبرُ سَبَبَ اختيارِ أبي هاشمٍ له ليكونَ وليَّهُ وَوَصِيَّهُ ، ومنها أنه ذكَرَ خَبَراً آخَرَ عن اعْتِقَالِ مَرْوَانَ بن محمد للإمام إبراهيم بن محمد ، وهو

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٠ ، ٦ : ٢٨٥ .

(٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١١ : ٢٠٥و ، ١٧ : ٢٠٩ و ، وترجمة كعب بن معدان الأشقري بالجزء الرابع عشر ، وترجمة نهار بن توسعة البكري بالجزء السابع عشر.

(٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٢ : ١٥٧ظ ، ٢٨٠و ، ٣ : ٦٩ظ ، ١٤٠و ، ٢٦٠و ، ٦ : ١٠و ، ١٨٥و ، ٧ : ١٥٣ظ ، ٣٠٢و ، ٣٢٥و ، ٣٢٦ ظ ، ٨ : ٣١٤ظ ، ٩ : ٣٩٠و ، ١٠ : ٢٨٣و ، ١٤ : ٧٠و ، ١٥٤و ، ١٨٥و ، ١٥ : ٢٠١و ، ٤٨٩ و ، ١٦ : ١٢٣و ، ١٩١و ، ١٧ : ٤٤٥و ، ١٨ : ٩٤ظ ، ١٩ : ٧٠و.

(٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥ : ١٠٣ظ ، ١٠ : ٣٧١و ، ١٩ : ٧٣ظ .

(٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٢ : ١٥٧و ، ٢١٩و ، ١٠ : ١٨٩ظ ، ١٥ : ٤٨٩و ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢١٦ ، ٣٦٤.

(٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٥ : ٢٣٢و.

يَقْطَعُ بأَنَّهُ لم يَأْمُرْ أبا مُسْلمٍ بقَتْلِ جميع العرب بخراسانَ ، بل أمَرَهُ بقَتْلِ الرَّسولِ الذي وجَّهَهُ إليه ، لأنه كانَ من العرب ، فإنَّ الإمام إبراهيم بن محمد كان يُؤْثِرُ أنْ يكونَ الرُّسُلُ بينَهُ وبينَ أبي مسلمٍ من العَجَم ، لمَا في ذلك من حِفْظٍ للسرِّ ، ودَفْعٍ للشَّكِّ ، وتَجنُّبٍ للأذَى[١] .

وأَثْبَتَ ابنُ عساكرِ الأخبارَ بأسَانيدهَا وطُرُقِهَا المُتَعَدِّدةِ ، وعُنِيَ بالرِّواياتِ العَبَّاسيةِ والأُمويَّةِ والعَلَويَّةِ ، ولم يَقْتَصِرْ على نَقْلِ الأخبار ، بل حَمَلَ كثيراً من القَصَص ، وهو أكبرُ مَنْ حَمَلَ قَصَصَ الدعوة العباسية ، ولا سيما ما حِيكَ منه بعدَ قيامِ الدولةِ ، واحْتِدَامِ المنازعةِ في الخلافةِ بينَ الحَسَنِيِّينَ والعباسيين في أيام أبي جَعْفَرٍ المنصور ، وقد أَوْرَدَ مُعْظَمَهُ في تَرْجمةِ العباس بن عبد المطلب[٢].

ومن كُتُبِ التَّراجم ما هو عامٌّ قد جُرِّدَ للعلماءِ والأدباءِ والشعراءِ من أهلِ الأمصارِ المختلفةِ ، والأعصارِ المتعاقبةِ ، ومنها معجم الأدباءِ لياقوت الحموي المتوفّي سنةَ ستٍ وعشرين وستمائةٍ ، ووفياتُ الأعيان وأنباءِ أبناءِ الزمان لابن خلكان المتوفّي سنةَ إحدى وثمانين وستمائةٍ ، وفواتُ الوفيات لابن شاكرِ الكتبيِّ المتوفّي سنةَ أربع وستين وسبعمائةٍ ، والوافي بالوفياتِ للصَّفديِّ المتوفّي سنةَ أربعٍ وستين وسبعمائةٍ . ففي هذه الكُتُب ألوانٌ متباينةٌ من الأخبارِ[٣] ، وفيها تراجمُ لجماعةٍ من بني العباس[٤] ، وفيها تراجمُ لنَفرٍ من دُعاتهم ونُقَبائهم[٥] ، وفيها تَراجمُ لطائفةٍ من علماءِ أهْلِ

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٨ — ٢٥٣ .

(٣) تُعينُ فهارس الأعلام الملحقة بهذه الكُتُب على معرفةِ تلكَ الأخبار .

(٤) انظر على سبيل المثال وفيات الأعيان ٣ : ٦٢ ، ١٩٥ ، ٢٧٤ ، ٤ : ١٨٦ ، وفوات الوفيات ٢ : ١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣ .

(٥) انظر على سبيل المثال وفيات الأعيان ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ١٤٥ .

خراسان وشعرائهم [1] ، وفيها تراجمُ لخلفاء بني أمية وبعض أمرائهم [2] . وفي تراجمهم جميعاً أخبارٌ كثيرةٌ قديمةٌ مُختصرةٌ أو مُفَصَّلةٌ ، وفيها أخبارٌ قليلةٌ جديدةٌ مَنْقُولةٌ عن مَصادرَ ضائعةٍ.

---

(١) انظر على سبيل المثال معجم الأدباء ٤ : ٢٧٢ ، ٧ : ٢٩٦ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٢٥٥ ، ٦ : ١٧٣ ، وفوات الوفيات ١ : ٢٦٩.

(٢) انظر على سبيل المثال معجم الأدباء ٤ : ١٦٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٦ ، وفوات الوفيات ٤ : ١٢٧.

(٧) كُتُبُ الفِرَق

ومن المصادرِ المُهِمَّةِ كُتُبُ الفِرَقِ ، وهي تشتملُ على معلوماتٍ قَيِّمةٍ عن كثيرٍ من الجماعاتِ التي أَيَّدَت الدعوةِ العباسيَّةِ ، وما في عقائدِ بعضِ تلك الجماعاتِ من غُلُوٍّ وتطرُّفٍ مَوْروثٍ عن الدياناتِ الفارسيَّةِ ، بعيدٍ عن الرُّوحِ الإسلامية .

في مقالاتِ الإسْلاميِّينَ واختلافِ المُصَلِّين للأشعريِّ المتوفّي سنةَ ثلاثين وثلاثمائة حديثٌ عن فِرْقةِ الهاشميَّةِ من الكيسانية ، وهي التي تَفرَّع منها الرَّاوِنْدِيَّةُ ، وكانوا يَقُولون بانْتقالِ الإمامةِ من أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأنَّ بني العباس أَوْصَى بعضُهم إلى بعضٍ حتى أَفْضَتِ الإمامةُ إلى أبي جَعْفَرٍ. ثم عَدَلَ قَوْمٌ من الرَّاوِنْدِيَّةِ عن ذلك بعدَ قيامِ الدَّوْلَة ، وأَبْطَلُوا وَصِيَّةَ أبي هاشمٍ ، وقالوا بإمامة العباس بن عبد المُطَّلِب ، وأنَّ الرَّسُولَ نَصَّ عليه ، وأنَّ بني العباسِ أَوْصَى بَعضُهُم إلى بعضٍ حتى انْتَهتِ الإمامةُ إلى أبي جَعْفرٍ (١) .

وفيه حديثٌ عن مَوْقفِ الرَّاونديَّةِ من أبي مسلمٍ ، فقد كانوا يَعْتقدونَ بإمامتهِ في حياتِهِ ، ثم اختلفوا في أَمْرِهِ بعدَ مماتِهِ ، فقالت طائفةٌ منهم : إنه قُتِلَ ، وهؤلاء هم الرِّزامية ، وقالت طائفةٌ ثانيةٌ منهم : إنه حَيٌّ لم يَمُتْ ، وهؤلاء هم الأَبو مُسْلِمِيَّة ، وهم من أَهْلِ الإباحة (٢) .

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ٩٢ — ٩٣ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤ .

وفي الفَرْقِ بين الفِرَقِ للبغداديِّ المتوفّي سنةَ تسعٍ وعشرينَ وأربعمائةٍ كثيرٌ من المعلوماتِ التي وَرَدتْ في مقالاتِ الإسْلاميين عن الرَّاونْديَّة ، ولكن البغداديَّ زادَ عليها ما يَدُلُّ على صِلةِ الرَّاونديَّةِ بالخُرَّمية ، وأنهم كانوا من الحُلوليَّة. وذكرَ أنَّ الرِّزاميَّةَ منهم أفْرَطُوا في مُوالاةِ أبي مسلمٍ ، وأنَّ المُسْلِميَّةَ منهم قالوا بأُلوهيَّتِهِ وغَيْبتِهِ وَرَجعَتِهِ[1] . ورَوى أخبارَ الثُّوَّارِ من المُبَيِّضةِ والمُحَمِّرَةِ ، ونبَّهَ على أنهم كانوا من الخُرَّمية[2] .

وفي الفصل في المِلَلِ والأهْوَاءِ والنِّحَلِ لابن حَزْمٍ المتوفّى سنةَ ستٍ وخمسينَ وأربعمائةٍ عَرْضٌ لنَظريَّة بني العباس في الإمامة وَورَاثَةِ الخلافةِ ، وإيضاحٌ عن فَسادِهَا ، لِمَا فيها من مُجافاةٍ لمبادئ الاسلام ، ومُنافاةٍ لتعاليمِ سائرِ الأدْيان ، فإنَّهُ لو صَحَّتْ ورَاثَةُ العباسِ بن عبد المُطَّلب للرسول ، لكانت في المال والعقار ، لا في المَنْصِبِ والمَرْتَبَة[3] .

وفي المِلَلِ والنِّحَلِ للشَّهْرستانيِّ المتوفّي سنةَ ثمانٍ وأرْبعينَ وخمسمائةٍ كلُّ ما جاء في مَقالاتِ الإسْلاميين وفي الفَرْق بينَ الفِرَقِ عن الهاشميَّةِ والرَّاونديَّةِ ، وأصْلِ رَأْيِهم في الإمامةِ أثناء الدَّعْوَةِ العباسية ، وما طرأَ عليه من تَبْديلٍ بعدَ قيام الدَّوْلَةِ[4] . وفيه كلُّ ما جاء فيهما عن الرِّزاميَّةِ والمُسْلميَّةِ ، وأنَّ المُبَيِّضَةَ كانوا من الخُرَّميَّة[5] . ولكن الشَّهْرستانيَّ أضافَ إليه أنَّ أبا مسلمٍ كان في أولِ الأمْرِ من الكَيْسَانيَّة ، وأنه كان

---

(١) الفرق بين الفرق ص : ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ص : ١٣٨ ، ١٥٥ — ١٥٦ ، ١٦٠ — ١٦١ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ : ٩١ .

(٤) الملل والنحل ١ : ١٣٤ .

(٥) الملل والنحل ١ : ١٣٦ — ١٣٧ .

يميلُ إلى الإمامِ جَعْفر بن محمدٍ الصادق ، فلما أَبَى أنْ يَدْعُو إليه ، تَحوَّلَ إلى بني العباس [1] .

(١) الملل والنحل ١ : ١٣٧ .

(٨) كُتُبُ الحَديث

ومن المصادرِ المُهِمَّةِ كُتُبُ الحديثِ، وهي تَتَضَمَّنُ معلوماتٍ نَفيسَةً عن المَهْدِيِّ وأنْصَارِهِ، ونُشُوءِ هذه العقيدةِ وشُيُوعها، وتعلُّقِ الناس بها، واعتمادِ الأحزابِ السياسيَّةِ عليها، واستِغْلالِ العباسيينَ لها في المَرْحلةِ السريَّةِ من الدَّعْوَةِ، ومُنَافَسَتِهم لِلْعَلويِّينَ فيها بعدَ قيامِ الدَّوْلَةِ. وهي من أغْنَى المصادرِ بقَصَصِ الدَّعْوَةِ العباسيَّة.

وقد أعْرَضَ البخاريُّ المتوفّي سنةَ ستٍ وخمسينَ ومائتين، ومُسْلِمٌ المُتوفَّى سنة إحدَى وستين ومائتينِ عن أحَاديثِ المَهْدِيِّ وأنْصَارِهِ، فلم يَرْوِيَاها، لأنها لم تَثْبُتْ عندَهما، فليس في باب الفِتَنِ في صحيحِ البخاري(١) ولا في باب الفِتَنِ وأشْرَاطِ السَّاعةِ في صحيحِ مُسْلمٍ(٢) شيءٌ منها، ولكنَّ مُسْلِماً رَوَى حديثاً عن ظُهورِ خليفةٍ في آخرِ الزَّمانِ يُعْطي المالَ بغيرِ حسابٍ(٣)، ولم يَرِدْ في رواياته المختلفةِ لَفْظُ السَّفاح.

وفي مُسْنَدِ أحْمَدَ بن حَنْبلٍ المتوفّي سنةَ إحدَى وأربعينَ ومائتين أوَّلُ تَخْريجٍ لأحاديثِ المَهْدِيِّ وأنْصَارِهِ، وكانَ ابنُ حَنْبلٍ دونَ البخاريِّ ومُسْلمٍ في التَّوثُّقِ من

---

(١) صحيح البخاري ٩: ٤٦— ٦١.

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٠٧ — ٢٢٧١.

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٥.

صِحَّةِ الأحاديثِ وصِدْقِها ، والتَّأَنِّي في ضَبْطِهَا وتَدْقيقِها . وقد رَوَى حديثاً عن ظُهورِ المَهْدِيِّ مِنَ الأُمَّةِ عامةً(١) ، وروَى حديثاً عن ظُهورِهِ من أهْلِ البَيْتِ خاصةً(٢) ، وروَى حديثاً عن كَرَمِهِ وسخائِهِ(٣) ، ورَوَى حديثاً عن أَنْصَارِهِ ، وأنهم أصحابُ الرَّاياتِ السُّودِ من أهْلِ خراسان(٤) .

وفي سُنَنِ أبي داودَ المتوفّي سنةَ خمسٍ وسبعين ومائتين كتابٌ عن المَهْدِيِّ(٥) ، فيه حديثٌ عن خُرُوجِ المَهْدِيِّ من أهْلِ البَيْتِ(٦) ، وفيه حَدِيثٌ عن خُروجِهِ من العَلَوِيِّينَ من وَلَدِ فاطمة(٧) ، وفيه حَديثٌ عن اسمِهِ واسمِ أبيهِ ، وأنَّهما يُطابقان اسمَ النبيِّ واسمَ أبيه(٨) ، وفيه حديثٌ عن أنْصارِهِ ، وأنهم أصْحَابُ الرَّاياتِ السُّودِ من أهْلِ المَشْرِقِ(٩) ، وفيه حديثٌ عن خِلافٍ ينْشَبُ بين أهْلِ المدينةِ وأهْلِ الشام ، وأنَّ قائدَ أهْلِ المدينةِ يَقْهَرُ أهْلَ الشام من كَلْبٍ ويَهْزِمُهم ، ويمحَقُ باطِلَهم ، ويَعْمَلُ بالسُّنَّةِ ، ويقيمُ العَدْلَ(١٠) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٢١ ، ٢٧ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٨٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٣٧ ، ٥٢ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٢٧٧ .

(٥) سنن أبي داود ٤ : ٤٧١ — ٤٧٧ .

(٦) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٧) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٤ .

(٨) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٥ .

(٩) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٧ .

(١٠) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٥ .

وفي كتاب الفِتَنِ في سُنَنِ ابن ماجةَ[١] المتوفّي سنةَ خمسٍ وسبعينَ ومائتين بابٌ عن خُرُوجِ المَهْدِيِّ[٢] ، فيه جميعُ أحاديثِ المَهْدِيِّ التي رَوَاها أبو داودَ ، وفيه أحاديثُ جديدةٌ عن أصحابِ الرَّاياتِ السُّودِ ، الذين يُقْبِلُونَ من المَشْرِقِ ، فَيُقاتِلُونَ فَيَنْصَرون ، ويُسَلِّمونَ الأمْرَ إلى المَهْدِيِّ[٣] .

وفي كتابِ الفِتَنِ في سُنَنِ التِّرْمِذيِّ[٤] المتوفّي سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومائتين أكثر أحاديثِ المهْدِيِّ ، ولا سيَّما ما يَتَّصِلُ منها بنَسَبِهِ ، وأنه من أهْلِ البَيْتِ ، وأنَّ اسمَهُ يُواطِئُ اسمَ النَّبيِّ[٥] ، وأنه جوادٌ مِعْطَاءٌ[٦] .

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٢٩٥ — ١٣٦٨ .

(٢) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٦ — ١٣٦٨ .

(٣) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ .

(٤) سنن الترمذي ٤ : ٤٦١ — ٥٣١ ، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٩ : ٢ — ١٢٢ .

(٥) سنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ ، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٩ : ٧٤ .

(٦) سنن الترمذي ٤ : ٥٠٦ ، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٩ : ٧٥ .

(٩) كُتُبُ الأدَبِ

ومن المصادرِ المُهِمَّةِ كُتُبُ الادب ، وهي تَحتَوي على أخبارٍ مُتَنَوِّعَةٍ عن خراسانَ في عَصْرِ بني أميةَ ، وتَحتَوي على مَعْلُوماتٍ مختلفةٍ عن الدَّعْوَةِ العباسيَّةِ.

في نقائض جريرٍ والفرزدق لأبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن المُثَنَّى المتوفّي سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتينِ أخبارٌ طريفةٌ عن عَدَدِ العرب ورؤساء الأخماسِ بخراسان(٧) ، وفيه أخبارٌ وأشعارٌ عما استُطارَ بينَ اليمانيةِ والمُضَريَّةِ منهم من عَصَبيةٍ قبليةٍ ، وخُصومةٍ سياسيةٍ(٨) .

وفي المُحَبَّرِ لابن حَبيبٍ البغداديِّ المتوفّي سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومائتين جريدةٌ بأسماء نُقَبَاء بني العباس(٩) .

وفي البيان والتّبيين ، والحيوان للجاحظِ المتوفّي سنةَ خمسٍ وخمسينَ ومائتين أخبارٌ وأشعارٌ ونُصوصٌ وروايات مُتفرِّقَةٌ عن الدولةِ الأمويَّةِ والدولةِ العباسيَّةِ ، ومبادئ كُلٍّ منها في الحُكْمِ ، ومُعاملتها للعَرب والموالي ، ومَوْقفها من أهلِ خراسان(١٠) .

وفي رسائلِ الجاحظِ خاصةً معلوماتٌ دقيقةٌ عن الدَّعْوَةِ العباسيَّةِ والجماعاتِ التي أيّدتها ، ورَأْيِ أهْلِهَا في الإمامةِ بعدَ قيامِ الدَّوْلَةِ. في رسالةِ مناقبِ التُّرْك(١١) ذكرَ

---

(١) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٣٦٨.

(٢) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٣٥٠ — ٣٧٠.

(٣) المحبر ص : ٤٦٥.

(٤) انظر على سبيل المثال البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ — ٢٢٥ ، والحيوان ٧ : ٨٣.

(٥) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٥ — ٨٦.

لنقباءِ بني العباس من العربِ والموالي ، وفيها تَصْويرٌ بديعٌ لتنافُسِ العربِ والموالي والخراسانيِّينَ والأَتْرَاكِ والأبناءِ في نُصْرةِ الدَّعْوَةِ العباسيَّةِ ، وتَفاخُرِهم بحُسْنِ الغَناءِ فيها ، وقُوَّةِ البلَاءِ عنها ، وشدَّةِ الوفَاءِ لها ، وعِظَمِ المكانةِ في دَوْلتِها ، وكِبَرِ المَنْزِلة عندَ خُلفائهَا ، واحْتجاجِ كُلٍّ فريقٍ منهم لنَفْسِهِ ، وإدْلَائِهِ بالشواهدِ الدَّالةِ على فَضْلِهِ وأَثَرِهِ ، واستِعلَائِهِ على غيرِهِ ، ومُجَادَلَتِهِ له في ذلك مجادلةً طويلةً في نهايةِ المائةِ الثانيةِ وبدايةِ المائةِ الثالثةِ.

وفي رسالةِ بني أُميَّةَ (١) ، ورسالةِ فَضْلِ هاشمٍ على عبدِ شَمْسٍ (٢) ، ورسالةِ استِحْقاقِ الإمامةِ (٣) ، ورسالةِ العباسيَّةِ (٤) عَرْضٌ جامعٌ لنظريَّةِ العباسيِّينَ في الإمامةِ والخلافةِ ، ودفاعٌ رائعٌ عن حَقِّهم في المُلْكِ وَوِلَايةِ أَمْرِ المسلمين ، وأساسُ ذلك عندَهُ أنهم أبناءُ عمِّ الرَّسولِ ، فهم أقْربُ الناس إليه ، وأَوْلَاهُم بوراثَتِهِ.

وفي المعارفِ لابنِ قتيبةَ المتوفَّي سنةَ ستٍ وسبعينَ ومائتين أخبارٌ مُوجزةٌ عن بني العباس ودَعْوَتِهم ودُعَاتِهم ودَوْلَتِهم (٥) .

وفي الكاملِ لأبي العباس المُبَرِّد المتوفَّي سنةَ خمسٍ وثمانينَ ومائتين أخْبارٌ عن نَشاطِ علي بن عبد الله بن العباس السياسيِّ ، ومَوْقفِ الخلفاء الأمويِّينَ منه ، وتَضْييقِ الوليدِ بن عبد الملك عليه ، وضَرْبِهِ له ، وتَشْهيرِهِ به (٦) .

---

(١) رسائل الجاحظ ، للسّندوبي ص : ٢٩٢ — ٣٠٠.

(٢) رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٦٧ — ١١٦.

(٣) رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٢٤١ — ٢٥٩.

(٤) رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٣٠٠ — ٣٠٣.

(٥) المعارف ص : ٣٧٠ — ٣٧٩.

(٦) الكامل ٢ : ٢١٧ — ٢٢١.

وفي العِقْدِ الفَرِيد لابن عَبْدِ رَبِّهِ المتوفّي سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وثلاثمائةٍ فَصْلَانِ عن الدَّعْوَةِ العباسيَّةِ ، أمَّا أوَّلُها فهو تلخيصٌ لتاريخ الدَّعْوَةِ العباسيةِ وتطوُّرِهَا وقيام دَوْلَتِها ، وهو مُنتَخباتٌ من الرِّواياتِ والقَصَصِ[1]. وأمَّا ثانيها فهو مختاراتٌ من أخبارِ عبد الله بن العباس ، وعلي بن عبد الله بن العباس ، ومحمد بن عليٍّ ، وأكثرُهَا مَنْقُولٌ عن مَصَادِرِ شيعيَّةٍ وعبَّاسيَّةٍ[2].

وفي شَرْحِ نَهْجِ البلاغةِ لابن أبي الحديد المتوفّي سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستمائةٍ أخبارٌ عن نَشْأَةِ الدَّعوةِ العبَّاسيةِ وصِلَتها بِفِرْقَةِ الهاشميَّةِ من الكَيْسَانيَّةِ ، وفيهِ شيءٌ من قَصَصِهَا ، وفيه أخبارٌ عن بني العباس وأمانيِّهم ومَسَاعيهم السياسيَّةِ ، ومُعاملة الخلفاء الأمويِّينَ لهم ، وفيه أخبارٌ عن جُهودِ بعضِ دُعاتهم ، وابتداء دَوْلتهم ، وفيه أخبارٌ وأشعارٌ وفيرةٌ عن قَتْلِ العباسيِّينَ للأمويِّينَ ، بل هو من أغْنَى مصادِرِهَا وأوْفَاهَا[3].

وقد أخَذَ ابنُ ابي الحديد الأخبارَ والأشعارَ عن مَصادِرَ مختلفةٍ ، ولكنَّهُ عوَّلَ على المصادرِ الشِّيعيَّةِ تَعْويلاً كبيراً ، ونَقَلَ عنها نَقْلاً كثيراً . وفي قليلٍ من الأخبارِ التي اختارَهَا واقْتَصرَ عليها تَخْليطٌ شديدٌ ، وتَوْليدٌ بَيِّنٌ ، وربما كان له يَدٌ في ذلك ، فهو يتزيَّدُ في أخبارِ قَتْلِ العباسيِّينَ للأُمويِّينَ ، ويَمُدُّ فيها ، ومقارنةُ نُصوصِهَا عندَهُ بأُصُولِهَا في المصادرِ التي اسْتَقاهَا منها تكشفُ عن تَزَيُّدِهِ ومَدِّهِ فيها . وهو يُنَقِّبُ عن الرِّواياتِ الشيعيَّةِ ويَسْتَقْصِيها ، ويُظْهِرُ مُيُولَهُ العَلَويَّةَ ولا يُخْفيها .

---

(١) العقد الفريد ٤ : ٤٧٥ — ٤٨٧ .

(٢) العقد الفريد ٥ : ١٠٣ — ١١٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١ — ١٦٤ .

(١٠) الدَّواوينُ والحماساتُ

ومن المصادرِ المُهمَّةِ أيضاً الدَّواوينُ والحماساتُ، وهي تَشتَمِلُ على أشعارٍ عن النِّزاعِ بينَ العربِ بخراسانَ في العَصْرِ الأمويّ، وتَشتَمِلُ على أشعارٍ عن عَقيدةِ المَهْدِيِّ في القَرْنَينِ الأوّلِ والثاني. وهي أشعارٌ لها قيمةٌ عظيمةٌ، لأنها شواهدُ مُعاصرةٌ للأحْدَاثِ.

في ديوانِ كُثَيِّرِ بن عبد الرحمنِ الخزاعيِّ المتوفّي سنةَ خمسٍ ومائةٍ، وفي ديوان الطِّرماحِ بن حكيمٍ الطائيِّ المتوفّي حَوَالَيْ سنة خمسٍ ومائةٍ، وفي ديوانِ جرير ابن عطيةَ الخَطفيِّ المتوفّي سنةَ أربعَ عشرةَ ومائةٍ، وفي ديوان الفَرَزْدَقِ التميميِّ المتوفّي سنةَ أربعَ عشرةَ ومائةٍ، وفي ديوانِ بشار بن بُرْدٍ المتوفّي سنة ثمانٍ وستين ومائةٍ، وفي شِعْرِ الحسين بن مُطيرٍ الأسَديِّ المتوفّي سنةَ سبعينَ ومائةٍ، وفي ديوان السيِّد الحِمْيَريِّ المتوفّي سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ ومائةٍ، وفي شعرِ مروانَ بن أبي حَفْصةَ المتوفّي سنةَ اثنتين وثمانين ومائةٍ قَصائدُ ومَقْطُوعاتٌ عن المنافسةِ السياسيةِ بين القبائلِ العربيةِ من المُضَريَّةِ واليمانيَّةِ والرَّبعيةِ بخراسانَ في عَصْرِ بني أميَّة[١]، وفيها أبياتٌ عن عقيدة المهْدِيِّ ورُسُوخِهَا وذُيوعِها في الناسِ منذ النِّصفِ الثاني من القَرْنِ الأوّلِ، وكثرةِ ألقابِ أصْحَابِهَا ومُنْتَحليها كالمَهْدِيِّ والسُّفيانيِّ والقَحْطانيِّ والقائمِ والنَّاصر

(١) انظر على سبيل المثال ديوان الطرماح ص: ٢٤٨، وديوان الفرزدق ١: ٣٥١.

والمنصورِ ، واستِغلالِ الأمويِّينَ واليمانيِّينَ والعلويِّينَ والعباسيِّينَ لها في الدَّعوةِ إلى أنفُسِهِم ، واستِهواءِ الناسِ واستِمالَتِهم إليهم [1] .

وفي حماسةِ أبي تمامٍ المتوفّي سنةَ إحدَى وثلاثين ومائتين ، وفي حماسة البحتريّ المتوفّي سنةَ أربعٍ وثمانينَ ومائتين ، وفي الحماسةِ الشَّجريَّةِ لابن الشجريِّ المتوفّي سنةَ اثنتينِ وأربعينَ وخمسمائةٍ ، وفي الحماسةِ البَصْريَّةِ للبَصْريِّ المتوفّي سنةَ تسعٍ وخمسينَ وستمائةٍ مختاراتٌ كثيرةٌ لشعراء من أهلِ خراسانَ تَدُلُّ على أحْوالهم الاجتماعية والسياسيَّة في أيَّامِ بني أُميَّةَ [2] .

---

(١) ديوان كثير ص : ٣٤٢ ، وديوان جرير ١ : ١٤٨ ، ٢٢٥ ، ٤١٦ ، ٤٧١ ، وديوان الفرزدق ١ : ١٢ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٣٠١ ، ٣٤٦ ، ٢ : ١٧ ، وديوان بشار ١ : ٣٢٧ ، ٢ : ٢٨٦ ، ٣ : ٧٣ ، ١٩٩ ، وشعر الحسين بن مطير ص : ٤٥ ، وديوان السيد الحميري ص : ٤٠٦ ، وشعر مروان بن أبي حفصة ص : ١٠٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ٢ : ٩٥٢ ، وحماسة البحتري ص : ٨٠ ، ١٥٢ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، والحماسة الشجرية ١ : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣٣٠ ، والحماسة البصرية ١ : ٢٠ ، ١٠٧ ، ٢ : ٣٨ ، ٥٥ ، ٧٠ .

الفصل الأول

«العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلب»

(١) مكانَتُهُ في الجاهلية

يَنْتَسِبُ العباسيُّونَ إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيِّ المتوفي سنة اثنتين وثلاثين[١] . وهو عَمُّ الرسول الكريم ، وكان أَسَنَّ من الرسول بثلاث سنين[٢] . وكان أكبَرَ رجال بني هاشمٍ مكانةً ، وأكثرهم مالاً في الجاهلية[٣] ، فَقَلَّدوه قيادتهم ، فكان رئيسهم المُطَّاعَ فيهم ، والمُتَولِّي لأمورهم[٤] . وكانت إليه السِّقايةُ والرِّفادَةُ وعمارة المسجد الحرام[٥] ، فإنه كان لا

---

(١) انظر ترجمته في نسب قريش ص : ١٨ ، وطبقات خليفة بن خياط ص : ١٠ ، وتاريخ خليفة بن خياط ص : ١٧٩ ، وطبقات ابن سعد ٤ : ٥ ، والتاريخ الكبير ٤ : ١ : ٢ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٣٠٧ ، والجرح والتعديل ٣ : ١ : ٢١٠ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١ ، والاستيعاب ص : ٨١٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٢٩، وأسد الغابة ٣ : ١٠٩ ، والكامل في التاريخ ٣ : ١٣٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٧ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٦١ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ١٢٢ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٩٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٨٩ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٨.

(٢) المغازي للواقدي ١ : ٧٠ ، وطبقات ابن سعد ٤ : ٥ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٣٠٧ ، والاستيعاب ص : ٨١٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٠ ، وأسد الغابة ٣ : ١٠٩ ، والكامل في التاريخ ٣ : ١٣٦ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٦١ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٤ : ٣٢.

(٥) طبقات ابن سعد ٤ : ١٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٥ ، والاستيعاب ص : ٨١١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣١ ، وأسد الغابة ٣ : ١٠٩ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٧ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ١٢٣ .

يَدَعُ أحداً يسُبُّ في المسجد ولا يقول فيه هُجْراً ، يَحْمِلُهم على عمارتِهِ في الخَيْرِ ، لا يستطيعون لذلك امتناعاً ، لأَنَّ مَلَأَ قريشٍ [1] كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك ، فكانوا له أعواناً عليه ، وأسْلَمُوا ذلك إليه [2] .

---

(١) ملأ قريش : أشرافهم ووجوههم ورؤساؤهم ومُقَدَّموهم الذين يُرْجَعُ الى قولهم .

(٢) الاستيعاب ص : ٨١١ ، وأسد الغابة ٣ : ١٠٩ . وانظر تفسير ابن جرير الطبري لقوله تعالى : «أَجَعَلْتُمْ سقاية الحاج وعمارة المسجدِ الحرام كمن آمَنَ باللهِ واليوم الآخر وجَاهَدَ في سبيل الله لا يَستَوون عند اللهِ واللهُ لا يَهدي القوم الظالمين» (التوبة : ١٩) ، (تفسير الطبري ١٠ : ٦٧ — ٦٨) .

(٢) تاريخ إسْلامه

وأكثرُ الرِّواياتِ على أنه أسْلَمَ بعد بدْرٍ ، إذ كان يَهابُ قومَهُ ، ويكْرَهُ خلافَهم ، وكان له مالٌ مُتفرِّقٌ في قريشٍ ، وكان يُحَامي على مَكْرُمته ومَكرمة بني عبد المطلب من السِّقاية والرِّفادة ، ويخاف خُروجَها من يده ، فشهدَ بَدْراً مع المشركين مُكْرَهاً ، وأُسِرَ فَفَدَى نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخَوَيْهِ أبي طالب والحارث من ماله ، ورجع إلى مكة ، فكان يكتب إلى الرسول بخَبَرِ المشركين ، فكتب إليه بخبرهم وما أعَدُّوا له يوم أُحُد ، وحَذَّرَهُ إياهم لكي لا يُصيبُوا غِرَّتَهُ. ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد فَتْحَ مكة [١] ، وغزوة حُنَيْن والطائف وتَبوك ، وثَبَتَ مع الرسول يوم حُنَيْن في أهْلِ بيته حين انكشفَ عنه الناس [٢] .

ورجَّحَ ابن عبد البر أن العباس أسلم قبل فتح خَيْبر ، أي في السنة السابعة من الهجرة ، ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة [٣] ، أي في السنة الثامنة من الهجرة ، وكان قبل إسلامه يَنْصُرُ الرسول ، فقد حَضَرَ معه العقبة يشترط له على الأوس والخزرج ،

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ١٤ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٢ ، والاستيعاب ص : ٨١٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٨ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ١٢٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ١٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٦ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٦١ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ .

(٣) الاستيعاب ص: ٨١٢ ، وانظر الإصابة ٢ : ٢٧١ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٦١ .

ويُؤكِّدُ له البيعة عليهم منَعةً للْحَسبِ والشَّرف (١) ، وكان يسرُّه ما يَفْتَحُ الله على المسلمين ، وذلك بيِّنٌ في مَوْقفه من فَتْحِ خَيْبر ، وفَرْحَتِهِ بظَفَر الرسول وعودته سالماً غانماً (٢) .

ولكن الروايات العباسية تشير إلى أنه أسلم قبل بَدْرٍ ، قال عبد الله ابن عباس (٣) : «أسلم العباس بمكة قبل بَدْرٍ ، وأسلمت أم الفَضْلِ معه حينئذٍ ، وكان مقامه بمكة أنه لا يُغَنّي (٤) على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمكة خبراً يكون إلاّ كتب به إليه ، وكانَ من هناك من المؤمنين يتقوَّوْنَ به ويصيرون إليه ، وكان لهم عَوْناً على إسلامهم . ولقد كان يطلب أن يقدم على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله ، عليه السلام : إنَّ مقامَكَ مجاهداً حَسَنٌ ، فأقام بأمر رسول الله» .

وشبيهٌ بذلك ما رواهُ أبو رافع عن إسلام العباس (٥) ، وكانَ غلاماً له . ولو كان العباس مُسْلِماً قبل بَدْرٍ لما أُسِرَ ولا فُودِيَ (٦) . وقد قال له الرسول حين أُسِرَ وانْتُهِيَ به إلى المدينة (٧) : «يا عباس ، أفْدِ نَفْسَكَ ، ... ، قال : يا رسول الله ، إني كنتُ

(١) السيرة النبوية ٢ : ٤٩ ، وطبقات ابن سعد ٤ : ٧ ، والاستيعاب ص : ٨١٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٧ ، وأسد الغابة ٣ : ١٠٩ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ .

(٢) المغازي ، للواقدي ٢ : ٧٠٥ ، والسيرة النبوية ٣ : ٣٠١ ، وطبقات ابن سعد ٤ : ١٧ — ١٨ ، والاستيعاب ص : ٨١٢ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٢٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤ : ٣١ ، والاستيعاب ص : ٨١٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٢ ، وأسد الغابة ٣ : ١١٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٨ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ١٢٢ .

(٤) يُغَنّي : يُخْفي .

(٥) طبقات ابن سعد ٤ : ١٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٢ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ١٢٣ .

(٦) تهذيب التهذيب ٥ : ١٢٣ ، وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٢ .

(٧) طبقات ابن سعد ٤ : ١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٣ .

مُسْلماً ، ولكن القوم اسْتكْرَهُوني . قال : الله أعْلَمُ بإسلامك ، إنْ يَكُ ما تذكرُ حقاً فالله يَجْزيك به ، فأما ظاهرُ أمْرِكَ فقد كان علينا ، فافْدِ نَفسَك ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد أخَذَ منه عشرين أوقيةً من ذهب ، فقال العباس : يا رسول الله ، احْسِبْهَا لي من فِدَاي . قال : لا ، ذاك شيءٌ أعطَاناهُ الله منك » . وكان الرسول قد أمر أصحابه بالإبقاء على حياة العباس يوم بَدْرٍ ، لأنه سار مع المشركين مُرْغماً مضطراً ، لا راغباً مُخْتاراً ، فقال لهم [1] : « مَنْ لقي العباسَ بن عبد المطلب ، عَمَّ النَّبي ، فلا يَقْتُلْهُ ، فإنما أُخرِجَ مُستكرهاً » .

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ١١ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٣ ، وأسد الغابة ٣ : ١١٠ .

(٣) مكانَتُهُ في الإسْلَام

وكان الرسول يكرمُ العباسَ بعد إسلامه ويُعَظِّمُهُ ويُجِلُّهُ ويقول : هذا عَمِّي وصِنْوُ أبي[١] ويبدو أنَّ العباس كان يَوَدُّ أنْ يَلِيَ بعض الولايات ، وكان يُراجعُ الرسول في ذلك ، فكان يَرُدُّهُ وينْهَاهُ ، قال محمد بن المُكَنْدر التيمي[٢] : «قال العباس : يا رسول الله ، ألا تُؤَمِّرني على إمارة ؟ فقال : نَفْسٌ تُنْجيهَا خيْرٌ من إمارةٍ لا تُحْصيهَا» . وفي بعض الروايات أن علي بن أبي طالب كان يَدْفَعُهُ إلى مراجعة الرسول في ذلك ، قال أبو رزين الأسدي[٣] : قال علي : «قلتُ للعباس : سَلِ النبي صلى الله عليه وسلم ، يستعملكَ على الصَّدقة . فسأله ، فقال : ما كنت لأَسْتَعْمِلَكَ على غُسالةِ ذُنوب الناس»، وقال[٤] : «قال علي : قلت للعباس : سَلْ لنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الحجابة . قال : فسأله فقال صلى الله عليه وسلم : أعطيكم ما هو خيرٌ لكم منها ، السِّقايةُ بروائكم[٥] ، ولا تُرْزَوا بها» .

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، والاستيعاب ص : ٨١٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، وأسد الغابة ٣ : ١١٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٨ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٦١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٥ وانظر تفسير الطبري ١٠ : ٦٨ .

(٥) الرواء : الماء الغزير الذي يُرْوي من برده .

وفي بعضِ الرِّوايات أنَّ العباس كان يَطْمَعُ في أنْ يجعلَ الرسولُ الخلافة لبني هاشمٍ ، أو أنْ يأمرُ الناس بتَبْجيلهم والانصياع لهم إنْ أخرجَ الخلافةَ منهم ، قال أبو ليلى الأنصاري [1] : «سمعت علياً بالكوفة يقول : يا ليتني كنتُ أطَعْتُ عباساً ، قال العباس : اذهب بنا إلى رسول الله ، فإنْ كان هذا الأمرُ فينا وإلاَّ أوْصَى بنا الناس . قال : فأتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فسمعوه يقول : لعنَ اللهُ اليهود ، اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مساجد ! قال : فخرجوا من عنده ، ولم يقولوا له شيئاً» .

وكان للعباس منزلةٌ رفيعةٌ في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ، وكان الصحابة يُقَدِّرونه ويَقْبلونَ قَوْلَهُ ويَرْضَوْنَ حُكْمَهُ ، وينْقادُونَ له ، ويَسْتَبْشرون به ، قال محمد بن مسلم الزهري [2] : «كان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَعْرِفُونَ للعباس فَضْلَهُ ، ويُقَدِّمونه ويشاورونه ويأخذون برأْيِهِ ، واستَسْقَى به عمر فَسُقي [3] » . وكان عمر بن الخطاب يُعَوِّلُ على حُنكته وبصيرته ويَسْتَنْصِحُهُ ويُفَاوِضُهُ في الأمور ، ويُشْرِكُهُ فيها ، ويُصَوِّبُ اجتهاده ، ويعتدُّ به ، «وكان الذي ينتقدُ له الرأي إذا عُرِضَ عليه [4] » . وكان يُلازمُهُ ولا يكادُ يُفارقه في حَلِّهِ وتَرْحالِهِ ، وقد صَحِبَهُ حينَ خَرَجَ إلى بلاد الشام [5] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٨ ، وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٦٤ .

(٢) الاستيعاب ص : ٨١٦ ، وأسد الغابة ٣ : ١١١ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٨ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ .

(٣) انظر استسقاء عمر به في عام الرمادة في طبقات ابن سعد ٤ : ٢٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧ ، ٨ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٩٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤١ ، ٢٤٨ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٥٥٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ١٢٣ .

(٥) تاريخ الطبري ٤ : ٥٧ ، ٦٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٢٩ .

وعندما دوَّنَ عمرُ الديوان فَرَضَ له خمسة آلاف درهم[1] ، وقيل : فَرَضَ له سبعة آلاف[2] ، وقيل : اثني عشر ألفاً[3] أو خمسةً وعشرين ألفاً[4] . وفي أكثر الروايات أنه فَرَضَ له خمسة آلاف ، كفرائض أهل بَدْرٍ ، لقرابته برسول الله ، فألحقه بفرائض أهل بَدْرٍ ، ولم يُفَضِّلْ أحداً على أهل بَدْرٍ ، إلاَّ أزواج النبي ، فإنه فَرَضَ لكل امرأةٍ منهن اثني عشرَ ألف درهم[5] .

وأبْعَدَ عمرُ العباس عن الولاية والإمامة اهتداءً بموقف الرسول وموقف أبي بكر منه ، وخوفاً من أَنْ يستأثر بنو هاشم بالنبوة والخلافة معاً ، فيَشْمَخُوا بأُنوفِهِم عِزّاً وتكبراً ، ويَتَعَصَّبُوا لأَنفسِهِم ، ويَسْتَعْلُوا على الناس ، فَيُفَرِّقُوا جماعتهم ، قال عبد الله بن عباس[6] : «خرجت مع عمر في بعض أسْفارِهِ ، فَإنَّا لَنَسيرُ ليلةً ، وقد دَنَوْتُ منه ، إذ ضَرَبَ مُقَدَّمَ رحله بسوطه ، وقال[7] :

كَذَبْتُمْ وبَيْتِ الله يُقْتَلُ أحمدٌ ولَـمَّا نُطاعِنْ دُونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمُهُ حتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ونَذْهَلُ عَنْ أبنائنا والحَلائلِ

ثم قال : استَغْفِرُ اللهَ ! ثم سار فلم يتكلَّمْ قليلاً ، ثم قال[8] :

---

(1) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩٧ ، ٤ : ٢٩ ، وفتوح البلدان ص : ٤٥١.

(2) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩٧ ، ٤ : ٢٩ ، وفتوح البلدان ص : ٤٥١.

(3) تاريخ الطبري ٣ : ٦١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٥١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٥٠٣.

(4) تاريخ الطبري ٣ : ٦١٤ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٥٠٣.

(5) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩٧ ، ٤ : ٢٩ ، وفتوح البلدان ص : ٤٥١.

(6) تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٢ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٦٥.

(7) البيتان من قصيدةٍ لأبي طالب. (انظر ديوانه ص : ١١٠).

(8) البيتان من قصيدة لأنس بن زنيم الكناني. (انظر أسد الغابة ١ : ٩٠ ، والإصابة ١ : ٦٩).

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَـرَّ وأَوْفَى ذمـةً مِـنْ محمـدِ
وأكْسَى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابْتِذاله وأعْـطَى لـرأسِ السابـق المُتجرِّدِ

ثم قال : استَغْفِرُ الله ! يا ابن عباس ، ما منع علياً من الخروج معنا ؟ قلت : لا أدري . قال : يا ابن عباس ، أبوك عَمٌّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن عَمِّه ، فما مَنَعَ قومكم منكم ؟ قلت : لا أدري . قال : لكني أدْري ، يَكْرَهُون ولايتكم لهم ! قلت : لِمَ ، ونحن لهم كالخَيْرِ ؟ قال : اللهم غَفْراً ! يكرهون أن تَجْتمعَ فيكم النُّبوةُ والخلافةُ ، فيكون بجحاً بَجحاً ! لعلكم تقولون : إنَّ أبا بكرٍ فَعَلَ ذلك ! لا ، والله ، ولكن أبا بكرٍ أتى أحْزَم ما حضَره ، ولو جَعَلَها لكم ما نَفْعكم مع قرابتكم » !

(٤) ارْتباطُهُ بالطَّالبيين

ولم يكن العباسُ يَزكِّي نَفْسَهُ للخلافة ، بل كان يرى أنه أحد بني هاشم ، وكان مرتبطاً بأبناء أخيه أبي طالب ، حَفيظاً على صلته بهم . وكان يلوذُ بعلي بن أبي طالب خاصةً ، وينحازُ إليه ، ويُفَضِّلُهُ على نَفْسِهِ[١] ، ويسعى له في الخلافة ، حتى تستقر في بني هاشم ، ويكون فَوْزُهُ بها شرفاً لهم جميعاً ، فعندما توفي الرسول قال العباس لعلي[٢] : « ابْسُط يدك فَلْنُبايِعْكَ ، فقَبضَ يده » ، وتَخَلَّف عن بَيْعة أبي بكرٍ ، ومال مع علي[٣] ، وامتنع بنو هاشمٍ عن بيعته حتى بايعه علي بعد ستة أشهرٍ[٤] . ولم يزل يُرَشِّحُ علياً للخلافة ، ويحثُّهُ على التَّقدم إليها ، والمطالبة بها وهو يُخَالِفُهُ ، فضاق العباس به ، واتَّهمه بالتَّخاذل والتَّقصيرِ ، وخوَّفه خُروجَ الخلافة من بني هاشم ، قال عمرو بن ميمون الأودي . قال العباس لعليٍ حين نهاه عن الدخول في الشُّورَى بعد أن طُعِنَ عمر بن الخطاب فرفض[٥] : « لم أَرْفَعْكَ في شيء إلاَّ رجَعْتَ إليَّ مُسْتأخراً بما أَكْرَهُ ، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ تسأله فيمن هذا

---

(١) الأخبار الموفقيات ص : ٥٧٨ ، وشرح نهج البلاغة ٦ : ١٨ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٨ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٥ .

(٥) تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٠ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٦٧ .

الأمر؟ فأبيتَ ، وأشرتُ عليك بعد وفاته أنْ تُعاجِلَ الأمر فأبيتَ ، وأشرتُ عليك حين سَمَّاك عمر في الشورى ألّا تدخل معهم فأبيتَ. احفظْ عني واحدةً! كلما عَرَضَ عليك القوم فَقُلْ لا ، إلاّ أنْ يُوَلُّوك ، واحْذَرْ هؤلاء الرَّهْط ، فإنهم لا يَبْرَحُونَ يَدْفَعُوننا عن هذا الأمْرِ حتى يقوم لنا به غيرُنا ، وأيم الله ، لا تَنالُهُ إلاَّ بِشَرٍّ لا يَنْفَعُ معه خَيْرٌ»!

(٥) تضخيم العباسيين لشخصيته السياسية

ولكن علماء بني العباس ذكروا كثيراً من الأحاديث والأخبارِ في دُعاءِ الرسول للعباس ، وولده ، وحَفَدَته ، وشيعته ، وفي التَّبشيرِ بخلافةِ بني العباس ، وفي تاريخ ابتداء دَوْلتهم ، وفي تَسْمِية خُلفائهم ! ونَسبُوها إلى الثِّقات من الصحابةِ والتَّابعين ! وقد جَمَعها ابن عساكرٍ ، وساقها في ترجمة العباس بن عبد المُطَّلب [١] ، ثم نقل المؤرِّخون المتَأخِّرون كابن كثير [٢] ، والسيوطي [٣] بعضها عنه .

أما الأحاديث التي رواها علماء بني العباس في دُعاء الرسول للعباس ، وولده ، وحَفدته ، وشيعته فأكثر من أن تُحْصَى ، وقد أحاطَ ابنُ عساكرٍ بها ، ومنها حديثٌ أخرجه من طريق الخطيب البغدادي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله [٤] : «اللهم اغْفِرْ للعباس ، ولوَلدِ العباس ، ولمن أحبَّهم» ، وفي روايةٍ [٥] : «اللهم اغْفِرْ للعباس ، وولد العباس ، ولمُحِبِّي ولد العباس ، وشيعَتهم» ! !

قال علي بن حمزة الكسائي [٦] : «فحدَّثتُ به الرشيد فاستَحْسَنَهُ وقال : يا أبا

(١) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٦ — ٢٥٣ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ٥٠ — ٥١ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٩ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر٧ : ٢٣٩ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٣٩ .

الحسن ، كل يومٍ تجيئُنا بفائدة ، فدعا بدواةٍ وقرطاسٍ فكتبه بخطه وقال : ما سمعتُ قطُّ حديثاً أحْسَنَ من هذا ، وأمرَ لي بعشرةِ آلاف درهم» .

وكان الكسائي المتوفى سنة تسعٍ وثمانين ومائة أو قبلها بقليل[1] رَبيبَ بني العباس ، إذ كان مُؤدِّبَ الرشيد ، ثم كان مؤدِّبَ ولده من بعده [2] . وكان أثيراً عنده «حتى أخْرَجَهُ من طبقة المُؤدِّبين إلى طبقة الجُلساء والمُؤنسين[3]» .

وأما الأحاديث التي رواها علماء بني العباس في التَّبشير بخلافتهم فهي غزيرة مشهورةٌ ، ومنها حديثٌ أخْرَجَهُ ابن عساكر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله للعباس[4] : «فيكم النُّبوةُ والمَمْلَكَةُ» وأخرجَهُ من طريق الخطيب البغدادي عن عبد الله بن عباس بلفظٍ آخر ، قال : قال العباس[5] : يا رسول الله ، مَا لَنا في هذا الأمر؟ قال : لي النُّبُوَّةُ ، ولكم الخلافةُ ، بكم يُفْتَحُ هذا الأمْرُ ، وبكم يُخْتَمُ» . ورواه أيضاً من طريق الدار قطني عن عمَّار بن ياسر قال[6] : «بينما النبي صلّى الله

(١) انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٣ : ٢ : ٢٦٩ ، والمعارف ص : ٥٤٥ ، والجرح والتعديل ٣ : ١ : ١٨٢ ، ومراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي ص : ١٢٠ ، وطبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص : ١٢٧ ، والفهرست ص : ٤٤ ، وتاريخ بغداد ١١ : ٤٠٣ ، ونزهة الألباء ص : ١٦٧ ، ومعجم الأدباء ٥ : ١٨ ، وإنباه الرواة ، للقفطي ٢ : ٢٥٦ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٩٥ ، ونور القبس ص : ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٠١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٥٣٥ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣١٣ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٣٠ ، وبغية الوعاة ص : ٣٣٦ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢١ .

(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٠٢ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣١٣ ، وانظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص : ١٢٧ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٩٥ ، ونور القبس ص : ٢٨٥ ، وبغية الوعاة ص : ٣٣٦ .

(٣) معجم الأدباء ٥ : ١٨٣ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥١ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٦ ، وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٥٠ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ .

عليه وسلم راكبٌ إذ حانَتْ منه التفاتةٌ ، فإذا هو بالعباس ، فقال : يا عباس ، قال : لَبَّيْك ، قال : إن الله بدأ الإسلام بي ، وسيَخْتِمُهُ بغلامٍ من ولدك ، وهو الذي يُصَلّي بعيسى عليه السلام » . قال الدار قطني[1] : « تَفَرَّدَ به سعيد بن سليمان عن خلف بن خليفة عن مُغيرة » ، وقال أبو نعيم الأصبهاني [2] : « تَفَرَّدَ به لاهز بن جعفر [3] ، وهو حديث عزيز » .

وروى بنو العباس أنفسهم أنَّ الرسول نصَّ على أنَّ العباس هو وَليُّ الأمْرِ وإمامُ المسلمين بعده ، فقد أخرَجَ ابن عساكرٍ من طريق الخطيب البغدادي عن أبي جعفر المنصور عن أبيه عن جده عن النبي قال[4] : « العباس وَصِيِّي ووارثي » !

وروى علماؤهم من طريق العلويين أنَّ الرسول صَرَّحَ بأن الخلافة لبني العباس ، وأنَّ شعارَهم السَّواد ، وأنصارَهم أهلُ خراسان ، وأنهم يتداولون الخلافة إلى يوم القيامة ! ! فقد أسند ابن عساكر إلى علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله [5] : « هَبَطَ عليَّ جبريل وعليه قباء أسود وعمامة سوداء فقلت : ما هذه الصورة التي لم أرَكَ هَبَطتْ علي فيها قَطُّ ؟! قال : هذه صورة المُلوك من ولد العباس عَمِّك ! قلت : وهم على حق ؟

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ .

(٢) حلية الأولياء ١ : ٣١٥ .

(٣) لم أجد له ذكراً في المصادر التي وقفت عليها . وفي ميزان الاعتدال ٤ : ٣٥٦ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٣٦ : لاهز بن عبد الله التيمي ، بغدادي مجهول ، يُحَدِّث عن الثِّقات بالمناكير ، ويروي عنهم الأباطيل والموضوعات ! !

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٣ ، وانظر ص : ٢٥٣ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ .

قال جبريل : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للعباس ولولده حيث كانوا ، وأين كانوا. قال جبريل : ليأتينَّ على أُمَّتك زمانٌ يُعزُّ اللهُ الإسلام بهذا السواد. قلت : رئاستهم ممن؟ قال : من وَلَدِ العباس. قلت : وأتباعهم؟ قال : من أهل خراسان. قلت : وأيّ شيءٍ يملك وَلَدُ العباس؟ قال : يملكونَ الأصفرَ والأخضرَ ، والحجرَ والمَدَرَ ، والسريرَ والمنبرَ ، والدّنيا إلى المَحْشَر ، والملكَ إلى المَنْشَر» !

وقريبٌ منه حديثٌ رَفَعَهُ علماء بني العباس إلى الرسول من جهة أبي هريرة ، وهو حديث طويل يلومُ فيه الرسول علي بن أبي طالب على مخالفته للعباس في بعض الأمر ، ويشير فيه إلى أنَّ ذُرِّيَّةَ العباس هم الذين يلونَ أمر المسلمين ، ثم يثور عليهم حَفَدَةُ عليّ بن أبي طالبٍ ، ويعيثون في الأرض فساداً إلى حينٍ قصيرٍ ، فينصُرُ الله بني العباس عليهم ، ويستقيم لهم الملك ، ويظهر فيهم المهدي ، فيعملُ بالكتاب والسنة ، ويَعْدلُ بين المسلمين ، ويُؤَلِّفُ بين قلوبهم ، وتَتَّصِلُ الخلافةُ في ولدِهِ إلى آخر الزمان ! ! فقد أخرج ابن عساكرٍ بسنده إلى أبي هريرة قال[1] : «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، إلى عمه العباس وإلى علي بن أبي طالب فأتياه في منزل أم سلمة ، فنهاهما عن بعض الأمْرِ ، وأمرهما ببعض الأمر ، فاختلفا وامْتَريا حتى ارتفعت أصواتهما ، واشتد اختلافهما بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : يا علي ، مَه ، وأقبل عليه وقال : هل تدري لمن أغْلَظْتَ؟ أبي وعمي ، وبقيتي وأصْلي ، وعُنصري وبقية نَسْلِ آبائي ، خير أهل الجاهلية مَحْتِداً ، وأفضل أهل الإسلام نَفْساً وديناً بعدي ، مَنْ جهلَ حَقَّهُ فقد ضَيَّعَ حَقِّي ! أما علمت أن الله جَلَّ ذكره مُخرِجٌ من صُلْبِ عَمِّي العباس أوْلاداً يجعلُ اللهُ ولاةَ أمْرِ أمتي منهم ، يجعلهم خلفاء ملوكاً ناعمين ، ومنهم مَهْديُّ أمتي. يا علي ،

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٥ ، وانظر حلية الأولياء ١ : ٣١٦.

لست أنا ذَكَرْتُهُم ، ولكن الله هو الذي ذكرهم ، ورَفَعَ أصواتَهم ، فيخذل مَنْ ناوَأَهُم ، يجعل الله فيهم نوراً ساطعاً عبداً صالحاً مَهْدياً سيداً ، يبعثه حين فُرْقَةٍ من الأمر ، واختلاف شديدٍ ، فيحيي الله به كتابه وسُنَّتي ، ويُعِزُّ به الدين وأولياءه في الأرض ، يحبه الله في سمائه ، وملائكته وعباده الصالحون في شرق الأرض وغربها ، وذلك يا علي ، بعد اختلاف الأخوين من وَلَدِ العباس ، فيقتلُ أحدهما صاحِبَهُ ، ثم تقع الفتنة ، ويخرج قَوْمٌ من ولدِك يا علي ، فيفسدون عليهم البلدان ، ويعادونهم ويَفتَرونَ عليهم في قُطْرٍ[1] من الأرض ، فيكون ذلك أشْهراً أو تمامَ السنة ، ثم يَرُدُّ الله عزَّ وجلّ النعمةَ على ولد العباس ، فلا تزال فيهم حتى يخرج مَهْديٌّ أمتي فيهم ، شابٌّ حَدَثُ السنِّ ، فيجمعُ الله به الكلمة ويُحيي به الكتاب والسُّنة ، ويعيشُ في زمانِهِ كلُّ مؤمنٍ متمسكٍ بكتاب الله وسُنَّةِ نبيِّه ، يُنزِلُ اللهُ به رحمته ، ويُفَرِّجُ به كلّ كُرْبةٍ كانت في أمتي ، يحبه ساكن السماء وساكن الأرض ، فلا يزال ذلك فيه وفي نَسْلِهِ حتى ينزل عيسى بن مريم ، روح الله وكلمته ، فيقبضُ ذلك منهم » ! ! ويجري سائر الخبر على هذا النحو من تقديم العباس وتعظيمه ، وتقرير حق بنيه في الخلافة وتأكيده[2] !

وروى بنو العباس من جهة العلويين أنَّ الرسولَ أخبرَ علياً أن خلافته قصيرة ، وأن بني أمية يظلمون بني هاشم جميعاً ، ثم تؤولُ الخلافةُ إلى بني العباس ، وتبقى فيهم بتقدير الله وتوفيقه فينتصفون لأنفسهم ولأبناء عمومتهم ، فيقتلون مَنْ قَتَلَهم ، ويعاقبون مَن اعتدى عليهم ، قال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : حدثني أبو هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفية أنه سمع علياً يقول[3] : « دخل العباس على

---

(١) القطر : الجانب والناحية .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٦ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٦ .

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم ، وأنا عنده في بيت أمِّ سَلَمة ، وهو مُتَوسِّدٌ وسادةَ أدَمٍ محشوةً لِيفاً ، فألقاها إلى العباس وقال له : اجلس عليها ، قال : وأقبل عليه يُناجيه دوني بشيءٍ لم أسْمعه ، ثم نهض فخرج . فلما توارَى قال : يا عليّ ، هَوِّنْ على نفسك ، فليس لك في الأمر نصيبٌ بعدي إلاَّ نصيبٌ خَسيسٌ ! وإن هذا الأمر في هذا وفي ولده ، يأتيهم الأمر عَفواً عن غَيرِ جَهْدِ طلبٍ ، حتى تُدْرِكوا بثأركم ، وتَنتقِموا ممَّن أساءَ إليكم » !

وأما الأحاديث التي رواها علماء بني العباس في تاريخ ابتداء دولتهم فقليلة ، وأهمها حديث أخرجه ابن عساكر من طريق ابن شاهين عن عبد الله بن عباس عن أمِّ الفَضْلِ زوج العباس بن عبد المطلب[1] ، وهو يتعلق بمولد عبد الله بن عباس . وقد جاء فيه أنَّ الرسول « أَذَّنَ في أذنه اليمنى وأقامَ في أذنه اليسرى » ، ثم قال لأمه : « اذهبي بأبي الخُلَفاء » . وأَعلمت العباس بذلك ، فأتى الرسول فقال له : « ما شيء أخبرتني به أم الفضل عن مَوْلُودِنا هذا؟ قال : نعم ، يا عباس ، إذا كانت سنةُ ثلاثين[2] ومائة فهي لك ولِوَلَدِكَ ، منهم : السفاح ، ومنهم المنصور ، ومنهم المهديُّ » .

وأما الأحاديثُ التي رَووها في تَسميةِ خلفاءِ بني العباس فمعدودةٌ ، ومنها حديث أخرجَهُ أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي سعيدٍ الخُدْري ، قال : قال رسول الله

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، وانظر الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥ .

(٢) في الأصل : « إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة » ، وذلك مخالف لتاريخ إعلان الثورة العباسية ، وهو سنة ثلاثين ومائة . وقد روى مصنف أخبار الدولة العباسية أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال : « قال عبد الله بن العباس : إذا كانت سنة ثلاثين ومائة ، لم يظهر أحدٌ بالمشرق يرفع راية سوداء إلينا إلاَّ نُصِرَ » . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٩) .

صلى الله عليه وسلم[1] : «يخرجُ رَجُلٌ من أهل بيتي عند انقطاعٍ من الزمانِ وظهورٍ منَ الفِتَن ، يقال له : السفّاح ، فيكون إعطاؤُهُ المال حَثْياً» ! قال ابن كثير[2] : «هذا الحديث في إسناده عطية العَوْفيُّ ، وقد تكلَّمُوا فيه» . وقال ابن أبي حاتمٍ الرازيُّ[3] : «سمعتُ أبي وذكر عطية العوفيّ فقال : هو ضعيفُ الحديث» ، وقال[4] : «وكان الثوريُّ وهشيمٌ يُضَعِّفان حديثَ عطية» .

وأخرَجَ ابنُ عساكر من طريق القضاعيِّ عن أبي ميسرة مولى العباس بن عبد المطلب قال : سمعتُ العباس يقول[5] : «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذاتَ ليلةٍ ، فقال : انظر هل تَرَى في السماءِ من شيءٍ؟ قال : قلت : نعم ، فقال : ما تَرَى؟ فقلت : أرَى الثريا ، فقال : أما إنه يملكُ هذه الأُمَّةَ بِعَدَدِها من صُلبِكَ» !

وهذا الحديثُ مَرويٌّ من طريق عُبَيْد بن أبي قُرَّة عن الليثِ بن سعدٍ[6] ، قال البخاريُّ[7] : «عبيدٌ بغداديٌّ لا يُتابَعُ في حديثه في قصةِ العباس» . ورواه أحمد بن

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣١، وانظر صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٣ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٩ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣٠ ، ومقدمة ابن خلدون ص : ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٠ ، ٥٩ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ٥٩.

(٣) الجرح والتعديل ٣ : ١ : ٣٨٣.

(٤) الجرح والتعديل ٣ : ١ : ٣٨٣ ، وانظر ميزان الاعتدال ٣ : ٧٩ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٢٢٥ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٥١ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٢ ، ولسان الميزان ٤ : ١٢٢.

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥١ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٢ ، ولسان الميزان ٤ : ١٢٢.

(٧) التاريخ الكبير ٣ : ٢ : ٢ ، وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٢ ، ولسان الميزان ٤ : ١٢٢.

حنبل في مسنده عن عبيد وقال[1] : «هذا باطلٌ»، وقال ابن أبي حاتمٍ الرازيُّ[2] : «سمعت أبي يقول : «هذا حديث لم يَرْوِهِ إلاَّ عُبَيدُ بن أبي قُرَّة».

(١) ميزان الاعتدال ٣ : ٢٢، ولسان الميزان ٤ : ١٢٣.

(٢) لسان الميزان ٤ : ١٢٣.

(٦) تعقيبٌ ونَقدٌ

تلك هي أشهرُ الأحاديثِ والأخبارِ التي حُفِظَتْ في الاحتجاجِ لِحقِّ بني العباس في الخلافةِ، وهي أحاديث وأخبارٌ مُختَلِفةٌ ملفّقةٌ، صنَعَ علماءُ بني العباس أقلَّها في المرحلةِ السريةِ من دَعوَتِهم، وصَنَعُوا أكثرَها بعدَ قيامِ دَولَتِهم. وقد جَدَّ العلماءُ المُنافِقونَ المُتَمَلِّقُونَ في افتعالِها وَوَضْعِها لبني العباس بعد أن فازوا بالخلافةِ، واستَبَدُّوا بها، وأبعَدُوا أبناءَ عُمومَتِهم العَلويِّين عنها، فنازعوهم وحاربوهم[1]، فقتَلَ أبو جعفرٍ محمدَ بن عبد الله الحَسَنيَّ بالمدينة، وقتَلَ أخاهُ ابراهيم بالبصرةِ، وقَضَى على ثورةِ الحَسَنيِّينَ قضاءً مبرماً[2]. وجعلَ يُزَيِّنُ للعلماءِ والشعراءِ من حولِهِ الانتصارَ لنظريةِ العباسيِّين في الإمامةِ ووراثةِ المُلْكِ، والنِّضالِ عن حَقِّهم في الخلافةِ، كما جعلَ يُغريهم بِنَقْضِ نظريةِ العلويِّينَ في الإمامةِ ووراثةِ المُلْكِ، وتَقْويضِ دَعْواهم في الخلافةِ. وغَالَبَهُم على لَقَبِ المَهْديِّ[3]، فحاوَلَ

---

(١) الكامل للمبرد ٤ : ١١٤، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٦٧، والعقد الفريد ٥ : ٧٩، وتاريخ الموصل ص : ١٨٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣٦.

(٢) انظر ثورة الحسنيين في تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٤٩، وأنساب الأشراف ٣ : ٢٦٨، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧٤، والأخبار الطوال ص : ٣٨٥، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٥٢، ٦٢٢، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٦، ومقاتل الطالبيين ص : ٢٣٢، والعيون والحدائق ٣ : ٢٣٧، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٢٩، ٥٦٠، والبداية والنهاية ١٠ : ٨٦، والنجوم الزاهرة ٢ : ٣، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦١، وشذرات الذهب ص : ٢١٣، والعصر العباسي الأول، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٧٥، والعباسيون الأوائل ١ : ١٧٣.

(٣) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٦.

تجريدَهُم منه ، وتأتّى لإطلاقِهِ على ابنِهِ محمدٍ[1] ، حتى يَنفَرِدَ العباسيون باللَّقبِ ، ويَستَقِلُّوا به .

واستَلْهَمَ العلماءُ المُداهِنُونَ المُصانِعونَ أفكارَهُ وآراءَهُ ، فانْطَلَقُوا يَبتَدِعونَ الأحاديثَ والأخبارَ في استحقاقِ العباسيِّينَ للخلافةِ ، ويُردِّدُونَ أنَّ الرَّسولَ أوصَى لهم ، ونَصَّ عليهم ، وأنَّ المَهْديَّ منهم ، وأنه لا يَظهَرُ في غيرِهم ! ! وشاركهم الشعراءُ في ذلك ، فراحُوا يَهتِفُونَ بأنَّ العباسيِّين أوْلى بالخلافةِ ، وأَحَقُّ بها ، لأنهم أبناءُ عمِّ الرَّسولِ ، فهم أَقرَبُ إليه من العَلَويِّينَ ، لأنهم أبناءُ بنتِهِ ، فإنَّ العمَّ مُقَدَّمٌ على الأسْباطِ في الوِراثَةِ ، كما هو مُقَرَّرٌ في الشَّريعَةِ الإسلاميةِ ، واستَرسَلُوا في الذَّبِّ عن حَقِّهِم في الخلافة ، وبالَغُوا فيه مبالغَةً شديدةً[2] . واختَرَعَ بَعْضُهُم حديثاً لأبي جعفرٍ زعم فيه أنَّ ابنَهُ محمداً هو المَهديُّ[3] .

ومما يَدُلُّ على تَوليدِ تلك الأحاديثِ والأخبارِ أنه ليس لها أصْلٌ في المصادرِ المختلفةِ المُتقدِّمَةِ والمُتأَخِّرَةِ ، التي ترجَمَ مُصَنِّفوها للعباس بن عبد المطلب ترجمةً وافيةً ، وتَحرّوا الدِّقَّةَ والضَّبطَ فيما نَقَلُوا من أخبارِ حياتِهِ في الجاهلية والإسلامِ ، مثل الطبقاتِ الكبرى لابن سَعْدٍ ، وأنساب الأشراف للبلاذريِّ ، والاستيعابِ لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتهذيب الأسماء واللغاتِ للنَّووي ، والإصابةِ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني .

ومما يَدُلُّ على تَوْليدِها أيضاً أنه ليس لها أصْلٌ في كُتُبِ الحديث التي اقتَصَرَ مُؤَلِّفُوها على جَمعِ الأحاديثِ الصحيحةِ ، وتَحَرَّزوا من الأحاديثِ الضعيفةِ ، مثل

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٦ .

(٢) انظر كتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ١٠٧ — ١٦٤ .

(٣) الأغاني ١٣ : ٢٨٧ .

صحيح البخاريّ ، وصحيح مسلمٍ ، فإنه لم يَرِدْ فيهما إلاَّ أحاديثُ قليلةٌ في مناقِبِ العباس بن عبد المطلب ، وابنِهِ عبدِ اللهِ ، وهي أحاديثُ لا صِلَةَ لها بالخلافةِ والسياسةِ[1] ، وقد أسْقَطَ البُخاريُّ ومُسلِمٌ الأحاديثَ التي تُنبئُ بخلافة بني العباس ، ولم يُخَرِّجاها ، لأنها لم تَصِحَّ عِنْدَهما[2] ، واتَّهَمَ البخاريُّ بعضَ ما كان مُتَداولاً منها ورَدَّهُ[3] .

ومِنَ المَعروفِ أنَّ أحمدَ بن محمد بن حَنْبَلٍ الشَّيبانيَّ المتوفَّى سنةَ إحدى وأربعين ومائتين[4] لم يَتَشَدَّدْ في رِوايَةِ الحديثِ تَشَدُّدَ البخاريِّ[5] ، ومُسْلمٍ[6] ، بل

---

(١) انظر ضحى الاسلام ٢ : ١٢٢ .

(٢) انظر ضحى الاسلام ٢ : ١٢٣ .

(٣) التاريخ الكبير ٣ : ٢ : ٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٢ ، ولسان الميزان ٤ : ١٢٢ .

(٤) انظر ترجمته في التاريخ الكبير ١ : ٢ : ٥ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٦٣٧ ، والجرح والتعديل ١ : ١ : ٦٨ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٤١٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٢٣ ، ٧ : ٨٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ١١٠ ، ووفيات الأعيان ١ : ٦٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤٣٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٢٥ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١١٢ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٧٢ ، وتقريب التهذيب ١ : ٢٤ .

(٥) انظر ترجمته وشروطه في جمع الأحاديث في الجرح والتعديل ٣ : ٢ : ١٩١ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ : ٢ ، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٧١ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٦٧ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٥٥٥ ، والبداية والنهاية ١١ : ٢٤ ، والوافي بالوفيات ٣ : ٢٣٢ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٧ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٤٤ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٣٤ ، وضحى الاسلام ٢ : ١١٠ .

(٦) انظر ترجمته وشروطه في جمع الأحاديث في الجرح والتعديل ٤ : ١ : ١٨٢ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٠٠ ، والمنتظم لابن الجوزي ٥ : ٣٢ ، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٣٣٧ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٨٩ ، ووفيات الأعيان ٥ : ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٥٨٨ ، والبداية والنهاية ١١ : ٣٣ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ١٢٦ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٤٥ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٤٤ ، وضحى الاسلام ٢ : ١١٩ .

تساهل فيها بعض التساهُلِ، فلم تَبلغ أحاديثهُ مَبلَغَ أحاديثِ البخاريِّ ومسلمٍ في الصِّحةِ، بل كان فيها كثيرٌ من الأحاديث الضَّعيفةِ.(١)

وعلى الرغم من أنه رَوَى أحاديثَ في مَحاسِنِ العباسِ بن عبدِ المطلبِ ومحامدِهِ، فإنه أنكرَ بعضَ الأحاديثِ التي تُبَشِّرُ بخلافةِ وَلَدِهِ، وتُشيرُ إلى كثرةِ الخلفاءِ منهم وتَقْطَعَ بِتعاقُبِهم على وِلايَةِ أمْرِ المسلمين، وكان أوَّلَ مَنْ سبقَ إلى الحكم عليها بالبطلان(٢).

وارتابَ بها أبو حاتمٍ محمدُ بنُ ادريس الرَّازيُّ المتوفَّى سنةَ سبعٍ وسبعينَ ومائتين(٣)، وضَعَّفَها(٤)، وكانَ أحدَ أئمةِ الحُفَّاظِ الأثباتِ العارفينَ بِعللِ الحديثِ والجَرْحِ والتعديلِ، كما ارتابَ بها الدَّارقُطْنيُّ المتوفَّى سنةَ خمسٍ وثمانين وثلاثمائةٍ(٥)، وضَعَّفَها أيضاً(٦). وكانَ إمامَ دَهْرِهِ في أسماءِ الرِّجالِ وصِناعةِ التَّعليلِ والجَرْحِ والتَّعديلِ، واتِّساعِ الرِّوايَةِ والاطِّلاعِ التامِّ في الدِّرايةِ. وشكَّ فيها غيرُهُم من عُلماءِ الحديثِ ونُقَّادِهِ، ودَفَعُوها(٧).

---

(١) ضحى الاسلام ٢ : ١٢٣.

(٢) لسان الميزان ٤ : ١٢٣.

(٣) انظر ترجمته في الجرح والتعديل ٣ : ٢ : ٢٠٤، وتاريخ بغداد ٢ : ٧٣، والكامل في التاريخ ٧ : ٤٣٩، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٥٦٧، والبداية والنهاية ١١ : ٥٩، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣١، وتقريب التهذيب ٢ : ١٤٣.

(٤) لسان الميزان ٤ : ١٢٣.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤، والمنتظم لابن الجوزي ٧ : ١٨٣، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٩٧، وتذكرة الحفاظ ٣ : ٩٩١، والبداية والنهاية ١١ : ٣١٧، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٥٥٨، وشذرات الذهب ٣ : ١١٦، وظهر الاسلام ٢ : ٤٧.

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧.

(٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٢٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥.

وحَصَرَ ابنُ خلدونَ الأحاديثَ المُنْبِئَةَ بظهورِ المَهْديِّ في الأمّةِ، أو بظهورهِ في أهْلِ البَيْتِ بعامّةٍ، أو بظهورهِ في العَلَويِّينَ أو في العباسيِّين، وحَصَرَ الأحاديثَ المُبينَةَ عن صِفَةِ المَهْديِّ واسمِهِ ونَسَبِهِ، وحَصَرَ الأحاديثَ المُؤْذنةَ بإقْبالِ الرَّاياتِ السُّودِ من المشرقِ، وتوطئةِ أصحابِها لِسلطانِ المَهْديِّ، وأمارةِ أهلها وشِعارِهم، وحَصَرَ الأحاديثَ المُخبِرَةَ بخلافةِ العباسيِّين وخُلفائهم [1]. ونَظَرَ في أسْنادِها وطُرُقِ رواياتِها، وكشفَ عن عُيوبِها وعِلَلِها، وَرَدَّ أكثَرَها، لأنه وَجَدَ في سلسلَةِ رُواةِ كُلِّ حديثٍ منها رجلاً ضعيفاً أو مُدَلِّساً أو مُتَّهماً، أو كَذَّاباً، وقال بعد أنْ تَتَبَّعَ أقوالَ العلماءِ فيها، وجمعَ أحكامهم عليها، ودَرَسَها ومَحَّصَها [2]: «هذه جملةُ الأحاديثِ التي خَرَّجَها الأئمةُ في شأنِ المَهْدي وخُروجِهِ آخرَ الزَّمانِ، وهي أحاديثُ لم يَخْلُصْ منها من النَّقْدِ إلاَّ القليلُ، أو الأقلُّ منه».

وَرَجَعَ النَّوويُّ إلى أشهَرِ كُتُبِ الحديثِ، واستَقصى أكثَرَ ما وَرَدَ فيها من أحاديثَ في مكارِمِ العباسِ بن عبد المُطَّلبِ ومآثِرِهِ، وهي أحاديثُ معدودةٌ، وهي تدورُ على معانٍ محدودةٍ لا تَتَجاوَزُها ولا تَتَعدّاها، وهي معانٍ لا صلةَ لها بالخلافةِ والسياسةِ، فهي تَنحَصِرُ في رعايةِ الرسولِ لِعَمِّهِ، وتَوْقيرِهِ له، وإنزالِهِ إياه بمنزلةِ الوالدِ من الوَلَدِ، ودعائهِ له بالخَيرِ والبَرَكةِ، وتيمُّن عمر بن الخطاب به، يقول [3]: «في صحيح مسلمٍ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّمَ قال وقد ذكر العباس: «يا عمُّ أما شَعرتَ أنَّ عمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه»، هو بكسرِ الصاد، أي مثلُ أبيهِ. وفي كتابِ الترمذيِّ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس: «والذي

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص: ٥٥٥ — ٥٧٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص: ٥٧٤.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٢٥٨، وانظر البداية والنهاية ٧: ١٦٢.

نفسي بيدِهِ ، لا يدخُلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكُمْ لله ولرسوله » ، ثم قال : « أيها الناس ، مَنْ آذَى عمِّي فقد آذاني ، فإنما عمُّ الرَّجلِ صِنْوُ أبيه » ، وفي الترمذيِّ أحاديثُ أخرى في فَضْلِ العباس . وثبت في صحيح البخاريِّ أَنَّ عمر بن الخطاب رَضيَ الله عنه ، كان إذا قَحَطُوا استَسقَى بالعباسِ فقال : « اللهم إنا كنا نَتَوسَّلُ إليك بِنَبيِّنا فَتَسقينا ، وإنا نتوسَّلُ إليكَ اليومَ بعمِّ نَبيِّنا فاسْقِينا » ، فَيسقَوْنَ ، ومناقِبُهُ كثيرةٌ مشهورةٌ » .

وما ذكرَهُ النَّوويُّ من أحاديثَ في فضائلِ العباس بن عبد المطلب مَرْويٌّ في المَصادرِ المختلفةِ التي ترجمَ أصحابُها له ، ودقَّقوا فيما حملُوا من أخبارِ حياتِهِ ، فأثبتُوا المُتَّفقَ عليه منها ، ولم يَخرُجُوا منه ، وأعرَضُوا عنِ المشكوكِ فيه منها ، ولم يأبَهُوا له .

وأغفلَ الإخباريُّونَ والمؤرِّخُونَ الثِّقاتُ جميعَ الأحاديثِ التي وُلِّدَتْ ورُوِّجَتْ لِرَفعِ قَدْرِ العباسيِّين وتَقديمِهم على العلويِّين في وراثةِ الرسولِ ، وتأكيد حَقِّهم في الخلافةِ ، ونَبَّهوا على أنه قد أُشيعَ أَنَّ الرسولَ أخبرَ عَمَّهُ العباسَ بن عبد المطلب أن الخلافةَ تصيرُ إلى بنيهِ ، وأنَّ العباسيِّينَ تمسَّكُوا بهذا القولِ ، وتَناقلوهُ ، واعتَمَدُوا عليه في الدَّعوةِ إلى أنفسهم ، وَضَربُوا المواعيدَ لقيامِ دَوْلَتِهم ، قالَ مُصنفُ العيون والحدائق[1] : « قيل : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم أعلَمَ عمَّهُ العباسَ أَنَّ الخلافةَ تَؤُولُ إلى وَلدِهِ ، فلم يَزَلْ وَلَدُهُ يَتوقَّعونَ ذلك ، وَيَتَداوَلُونَ أخباراً بينَهم ، ويسمونَ محمدَ بنَ عليّ بن عبدِ اللهِ بن العباسِ أبا الأملاكِ ، وكان محمد بن عليّ ينتظرُ أوقاتاً معلومةً عنده ، وينتظرُ الأمرَ لولَدِهِ ، ولا يُسمِّي أحداً » . وكان يقولُ[2] : « لنا ثلاثةُ أوقاتٍ : مَوْتُ الطاغيةِ يزيد [بن معاوية] ، ورأسُ المائة ،

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ١٨٠ ، ١٩٩ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٢١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٨ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٨٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٨ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٩ .

وفَتْقٌ بإفريقيةَ ، فعند ذلك يَدْعو الناس الدعاةُ ، ثم يُقبلُ أنصارُنا من المَشرِقِ ، حتى يُورِدُوا خُيولَهُم أرضَ المَغْرِبِ ، وَيستَخرِجُوا ما كَنَزَ الجَبَّارُونَ فيها » .

وأمَّا سائر الأحاديثِ والأخبارِ السياسيةِ المُبَشِّرَةِ بخلافةِ العباسيين ، والمَنْثورَةِ في تَرجَمَةِ العباس بن عبد المطلب في بعض المصادر التاريخية ، فهي من قَصَصِ الدَّعوةِ العباسيةِ ، وقد عَوَّلَ العباسيون على التَّنبؤاتِ والتَّكهُّناتِ تعويلاً كبيراً[1] ، حتى كانت أقوى وسائلهم الدعائية ، وأمضى أسلحتهم الإعلامية .

وذَكَرَ مصنفُ أخبارِ الدولةِ العباسيةِ أنَّ العَلويِّينَ كانوا مُستَودَعَ العِلْمِ بمصيرِ الخلافةِ ، وأنَّ العباسيِّين أخذوا ذلك العِلْمَ عنهم ، فإنَّ أبا هاشمٍ عبدَ الله بنِ محمد بنِ الحنفيّةِ ورَّثَهُ لهم ، يقول[2] : روى « يونس بن ظبيان عمن حَدَّثَهُ عن أبي جعفرٍ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ أنه سُئِلَ عن آل العباس : هل عندَهم من عِلْمٍ بشيءٍ؟ قال : نعم ، عندهم صَحيفَةٌ صَفراءُ كانت لعليّ بن أبي طالبٍ ، وظَعَنَ الحسنُ ، وقدم على معاوية إلى الشام ، فتصاحَبَ الحسنُ والحسينُ ومحمدٌ بنو علي بن أبي طالبٍ ، فانطلقَ محمد بن الحنفية ، فَدَخَلَ إلى الحسن والحسين فقال لهما : إنكما وَرِثْتُما أبي دوني ، وإنْ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وَلَدَني ، فقد وَلَدَني أبوكُما ، ولكُما ، لعمري ، عليَّ الفَضْلُ ، ولا كذب ، أعْطوني بعضَ ما أَتَجَمَّلُ به من أبي ، فقد عَرَفْتُما حُبَّهُ ، كان ، لي . فقال الحسن للحسين : يا أخي ، هو أخونا وابن أبينا ، فأعْطِهِ شيئاً من علم أبينا ، قال : فأعطاه الحسين صحيفةً صفراءَ فيها عِلْمُ رايات خراسانَ السُّودِ ، متى تكون ، وكيف تكونُ ، ومتى

---

(١) انظر الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ، مقالة في دراسات عربية وإسلامية ، مهداة الى إحسان عباس ، الجامعة الأميركية في بيروت ، ص : ١٢٦ ، وراجع ضحى الاسلام ٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٤ .

تقومُ ، ومتى زمانُها وعَلامَتُها وآياتُها ، وأي أحياء العربِ أنصارهم ، وأسماء رجالٍ يقومون بذلك ، وكيفَ صِفتُهُم وصفةُ رجالهم وتُبّاعِهم . فكانت تلك الصحيفةُ عند محمد بن علي بن الحنفية ، حتى إذا حَضَرَهُ الموتُ ، دَفَعَها إلى ابنه عبد الله بن محمد ، وهو الذي يكنّى أبا هاشمٍ ، فكانت عنده ، حتى إذا حضرهُ الموتُ ، وذلك عند مُنصَرَفِهِ ، كان ، من عند الوليد بن عبد الملك ، وماتَ بالحُمَيْمَةَ عند محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فدفعَ الصحيفةَ إليه ، وأوصاه بما أحبَّ ، فكانت عند محمد بن عليٍّ ، حتى إذا حَضَرَهُ الموتُ أوصى بها إلى إبراهيمَ بن محمدِ بن عليٍّ ، وكانَ رئيسَهُم وسَيِّدَهُم وكبيرَهم . وأبو هاشمٍ هو الذي قالَ لمحمد بنِ عليٍّ ، وإبراهيمُ ابنُهُ ، وهو ابنُ أربع سنين ، يلعَبُ عندهما : فقال محمد بن عليٍّ لأبي هاشمٍ : يا ابنَ عم ، هل لنا ولد العباس نصيبٌ فيما يذكرُ من راياتِ بني هاشم؟ فقال له أبو هاشمٍ : وهل هذا الأمرُ إلاّ لكم من أهلِ بَيْتِ نَبيِّكم ! فقال له محمد بن عليٍّ : وكيفَ ذاك يا أخي؟ فقال له : هل تَرَى هذا الغلامَ ، يعني إبراهيم ! هو صاحبُ الأمرِ ، حتى إذا يكادُ يَبلُغُ الأمرَ ، ونازله ، نَذَرَ بهِ القومُ ، يعني بني أميّة ، فيَقتُلونَهُ ، فيكونُ لك ابنان : عبد الله وعُبَيْدُ الله ، فيَمْلِكانِ ويَتَناسَلُ المُلْكُ في أولادِهِما » .

وروى ابنُ أبي الحديد ما يشبه ذلك ، فقد حكى عن أحدِ العَلويِّينَ في زمانِهِ أنَّ أبا هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفيّةِ أخبرَ محمد بن عليٍّ بن عبد الله بنِ العباسِ أنَّ الخلافةَ ستَؤُولُ إلى وَلدِهِ ، وبَيَّنَ له الأمر في حياتِهِ ، فلما دَنَا أَجَلُهُ ، وأَحَسَّ بالموتِ ، أعطاهُ كُتُبَهُ ، وأوصى له بالإمامةِ ، وأَمَرَ شيعَتَهُ باتِّباعِهِ ، وأَلْزَمَهُم طاعَتَه . وزاد على ذلك أنَّ علي بن أبي طالبٍ كانَ قد أَلمَحَ إلى عبد الله بن العباس أنَّ الخلافةَ ستَتَحوَّلُ إلى ولدِهِ ، وأنَّ محمد بن الحَنَفيَّةِ وَقَفَهُ على الأمرِ ، وَبَسَطَ له القولَ فيه ، وأنبأَ بني أميّةَ به ، يقولُ مُعَقِّباً على خبرِ ولادةِ عليٍّ بنِ عبد الله بن العباس[1] ، وتَسْمِيَةِ عليٍّ

(١) انظر الخبر في الكامل للمبرد ٢ : ٢١٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٥ ، والعقد الفريد ٥ :

بنِ أبي طالبٍ له علياً ، وتَكْنِيَتِهِ إياه أبا الحسن ، وتَلْقيبِهِ له أبا الأملاك[1] : «سألْتُ النَّقيبَ أَبا جعفرٍ يحيى بن محمد بن أبي زيدٍ ، رَحِمَهُ الله تعالى فقلتُ له : من أيِّ طريقٍ عَرَفَ بنو أُميَّةَ أنَّ الأمرَ سَيَنتَقِلُ عنهم ، وأنه سَيَليهِ بنو هاشمٍ ، وأولُ مَنْ يلي منهم يكونُ اسمه عبد الله؟ ولِمَ مَنَعوهُم عن مناكحةِ بني الحارث بن كعب ، لعِلْمِهِم أنَّ أَوَّلَ مَنْ يَلي الأمرَ من بني هاشمٍ تكونُ أُمُّهُ حارثيَّةً ؟ وبأيِّ طريقٍ عَرَفَ بنو هاشمٍ أنَّ الأمرَ سيصيرُ إليهم ، ويملكه عبيدُ أولادهم ، حتى عَرَفُوا صاحبَ الأمر بعينِهِ ، كما قد جاء في هذا الخبرِ !!

فقال : أصْلُ هذا كلِّه محمد بن الحَنَفِيَّةِ ، ثم ابنُهُ عبد الله المكنَّى أبا هاشمٍ . قُلتُ له : أفكانَ محمد بن الحَنَفِيَّةِ مَخْصوصاً من أمير المؤمنين عليه السلامُ بِعِلمٍ يَستأْثِرُ به على أَخَوَيْهِ حسنٍ وحسينٍ عليهما السلام؟ قال : لا ، ولكنهما كَتَما وأذاعَ . ثم قالَ : صَحَّتِ الرِّوايَةُ عندنا عن أسلافِنَا وعن غيرِهم من أربابِ الحديثِ أنَّ علياً عليه السلامُ لما قُبِضَ أتى محمدٌ ابنُهُ أَخَوَيْهِ حسناً وحسيناً عليهما السلامُ ، فقال لهما : أعطياني مِيراثي من أبي ، فقالا له : قد علمتَ أنَّ أَباكَ لم يتركْ صفراءَ ولا بيضاءَ! فقالَ : قد علمتُ ذلك ، وليس مِيراثَ المالِ أطلبُ ، إنما أَطلبُ ميراثَ العِلمِ ،... ، فَدَفَعا إليه صحيفةً ، لو أطْلَعاهُ على أكثرَ منها لَهلِكَ ، فيها ذِكْرُ دولةِ بني العباس .

قال أبو جَعفَرٍ : وقد كان محمد بن الحنفيّةِ صَرَّحَ بالأمرِ لعبد الله بن العباس ، وعَرَّفَهُ تَفصيلَهُ ، ولم يكن أميرُ المؤمنين عليه السلام قد فَصَّلَ لعبد الله بن العباس الأمرَ ، وإنما أخبرَهُ به مَجملاً ، كقولِهِ في هذا الخبرِ : «خُذْ إليك أبا الأمْلاكِ» ،

---

١٠٣ ، والبدء والتاريخ ٥ : ١٠٥ ، ٦ : ٥٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٤٨ .

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٨ — ١٥٠ .

ونحو ذلك مما كان يُعَرِّضُ له به ، ولكن الذي كشفَ القناعَ ، وأبرزَ المَستورَ عليهِ هو محمد بن الحَنَفيَّة .

وكذلك أيضاً ما وصل إلى بني أمية من عِلْمِ هذا الأمرِ ، فإنه وَصَلَ من جهةِ محمد بن الحنفيّةِ ، وأطلَعَهُم على السِّرِّ الذي عَلِمَهُ ، ولكن لم يَكْشِفْ لهم كَشفَهُ لبني العباسِ ، فإنَّ كَشْفَهُ الأمرَ لبني العباس كان أكمَلَ .

قالَ أبو جعفرٍ : فأمّا أبو هاشمٍ ، فإنه قد كان أفْضى بالأمرِ إلى محمد بن عليٍّ بنِ عبد الله بن العباس ، وأطلَعَهُ عليه ، وأوضَحَهُ له . فلما حَضَرَتْهُ الوفاةُ عُقَيبَ انصرافِهِ من عند الوليد بن عبد الملك ، مَرَّ بالشَّراةِ ، وهو مريضٌ ، ومحمد بن عليٍّ بها ، فَدَفَعَ إليه كُتُبَهُ ، وجَعَلَهُ وَصيَّهُ ، وأمَرَ الشيعةَ بالاختلافِ إليهِ » .

وكان العباسيُّونَ يُسَمُّونَ الصحيفةَ الصفراءَ التي سَلَّمَها أبو هاشمٍ عبد الله ابن محمد بن الحنفيّةِ إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس « صحيفة الدولة » ، قال أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زَيْدٍ[1] : « رَوَى أبو الحسن عليّ بن محمدٍ النّوفليُّ ، قال : حدثني عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، قال : لمَّا أرَدْنا الهربَ من مروان بن محمد ، لمَّا قَبَضَ على إبراهيم الإمام ، جعلنا نسخةَ الصحيفةِ التي دَفَعَها أبو هاشمٍ بن محمد بن الحنفيّةِ إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان آباؤنا يُسَمُّونَها صحيفةَ الدولة ، في صندوقٍ من نحاسٍ صغيرٍ ، ثم دَفناهُ تحتَ زَيتوناتٍ بالشَّراةِ لم يكن بالشَّراةِ من الزيتونِ غَيرُهنَّ . فلما أفْضى السلطانُ إلينا ، ومَلَكنا الأمْرَ ، أرْسَلنا إلى ذلك المَوضعِ ، فَبُحِثَ وحُفِرَ ، فلم يُوجَدْ فيه شيءٌ ، فأَمَرنَا بِحَفرِ جريبٍ من الأرضِ في ذلك المَوضعِ ، حتى بَلَغَ الحَفْرُ الماءَ ، ولم نَجِدْ شيئاً » .

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٩ .

ولم يعتمد العباسيون على الأخْبارِ والتّنبؤاتِ في المَرحَلَةِ السرِّيَّةِ من دَعوَتِهِمْ ، بل اعتمدوا عليها أيضاً بعد قيامِ دولَتِهم ، فقد كان عند المنصور دفاترُ كثيرةٌ صغيرةٌ وكبيرةٌ ، لا يَطَّلعُ عليها أحدٌ غيره ، وكان فيها عِلمُ أخبارِ الزمان ، وما سيقعُ لأهلِ البيتِ على مَرِّ الأيام . وقد دَفَعَها إلى المهديِّ قبلَ وفاتِهِ ، وأَوصاهُ أن يَحرُصَ عليها ، ويستَعينَ بها ، للتَّغلُّبِ على ما يُلمُّ به من هُمومٍ ، وما يعرِضُ له من خُطُوبٍ ، قال الهيثم بن عديٍّ الطائي(١) : «كان له سَفَطٌ فيه دفاترُ عِلمِهِ ، وعليه قُفْلٌ ، لا يَأْمَنُ على فَتحِهِ ومفتاحِهِ أحداً ، يَصُرُّ مفتاحَهُ في كُمِّ قَميصِهِ . وكانَ حَمَّادٌ التركيُّ يُقَدِّمُ إليه ذلك السَّفَطَ إذا دعا به ، فإذا غابَ حَمَّادٌ أو خَرَجَ ، كان الذي يليهِ سَلَمَةُ الخادمُ ، فقال للمهديِّ : انْظُرْ هذا السَّفَطَ ، فاحْتَفِظْ به ، فإنَّ فيه عِلْمَ آبائكَ ، ما كان وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ ، فإنْ أحزَنَكَ أمرٌ ، فانظرْ في الدفترِ الأكبرِ ، فإنْ أَصَبْتَ فيه ما تُريدُ ، وإلاَّ فالثاني والثالث ، حتى بلغَ سبعةً ، فإنْ ثَقُلَ عليك فالكرَّاسةُ الصغيرة ، فإنك واجدٌ فيها ما تريد» .

ويتَّضِحُ مما سَلَفَ أنه كانَ للعباس بن عبد المُطَّلِبِ مَنزِلَةٌ كبيرةٌ في الجاهليّةِ ، فقد كانَ رئيسَ قومِهِ وقائدَهم ، وقد دَفَعَهُ ارتباطُهُ بقومِهِ ، وخَوفُهُ على مكانَتِهِ ، وحِفاظُهُ على مَنافِعِهِ إلى التأخُّرِ عن الدُّخولِ في الإسلامِ ، وتشيرُ الرواياتُ غير العباسيّة إلى أنه أسلَمَ بعدَ بَدْرٍ ، وكَتَمَ إسلامَهُ ، ثم أعلَنَهُ في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ ، وكانَ قبلَ إعلانِ إسلامِهِ يُعينُ الرسولَ ، ويكتُبُ إليه بأخبارِ المشركين. أمَّا الرواياتُ العباسيّةُ فتدلُّ على أنَّهُ أسلَمَ في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ. وكان الرسولُ يَبرُّهُ ويُجلُّهُ ويُوصي به خيراً بعد إسلامِهِ. وكان أبو بكرٍ وعمر وعثمان يُعظِّمونَهُ ويُشاوِرونَهُ ويأخذونَ برأيِهِ. ويظهر أنه لم يكن له طموحٌ سياسيٌّ ، فإنه لم يكن يُرَشِّحُ نفسَهُ

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٠٣ ، والكامل في التاريخ ٦ : ١٨ .

للخلافة ، بل كانَ يأوي إلى عليّ ابن أبي طالبٍ ، ويتحزّبُ له ، ويُقَدِّمُهُ على نفسه . ولكن العباسيِّينَ جعلوا له شخصيةً سياسيةً ، وهَوَّلُوا سَعْيَهُ للخلافةِ ، وزعموا أنَّ الرسولَ نَصَّ على إمامَتِهِ ، وَبَشَّرَ بخلافةِ وَلدِهِ ، وأشاعُوا أحاديثَ وأخباراً تَقطَعُ بذلك ، وهي أحاديثُ موضوعةٌ ، وأخبارٌ مَصنوعَةٌ ، وهي من قَصَصِ الدعوَةِ العباسية .

الفصل الثاني

«عبدُ الله بنُ العبَّاس»

(١) مكانتُهُ وثقافتُهُ

أعْقَبَ العباس بن عبد المطلب عشرةً من الوَلَد ، هم[١] : الفَضْلُ ، وبه كان يكنى ، وعبدُ الله ، وعبيدُ الله ، وقُثَم ، ومَعْبَدٌ ، وعَبْدُ الرحمن ، وتَمَّامٌ ، وكَثيرٌ ، والحارثُ ، وعَوْنٌ . والعَقِبُ من ولده لعبدِ الله وعبيدِ الله ، ومَعْبدٍ[٢] . وقد تَرْجَمَ البلاذريُّ لولدِهِ جميعاً ترجمةً ضَافِيَةً لا نظيرَ لها في المصادر المختلفة[٣] ، إلاَّ عوْناً فإنه أهْمَلَه ، ولم يَذْكُرْ شيئاً من أخباره .

وكان عبد الله بن العباس المتوفي سنة ثمان وستين[٤] أكبرَ إخوته منزلةً ، قال

---

(١) انظر فيهم نَسَبَ قريش ص : ٢٥ — ٢٨ ، والمعارف ص : ١٢١ — ١٢٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ — ١٩ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٥ ، ٣٠٦ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص : ١٨ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٢٢ — ٦٧ .

(٤) انظر ترجمته في نسب قريش ص : ٢٦ ، وطبقات خليفة بن خياط ص : ٢٨٠ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٣٥ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٥ ، والمعارف ص : ١٢٣ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٢٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٣ ، والجرح والتعديل ٢ : ٢ : ١١٦ ، وحلية الأولياء ١ : ٣١٤ ، والاستيعاب ص : ٩٣٣ ، وطبقات الفقهاء ، للشيرازي ص : ٤٨ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٢ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٩٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٤ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٦٢ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤٠ ، ونكت الهميان

مجاهد بن جَبْر مولى بني مخزوم المكي[1] : «كان عبد الله بن عباس أَمَدَّهم قامةً ، وأعْظَمهم جَفْنَةً ، وأوْسَعَهم عِلْماً» . وكان حبيباً إلى الرسول ، فدَعَا له فقال[2] : «اللهم أعْطِهِ الحِكْمَةَ وعَلِّمْهُ التَّأْويلَ» ، «وكان يُأْذَنُ له مع المهاجرين ويسْأَلُهُ ، وكان إذا رآه مُقْبِلاً قال : أتاكم فتى قريشٍ ، له لسان سؤُولٌ ، وقَلْبٌ عَقُولٌ[3]» . وكان أعْلَمَ الصحابة بالقرآن[4] ، فسمَّاه الرسول[9] والصحابة[6] «ترجُمان

ص : ١٨٠ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٥ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٤٢٥ ، والإصابة ٢ : ٣٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٦ ، وتقريب التهذيب ١ : ٤٢٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٨٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٧٥. وراجع فجر الإسلام ص : ٢٠٢ ، وضحى الإسلام ٢ : ١٣٨ ، ومذاهب التفسير الاسلامي ، لجولدتسهر ص : ٨٣ ، وتاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ٤ : ٧ ، وتاريخ التراث العربي ، لفؤاد سيزكين ١ : ١٧٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٩ : ١٤٨ ظ .

(١) نسب قريش ص : ٢٦ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٣١.

(٢) نسب قريش ص : ٢٦ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٥ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٦ ، ٢٧ ، وحلية الأولياء ١ : ٣١٦ ، والاستيعاب ص : ٩٣٥ ، وطبقات الفقهاء ، للشيرازي ص : ٤٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٦ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٦٢ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤٠ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، والإصابة ٢ : ٣٣١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٩ ، وشذرات الذهب ١ : ٧٥.

(٣) نسب قريش ص : ٢٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٧.

(٥) حلية الأولياء ١ : ٣١٦.

(٦) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٣٠ ، والاستيعاب ص : ٩٣٥ ، وطبقات الفقهاء ، للشيرازي ص : ٤٩ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤٠ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٠ ، والإصابة ٢ : ٣٣٢ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٨.

القرآن». وكان عمر بن الخَطَّاب يُلَقِّبُهُ «كَهْلَ الفِتْيان[1]» و«فتى الكُهُول[2]». وكان مُعْجباً بعلمِهِ ورأيه، مقدِّراً لفطنتِه وذكائه، فأدْناهُ، وأكرمَهُ واختصَّ به[3]، وأدْخَلَهُ مجالس أهْلِ بَدْرٍ من المهاجرين الأوَّلين الذين لا يَلْحَقُ بهم أحد من المسلمين في السَّابقة والقُدْمةِ، ولم يَأْبَهْ لامْتِعاضِهم من تَسْويتِهِ بينهم وبينه، على حداثةِ سِنِّهِ، روي سعيد بن جُبَيْر مولى بني أسدٍ الكوفي عن ابن عباس قال[4]: «كان عمر ابن الخطاب يَأْذنُ لأهل بَدْرٍ ويأذنُ لي معهم، قال: فذكر أنه سألهم وسأله، فأجابه فقال لهم: كيف تَلُومُوني عليه بعد ما تَرَوْن»! وكان عثمان بن عفان يثق بعلمِهِ ويطمئن إليه، فقرَّبهُ، واستعانَ به، واعتمدَ عليه[5]. وكان معاوية بن أبي سفيان يُقِرُّ بفضلِهِ في العلم، وبَصَرِهِ بالدِّين، فأَجلَّهُ، وأحْسَنَ إليه. ونَوَّهَ به، وقال لعكرمة مولى ابن عباس[6]: «مولاك والله أفْقَهُ مَنْ مات وعاش»!

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٣٧.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٦، وحلية الأولياء ١: ٣١٨، والبداية والنهاية ٨: ٢٩٩.

(٣) نسب قريش ص: ٢٦، وأنساب الأشراف ٣: ٦، وحلية الأولياء ١: ٣١٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص: ٣١٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٢: ٣٦٥، وأنساب الأشراف ٣: ٣٢، وانظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢٥، وحلية الأولياء ١: ٣١٧، وتهذيب الأسماء واللغات ١: ٢٧٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٢: ٣٦٦، وأنساب الأشراف ٣: ٣٢، والبداية والنهاية ٨: ٢٩٩.

(٦) طبقات ابن سعد ٢: ٣٦٦، والبداية والنهاية ٨: ٣٠١.

وكان عبد الله بن عباس من العِلمِ بمكانٍ رفيعٍ ، فقد كان واسع الثقافة ، مُحيطاً بمعارفِ عَصْرِهِ من القرآن وحُرُوفه ، وتفسير القرآن وتأويله ، والفِقْه والفرائض ، والأخبار ، والأيام ، والأنساب ، والشعر ، والعربية ، والغَريب من الكلام ، والسِّير والمغازي ، مُتعمِّقاً فيها ، مُتْقِناً لها [1] ، وقد شهد له كثيرٌ من الصحابة والتابعين بالتَّفوق في ضُروب العلم ، قال عطاء بن أبي رباح [2] : «كان ناسٌ يأتون ابنَ عباسٍ للشعر ، وناس للأنساب ، وناسٌ لأيام العرب ووقائعها ، فما منهم من صِنْفٍ إلاّ يُقْبِلُ عليه بما شاء» ، وقال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة الهُذَلي [3] : «كان ابن عباس قد فات الناس بخصالٍ : بِعلمِ ما سبقه ، وفِقْهٍ فيما احْتِيجَ إليه من رأيه ، وحِلْمٍ وسَيْبٍ ونائلٍ ، وما رأيْتُ أحداً كان أعْلَمَ بما سَبَقَهُ من حديثِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منه ، ولا أعْلَمَ بقضاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان منه ، ولا أفْقَهَ في رأيٍ منه ، ولا أعْلَمَ بشعرٍ ولا عَرَبيَّةٍ ولا بتفسير القرآن ، ولا بحسابٍ ، ولا بفَريضةٍ منه ، ولا أعْلَمَ بما مَضَى ، ولا أثْقَفَ رأياً فيما احْتِيجَ إليه منه ، ولقد كان يجلس يَوْماً ما يذكُرُ فيه إلاّ الفِقْهَ ، ويوماً التَّأويلَ ، ويوماً المغازيَ ، ويوماً الشعرَ ، ويوماً أيّامَ العرب ، وما رأيتُ عالماً قطُّ جلسَ إليه إلاّ خَضَعَ له ، وما رأيتُ سائلاً قطُّ سأله إلاّ وَجَدَ عنده عِلماً» .

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٣ : ٣١ ، وحلية الأولياء ١ : ٣٢٠ ، والاستيعاب ص : ٩٣٣ ، ٩٣٩ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٤٢٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٧ ، والاستيعاب ص : ٩٣٩ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٣١ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠١ ، وشذرات الذهب ١ : ٧٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٨ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٦ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٩ : ١٤٨ ظ .

ومن أجل ذلك كان يقال له : «حَبْرُ قريشٍ[1]»، أو «حَبْرُ الأُمَّةِ[2]» ، وكان يُسَمَّى البَحْرَ من كثرةِ عِلْمِهِ[3]» .

(١) الحَبْر : العالم بتحبير الكلام والعلم وتَحْسينه .

(٢) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٧٠ ، ورسائل الجاحظ للسندوبي ص : ٧٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٢٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٨ ، وحلية الأولياء ١ : ٣١٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، والاستيعاب ص : ٩٣٦ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص : ٤٩ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٤ ، واللسان : حَبَر ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤٠ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٥ ، والإصابة ٢ : ٣٣١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٤٢٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٨٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٧٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٣٣ ، والجرح والتعديل ٢ : ٢ : ١١٦ ، وحلية الأولياء ١ : ٣١٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، والاستيعاب ص : ٩٣٦ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٤ ، واللسان : حَبَر ، والإصابة ٢ : ٣٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٦ ، وتقريب التهذيب ١ : ٤٢٥ ، وشذرات الذهب ١ : ٧٦ .

(٢) إبعادُهُ عن السياسة

وعلى الرغم من أنَّ عبد الله بن عبَّاسٍ كان مُقَدَّماً عندَ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمان (١) ، فإنَّ مَوْقفهم منه كان مُماثلاً لِمَوقِفهم من أبيه ، إذ كانوا يُبَجِّلُونه لشَرفِ نَسَبِهِ ، وفَضْلِهِ في نَفْسِهِ ، وكانوا يُقَدِّرونَ عِلْمَهُ ، ويُشيدون به ، وكانوا يُعَوِّلونَ عليه في الفِقْهِ والفَتْوَى ، أمَّا السياسةُ والولايةُ والحُكْمُ فإنهم نَحَّوْهُ عنها ، ولم يُرَشِّحوه لها. وكان عمر بن الخَطَّاب يَنْدُبُهُ للمُبْهَماتِ والمُشْكلاتِ من المسائل ، ويَقْبَلُ اجْتهادَهُ فيها ، قال عامر بن سعد بن أبي وقاص : سمعت أبي يقول(٢) : «ما رأيتُ أحداً أحْضَرَ فَهْماً ، ولا أَلَبَّ لُبًّا ، ولا أكثر عِلْماً ، ولا أوْسَعَ حِلْماً من ابن عباس ! ولقد رأيتُ عمر بن الخطاب يدعوه للمُعْضلات ، ثم يقول : عندك قد جاءتك مُعْضلةٌ ، ثم لا نُجاوزُ قَوْلَهُ ، وإنَّ حَوْلَهُ لأهْلَ بَدْرٍ من المهاجرين والأنصار» ، وقال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة الهُذَلي (٣) : «ما رأيتُ أحداً كان أعْلَمَ بالسُّنَةِ ، ولا أجْلَدَ رأياً ، ولا أثْقَبَ نَظَراً من ابن عباس ، وإنْ كان عمر بن الخطاب ليقول له : إنه قد طرأتْ

---

(١) انساب الأشراف ٣ : ٢٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٩.

(٣) أنساب الاشراف ٣ : ٣١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٩ ، والاستيعاب ص : ٩٣٦ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٣ ، والإصابة ٢ : ٣٣٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٧٦ ، وانظر أخباراً أخرى عن فقه ابن عباس في طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧.

علينا عُضَلُ أقْضيةٍ أنت لها ولأمْثالها . فإذا قال فيها رضي قَوْلَهُ ، وعمرُ ما عمرُ في نَظَرِهِ للمسلمين وجدِّهِ في ذات الله » . وكان عثمان بن عفان يَتَّكلُ عليه في القضاء مثل عمر ، ولم يزل ابن عباسٍ يقضي إلى آخر حياته ، روى عطاء بن يسار الهلالي المدنيُّ «أنّ عمر وعثمان كانا يَدْعُوانِ ابن عباس فَيُشير مع أهْلِ بَدْرٍ ، وكان يُفْتي في عَهْد عمر وعثمان إلى يوم مات[1] » . وحَجَّ بالناس سنة خمسٍ وثلاثين بأمْرِ عثمان ، وعثمانُ محصور[2] » ، وكان أعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بالمَنَاسِك[3] .

ونَقَلَ المسعوديُّ أنَّ عمر بن الخطاب فكَّرَ في تَوْليةِ ابن عباسٍ على حِمْص ، وقدَّرَ ذلك وقَرَّرهُ على حَذَرٍ وخشيةٍ ، ثم عَرَضَهُ على ابن عباس فأبى ، يقول[4] : « ذكر عبد الله بن عباس أنَّ عمر أرْسَلَ إليه فقال : يا ابن عباسٍ ، إنَّ عامل حمصَ هَلِكَ ، وكان من أهْلِ الخير ، وأهْلُ الخَيْرِ قليلٌ ، وقد رَجَوْتُ أنْ تكونَ منهم ، وفي نفسي منك شيءٌ لم أرَهُ منك ، وأعياني ذلك ، فما رأيُكَ في العمل؟ قال : لن أعْمَلَ حتى تخبرني بالذي في نَفْسِكَ . قال : وما تريدُ إلى ذلك؟ قال : أُريده ، فإنْ كان شيءٌ أخاف منه على نفسي ، خشيتُ منه عليها الذي خشيتَ ، وإنْ كنتُ بريئاً من مثله علمتُ أني لستُ من أهله ، فقبلتُ عملَكَ هنالك ، فإني قلما رأيتُكَ طلبتَ شيئاً إلاَّ عاجَلْتَهُ . فقال : يا ابن عباس ، إني خشيتُ أنْ يأتي عليَّ الذي هو آتٍ ، وأنتَ في عَمَلِكَ ، فتقول : هَلُمَّ إلينا ، ولا هَلُمَّ إليكم دون غيركم ! ! إني رأيتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، استعمل الناس وتَرَككم ! قال : والله ، قد رأيتُ من

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٣٢ ، والبداية والنهاية : ٨ : ٢٩٩ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٧ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٤٠٥ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٥ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٩ .

(٤) مروج الذهب ٢ : ٣٣٠ .

ذلك ، فَلِمَ تراهُ فَعَلَ ذلك؟ قال : والله ، ما أدْري أضَنٌّ بكم عن العَمَل ، فأهل ذلك أنتم ، أم خَشِيَ أنْ تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ، ولا بُدَّ من عتابٍ ، وقد فَرَغْتُ لك من ذلك ، فما رأيُكَ؟ قال : قلتُ : أرى أنْ لا أعْملَ لك! قال : وَلِمَ؟ قلت : إنْ عملتُ لك ، وفي نَفْسِكَ ما فيها ، لم أبْرَحْ قَذًى في عَيْنك ، قال : فأشِرْ عليَّ؟ قلت : إني أرى أنْ تَسْتَعْمِلَ صحيحاً منك ، صحيحاً لك».

وقد رَوَى ابنُ جريرِ الطبريُّ الخَبَرَ عن ابن عباس من طريق أبي الوليد المكي عن رجل من ولد طَلْحة بن عبيد الله التَّميمي (١) . وليس في روايته عنده أنَّ عُمَر بن الخطاب فارقَ رَأْيَ الرسول ولا رَأْيَ أبي بكرٍ في إبعاد بني العباس عن الوِلَاية ، بل فيها أَنَّهُ صَوَّبَ رَأْيَها ، وتَمَسَّكَ به ، ولم يَحِدْ عنه!!

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٢.

(٣) مبايَعَتُهُ لعليٍّ وعَمَلُهُ له

ولم يكن لِولدِ العباس بن عبد المطلب مطامحُ في الخلافة ، ولكنهم كانوا يُحِسُّونَ انتماءهم إلى بني هاشم ، وكانوا حراصاً على علاقتهم بأبناء عمهم أبي طالبٍ ، شأنُهم في ذلك شأنُ أبيهم ، فاستُظَلُّوا بعلي بن أبي طالبٍ، وأيَّدوه ، لأنهم كانوا يعتقدون أنَّ قيامَهُ بالخلافة رفعةٌ ومَجْدٌ لبني هاشمٍ من الطَّالبيِّين والعباسيين ! فبايعوا علياً ، واستَعْمَلَهم على البلدان ، فَوَلَّى عُبَيْد الله بن العباس اليمن ، وأمَّرهُ فحجَّ بالناس سنة ستٍ وثلاثين ، وسنة سبعٍ وثلاثين[١] . وَوَلَّى قُثَمَ بن العباس مكة ، فلم يزل عامِلَهُ عليها وعلى الموسم إلى سنة تسع وثلاثين ، حين وَجَّهَ معاوية بن أبي سفيان يزيدَ بن شجرة الرَّهاوي لإقامة الحجِّ ، وأخذِ البَيْعَةِ له[٢] . وزعم محمد بن دأبٍ المدنيُّ أنه وَلَّى تَمَّامَ بن العباس مكة ، وأنه كان عليها حين قَدِمَها ابن شجرة الرهاوي من قِبَلِ معاوية ، وليس ذلك بِثَبْتٍ[٣] . وذكر ابنُ حَزْمٍ أنه وَلَّى قُثَم بن العباس المدينة ، ومَعْبَدَ بن العباس مكة[٤] ، وليس ذلك بصحيحٍ .

---

(١) نسب قريش ص : ٢٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٥٨ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٩٢ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٥٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧.

(٢) أنساب الاشراف ٣ : ٦٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٩٢ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٥٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٩٨.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٦٧.

(٤) جمهرة أنساب العرب ص : ١٨.

وبايعه أيضاً عبد الله بن العباس ، وكان من أخْلَصِ أنصاره ، وأصْدَقِ أعوانه ، فإنه سار معه إلى البصرة سنة ستٍ وثلاثين[١] ، وبَعَثَهُ إلى الكوفة ليُمهِّدَ له السبيل إلى نُزوها[٢] ، وأرْسَلَهُ إلى عائشة وطَلْحة والزبير بالبصرة ، ليُقْنِعَهم بمسالمته والدُّخُول في طاعته[٣] ، وشهدَ معه وقعة الجَمَل[٤] . ثم وَلِيَ له البصرة ، وكانت إليه الصدقاتُ والجُنْدُ والمعاونُ أيّام ولايته كلها[٥] ، ونَهضَ له بأعمالٍ كثيرةٍ ، فقد ناب عنه في إقامة الحجِّ[٦] ، على خلافٍ في ذلك[٧] ، وعبَّأ له أهْلَ البَصْرةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إلى صفِّين[٨] ، ومَضَى بمن استجابَ له منهم إلى صفِّين ، فكان على مَيْسَرته[٩] ، وكان من قادته البارزين ، وقاتل معه أهْلَ الشام قتالاً شديداً[١٠] ، وروى نَصْرُ بن مزاحمٍ المِنْقَريُّ أنه صَحَّحَ خلافَةَ عليٍ ، ورَفَضَ أنْ يَنْحازَ عنه ،

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٨٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤٨٢ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٢٧ ، ٢٣٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٥٠٦ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٤٢ .

(٤) الاستيعاب ص : ٩٣٩ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٩ .

(٥) تاريخ الطبري ٥ : ١٥٥ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٩٨ .

(٦) تاريخ الطبري ٤ : ٥٧٦ ، ٥ : ٩٢ ، ١٣٦ .

(٧) تاريخ الطبري ٥ : ١٣٦ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٧٧ .

(٨) تاريخ الطبري ٤ : ٥٦٢ .

(٩) تاريخ الطبري ٥ : ٣٤ ، ٤٧ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٧٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٤ ، والإصابة ٢ : ٣٣٤ .

(١٠) تاريخ الطبري ٥ : ١٣ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨٩ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٩٥ .

وسَفَّهَ معاوية ، وَنَدَّدَ بِمُفارقتِهِ للجماعة ، حين كتب إليه يَسْأَلُهُ أَنْ يوادعَ أهلَ الشام ، ويكفَّ عن محاربتهم[1] .

وأرادَ عليٌّ أن يُحكِّمَهُ عندما تَدَاعَى أهلُ العراق وأهلُ الشام إلى الصُلْحِ ، فأبى أَهْلُ العراق أن يُحكِّموه ، واختاروا أبا موسى الأشعري ، فلم يَرْضَ عليٌّ به ، لأنه خالفه ، وخَذَّلَ الناس عنه ، ثم هَرَب منه ، فلم يَنْصَاعوا لإرادته ، فَرَضَخَ لهم[2] ، وجعَل عبد الله بن عباس في الوفْدِ الذين أَرْسَلهم لحُضور التحكيم[3] ، فكان يشيرُ على أبي موسى ، ولكنه لم يأخذ بمشورته ، فخَدعَهُ عَمْرُو بن العاص ، واعترف أبو موسى بذلك[4] .

وبَعَثَهُ عليٌّ إلى الخوارج حين أنكروا التحكيم ، فخَاصَمَهُمْ وحَاجَّهم ، فَرَجَع منهم قومٌ كثيرٌ، وثَبتَ قومٌ على رَأْيِهم[5] » .

---

(١) وقعة صفين ص : ٤١٥ .

(٢) وقعة صفين ص : ٤٩٩ ، والأخبار الطوال ص : ١٩٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٧ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٤٠٢ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣١٨.

(٣) وقعة صفين ص : ٥٣٣ ، وتاريخ خليفة بن خياط ص : ٢١٦ ، والأخبار الطوال ص : ١٩٦ ، ٢٠٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٩٠ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٦٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٤٠٦ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٢٩.

(٤) وقعة صفين ص : ٥٤٦ ، والأخبار الطوال ص : ٢٠١ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٧٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٤١٠ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٣٢.

(٥) طبقات ابن سعد ٣ : ٣٢ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٩٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٤٤ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٩ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٧٣ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٢٧ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٤.

(٤) مبايَعَتُهُ لمعاوية ورُضُوخُهُ له

وعاد ابنُ عباسٍ مع عليٍ إلى العراق بعد التحكيم، وظل عاملاً له على البصرة حتى قُتِلَ سنة أربعين، فخرج ابنُ عباسٍ عنها، ولحق بمكة[١]. ثم سَالَم معاويةَ وبايَعَهُ[٢]، ولَزِمَ الحَيْدَةَ، روَى ابن عباسٍ أنَّ معاوية قال له: انت على مِلَّةِ عليٍ؟ فقال: لا، ولا على مِلَّةِ عثمان، ولكني على مِلَّةِ محمدٍ رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٣]». وأطْرَى معاويةَ، وأعْلَنَ أنه أَوْلَى بالخلافة من عبد الله بن الزبير، وأجْدَرُ بها منه، إذ كان يقول[٤]: «ما رأيتُ أحداً أخْلَقَ لِلْمُلْكِ من معاوية، وإنْ كان لَيَرِدُ الناسُ منه على أرجاء وادٍ رَحْبٍ، ولم يكن كالضَّيِّق الخُضْخُض[٥]»، يعني ابن الزبير.

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٢٧، وتاريخ الطبري ٥: ١٤١، والكامل في التاريخ ٣: ٣٨٦، والإصابة ٢: ٣٣٤، وانظر في ولايته للبصرة تاريخ خليفة بن خياط ص: ٢٣١، وتاريخ الطبري ٤: ٤٩٢، ٥٤٣، ٥: ٧٨، ١٠٩، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٥، ومروج الذهب ٢: ٣٨١، والكامل في التاريخ ٣: ٣٥٠، ٣٧٤، ٣٨٦، والبداية والنهاية ٨: ٢٩٩، والاصابة ٢: ٣٣٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٨٨.

(٣) أنساب الأشراف ٣: ٣٥، وحلية الأولاء ١: ٣٢٩.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٣٤٣، والكامل في التاريخ ٤: ١٣.

(٥) الخُضْخُض من الرجال: الذي يتَخَضْخَضُ من لين البَدَنْ والسِّمَن.

وجعلَ ابنُ عباس يتردَّدُ إلى معاوية بدمشق ، فكان معاوية يَحتَفِلُ به ويَصِلُهُ[1] . وكان من الصحابة الذين غَزَوا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية سنة تسعٍ وأربعين[2] . ويقال : إنه أنكرَ على معاوية عَزْمَهُ على البَيْعةِ لابنه يزيد بولاية العَهْد[3] . وليس ذلك مما تَوَاتَرَتْ روايتُهُ واستُفاضَتْ. ولم يُذْكَرْ ابنُ عباسٍ في النَّفر الذين لَقِيَهُمْ معاوية بالمدينة سنة ستٍ وخمسين ، واجْتَهَدَ أنْ يُقْنعهم بالبَيْعةِ ليزيد[4] . والمجْمَعُ عليه أنَّ الذين تَخَلَّفُوا عن بَيْعتِهِ هم : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير[5] . وعندما استُخْلِفَ يَزيدُ بايَعَهُ ابنُ عباسٍ[6] ، وثَبَّطَ الحسين بن علي عن المسير إلى الكوفة ، ونَصَحَ له بالبَقَاء في الحجاز ، خَوْفاً من غَدْرِ أهل العراق به[7] .

واعْتَزَلَ عبدُ الله بن عباس ومحمد بن الحَنَفيَّة الفِتْنَةَ بعدَ وَقْعةِ الحَرَّة ، ووفاة يزيد بن معاوية ، وأَتَيَا مكة فعاذا بها ، فدَعَاهما ابن الزبير إلى بَيْعَتِهِ ، فقالا : لا نبايع إلاَّ من اجتمعت عليه الأُمَّة ، فإذا اجتمعت عليك بايَعْنَاكَ ، فأساءَ جوارهما وحَصَرهما وآذاهما ، وأَقْسَمَ لئن لم يُبَايعا لَيحرِقَنَّهُما بالنار[8] .

---

(1) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٢ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٨١ ، وانظر البداية والنهاية ٨ : ٣٠١.

(2) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ٧٠ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٢٣٢ ، والعقد الفريد ٤ : ٣٦٧ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٤٥٩ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٢ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٣٥ .

(3) تاريخ الطبري ٥ : ٣٠٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٨٦ ، والبداية والنهاية ٨ : ٧٩.

(4) تاريخ الطبري ٥ : ٣٠٣.

(5) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢٨ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٣٠٤ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٥٠٩.

(6) تاريخ الطبري ٥ : ٣٤٣ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٨٨ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٧ .

(7) تاريخ الطبري ٥ : ٣٨٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٧.

(8) طبقات ابن سعد ٥ : ١٠٠ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٩٩ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٥٣ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٣٩ ، ٣٠٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦١ ، ومروج الذهب ٣ : ٨٥ ، وشرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٢٣ .

(٥) تهويل العباسيين لشخصيته السياسية

ومع أنَّ عبد الله بن عباس تَرَكَ السياسة بعد اغتيالِ عليٍ ، وبايع معاوية وابنه يزيد ، وصافاهُما ، وانصرف إلى الاشتغالِ بالعلمِ ، ونال فيه شهرةً مُدوِّيةً ، فإنَّ الروايات العَباسيَّة تضخم شخصيته السياسية وتنفُخُ فيها نَفْخاً شديداً ، إذ تُصوِّرُهُ بَطلاً مناضِلاً عن حق الهاشميين في الخلافة ، مُجادلاً لخُصومهم من الأمويين والزُّبيريِّين جدالاً طويلاً ، فهي تشير إلى أنه كانَ يَتَصَدّى لمعاوية بن أبي سفيان مناظِراً له في مسألة الخلافة ، ومُقرِّراً حقَّ الهاشميين فيها ، ودافعاً الأمويين عنها[1] ! ! وهي تشير إلى أنه كان يتحدَّى يزيد بن معاوية ، مُستَخِفًّا به ، ومُستَعْلياً عليه ، ومُهَدّداً له بانتزاع الخلافة منه[2] ! ! وهي تشير إلى أنه كان يُجابِهُ عبد الله بن الزُّبير طاعِناً فيه ، ومُزْرياً به ، ومُفَضِّلاً الهاشميين عليه ، ومُحْتجاً لحقِّهم في الخلافة ، ومؤَكّداً له[3] ! !

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٢ — ٨٤ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٨٥ — ٨٨

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٩٠ — ١١٦ .

وذَكَرَ علماءُ بني العباس أنه كان يُسَمَّى «أبا الخلفاء»[1] ، ونسبوا إليه أنه أعْلَمَ ابنه علياً أنَّ الرَّسولَ أنبأَ العباس بن عبد المطلب بانْتِقال الخلافة إلى حفدَتِهِ، إذ قال له في وَصِيَّته[2] : «سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول لجَدِّكَ: هذا الأمْرُ كائنٌ في وَلَدِكَ عند زَوَالِهِ عن بني أمية». وعَزَوْا إليه أنه كان يتكَهَّنُ بانْتِهاء الخلافة إلى بني العباس، وبَقَاء المُلْكِ فيهم مَدَى الحياة، فقد أسْنَدَ إليه مُؤَلِّفُ أخبار الدولة العباسية «أنه كان يَسْمَعُهم يقولون: يكون في هذه الأُمَّة اثْنا عَشر خليفةً، قال: ما أحْمَقَكمْ!! إنَّ بعدَ الاثْنَيْ عَشَرَ ثلاثةً منا: السفَّاحَ، والمَنْصُورَ، والمَهْدِيَّ، يُسَلِّمها إلى الدَّجَّال[3]». قال أبو أسامة: وتأويلُ هذا عندي: وَلَدُ المهدي يُسَلِّمُونها إلى الدَّجَّال[4]. ونَحَلُوهُ أيضاً أنه كان يَرْوي أنَّ «المَهْدِيَّ المُنْتَظَر» يكون من ذرِّيَّته، مُنافِساً العَلَوِيِّين في ذلك، ونافياً أنْ يكونَ «المَهْدِيُّ» منهم، وساخراً من ادِّعائهم له سُخْرِيةً لاذعةً، قال أبو صالح[5] : «كنتُ أنا وعكرمة عند ابن عباس، وليس عنده أحدٌ غيرنا، فأقْبَلَ الحسنُ والحسينُ ابنا علي، فَسَلَّما عليه ثم ذَهَبا، فقال: إنَّ هذين يَزْعُمان أنَّ «المَهْدِيَّ» من وَلَدِهما! ألا وإنَّ السَفَّاحَ والمنصور والمَهْدِيَّ من وَلَدي»!

وحَمَلُوا سَيْلاً مِنَ الأحادِيثِ في مناقِبِهِ[6] ، وفي دُعاءِ الرَّسُولِ له ولِنَسْلِهِ بالتَّكاثُرِ

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ : ٤٠، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٥، والنجوم الزاهرة ١ : ١٨٢.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٣٠، وانظر الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٤٧، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٠.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ٤٨.

(٦) انظر البداية والنهاية ٨ : ٢٩٨.

والرَّشاد، منها قوله[1] : «اللهم بَارِكْ فيه، وانْشُرْ منه»، وزادَ ابن عبد البَرّ : «واجْعَلْهُ من عِبادِكَ الصَّالحين[2]». قال أبو نعيم الأصبهاني[3] : «تَفرَّدَ به داودُ ابنُ عطاء المدني». وقد قَدَحَ نُقَّادُ الرِّجال، وعلماءُ الجَرْحِ والتَّعْديلِ في روايتِه، واتَّفقُوا على أنه ضَعِيفٌ، مُنْكَرُ الحديث، كثيرُ الوَهمِ والتَّخْليطِ، لا يُحْتَجُّ به[4]. ولكن ابنَ عبدِ البَرّ زَعَمَ أَنَّ ذلك الحَدِيثَ صحيحٌ[5] !!

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٧، وحلية الأولياء ١: ٣١٥، والاستيعاب ص: ٩٣٥، والبداية والنهاية ٨: ٢٩٦، والإصابة ٢: ٣٣١.

(٢) الاستيعاب ص: ٩٣٥.

(٣) حلية الأولياء ١: ٣١٥.

(٤) انظر التاريخ الكبير ٢: ١: ٢٤٣، والجرح والتعديل ١: ٢: ٤٢٠، وميزان الاعتدال ٢: ١٢، ولسان الميزان ٢: ٤٢١، وتهذيب التهذيب ٣: ١٩٣، وتقريب التهذيب ١: ٢٣٣.

(٥) الاستيعاب ص: ٩٣٥.

(٦) تعقيبٌ ونَقْدٌ

ويبدو أنَّ معظم تلك الأخبار والأحاديث قد صُنِعَتْ وأُشيْعَتْ بعد أنْ سيطر بنو العباس على الخلافة ، واحْتَازُوها لأنفسهم ، وأخرجُوا أبناء عمومتهم العلويين منها . وقد نشط العلماء المُجَامِلونَ المُلَاينُونَ إلى وَضعِهَا ونَشْرها لِتَعظيمِ بني العباس ، وتَفْخيمِ سَعْيهم للخلافة وطَلبهم لها ، وتَهْويل جهادهم في سبيلها وكفاحهم من أجلها ، وتَوْطيدِ حَقِّهم فيها ، وتَسْويغ اسْتئثارهم بها ، مَثَلُهَا كَمَثَلِ الأخبارِ والأحاديث التي اختُرِعَتْ ودُسَّتْ في ترجمة العباس بن عبد المطلب ! !

أمَّا ما رُوِيَ من أخبارِ مُفاخرةِ عبد الله بن العباس لمعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وعبد الله بن الزبير ، ومُناهضته لهم ، ومنازعته إياهم في الخلافة فليس لأكثرها ذكرٌ في المصادر المختلفة . وفي أعْلَى الروايات وأوْثقها أنَّ ابنَ عباس بايع معاوية وابنه يزيد ، ودَارَاهُما ، وتَطَامَنَ لهما[1] ، ونَشَدَ وُدَّهُما[2] ، ونَوَّهَ بهما ، ودَعَا إلى طاعتهما ، وحَذَّرَ الثَّوْرَة عليهما . ومما يدل على ذلك هذا الخبر الذي رواه المدائني المتوفي سنة خمسٍ وعشرين ومائتين[3] ، وكان شيخ الإخباريِّين وأدقَّهم وأصْدَقهم ،

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٥٣ .

(٢) أنظر الكامل في التاريخ ٣ : ٥١١ .

(٣) انظر ترجمته في المعارف ص : ٥٣٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٢٤ ، والفهرست ص : ١٤٧ ، وتاريخ

يقول[1] : قال عامر بن مسعود الجمحيُّ : «إنا بمكة إذ مَرَّ بنا بريدٌ يَنْعَى معاوية ، فَنَهَضْنَا إلى ابن عباس ، وهو بمكة وعنده جماعة ، وقد وُضِعَت المائدةُ ولم يُؤْتَ بالطعام ، فقلنا له : يا ابن عباس ، جاء البريدُ بموت معاوية ، فَوَجَمَ طويلاً ثم قال : اللهم أَوْسِعْ لمعاوية ، أما واللهِ ما كان مثلَ مَنْ قبله ، ولا يأتي بعده مثلُهُ ، وإنَّ ابنه يزيد لَمِنْ صالحي أهْلِهِ ! ! فالْزَمُوا مجالسكم ، وأعْطُوا طاعتكم وبَيْعَتكم ! هات طعامك يا غلام . قال : فبينا نحن كذلك إذْ جاء رسولُ خالد بن العاص ، وهو على مكة ، يدعوه لِلْبَيْعَة . وقال : قل له : اقْضِ حاجتك فيما بينك وبين مَنْ حَضَرك ، فإذا أمْسينا جئْتُكَ . فَرَجَعَ الرسولُ فقال : لا بُدَّ مِنْ حُضُورك ، فمَضَى فَبَايَعَ» .

ويقال : إنَّ يزيد كَتَبَ إلى ابن عباس يشكُرُ له طاعته ، ومُخالفته لابن الزبير ، واسْتِنكافَهُ من بَيْعته ، ويسأله أنْ يُسَكِّنَ أهلَهُ ومَنْ يَطرأ عليه من الآفاق ، ويَحْمِلَهُمْ على الطاعة ، واعداً له حُسْنَ الجزاء وتَعْجيلَ الصِّلة . فردَّ عليه بكتابٍ طويلٍ أغْلَظَ له فيه القَوْلَ ولاَمَهُ وأنَّبهُ على قَتْلِهِ الحسين بن علي ، واسْتكْبَر عن الدعوة له ، وأنِفَ منها ، ونَدَّدَ باغْتِصَابِ بني أمية للخلافة ، ودَفْعِهِم لِلْعلويِّين والعباسيين عنها[2] . ولكنه ظَلَّ مُمْتنعاً على ابن الزبير بعد موت يزيد ، مُقَدِّماً لهم عليه ، وقد أوْصى ابنه

بغداد ١٢ : ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٣٠٩ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٥١٧ ، ونور القبس ص : ١٨٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٥٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٥٣ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٥٩ ، وضحى الاسلام ٢ : ٢٤٣ ، ونشأة علم التاريخ عند العرب للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٩.

(١) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٣ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٢٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٤٨ — ٢٥٠ ، وأنساب الأشراف ٤ : ٢ : ١٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٨٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٢٧ .

علياً بمُزايلةِ الحجاز ، واستيطان الشام ، والاعتصام بعبد الملك بن مروان ، حتى يكون بمنجاةٍ من مَكْرِ ابن الزبير وشرِّه[1] .

ونَقَلَ المدائنيُّ أنَّ ابن عباس كان يسابقُ ابن الزبير في الفِقْهِ وسُطُوعِ النَّسَبِ وارتفاعِ الحَسَب[2] . وكانَ يُنكِرُ عليه أيضاً نَصْبَهُ نفسَهُ للخلافة . ويظهر أنَّ أخبارَ منافستِهِ له في العلمِ والوجاهةِ والنَّباهةِ حُرِّفَتْ عن مَواضِعِها ، وَزِيدَ فيها ، وصُرِّفَتْ إلى المنافسةِ في الإمامةِ والرئاسة ! وقد أجمع الرواةُ على أنه لم يُبايعْ لابن الزبير ، فَعاداهُ ونَفاهُ إلى الطائف فمات بها[3] . ولكنه لم يَتقدَّمْ للخلافة ، ولم يَترشَّحْ لها ، ولم يُجاحِدْ ابنَ الزُّبير ولم يُغالِبْهُ عليها ، حين استقلَّ بالحجاز ، إذ كان ابنُ عباسٍ شيخاً كبيراً مُتهالكاً ، قد رقَّ جِسمُهُ ، وَوَهَنَ عَظمُهُ ، ثم كُفَّ بَصَرُهُ .

وأمَّا ما رُويَ من أحاديث في محاسن ابن عباس ومَحامِدِهِ ، وفي تولِّي حَفَدَتِهِ لأمْرِ المسلمين ، وقيامِهِم بالحُكمِ إلى يومِ الدين فَجُلُّهُ مُبتَدَعٌ مُختَرَعٌ ! !

ومما يُرَجِّحُ زَيفَ تلك الأحاديث واختِلاقِها أنه ليس لها أساسٌ في المصادرِ التي تَرجَمَ أصحابُها لابن عباس ، وحَملوا الصَّحيحَ المُتَّفقَ عليه من أخبارِهِ ، مثل نَسَب

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٥٣ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣١ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٤٠ ، ٤٥ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، والاستيعاب ص : ٩٣٩ ، وشرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥ : ١٠٢ ، والمعارف ص : ١٢٣ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٠٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٥٣ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٨٩ ، وحلية الأولياء ١ : ٣٢٩ ، والاستيعاب ص : ٩٣٩ ، وشرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٢٤ ، وأسد الغابة ٣ : ١٩٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٦٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤١ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٦ ، والإصابة ٢ : ٣٣٤ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٨ .

قريشٍ لمصعبِ الزبيري ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والمعارف لابن قتيبة ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، وحلية الأولياء لابن نعيمٍ الأصبهاني ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتهذيب الأسماء واللغات للنّووي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، والبداية والنهاية لابن كثيرٍ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، والإصابة ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، وشَذَرات الذَّهب لابن العماد الحنبلي .

ومما يُرجِّحُ زَيفَها واختلاقَها أنه ليس لها أساسٌ في كُتُبِ الحديث على تَبايُنِ شروط مُؤلِّفيها في جَمعِ الحديث ، وتَفاوُتِها في التَّصلُّبِ والتَّسامُح ! وقد ثَبَتَ في الصَّحيحَينِ أنَّ الرسولَ دعا لابن عباسٍ بالحِكمَةِ والعِلمِ بالدينِ ، والإتقانِ للتفسير[1] ، وأنَّ عمر بن الخطاب كان يُعظِّمُهُ ويَعتَدُّ به على صِغَرِ سِنِّهِ[2] . وروى ذلك وخَرَّجَهُ أكثرُ من تَرجَموا له . وذكر الواقديُّ أن ابن عباس كانَ يَعتَرِفُ بأنَّ الرسول دعا له مرَّتين[3] .

وعَجِبَ ابنُ كثيرٍ من غزارَةِ الأحاديثِ التي رواها بعضُ المُصَنِّفينَ في مكارِمِ ابن عباسٍ ومآثرِهِ ، وحَشَوا بها كُتُبهم حَشْواً بمُقتَضى أهوائِهم ، ونَصَّ على فُشُوِّ الوَضعِ والافتعالِ فيها ، وغَلَبَةِ المناكيرِ والأباطيلِ عليها ، فَحَذَفَ ضعيفَها وسَقيمَها ،

---

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٦ .

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٧٠ .

واصطفى قويَّها وسَليمَها، يقول[1] : «وَرَدَ في فَضائلِ ابنِ عباسٍ أحاديثُ كثيرةٌ، منها ما هو منكرٌ جداً، أضرَبْنا عن كثيرٍ منها صَفحاً، وَذَكَرنا ما فيه مُقْنِعٌ وكِفايَةٌ». وما أبقاهُ منها وارْتَضاهُ ثلاثةُ أحاديثَ[2]، وهي التي قَبِلَها علماءُ الحديثِ وَوَثَّقُوها.

ويَظهَرُ مما سبَقَ أنه كانَ لابنِ عباسٍ مكانةٌ عِلميَّةٌ مَرموقَةٌ، إذ كان عَلَماً شَامِخاً في المعارفِ الدِّينيَّةِ والتاريخيةِ. وكان مُقَدَّماً عند الرسولِ، أثيراً لَدَيْهِ، فَدعا له أَنْ يَشرَحَ اللهُ صَدرَهُ للعِلمِ، ويُمكِّنَهُ منه، وكانَ مُقرَّباً إلى أبي بكرٍ وعُمَرَ وعثمانَ، وكانوا جميعاً يُقَدِّرُونَهُ ويُفاوِضونَهُ ويَعتدُّونَ برأيِهِ في الفِقْهِ، ولكنهم أبعَدُوهُ عن السياسةِ، واقتَصَرُوا على الانتفاعِ بِعِلمِهِ. فلما استُخلِفَ عليٌّ بن أبي طالبٍ تَطَامَنَ ابنُ عباسٍ له، وأقرَّ بِفَضْلِهِ، ولم يُنافِسْهُ في الزَّعامةِ، إذ كانَ دُونَهُ في السابقةِ والقُدْمَةِ، وكانَ أقلَّ منه في المَنزِلَةِ والعَظَمَةِ، فبايَعَهُ، وصار من أكبرِ أتباعِهِ وأعوانِهِ، وقاتَلَ معَهُ، وعَمِلَ له، وكانَ يرى أنَّ تَوَلِّيهِ للخلافةِ عِزٌّ ومَجدٌ للهاشميِّين من الطالبيِّين والعباسيِّينَ. ولم يزل على ذلك حتى غَلَبَ معاويةُ بن أبي سفيان على الأمرِ، وصَفا له المُلكُ، فوادَعَهُ وبايَعَهُ، وأصبحَ ممن يُؤَيِّدُهُ ويحتجُّ لخِلافَتِهِ، فكان مُحَبَّباً إليه، حَظِيّاً عندَهُ. وبايعَ ابنَهُ يزيدَ من بعدِهِ، ودَخَلَ في طَاعتِهِ. ثم تَنَحَّى عن الفِتنَةِ بعد موتِ يزيد، وخالَفَ عبدَ الله بنَ الزُّبَيرِ، وفَضَّلَ الأمويينَ عليه، وأعْلَنَ أنهم أجدَرُ منه بالخلافةِ، وأقدَرُ على الحُكمِ. وأمَرَ ابنَهُ علياً أنْ يُفارِقَ الحجازَ، ويأتيَ الشامَ، فيأويَ إلى عبد الملك بن مروان، ويتَّقيَ غَدرَ عبد الله ابن الزبير.

ولكنَّ العباسيِّينَ تَزَيَّدُوا في أخبارِ حياتِهِ، وتَكَثَّرُوا في كُلِّ ما يَرفَعُ من شأنِهِ،

---

(١) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٨.

(٢) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٥ — ٢٩٨.

وحَرَّفُوا مَواقِفَهُ السياسية ، وَرَسَمُوا له شخصيةً بُطوليةً !! فَزَعَمُوا أنه سَمِعَ الرسولَ يُبَشِّرُ بخلافَتِهِم ، وَرَوَّجُوا أنه كان يُسمِّي خُلفاءهم ، وذكروا أنه كان يَتَنَبَّأُ باستِقرارِ الخلافةِ فيهم إلى يومِ القيامةِ ، وأشاعوا أنه كان يُنازِعُ الزُّبَيريِّينَ والأمويينَ في الخلافةِ ، مُستَهزِئاً بهم ، ومُستَعلياً عليهم ، ومُقَرِّراً حَقَّ العباسيِّينَ في الخلافةِ تقريراً ، ومُنتَصراً له انتصاراً باهراً . وأرْجَفُوا أنه كان يُخاصِمُ العَلَويِّينَ في المَهْديِّ ، ويدَّعي أنَّه مِنْ بَنيهِ لا من بني الحسن والحسين . وساقوا ذلك كله في أحاديث وأخبارٍ لا تكاد تنتهي . وهي أحاديثُ مفتَعَلَةٌ ، وأخبارٌ مُوَلَّدة ، وهي من قَصَصِ الدعوةِ العباسيّةِ .

والراجحُ أنَّ ابنَ عباسٍ انضَوَى تحتَ رايةِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ، وتَعَلَّقَ به ، وأنه لم يكنْ من طُلّابِ الخلافةِ . فلما قُتِلَ عليٌّ اعتَزَلَ السياسةَ ، وتَفَرَّغَ للعلمِ ، وأذعَنَ للأمويينَ وأطاعَهُم ، ورَضيَ بهم ، ودافَعَ عنهم !

« الفصل الثالث »

« عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ العبّاس »

(١) مكانتُهُ وثقافتُهُ

تَرَكَ عبد الله بن العباس ستةً من البنين هم[١] : العباسُ ، وكان أكبرَ وَلدِهِ ، وبه كان يُكنَّى ، ومحمّدٌ ، وعُبَيدُ الله ، والفَضْلُ ، وعبد الرحمن ، وعليٌّ ، «وفيه الجَمْهَرَةُ ، والعَدَدُ ، والبيتُ ، والخلافةُ »[٢] . ولا عَقِبَ له من غيرِهِ[٣] . ويُروَى أنه كان له ابنٌ سابعٌ يقال له : سَليطٌ ، وهو ابنُ أمَةٍ ، وقد نَفاهُ ثم استَلحَقَهُ[٤] ، واتُّهِمَ أخوه عليٌّ بِقَتلِهِ[٥] .

وكان عليٌّ بنُ عبد اللهِ بنِ العباسِ المُتوفَّى سنةَ ثماني عشرةَ ومائةٍ[٦] أَجَلَّ إخوتِهِ

---

(١) انظر فيهم نسب قريش ص : ٢٨ ، والمعارف ص : ١٢٣ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦٣ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧٠ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١١٧ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٦ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص : ١٨ .

(٣) نسب قريش ص : ٢٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص : ١٨ .

(٥) رسائل الجاحظ للسندوبي ص : ٧٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧٦ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٤٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٣٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٦ .

(٦) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٣١٢ ، ونسب قريش ص : ٢٨ ، وطبقات خليفة بن خياط ص : ٥٥٩ ، ٦٣٨ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٣٥ ، والتاريخ الكبير ٣ : ٢ : ٢٨٢ ، والمعارف ص : ١٢٣ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧١ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢١٧ ، وأخبار الدولة

قَدراً ، وأعظَمَهُم خَطراً . وهو أوّلُ شخصيةٍ عباسيةٍ كان لها مَطامحُ سياسيّة ، فقد رامَ الخلافةَ ، وتوخّى القَضاءَ على دولةِ بني أميّةَ ، وسَعى لذلك سَعيَهُ مدةَ حياتِهِ .

وكان مثالاً للرجل الكاملِ في تمامِ خِلقَتِهِ وحُسْنِهِ ، ووَرَعِهِ ونُبلِهِ ، قال ابن سَعْد [١] : «كانَ أصغَرَ ولدِ أبيهِ سِنّاً ، وكانَ أجملَ قرشيٍّ على وَجهِ الأرضِ وأوسَمَهُ وأكثَرَهُ صلاةً ، وكان يُقالُ له : السَّجّادُ لِعبادَتِهِ وَفَضلِهِ» ، وكانَ يُصلّي في اليومِ والليلةِ ألفَ ركعةٍ [٢] .

وكان زاهداً مُتَقَشِّفاً [٣] . وأثّرَ في بَنيهِ وحَفَدَتِهِ ، فنشأوا على هَدْيِهِ وسَمْتِهِ ، واقتدوا بمَذهَبِهِ وسيرَتِهِ ، فكانوا أشهَرَ الناسِ تلاوةً وقياماً وصياماً وصَلاحاً ، حتى قيلَ فيهم [٤] : «أفضَتِ الخلافةُ إليهم وما في الأرضِ أحدٌ أكثرَ قارئاً للقرآنِ ولا أفضلَ عابداً وناسكاً منهم بالحُمَيمَةِ» .

العباسية ص : ١٣٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١١١ ، والجرح والتعديل ٣ : ١ : ١٩٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٣٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٦ ، ومعجم الشعراء ص : ١٣٣ ، وحلية الأولياء ٣ : ٢٠٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٥٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٠ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٧ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٤٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٢ : ٤٤٠ ظ .

(١) طبقات ابن سعدة : ٣١٣ ، وانظر نسب قريش ص : ٢٨ ، والمعارف ص : ١٢٣ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧٠ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢١٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٤٤ ، وحلية الأولياء ٣ : ٢٠٧ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٥٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٤٨ .

(٢) طبقات ابن سعده : ٣١٣ ، والمعارف ص : ١٢٣ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧٠ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢١٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٧ ، وحلية الأولياء ٣ : ٢٠٧ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٥٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية ٨ : ٣٠٦ ، ٩ : ٣٢١ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٧ ، وشذرات الذهب ١ : ١٤٨ .

(٣) البداية والنهاية ٩ : ٣٢١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥ : ٣١٤ .

وكان عالماً له معرفةٌ وروايةٌ عن أبيه [١]، وكان سيّداً شريفاً بليغاً [٢]، وكان كبيرَ المحلِّ عند أهل الحجاز [٣]، روى هشام بن سليمان المخزومي: «أنَّ عليَّ بن عبد الله كان إذا قدمَ مكةَ حاجّاً أو مُعتَمِراً، عَطَّلَتْ قُرَيشٌ مجالسَها في المسجد الحرام، وهجرَتْ مواضعَ حَلَقِها، ولَزِمَتْ مجلس عليّ بن عبد الله إجلالاً له وإعظاماً وتبجيلاً، فإن قَعَدَ قعدوا، وإن مشى مَشَوا جميعاً، ولم يكن يُرى لِقُرَشيٍّ مَجْلسٌ [ذِكْرٍ] يُجتَمَعُ إليه فيه حتى يَخرُجَ علي بن عبد الله من الحَرَم» [٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢١. وقد أحصى ابن حجر العسقلاني سائر شيوخه في الحديث وأكثر تلاميذه فيه. (انظر تهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٧).

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ٢١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢١، والبدء والتاريخ ٥ : ١٠٥، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤.

(٣) وفيات الأعيان ٣ : ٢٧٦.

(٤) زيادة من حلية الأولياء ٣ : ٢٠٧، يتمُّ المعنى بها ويستقيم.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص: ١٤٠، وحلية الأولياء ٣ : ٢٠٧، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٧، وتاريخ دمشق، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٢ : ٤٤٠ظ.

(٢) ارتحالُهُ إلى الشام

ويقال(١) : إن عبد الله بن العباس أوصى ابنَهُ علياً بإتْيانِ الشام ، والتَّنحي عن سُلطانِ ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك بن مروان ، وقال له(٢) : « الحَقْ بابنِ عمِّكَ عبد الملك ، فإنه أقربُ وأخلَقُ للإمارةِ ، وَدَعِ ابنَ الزبَير ، وإيَّاكَ وإيَّاهُ ، فإني رأيتُهُ لا يعرفُ صَديقَهُ من عَدُوِّهِ ، ومَنْ يكنْ كذلك لم يَتِمَّ أمرُهُ ، ولم يَصْفُ له » .

وتوفي أبوه ، فَعَمِلَ بِوصيَّتِهِ ، فقد رَحَلَ إلى الشام ، ولاذَ بعبد الملك بن مروان . ورَوَى الواقديُّ أنَّ عليَّ بن عبد الله وُلِدَ ليلةَ قُتِلَ علي بن أبي طالبٍ ، فسُمِّيَ باسمِهِ ، وكُنِّيَ بكُنْيَتِهِ . فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال له : لا ، والله ، لا أحتَمِلُ لكَ الاسمَ والكُنْيَةَ جميعاً ، فَغَيِّرا أحدَهُما فغيَّرَ كُنْيَتَهُ ، فَصيَّرَها أبا محمدٍ(٣) .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٥٣ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٣١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥ : ٣١٢ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١١١ ، والبدء والتاريخ ٥ : ١٠٥ ، ٦ : ٥٨ ، وحلية الأولياء ٣ : ٢٠٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٥٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢١ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٨.

قال ابنُ خلكان[1] : «إنما قالَ له عبد الملك هذه المقالةَ ، لِبُغضِهِ في عليّ ابن أبي طالب ، رضيَ الله عنه ، فكَرِهَ أنْ يَسمعَ اسمَهُ وكُنيَتَهُ» .

ويقالُ : إنّهُ ولد في حياةِ عليّ بن أبي طالب ، فَسمَّاهُ وكَنَّاهُ ، ولَقَّبَهُ أبا الأملاكِ أو أبا الخلفاء. وإنَّ معاويةَ بن أبي سفيان هو الذي سأله أنْ يُبدِّلَ كُنيَتَهُ ، قالَ المُبَرِّدُ[2] : «يُروَى عن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، رحمةُ الله عليه ، أنه افتقد عبد الله ابن العباس ، رحمَهُ الله ، في وقتِ صلاة الظهر ، فقال لأصحابه : ما بال أبي العباس لم يَحْضرْ؟ فقالوا : وُلِدَ له مَولودٌ. فلما صلَّى عليٌّ ، رَحِمَهُ الله ، قال : امْضُوا بنا إليه ، فأتاهُ فهنَّأهُ ، فقال : شكرتَ الواهبَ ، وبُورِكَ لك في المَوْهوبِ ، ما سَمَّيتَهُ؟ قال : أَوَيَجوزُ لي أنْ أُسَمِّيَهُ حتى تُسَمِّيَهُ؟ فأمَرَ به فأُخرِجَ إليه ، فأخذَهُ وحنَّكَهُ ودعا له ، ثم رَدَّهُ إليه ، وقال : خُذْهُ إليك أبا الأملاك ! قد سَمَّيتُهُ عليّاً ، وكَنَّيتُهُ أبا الحسَن. فلما قام معاويةُ قال لابن عباس : ليس لكم اسمُهُ وكُنيتُهُ ، قد كَنَّيتُهُ أبا محمدٍ ، فجرتْ عليه» .

وقولُ الواقديّ أثبَتُ وأصحُّ ، والتَّوليدُ في روايةِ المُبرِّدِ للخبر ظاهرٌ ، والتَّبشيرُ فيها بِتولِّي العباسيِّين للخلافة ، وترشيحُ العَلويِّينَ إياهم لها ، وتَقديمُهُم لهم على أنفُسِهم فيها ، وتَنازُلُهم لهم عنها واضحٌ. ومما يكشفُ عما فيها من توليدٍ أنَّ للخبرِ روايةً ثالثةً مَصنوعَةً تَتضمَّنُ الغاياتِ الإعلاميّة السياسية السابقة ، فإنَّ فيها أنَّ الرسولَ لَقَّبَ عبد الله بن العباس نفسه حينَ وُلِدَ بأبي الأملاك !! قال ابن

---

(1) وفيات الأعيان ٣ : ٢٧٥.

(2) الكامل ٢ : ٢١٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٥ ، والعقد الفريد ٥ : ١٠٣ ، والبدء والتاريخ ٥ : ١٠٥ ، ٦ : ٥٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤ ، وشذرات الذهب ١ : ١٤٨.

الطُّقطقي [1] : «رُوِيَ أنَّ الرَّسولَ، صلواتُ الله عليه وسلامُهُ، كانَ يَجري على لَفظِهِ الشريفِ ما معناهُ البشارةُ بدولةٍ هاشمية. فزعم ناس أنه قال : تكون لِرَجُلٍ من ولدي، وزعم ناس أنه، عليه الصلاة والسلام، قال لعمه العباس، رضي الله عنه وسلم، : إنها تكون في ولدِك، وأنه حينَ أتاه بابنِه عبد الله أَذَّنَ في أُذُنِهِ، وتَفَلَ في فِيهِ، وقال : اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وعَلِّمْهُ التأويل، ثم دَفَعَهُ إلى أبيهِ وقال له : خُذْ إليك أبا الأملاك. فمن زَعَمَ هذا قالَ : إنَّ الدَّولةَ العباسيّةَ هي الدولة المُبَشَّرُ بها» ! !

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥، وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧، وتذكرة الحفاظ ١ : ٤٠، والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٥، والنجوم الزاهرة ١ : ١٨٢.

(٣) انتقالُهُ إلى الحُمَيمَة

وروى البلاذريُّ أن عليَّ بن عبد الله ابتَنى داراً له بدمشق ، ثم صار وَوَلدُهُ إلى الحميمة وكُدَاد مِنْ عَمَلِ دمشق[١] . ولكن مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العباسيّةِ ذكر أنه لم يَستَقِرَّ بدمشق ولم يَسكُنْها ، بل أَلَمَّ بها حينَ قدمَ على عبد الملك ، ثم تحوَّلَ عنها إلى الحميمَةِ فاستَوطَنَها خَوفاً من أن يَنفِسَ عليه أهل الشام مكانته من عبد الملك ، فَيَشي به أحدُهُم إليه ، فَينْفِرَ منه ، ويَسخَطَ عليه ، يقول[٢] : «قال له عبدُ الملك : ارْتَدْ مَنزِلاً تَضُمُّ فيه أهْلَكَ وخاصَّتَكَ ، قال له : أَحَبُّ المنازِلِ إليَّ أخْلاها وأبعدُها من العَوَّامِ ، فإني متى قمتُ معك بدمشق لم آمَنْ أنْ يَلقاكَ بعضُ أهْلِ الشامِ فيقول : قال عليٌّ ، ولَقِيَ عليٌّ ، وعَرَّضني لتُهمَتِكَ ! فقالَ له عبد الملك : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ، ما أنتَ بِمُتَّهمٍ ، والبَلقاءُ مَنزِلُ صِدْقٍ تَضُمُّ فيه أهلَكَ وحشمَك ، وتُقيمُ عندي ما أحبَبْتَ وتأتيني إذا شئتَ ، ولستَ تَبعُدُ عني ، ولا يَنساكَ ذكري ، ولا يَبعُدُ عنكَ خَبَرُ مَنْ بالحجازِ من أهل بيتِك. فنزلَ بالشَّراةِ من البلقاء ، ونزل من الشَّراةِ الحُمَيـمَة» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٥٣ ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٥٠ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٢ : ٤٤٠ظ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٥٤ ، وانظر ص : ١٣١ .

(٤) علاقتُهُ بعبد الملك بن مروان

وَوَسِعَهُ عبد الملك ، واحتَفى به ، فكانَ يُجلِسُهُ معه على سريره إذا دَخَلَ ، ويُحادِثُهُ ويُسامِرُهُ(١) ، وكان يرعاهُ ، ويُهدي إليه الجَواري ، ويَقضي حَوائِجَهُ ، ويَقبَلُ شفاعته (٢).

قال البلاذري(٣) : «ولم يَزَلْ علي بن عبد الله بن عباس أثيراً عند عبد الملك ابن مروان ، كريماً عليه ، حتى طَلَّقَ عبد الملك أمَّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ ، فتزوَّجَها عليٌّ ، فتَغَيَّرَ له ، وثَقُلَ عليه ، فَبَسَطَ لسانَهُ بِذَمِّهِ وقال : إنما صلاتُهُ رِياءٌ . وكان الوليد بن عبد الملك يسمع ذلك من أبيه ، فلما وَلِيَ أقصاهُ وعابَهُ وتَجَنَّى عليه حتى ضَرَبَهُ وسَيَّرَهُ» .

وأسنَدَ ابن خلكان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي أنَّ عبد الملك أوجَسَ من عليٍّ وابنِهِ محمدٍ خِيفةً ، حين أقبلا عليه بِدُومة الجَندَلِ ، فإن قائِفَهُ أخبرَهُ بعد أن فارَقاهُ أنَّ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١١١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٥٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٦ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٨ .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ٢٢٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧٤ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٥٥ ، وتاريخ الطبري ٦ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٥ : ١٠١ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٣١ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٧٦ .

الخلافةَ تنقَلِبُ إلى وَلَدِ محمد بن عليٍّ ، إذ قال لقائِفِهِ [1] : «أتعرِفُ هذا؟ فقال : لا ، ولكنْ أعرِفُ من أمْرِهِ واحدةً ، قال : وما هي؟ قال : إنْ كانَ الفتى الذي معه ابنَهُ فإنه يَخْرُجُ من عَقِبِهِ فراعنةٌ يملكونَ الأرضَ ولا يُناوِئُهم مُناوىءٌ إلاَّ قَتَلوهُ . قال : فارْبَدَّ لَونُ عبد الملك ، ثم قال : زعم راهبُ إيليا ، ورآهُ عندي ، أنه يَخْرُجُ من صُلبِهِ ثلاثة عشرَ مَلكاً ، وَصَفَهُم بصفاتِهم» ! ! والتَّكهُّنُ في الخَبَرِ ظاهرٌ ، والتَّوليدُ فيه بَيِّنٌ ! !

وقد رَوَى صاحبُ أخبار الدولة العباسية أنَّ عبد الملك لم يَجْفُ علياً ، ولم يَطعَنْ عليه ، بل ظلَّ رفيقاً به ، مُكْرِماً له حتى هلك [2] .

---

(١) وفيات الأعيان ٤ : ١٨٦ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٥٥ .

(٥) سَعْيُهُ للخلافةِ وضَرْبُ الوليد له

وعلمَ الوليدُ بن عبد الملك أنَّ علياً يَطلُبُ الخلافة. ويَتَنَبَّأُ بانتقالِها إلى بنيه، فَضَيَّقَ عليه، ونَالَ منه، وشَهَّرَ به، ثم جَلَدَهُ وَطَرَدَهُ من بلادِ الشام، قال المبرِّد[1]: «ضُرِبَ بالسَّوطِ مرتين، كلتاهما ضربَهُ الوليد، إحداهما في تَزَوُّجِهِ لُبانَة بنت عبد الله بن جعفر، وكانت عند عبد الملك، فَعَضَّ تفاحةً ثم رمَى بها إليها، وكان أَبْخَر، فَدَعَتْ بسكين، فقال: ما تَصنَعين به؟ قالَتْ: أُميطُ عنها الأذَى. فطلَّقَها، فَتَزَوَّجَها علي بن عبد الله، فضرَبه الوليد وقال: إنما تتزوَّجُ بأمهاتِ الخلفاء لِتَضَعَ منهم[2]، لأن مروان بن الحكم تَزَوَّجَ أمَّ خالد بن يزيد بن معاوية لِيَضَعَ منه. فقال علي بن عبد الله: إنما أرادت الخُروجَ من هذه البلدة، وأنا ابنُ عمِّها فَتَزَوَّجْتُها لأكونَ لها مَخرَجاً.

وأما ضَربُهُ إياه في المرة الثانية فإنا نَرويهِ من غيرِ وَجْهٍ، ومن أَتَمِّ ذلك ما حَدَّثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البَلْخي في إسنادٍ له مُتَّصِلٍ، لستُ أحْفَظُهُ، يقولُ في آخرِ ذلك الإسناد: رأيتُ علياً مَضروباً بالسَّوطِ يُدارُ به على بعيرٍ، ووجهُهُ مما يلي ذنَبَ البعير، وصائحٌ يصيحُ عليه: هذا علي بن عبد الله الكذَّاب! قال: فأتيتُهُ

(١) الكامل ٢: ٢١٧، وانظر رسائل الجاحظ للسندوبي ص: ٧٩، وأنساب الأشراف ٣: ٧٦، وأخبار الدولة العباسية ص: ١٣٨، والعقد الفريد ٥: ١٠٣، وشرح نهج البلاغة ١٥: ٢٣٨، ووفيات الأعيان ٣: ٢٧٥، والبداية والنهاية ٨: ٣٢١، وشذرات الذهب ١: ١٤٨، والبدء والتاريخ ٦: ٥٨.

(٢) في الأصل: منها.

فقلت : ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب؟ قال : بلغهم قولي : إن هذا الأمرَ سيكونُ في وَلَدي . والله لَيكونَنَّ فيهم حتى يملِكَهُم عَبيدُهُم الصغارُ العيون ، العِراضُ الوُجُوهِ ، الذين كأنَّ وجوهَهُم المَجانُّ[1] المُطرَقَةُ[2] .

وضربَهُ مرةً ثالثةً في قَتلِ سَليطٍ ، وقد فَصَّلَ البلاذريُّ خَبَرَهُ بما لا مثيلَ له عند غيرِه من المؤرخين. فقد كان لعبد الله بن عباس جاريةٌ تَخدِمُهُ ، فواقَعَها مرةً ولم يطلبْ وَلَدَها ، فاغتَنَمَتْ ذلك واستَنكَحَتْ عَبْداً من عبيدِ أهل المدينةِ ، فَوَقَعَ عليها حتى حَمِلَتْ وولَدَتْ غلاماً. فَحَدَّها عبد الله بن عباس ، واستَعبَدَ ولَدَها ، وسَمَّاهُ سَليطاً. وكان يخدم علي بن عبد الله ، وشخصَ معه إلى الشام ، فكان له من بني أمية موقعٌ ، ومن الوليد بن عبد الملك خاصة . فادَّعى انه ابن عبد الله بن عباس ، وَدَسَّ إليه الوليد ، لما كان في نَفسِهِ على عليٍّ ، أنْ خاصمَ عليّاً ، فَخاصَمَهُ ، واحتالَ شهوراً على إقرارِ عبد الله بأنه ابنه ، فشهدوا له بذلك عند قاضي دمشق ، وعَرَّفَ الوليدُ قاضِيَهُ رأيَهُ في تثبيتِ نَسَبِ سليط ، فتحامل معه على عليٍّ ،وألحقَهُ بعبد الله ابن عباس. ثم إن سليطاً جعل يُخاصمُ علي بن عبد الله في الميراث حتى لقيَ منه غماً وأذىً. وكانَ عُمَرُ الدَّنُّ يخدمُ عليّاً ، فاستشارَهُ في قَتْلِ سليطٍ ، فَزَجَرَهُ عليٌّ ونهاهُ. وقَتَلَ عمرُ الدنُّ سليطاً ، ودَفَنَهُ في بستانٍ لعليٍّ قُربَ دمشق ، وأعانَهُ على دَفنِهِ مَوْلىً لعليٍّ ، ثم عَفَّيا مَوضعَ قَبرِهِ. فَقَرَفَ الوليد عليّاً بقتْلِهِ ، وأمَرَ به « فأقيمَ في الشمس ، وجعلَ على رأسه الزيت ، وَضَرَبَهُ ستين أو أحداً وستين سَوْطاً. وألبَسَهُ جُبَّةَ صوفٍ ، وحَبَسَهُ لِيُخبرَهُ خبرَ سلِطٍ ، وَيَدُلَّهُ على الدَنِّ وصاحِبِهِ ، وكان يُخرَجُ في كلِّ يومٍ

(١) المجان المطرقة : التِّراسُ التي أُلبِسَت العَقَبَ شيئاً فوق شيء. والعقب : العَصَبُ الصلب المتين الذي تُعْمَلُ منه الأوتار. أراد أنهم عِراضُ الوُجُوه غلاظها. (انظر اللسان : طرق).

(٢) انظر أصل الحديث في صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٤.

فيُقامُ في الشَّمْسِ. وكان عبَّاد بن زياد[1] له صديقاً. فجاءَهُ فألقى عليه ثيابَه، وكلَّمَ الوليدَ في أمرِهِ، فأمَرَ أن يُسيَّرَ إلى دَهْلَك[2]، وهي جزيرةٌ في البحرِ، فكلَّمَهُ سليمانُ بن عبد الملك فيه، وسأَلَهُ رَدَّهُ، فأرسَلَ مَنْ يَحْبِسُهُ حيثُ لَحِقَهُ. ثم كلَّمَ الوليدَ عبَّادُ بن زياد في عليٍّ وقال: إنه ليس بالفلاة مَوضعٌ. فأذنَ له فنزلَ الحِجْرَ[3]، فلم يزلْ بالحجرِ حتى هلك الوليدُ سنةَ ستٍّ وتسعين»[4].

وفي ضَربِ الوليد لعليٍّ في قَتْلِ سليطٍ اختلافٌ ومبالغةٌ، فقد روى ابن الكلبي أنه ضَرَبَهُ سبعمائة سَوْطٍ[5]، وذكرَ الهيثم بن عدي الطائي أنه ضَرَبَهُ خمسمائة سَوْطٍ[6]. وقال ابن حزمٍ: جَلَدَهُ مائةَ سوط[7].

وعلى هذا النحو انْحَطَّتْ منزلةُ عليٍّ في عهْدِ الوليد، وسَاءَتْ حالُهُ

---

(١) هو عباد بن زياد بن أبيه، توفي بجَرُود من عمل دمشق سنة مائة. (انظر ترجمته في المعارف ص: ٣٤٨، والجرح والتعديل ٣: ١: ٨٠، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٢١، وميزان الاعتدال ٢: ٣٦٦، وتهذيب التهذيب ٥: ٩٣، وتقريب التهذيب ١: ٢٩٣).

وذكر صاحب أخبار الدولة العباسية أن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي هو الذي ألقى عليه مطرفه وحمله الى منزله وعالجه!! (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ١٤٩).

(٢) دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهي مُرْسًى بين بلاد اليمن والحبشة، وهي بلدة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه اليها. (معجم البلدان: دهلك).

(٣) الحجر: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام.

(٤) أنساب الأشراف ٣: ٧٨، وأخبار الدولة العباسية ص: ١٤٩، والكامل في التاريخ ٥: ٢٥٧، وانظر رسائل الجاحظ للسندوبي ص: ٧٩، وشرح نهج البلاغة ١٥: ٢٣٨، والعيون والحدائق ٣: ١٨٣.

(٥) المعارف ص: ١٢٤، وانظر البدء والتاريخ ٦: ٥٣، وراجع ما ورد في البداية والنهاية ١٠: ٤٥.

(٦) أنساب الأشراف ٣: ٧٨، وزعم اليعقوبي أن هشام بن عبد الملك هو الذي ضربه! (انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥٧).

(٧) جمهرة أنساب العرب ص: ١٨.

واضطرَبَتْ[1] ، لأنه نُمِيَ إلى الوليد أنه يَتَطَلَّعُ إلى الخلافة ، ويعمَلُ للإدالةِ من بني أمية ، فتحاماه وتَنَقَّصَهُ ، ثم التمَسَ الأسبابَ للانتقامِ منه والإضرارِ به ، فأَذَلَّهُ واعتَدَى عليه ، وجَاوَزَ القَصدَ في رَدْعِهِ ومُعاقَبَتِهِ ، فَجَلَدَهُ مراراً ونَفَاهُ ، ثم «كَتَبَ إلى الآفاقِ يُشَنِّعُ عليه ، ويقول : إنه قتل أخاه»[2] .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٧٩ .

(٦) إكرام سائر الأمويين له

فلما استُخلِفَ سليمانُ بن عبد الملك رَدَّهُ الى دمشق[١] ، وأخلى سبيلَهُ ، وأزالَ عنه ما لحقَ به من ظُلْمٍ وهوانٍ ، وربما اعتَذَرَ إليه من تَعْذيبِ الوليدِ له ، وتنكيلِهِ به ، وجَوْرِهِ عليه ، وأنْصَفَهُ وتَأَلَّفَهُ ، فصَلُحَتْ حالُهُ واستُقامَتْ ، ورَجعَ إلى الحُمَيمَةِ ، فأقامَ بها حرّاً عزيزاً ، وعاوَدَ فيها نَشاطَهُ لا رَقيبَ له ، ولا حَسيبَ عليه .

وأمَرَ عمر بن عبد العزيز بالكَفِّ عن اضطهادِ بني هاشم ، وقَسَمَ فيهم سَهْمَ ذي القُربى[٢] ، فانتَعَشوا وكتبوا إليه «يتشكَّرونَ له ما فَعَلَهُ بهم من صلة أرْحامِهِمْ ، وأنهم لم يزالوا مَجْفيِّينَ منذ كان معاوية»[٣] . وأخذ عليٌّ بن عبد الله بن العباس ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يُدافعان عنه ، ويَزَعان الناسَ عن اغْتيابِهِ[٤] .

واعتنى هشامُ بن عبد الملك بعلي بن عبد الله بن العباس ، وأَحسَنَ إليه ، فكانَ يتهلَّلُ له ويُدنيهِ ، ويَحمِلُ عنه دُيونَهُ إذا وَفَدَ عليه ، وصَبَرَ على نشاطِهِ السياسيِّ ،

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٨٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٩١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٩١ .

وتَغافَلَ عنه ، وتَغاضى عن أمَلِهِ في الخلافة ، واستهانَ بِعَمَلِهِ للفَوْزِ به ، حتى أخطأَ في تقدير خطَرِهِ ، وقَصَّرَ عن إدراكِ تَهديدِهِ لِمُلْكِ بني أمية ، إذ كان يهزأُ بما يبلغُهُ من أخبارِ نزوعِهِ إلى الخلافة ، ويَستَخِفُّ بتوقُّعِهِ لِتحوُّلِها إلى بَنيهِ ، وكان ينسبُ ذلك إلى فسادِ عَقلِهِ ، وَضَعفِ رأيِهِ ، وأضْغاثِ أحلامِهِ في شيخوختِهِ ! ! قال المبرد[1] : «رُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ عبدِ الله دَخَلَ على هشام بن عبد الملك[2] ، ومعه ابنا ابنِهِ الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر ، فأوسَعَ له على سريرِهِ ، وسأله عن حاجتِهِ ، فقالَ : ثلاثونَ ألفَ درهمٍ . عَليَّ دَيْنٌ ، فأمَرَ بقضائِها . قال : وتَستَوصي بابنَيَّ هذين خيراً ، فَفعَلَ ، فشكَرَهُ ، وقال : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ . فلما وَلَّى عليٌّ قال الخليفة لأصحابِهِ : إنَّ هذا الشيخَ قد اختَلَّ وأسَنَّ وَخَلَّطَ ، فصارَ يقول : إنَّ هذا الأمرَ سَيَنْتَقِلُ إلى وَلَدِهِ ، فَسمعَ ذلك عليٌّ ، فالتَفَتَ إليه فقال : والله لَيكونَنَّ ذاك ، ولَيَمْلِكَنَّ هذان» !

وَيَدُلُّ ما تَقَدَّمَ على أنَّ عليَّ بن عبد الله بن العباس كان أَوَّلَ مَنْ تَمَنَّى الخلافةَ من بني العباس ، وشَرَعَ في تأسيسِ الدَّعوَةِ لهم ، وتَكَهَّنَ بانتقالِ الخلافةِ إليهم ، وأظهَرَ ذلك وَجَهَرَ به ، فسَخَطَ عليه الوليدُ بنُ عبد الملك ، وضَرَبَهُ ونَفاهُ ، وسَخِرَ منه هشامُ بن عبد الملك وداراهُ . وتُوفي وقد انتَشَرَتْ دَعوَتُهم في الكوفة وخراسان .

---

(١) الكامل للمبرد ٢ : ٢١٨ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٣٩ ، والعقد الفريد ٥ : ١٠٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢١ .

(٢) في أصْلِ الخبر الذي رواه المبرد : «أنَّ علي بن عبد الله دَخَلَ على سليمان بن عبد الملك» ، وهو خطأٌ ، وقد تَنَبَّهَ المبردُ له ، وصَحَّحه ، يقول : «هذا غَلَطٌ ، لما أذكُرُهُ لك ، إنما ينبغي أنْ يكون دَخَلَ على هشام بن عبد الملك» . قال أبو العباس : أما قولي : إنَّ الخليفة في ذلك الوقت لم يكن سليمان ، فلأن محمد بن علي بن عبد الله كان يمنعُ من تَزَوُّجِ الحارثية ، للحديثِ المَرْوِيِّ . فلما قام عمر بن عبد العزيز ، جاءه محمدٌ ، فقال له : إني أردتُ أنْ أتزوجَ بنتَ خالي من بني الحارث بن كَعْبٍ ، أفتأذنُ لي يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر : تَزَوَّجْ رَحِمَكَ اللهُ من أحْبَبْتَ . فتزَوَّجَها ، فأوْلَدَها أبا العباس ، وعمرُ بعدَ سليمان ، فلا ينبغي له أن يكون تَهَيَّأَ لَهُ أنْ يَدْخُلَ على خليفةٍ حتى يَترعرع ، فلا يتمُّ مثلُ هذا إلاّ في أيام هشام» . (انظر الكامل للمبرد ٢ : ٢١٩) . وقد وَرَدَ الخبر صحيحاً في العقد الفريد ٥ : ١٠٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢١ .

« الفصل الرابع »

« الإمامُ محمدُ بنُ عليٍّ »

(١) مكانتُهُ وثقافتُهُ

أعقَبَ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ العباسِ اثنين وعشرين وَلَداً[١]، هم: محمدُ، وهو أبو الخلفاءِ[٢]، «وفيهِ البيتُ والعددُ والخلافةُ»[٣]، وداودُ، وعيسى، وسليمانُ، وصالحُ، وأحمدُ، وبشرُ، ومُبَشّرٌ، وإسماعيلُ، وعبدُ الصَّمَدِ، وعبدُ الله الأكبرُ، وعبيدُ الله، وعبدُ الملك، وعثمانُ، وعبدُ الرحمن، وعبدُ الله الأَصْغَر، ويحيى، واسحاقُ، ويعقوبُ، وعبدُ العزيز، وإسماعيلُ الأَصغَرُ، وعبدُ الله الأَوْسَطُ، وقد ترجم البلاذريُّ لمن كانَ له شأنٌ ممن عاشَ منهم[٤].

وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المتوفَّى سنةَ خمسٍ وعشرين

---

(١) انظر فيهم نسب قريش ص: ٢٩، وطبقات ابن سعد ٥: ٣١٢، والمعارف ص: ١٢٤، وأنساب الأشراف ٣: ٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٢، وأخبار الدولة العباسية ص: ١٤٧، وجمهرة أنساب العرب ص: ٢٠.

(٢) نسب قريش ص: ٢٩، وأخبار الدولة العباسية ص: ١٤٧.

وروى المقدسي أنَّ علي بن عبد الله بن العباس كان يسمى أبا الخلفاء..(انظر البدء والتاريخ ٥: ١٠٥). والمشهور أنه كان يسمّى أبا الأملاك. (انظر الكامل للمبرد ٢: ٢١٧، وأخبار الدولة العباسية ص: ١٣٥، والعقد الفريد ٥: ١٠٣، والبدء والتاريخ ٥: ١٠٥، ٦: ٥٧، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٤٨، ووفيات الأعيان ٣: ٢٧٤، وشذرات الذهب ١: ١٤٨).

(٣) جمهرة أنساب العرب ص: ٢٠.

(٤) أنساب الاشراف ٣: ٧١— ١١٤.

ومائةٍ(١) أنبهَ إخوتِهِ وأفضَلَهم ، وهو الذي رَسَّخَ قواعِدَ الدعوةِ لبني العباس ، وَشيَّدَ أركانَها ، ورَفَعَ بُنْيانَها ، فقد تَشَمَّرَ لِتوطيدِها وَبَثِّها ، فوضعَ أنظِمَتَها وشعاراتِها ، وأنشأ مجالِسَها ، واختارَ قادَتَها ، وَوَسَّعَ آمادَها ، ومَكَّنَ لها في الكوفة وخراسان ، وشَحَذَ عزائمَ أنْصارِها ، وهَيَّأَهُمْ ليومِ إعلانِ الثورةِ وتَفجيرِها.

وكان من أجمَلِ الناسِ وأعظَمِهم قَدْراً ، وكانَ بينَهُ وبينَ أبيهِ أربع عشرةَ سنة ، وكان عليٌّ يَخضِبُ بالسَّواد ، ومحمدٌ بالحُمرَةِ ، فَيَظُنُّ مَنْ لا يَعرِفُهُما أنَّ محمداً هو علي(٢).

وكانَ عابداً زاهداً ، كانَ له بالحُمَيمَةِ خمسمائة شجرة ، فكان يصلي تحت كل شجرةٍ ركعتين(٣) ، «وهو ذو الثَّفِنات(٤) ، شَبَّهَ أثَرَ السُّجودِ بِجَبهَتِهِ وأنْفِهِ ويَدَيْهِ

---

(١) انظر ترجمته في نسب قريش ص : ٢٩ ، وطبقات خليفة بن خياط ص : ٧٩٩ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٢ ، والتاريخ الكبير ١ : ١ : ١٨٣ ، والمعارف ص : ١٢٤ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧١ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٩٩ ، ٢٢٧ ، والجرح والتعديل ٤ : ١ : ٢٦ ، وتاريخ الموصل ص : ٤٥ ، والبدء والتاريخ ٥ : ١٠٦ ، ٦ : ٥٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٩ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٦ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٥ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٩٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٩٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٦ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٥ : ٢٣٢و.

(٢) المعارف ص : ١٢٤ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٧١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦١ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٦ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٥.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٨٧.

(٤) روى المبرد أن علي بن عبد الله بن العباس كان يُدْعى ذا الثفنات . (انظر الكامل ٢ : ٢١٧ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤) . ويبدو أنه أخطأ في ذلك ، فإنّ علياً كان يُسمّى السَّجاد . وكان العلويون والعباسيون يتنازعون هذين اللَّقَبينِ ، فقد ذكر المسعودي أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو السَّجادُ ، وذو الثفنات ، وزين العابدين . (أنظر مروج الذهب ٣ : ١٦٩) . وقال ابن خلكان : «قال أبو الفرج ابن الجوزي الحافظ : ذو الثفنات هو علي بن الحسين ، يعني زين العابدين ، وإنما قيل ذلك لأنه كان يصلي في كل يوم ألف ركعة ، فصار في ركبتيه مثل ثفن البعير» . (أنظر وفيات الأعيان ٣ : ٢٧٤) .

بثَفِناتِ البَعير»[1] . وكان له علمٌ وفِقْهٌ ورواية ، وكانَ ثقةً ثَبتاً مشهوراً[2] . وكان مجاهداً يَغزو الصائفة هو وعدة من إخْوَتِهِ ومواليه[3] .

وكانَ سيِّدَ وَلَدِ أبيهِ[4] ، وخَيْرَهُمْ دِيناً ، وأسخاهُمْ كَفّاً[5] . وكانَ سَمحَ النَّفسِ ، شديدَ الصَّبْرِ[6] ، صَليبَ الفؤادِ ، حَصيفَ الرَّأْيِ ، حَسَنَ التَّدبيرِ ، قَويَّ الحُجَّةِ ، سَديدَ المَنطِقِ ، بليغَ القَولِ[7] .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٧١ ، ٨٠.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٦١ ، ١٦٦ ، وانظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٥.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٧.

(٤) الكامل للمبرد ٢ : ٢٢٠ ، والعقد الفريد ٥ : ١٠٥.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ٨١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٧٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٧٩.

(٦) أنساب الأشراف ٣ : ٨٣ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦٣ ، ١٦٤.

(٧) انساب الأشراف ٣ : ٨٣ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٩.

(٢) علاقتُهُ بأبي هاشم وَوَصيَّتُهُ إليه

وكان محمد بن علي وَثيقَ الصِّلَةِ بأبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحَنَفيَّة المُتَوَفَّى سنةَ ثمانٍ وتسعين (١) ، وهو إمامُ فِرْقَةِ الهاشميّةِ (٢) التي انشَعَبَتْ من فِرقَةِ الكيسانية (٣) . ويقال : إنه كان من تلاميذه ، فقد ذكر ابنُ عساكر أنَّ أباهُ أرسَلَهُ إليه ، فَتَعَلَّمَ عليه بالمدينة (٤) . وكان أبو هاشمٍ قدم على سليمان بن عبد الملك بدمشق ، فأكرمه وأجازه . وسار أبو هاشمٍ يريدُ فلسطين أو الحجاز ، فَمَرِضَ في الطريق ، وأَحَسَّ بالموتِ ، ولم يَكُنْ له وَلَدٌ ، فَعَدَلَ إلى الحُمَيمَةِ ، ونَزَلَ على محمدِ بن عليٍّ ، فأوصى إليه بالإمامة ، وسلَّمَ إليه كُتُبَ الدُّعاةِ ، وأوْقَفَهُ على ما يَعْمَلُ به ،

---

(١) انظر ترجمته في نسب قريش ص : ٧٥ ، وطبقات ابن سعد ٥ : ٣٢٧ ، وطبقات خليفة بن خياط ص : ٥٩٨ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٢٥ ، والتاريخ الكبير ٣ : ١ : ١٨٧ ، والمعارف ص : ٢١٧ ، والجرح والتعديل ٢ : ٢ : ١٥٥ ، ومقاتل الطالبيين ص : ١٢٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٨٧ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٤٨٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٧٧ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ١٦ ، وتقريب التهذيب ١ : ٤٨٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١١٤ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١ : ٩٢ ، والفرق بين الفرق ص : ٢٧ ، والملل والنحل ١ : ١٣٤ .

(٣) مقالات الاسلاميين ١ : ٨٩ ، والفرق بين الفرق ص : ٢٦ ، والملل والنحل ١ : ١٣١ .

(٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٥ : ٢٣٢و .

وصرفَ شيعَتَهُ إليه ، وأمَرَهُم بالسَّمعِ له ، وأعلَمَهُ أنَّ الخلافةَ في وَلَدِهِ عبد الله ابن الحارثيّة[1] .

وليس من الثابت أنَّ سليمانَ بن عبد الملك راعهُ ذكاءُ أبي هاشمٍ فَخافَهُ وَفزِعَ منه ، ولا أنه أنفذَ له مَنْ سَمَّهُ بعد أن رَحَلَ عنه ، فإنَّ بعضَ الرِّواياتِ الشِّيعيَّةِ والعبَّاسيّةِ هي التي تَقطَعُ بذلك[2] ، أمّا سائرُ الرِّواياتِ الأمويَّةِ والشِّيعيَّةِ والعبَّاسيَّةِ فإنها تشيرُ إلى أنه ماتَ حَتْفَ أنْفِهِ[3] .

وأحاطَ صاحِبُ أخبارِ الدولة العباسيةِ بموتِ أبي هاشم ، وبَيَّنَ ما وقَعَ فيه من اختلافٍ وتحريفٍ ، ونَفَى أن يكون الوليد بن عبد الملك أو أخوهُ سليمانُ قد سمَّهُ ،

---

(١) نسب قريش ص : ٧٥ ، وطبقات ابن سعد ٥ : ٣٢٨ ، والمعارف ص : ٢١٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨٠ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٦ ، ومقالات الإسلاميين ١ : ٩٣ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٩٢ ، ومقاتل الطالبيين ص : ١٢٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨١ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣١ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٦٦ ، والملل والنحل ١ : ١٣٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٨٣ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ١٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٨ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٦٩.

(٢) رسائل الجاحظ للسندوبي ص : ٧٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٥ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٩٢ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣١ ، ومقاتل الطالبيين ص : ١٢٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٨ ، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٣٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤ ، ٥٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٨.

(٣) نسب قريش ص : ٧٥ ، وطبقات ابن سعد ٥ : ٣٢٨ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٢٥ ، والمعارف ص : ٢١٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٧ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ١٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٦ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٦٩.

وأكَّدَ أنه ماتَ مَهموماً مَغموماً ، لأن الوليد بن عبد الملك استَهانَ به ، يقول [1] : «زعم بعضُ الناس أنَّ سببَ مَوتِ أبي هاشمٍ كان أنَّ الوليدَ دَسَّ إليه حينَ شَخَصَ عن دمشق مَنْ سقاهُ شَرْبَةَ لَبَنٍ مَسْمومٍ ، فكان مَوتُهُ بذلك[2] . ولم يذكُرْ ذلك إسحاق بنُ الفَضلِ ولا غيرُهُ ممن كان يخبرُ أمره ، وذكر أنه مات كمداً لما رأى من استخفافِ الوليد بأمْرِهِ» .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٨ ، وانظر ص : ١٧٨ .

(٢) ذكر صاحب العيون والحدائق أن أبا هاشم ومحمد بن علي الجعفري حَضَرا عند الوليد بن عبد الملك ، (وفي الأصل الوليد بن يزيد ، وهو خطأ) في وَفْد أهل المدينة ، فأخبر الجعفريُّ الوليد أن لأبي هاشم شيعة ودعاة بالعراق ، فأسرَّها الوليد في نفسه ، فلما قضى حوائج أهل المدينة وأراد تسريحهم ، بعث معهم الى أبي هاشم سماً في طعام فلما أكل أبو هاشم منه أحس بالسم ، فتحامل الى الحميمة وهلك بها . (انظر العيون والحدائق ٣ : ١٨١) .

وزعم ابن الطقطقي أن أبا هاشم وفد على هشام بن عبد الملك ، فبرَّه ووَصله ، ورأى من فصاحته ورياسته وعلمه ما حسده عليه وخاف منه ، فبعث إليه وقد رجع الى المدينة من سَمَّه . (انظر الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦) . وذلك خطأ صريح .

(٣) استنادُ العباسيِّينَ إلى وصيَّةِ أبي هاشمٍ

وسواءٌ أكانَتْ وَصيَّةُ أبي هاشمٍ صحيحةً أم مَوْضوعةً فإن بني العباس وَشيعَتَهُم اعتمدوا عليها في تقريرِ حَقِّهم في الخلافة ، ولم يزالوا يذكرون أنَّ الخلافةَ أتَتْهُم من جِهَتِها إلى أيامِ أبي جعفرٍ المنصور ، قال الأشعري[1] : «الفِرقَةُ التاسعةُ من الرَّافِضَة ، وهي الثامنة من الكيسانيّة ، يزعمون أنَّ الإمامَ بعد أبي هاشمٍ محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس ، قالوا : وذلك أنَّ أبا هاشمٍ ماتَ بأرض الشَّراةِ مُنصَرَفَهُ من الشام ، فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأوصى محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم بن محمد ، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس ، ثم أفضَتِ الخلافةُ إلى أبي جَعفَرٍ المنصور بِوَصيَّةِ بعضهم إلى بعضٍ» .

وألغى الرَّاونديَّةُ ، وهم شيعةُ بني العباس من أهل خراسان وغيرهم ، وَصيَّةَ أبي هاشم ، وادَّعَوْا أنَّ الخلافةَ جاءَت بني العباس من طريق جَدِّهم العباس بن عبد المطلب ، وأشاعوا أنَّ الرسولَ أوْصى له ، قال الأشعريُّ[2] : «ثم رجع بعض هؤلاء عن هذا القول ، وزعموا أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، نصَّ على العباس بن عبد

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ٩٢ ، وانظر الفرق بين الفرق ص : ٢٧ ، والملل والنحل ١ : ١٣٤ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٢ ، وانظر في الراوندية أنساب الأشراف ٣ : ٢٣٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٠٥ ، والفرق بين الفرق ص : ١٦٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٠٢ .

المطلب ، ونَصَبَهُ إماماً ، ثم نَصَّ العباس على إمامة ابنه عبد الله ، ونَصَّ عبد الله على إمامةِ ابنه علي بن عبد الله ، ثم ساقوا الإمامةَ إلى أن انتهَوا بها إلى أبي جعفرِ المنصور ، وهؤلاء هم الرَّاونْدِيَّة».

وكانَ المَهْدِيُّ هو الذي أبطَلَ وصيّةَ أبي هاشم ، وأذاعَ أنَّ بني العباس وَرِثوا الخلافةَ عن جَدِّهم العباس بن عبد المطلب ، لأنه عمُّ الرَّسول ، فهو عَصَبَتُهُ ، وهو أَحَقُّ الناسِ بِوِراثَتِهِ ، قال صاحب أخبارِ الدولة العباسية[1] : «كان تَشَيُّعُ العباسيةِ أصلُهُ من قِبَلِ محمد بن الحَنَفِيَّةِ ، وإلى ذلك دعا أبو مسلمٍ حتى كان زمانُ المَهْدي ، فَرَدَّهُم المهديُّ إلى إثباتِ الإمامةِ للعباس بن عبد المطلب ، وقال لهم : إنّ الإمامةَ كانت للعباس ، عمِّ النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، فإنه كان أَوْلى الناسِ به ، وأقرَبَهُم إليه ، ثم من بعده عبد الله بن العباس ، ثم من بعده علي بن عبد الله ، ثم من بعده محمد بن عليٍّ ، ثم من بعده إبراهيم بن محمد ، ثم أبو العباس ، ثم أبو جعفرٍ ، ثم المهدي ، ثم مَدَّها في وَلَدِ المَهْدِيِّ ، فهي قائمةٌ فيهم إلى اليوم.

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٦٥ .

(٤) اختيارُ خراسانَ لِبَثِّ الدعوة

وظلَّ محمد بن عليّ يَتَّخِذُ من الحُمَيمَةِ منزلاً له ومُستَقرّاً ، وجعلَ خراسانَ مركزاً للدّعوةِ ومَوْطِناً ، بل دارَ الهِجْرَةِ ومُستَراحَ الدُّعاةِ[1] ، وإنما اصْطفاها وفَضَّلَها على سائرِ الأمصارِ لبُعْدِها عن حاضِرَةِ الخلافةِ ، وكَثْرةِ أهلها وَبسالَتِهم ونَجدَتِهم وحَيْدَتِهم ، ولأنَّ الموالي والعَجَمَ من أهلها ، وبعض العرب الذين سَكَنوها ، ولا سيما اليمانيةُ والرَّبعيَّةُ منهم ، وفريقٌ قليلٌ من المُضَريَّةِ كانوا يَتَذَمَّرُونَ من مُمارساتِ بني أميّة الماليةِ والسياسيةِ الفاسدَةِ ، ويكرهونَ تجبُّرَهُم واستِبدادَهم ، ويَتَطَلَّعونَ إلى مَنْ يُنقِذُهُم منهم ، روى الهيثم بن عدي الطائي عن أبيه قال[2] : «إن محمد بن علي اختار خراسان وقال : لا أرى بلداً إلاّ وأهلُهُ يميلون عنا إلى غيرنا ، أما أهلُ الكوفة فمَيلُهُم إلى وَلَدِ علي بن أبي طالب ، وأما أهلُ البصرةِ فعثمانية ، وأما أهلُ الشام فسفيانيّة مروانيّة ، وأما أهلُ الجزيرةِ فخوارج ، وأما أهلُ المدينة فقد غَلَبَ عليهم حُبُّ أبي بكرٍ وعمر ، ومنهم من يميلُ إلى الطالبيين ، ولكن أهلَ خراسانَ قومٌ فيهم الكثرةُ والقوةُ والجَلَدُ وفراغُ القُلوبِ من الأهواءِ ، فبعث إلى خراسان» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٧ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٨١ ، وانظر رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ١٦ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩ ، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص : ٣١٥ ، ومعجم البلدان : خراسان .

(٥) استعمالُ كبيرٍ للدُّعاةِ بالكوفة

وعيَّنَ كبيراً للدُّعاةِ ، وجعلَ الكوفةَ مَوقعاً له ومُقاماً ، إذ هي أقربُ إلى خراسان من الحُمَيمَةِ ، وبها شيعةُ أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفيّة الذين انضموا إلى بني العباس . وكان كبيرُ الدُّعاةِ مَسئولاً عن نَشْرِ الدَّعوةِ والإشرافِ عليها بخراسان ، فكان يرسلُ إليها وفُودَ الدُّعاةِ ، وكانَ يكتُبُ إلى محمد بن علي بأنباء الدَّعوةِ ، ويُعْلِمُهُ بأحوالِها ، وكان يلقاهُ في مَوسمِ الحج ، وكان يزورُهُ بالحُمَيمَةِ إذا طرأ طارئٌ واحتاج إلى أن يَعرِفَ رأيه فيه ، حتى يأخذَ به ويُنَفِذَهُ . وكان الدعاة من أهل خراسان يَمرُّونَ بالكوفةِ ، ويُعرِّجُونَ على كبيرِ الدُّعاةِ ، فيُطلِعونَهُ على ما بَلَغُوا في بَثِّ الدّعوةِ ، ويَشرَحونَ له ظروفَها ، ثم يَمضُونَ إلى الحجاز ، فيقابلونَ محمد بن علي بالمدينة ومكة في موسمِ الحج ، فيُؤدُّونَ إليه ما اجتمع لهم من أموال ، ويُخبرُونَهُ بأخبارِ الدعوةِ ويعرِضونَ عليه مَسيرَتَها ومُلابساتِها ، ويتشاورون في أمْرِها ، حتى يَستَدرِكُوا النَّقْصَ ، ويتلافوا الأخطاء ، ويُذلِّلُوا الصعابَ ، ويَتَجنَّبوا الأخطار ، تَقويَةً للدعوةِ ، ومَدّاً في تيَّارِها ، وحمايةً لها من الانهيار . فإذا انقضى مَوسِمُ الحج ، زَوَّدَهُم بتَوجيهاتِهِ وإرشاداتِهِ ، ورجعوا إلى خراسانَ ، فواصَلُوا القيامَ بأمرِ الدَّعوةِ ، وَجَدُّوا في نَشْرِها ، قال البلاذريُّ[1] : «كان محمد بن علي يَقْدُمُ المدينةَ في كل سنة فيُقيمُ بها الشهر والشهرين ، ويُؤتَى بالمالِ فيُفرِّقُهُ» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٦ ، وانظر تاريخ الموصل ص : ٤٩ .

(٦) التِزامُ خُطَّةِ أبي هاشمٍ

وذكر البلاذري أنَّ أبا هاشمٍ هو الذي رَتَّبَ ذلك لمحمد بن علي، وهَداهُ إليه [١]. وروى اليعقوبيُّ أنه رَسَمَ له خُطَّةَ الدَّعوةِ [٢]، فَحدَّدَ له مكانَها وزمانَها، ومَراحِلَها ووَسائِلَها، ومَجالِسَها ودُعاتَها، وشيعَتَها وأولَ خلفائها، فإنه أعطاه الوصيةَ، وفيها أنَّ الأمرَ صائرٌ إليه وإلى وَلَدِهِ، والوقت الذي يكون فيه ذلك، والعلامة، وما ينبغي لهم العمل به. وأشار عليه أنْ يبعثَ الدُّعاةَ إلى خراسانَ، وسَمَّى له المدنَ والقُرى التي يبعثهم إليها. ونَصَحَ لَهُ أن يبدأَ الدعوةَ في رأسِ المائةِ الثانية [٣]. وعَرَّفه شيعَتَهُ، وزَكَّاهم له، وأوصاهُ أن يستَبطِنَهُم ويتخذَ منهم دعاتَه وأنصارَهُ ورُسُلَهُ، لأنه قد بلاهُمْ بمحبةٍ ومودّةٍ لأهلِ بيتِهِ. ورشحَ منهم أبا رباح مَيْسرَةَ النَّبالِ مَولَى الأزد صاحباً له، وكبيراً لدُعاتِهِ بالعراق، واقترَحَ عليه أنْ يختارَ

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١١٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٧، والعقد الفريد ٤: ٤٧٦.

(٣) روى اليعقوبي أن أبا هاشم ذكر لمحمد بن علي سنة الحمار التي وردت في القرآن (سورة البقرة: الآية ٢٥٩). فسأله عنها، فأخبره أنها سنة مائة. (انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٨). ولكن صاحب أخبار الدولة العباسية روى أن محمد بن علي هو الذي ذكر سنة الحمار لشيعة أبي هاشمٍ الذين انضافوا اليه، وهلاك عمر ابن عبد العزيز بعد انقضائها، وكانوا يجهلونها، فسألوه عنها، فأخبرهم بها، فزادهم ذلك بصيرةً فيه، وقالوا: إنما قال ذلك بفضل علمه!! (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ١٩٣).

دُعاتَهُ فيكونوا اثني عشرَ نقيباً ، وسبعين نَفساً بعدهم يَتلونَهُم ، وقال له : « [اسْتَبطِنْ هذا الحي من اليمن ، فإنَّ كلَّ مُلكٍ لا يقومُ به فصيرُهُ إلى انْتِقاضٍ] [١] ، وانْظُرْ هذا الحيَّ من ربيعةَ ، فألحِقْهُمْ بهم ، فإنهم معهم في كل أمرٍ وانْظُرْ هذا الحيَّ من تميمٍ وقَيسٍ ، فأقْصِهِمْ ، ثم أَبِدْهُم إلاَّ من عَصَمَ الله منهم ، وهم أقلُّ من القَليل » . وأخبَرَهُ أنَّ ابنه عبد الله بن الحارثية هو صاحبُ هذا الأمر ، وأنه هو الذي يُؤتيهِ الله الملكَ ، يعني أبا العباس السفاح [٢] ، ثم أخوه الذي هو أكبرُ منه ، يعني أبا جعفرٍ المنصور .

---

(١) ليس لليمانية ذكرٌ في الوَصِيَّة في تاريخ اليعقوبي ، ويبدو أنَّ الجملةَ التي فيها ذِكرٌ لهم سَقَطَتْ منها ، فإن ابن عبد ربه نَقَلَ الوصية عن اليعقوبي بأكثر ألفاظها ، والجملة مثبتَةٌ فيها . (انظر العقد الفريد ٤ : ٤٧٦) .

(٢) لم تكن أمه قد حَمَلَتْهُ ! ! لأن أباه كان يمنع من تزوُّجها ، لما كان يرْوَى من أن ابنها هو الذي يهلك بني أمية ويَسْلُبهم الملك . فلما قام عمر بن عبد العزيز أذِنَ لمحمد بن علي أنْ يتزوج رَيْطَةَ بنت عبيد الله بن عبد الله ابن عبد المدان الحارثي ، فتزوجها فأوْلَدها أبا العباس . (انظر الكامل للمبرد ٢ : ٢١٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٠١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨٢ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٧) .

(٧) احتواء شيعة أبي هاشم

واستوعَبَ محمد بن علي شيعة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وانتفع بهم أعظم الانتفاع، واتّكلَ عليهم أشدَّ الاتّكال، واعتَدَّ بهم أكبرَ الاعتداد، حتى لقد بَدأتِ الدَّعوةُ لبني العباس وشاعت بهم، واستَمَرَّتْ واتَّصَلَتْ بِجُهدِهِم، وقَوِيَتْ واكْتَمَلَتْ بِجَدِّهم، فمنهم انتخبَ هو وابنُهُ إبراهيمُ كبارَ الدُّعاةِ بالعراقِ، ومنهم اختارا أكثرَ الدُّعاةِ الذين وَجَّهاهُم إلى خراسان.

وسَرَدَ مُصنِّفُ أخبار الدولة العباسية أسماء المشهورين من أصحاب أبي هاشم، وأورَدَ خَبَرَ تَعاهُدِهم بعد موتِهِ على الدَّعوةِ لبني العباس، وتَعَلُّقَ محمد بن علي بهم، وتَطامُنَهُ لهم، وتَعويلَهُ عليهم، واتِّفاقَه معهم أنْ يعودوا إلى الكوفة، ويَتَربَّصوا بها حتى يأتيهم أمرُهُ، وهم[٣] : سلمة بن بجَيْر بن عبد الله مولى بني مُسْلِيَةَ العَامِرِيِّينَ اليمانيين، وكان أكبرَ أصحابِ أبي هاشمٍ، ورَئيسَهُم المُقَدَّم عنده[٤]، ولم يَحضُرْ وَفاتَهُ، ولم يَشْهَدْ وَصيَّتَهُ، لأنه كان غائباً بدمشق يسعى في حاجةٍ له، وأبو رَباحٍ مَيْسرةُ النَّبَّالِ مولى الأزدِ، وأبو عمروٍ البَزَّارُ مولى بني مُسْلية، ومحمد بن خُنَيسٍ مولى

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٣ — ١٨٤.

(٢) انظر بعض أخباره في أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٠.

هَمْدان ، وأبو بسطام مَصْقَلةُ الطَّحان مولى بني الحارث بن كعب ، وحيانُ العَطَّارُ مولى النَّخع ، وإبراهيمُ بن سَلَمَة مولى بني مُسْلية .

ثم أقبلَ سلمةُ بنُ بُجَيْرٍ يَقُصُّ أَثَرَ أبي هاشمٍ حتى وَرَدَ الشَّراةَ ، فألفاهُ قد تُوفيَ ، فلقيَ محمد بن علي ، فَعزَّاهُ بأبي هاشمٍ ، وأعلَمَهُ بما ألْقى إليه من أمرِهِ ، فقال له ابنُ بُجَيرٍ : قد ألقى إليَّ هذا الأمْرَ ، وعَهِدَ إليَّ فيه ، فابعث إلى أصحابه الذين كانوا معنا لِتَنْظُرَ في أمرِنا ، ولم يكن ابنُ بُجَيْرٍ لَقِيَهُمْ فأرسل محمد بن عليّ إليهم ، فدخلوا عليه ، وأخبروهُ أنَّ أبا هاشمٍ أوصَى بالإمامةِ إلى محمد بن عليٍّ ، فَقَبِلَ قولَهُم وبايَعَهُ[1] ، فقالَ له محمد : «أنتَ أخي دون الأُخوة ، ولستُ أقطعُ أمْراً دُونَكَ ، ولا أعملُ إلاَّ برأْيِكَ ، وهذا الأمرُ لا تُنالُ حقيقتُهُ إلاَّ بالتَّعاونِ عليه ، فَقُومُوا به يُجمَعْ لكم به خيرُ الدنيا وخيرُ الآخرة . فَدَعا له القومُ ، وطابَتْ نُفوسُهُم ، وقَووا بما كَلَّمَهُم به الله ، ثم قال له ابنُ بُجَيْرٍ : إني قد كنتُ غَرَسْتُ لكم غَرْساً لا تُخلِفُ ثَمَرَتُهُ[2] ، استجابَ لي عدةٌ من رَهْطي وجِيرَتي وخُلَطائي ، ليسوا بدون مَنْ تَرَى في محبَّتِكُم والمُناصحةِ لكم ، ونحن نَشْخَصُ في أمْرِكَ ، وقد رأيتُ أن تُثْبِتَ أسماءَهُم لِتَعْرِفَهُم وتَستَظهِرَ بهم على أمرِك»[3] ، قال إبراهيمُ بن سلمة[4] : «فتناولَ محمد قرطاساً فجعلَ يكتبُ بِخَطِّهِ ، ويُملي عليه ابنُ بُجَيرٍ ، فكانَ أوَّلَ مَنْ ذَكَرَ له سالمُ بن بُجَيرٍ الذي يقال له : سالمٌ الأعمى[5] ، وإنما كُفَّ بَصَرُهُ بعد ذلك ، وأبو

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٩ .

(٢) أخلفت الشجرة : لم تثمر ، ولم تخلف ثَمرتُهُ : أي هي محققة مؤكدة .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٠ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩١ .

(٥) كذلك لَقَبُهُ في أنساب الأشراف ٣ : ١١٧ ، وقد سماه الطبري سالماً الأعين. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥).

هاشمٍ بكيرُ بن ماهان ، فأما بكيرٌ فإن أباه كان مَوْلىً لرجلٍ من بني مُسْلِيَةَ ، سَكَنَ الشامَ بالأُرْدُنِّ بعد ، وكان بكير ابنُهُ يُنزِلُهُ بنو مُسْلِيَةَ من صَلِيبَتِهم ، وكان من أهل الديوان ، وغزا مع يزيد بن المهلَّب خراسان ، ودَخَلَ معه جُرْجان حين افْتُتِحَتْ ، وكانَ هو في عدةٍ من بني مُسْلِيَة قد شهدوا فَتحَها مع يزيد ، وحَفْصُ بن سليمان ، وهو أبو سَلَمَة الخَلاَّل ، وحَفْصٌ الذي يُدعَى الأسير ، وهؤلاء جميعاً موالي بني مُسْلِيَة ، رَهْط عامر بن اسماعيل ، ومَيْسَرَةُ الرَحَّال ، وموسى بن سُرَيحٍ السَّرَّاجُ ، وزيادُ بن دِرْهَم الهَمْداني ، ومَعْنُ بن يزيد الهَمْداني ، والمنذرُ بن سعيد الهَمْداني ، فكتب أسماءهم » . قال مُصَنِّف أخبار الدولة العباسيّة(1) : «وقد ذكروا أنَّ فيمن سَمَّى له أبا عمروٍ الأزديّ ، وأبا الهذيل حَيَّان السراج ، وأبا إبراهيم محمدَ ابن المختار ، أخا زياد بن درهمٍ لأُمهِ ، والوليدَ الأزرقَ . وقال له محمد بن علي : لك سَبْقُكَ في هذا الأمرِ ، ولك فيه فَضلُكَ بنفسك وبما مضَى عليه أبوك ، رحمهُ الله ، ولكل رجلٍ خاصةٌ ، وخاصتي من أهلِ مِصركم أنت وقَبِيلُك ، فأَقِمْ وأقيموا جميعاً ، والْقَني أنت غِبّاً ، وأظهِرُوا أنكم تريدون الشُّخوص ، وأنكم تنتظرون رُفْقَةً تخرُجُ فتخرجونَ ، وَسَلُوا عن الكَرْي ، وأظْهِرُوا العنايةَ بالسَّفرِ لا يُستَرِبْ بكم» .

ثم تَهيَّأَ لهم السَّفَرُ ، فساروا في طريق المدينةِ إلى الكوفة ، وتخَلَّفَ إبراهيمُ ابن سَلَمة ، وهو يومئذٍ فتىً قد طَرَّ شارِبُهُ وبَدا شَعرُ وجْهِهِ عند محمد بن عليٍّ ، فصارَ في خاصَّتِهِ ، وقَرَّبَهُ حتى جَعَلَ يُقَدِّمُهُ على عامةِ أهلِهِ . وكان سلمةُ بنُ بُجَيرٍ رئيسَهُم والمُطاعَ فيهم ، وكان قد مرضَ بالشَّراةِ ، واشتدَّ به وَجَعُهُ ، فهلكَ في طريقه حيث شارَفَ المدينة بذي خُشُبٍ ، فأوْصى إلى أبي رباحٍ مَيْسَرَةَ النَّبالِ ، وقَدِمَ أولئك النَّفَرُ الكوفةَ ، وكان مُجتَمَعُهُم في بني مُسْلِيَةَ عند سالم بن بُجَيرٍ وأصحابه ، وسَتَرُوا أمرهم(2) . وكان محمد بن علي أمَرَهم أن يَكتُمُوا اسمَهُ ، ولا يُظهِرُوا عليه إلاَّ من

(1) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٢ .

(2) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٢ .

وثقوا بنِيَّتِهِ وشِدَّةِ نُصرَتِهِ ، وأنْ يُمسكوا عن الجِدِّ في الدَّعوةِ حتى تَنقَضيَ سنةُ مائة ، ولا يُكثروا من أهل الكوفة ، ولا يَقبَلُوا منهم إلاَّ أهلَ النِّيَّاتِ الصحيحة ، فانْقَضَتْ سنةُ مائةٍ وما تَبلُغُ شيعةُ الكوفةِ ثلاثينَ رَجُلاً ، وما يَعْرِفُ محمدَ بن عليٍّ بِنَسَبِهِ واسمِهِ إلاَّ أولئك الرَّهْطُ . وكَانَتْ دَعوَتُهُم إلى الرِّضا من آل محمدٍ ، فإذا سُئِلُوا عن اسمِهِ قالوا : أمرنا بكتمانِ اسمه حتى يظهر[1] .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٣— ١٩٤ .

(٨) نشرُ الدَّعوةِ وإنشاءُ مجالسِها بخراسان

ويبدو أنَّ أبا رَباحٍ مَيْسرَةَ النَّبَّال وَرَدَ الحُمَيمَةَ في سنة مائة ، ومعه نَفرٌ من شيعةِ بني العباس ، وكان سَلَمَةُ بن بُجَيْرٍ قد استَخلَفَهُ قبل وفاتِهِ ، فأَقَرَّهُ محمد بن عليٍّ ، واستعمله كبيراً للدُّعاةِ بالكوفة ، وبَعَثَ ثلاثةً من الدُّعاةِ إلى خراسان ، فاتَّصلوا بكثيرٍ من أهلها ، ودَعُوهُمْ إلى الرِّضا من آل محمد ، فانْضَمَّ بَعْضُهُم إلى الدعوة ، وكَوَّنوا منهم مَجْلِسَينِ : الأول مجلِسُ النُّقباء ، وهو يتألَّفُ من اثني عَشَرَ رجلاً ، والثاني مجلِسُ السَّبعين[١] ، وهو يتألَّفُ من سبعين رَجُلاً ، فيهم النُّقباءُ ، ثم رجعوا إلى الكوفة ، فأبلغوا أبا رباحٍ مَيْسَرَةَ النَّبَّال بما صَنَعُوا ، وسَلَّمُوا إليه كُتُبَ من بَايَعَهُم ، فَدَفَعَها إلى محمد بن عليٍّ بالحُمَيمَة ، فأرسلَ إليهم كتاباً فيه أوامِرُهُ التي يَعْمَلونَ بها ، قال ابنُ جريرٍ الطبريّ[٢] : «في هذه السَّنة وَجَّهَ محمدُ بن عليٍّ بن عبد

(١) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، وانظر رسائل الجاحظ للسندوبي ص : ٢٢ ، ٢٤ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٨ ، والأخبار الطوال ص : ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الموصل ص : ٢٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢١٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩.

وراجع ما يروى عن تعديل مجلس النقباء في أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ ، ٢١٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠.

الله بن عباس من أَرضِ الشَّراة مَيْسَرَةَ إلى العراق ، وَوَجَّهَ محمد بن خُنَيسٍ ، وأبا عِكْرِمَةَ السَّراجَ ، وهو أبو محمد الصادق ، وحَيَّانَ العطّار ، خال إبراهيم بن سَلَمَة إلى خراسانَ ، وعليها يومئذٍ الجراح بن عبد الله الحكمي من قِبَلِ عمر بن عبد العزيز ، وأمَرَهُم بالدُّعاءِ إليه وإلى أهل بيتِهِ ، فلقوا مَن لقوا ، ثم انصرفوا بِكُتُبٍ من استجابَ لهم إلى محمد بن علي ، فَدَفَعوها إلى مَيْسَرَةَ ، فَبَعَثَ بها مَيْسَرَةَ إلى محمد بن علي ، واختارَ أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشرَ رجُلاً نُقَباء ، منهم سليمان بن كثير الخُزاعيُّ ، ولاهز بن قُرَيْظ التَّميميُّ ، وقَحطَبَةُ بن شبيبٍ الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذُهل ، والقاسم ابن مجاشع التميمي ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم مَولىً لآل أبي مُعَيْطٍ ، ومالك ابن الهيثم الخزاعي ، وطَلْحة بن رُزَيْق الخزاعي ، وعمرو بن أعْيَن أبو حمزة مولىً لخزاعة ، وشِبْل بن طهْمان أبو علي الهَرَويُّ مولىً لبني حنيفة ، وعيسى بن أعْيَن مَولى خزاعة ، واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن عليٍّ كتاباً ليكون لهم مِثالاً وسيرةً يَسيرون بها » .

وفي بعض الروايات التي حَمَلها البلاذريُّ أنّ محمد بن علي أو أبا رباحٍ مَيْسَرَة النَّبَّال إنما وَجَّهَ محمد بن خُنَيْسٍ من الكوفة إلى خراسان ، فأجابه مَنْ أجابَهُ مِنْ أهلها ، فلما صاروا سبعين رَجُلاً جَعَلَ منهم اثني عشرَ نقيباً[1] . وفيها أيضاً أن محمد بن خُنَيْسٍ لم يزلْ مُقيماً بخراسان حتى توفِّيَ بها[2] . وقد ذكر ابن جرير الطبريّ مرةً أخرى أنه عادَ إلى الكوفة ، ولَبِثَ بها زمناً ، ثم وَجَّهَهُ أبو هاشمٍ بكير بن ماهان إلى خراسان في جماعةٍ من الدعاة سنة سبعٍ ومائةٍ ، فَقُبِضَ عليه وقُتِل[3] .

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٤٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣٦ .

وروى مُصنِّفُ أخبار الدولة العباسية أنَّ النُّقباء كانوا من أهل مَرْو الشَّاهجان، أما السَّبعون فكانوا من مُختَلَف مدن خراسان، وكان فيهم النُّقباء، وكان سائرهم، وهم ثمانية وخمسون رجلاً من أهل مَرْو الشَّاهجان وغيرهم، فكان منهم من أهل مَرْو الشَّاهجان أربعون رجلاً، ومن أهل نَسَا ستةُ رجالٍ، ومن أهلِ أَبِيوَرْدَ سبعةُ رجالٍ، ومن أهل بَلْخ رجلان، ومن أهل مَرْو الرُّوذ رَجُلٌ، ومن أهل خُوارزم رجل، ومن أهل آمل رجل، فهم سبعون رجلاً، وقد سمَّاهم جميعاً[1]. ولكنه رَوَى أن بكير بن ماهان هو الذي أنشأ مَجْلسَ النُّقباء، ومَجلِسَ السبعين[2]. وذلك مُخالِفٌ لما اتَّفق عليه أكثرُ المؤرخين، فإنهم لم يَنُصُّوا على أنَّ بكيراً كان في وَفْدِ الدُّعاةِ الذين أرسلهم محمد بن علي إلى خراسان سنة مائة[3].

وعلى الرغم من أن مُصَنِّفَ أخبار الدولة العباسية روى أخباراً كثيرةً نادرةً عن حياة بكيرٍ، فإن فيما نَقَلَهُ من أخبار اتِّصالِهِ بمحمد بن عليٍّ وعَمَلَهُ له اضطراباً شديداً، وتناقضاً واضحاً[4]، فقد ذكر أنه لقي محمد بن عليٍّ في آخرِ خلافة سليمان

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٧ — ٢١٨.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٥.

(٣) أنظر أنساب الأشراف ٣: ١١٥، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٨، والأخبار الطوال ص: ٣٣٣، وتاريخ الطبري ٥: ٥٦٢، والكامل في التاريخ ٥: ٥٣، والبداية والنهاية ٩: ١٨٩.

(٤) كان بكير بن ماهان مولى بني مُسْلية من شيعة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية. ولكنه لم يشهد وفاته بالحميمة سنة ثمانٍ وتسعين، (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ١٩١)، ولم يعرف تحويله الإمامة إلى محمد بن علي إلاَّ سنة خمس ومائة (انظر تاريخ الطبري ٧: ٢٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٢٥)، لأنه كان مع يزيد بن المهلب بخراسان، وقد حضر معه فتح جرجان سنة ثمان وتسعين. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ١٩١). ثم صحب الجنيد بن عبد الرحمن المري إلى السِّنْد، وكان عمرُ بن هبيرة الفزاري عاملُ العراق والمشرق قد ولاه عليها سنة ثلاث ومائة، وبقي والياً عليها حتى هلك يزيد بن عبد الملك. (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٤٨٤). ويقال: إن خالد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك أقره عليها سنتين بعد ذلك، ثم عزله. (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٥٣٨). وصار بكير ترجماناً للجنيد بالسند، وأصابه مالاً كثيراً في

بن عبد الملك ، وقال[1] : «فذهب بكيرٌ إلى العراق ، ومحمدُ بنُ عليٍّ إلى الصائفة ، وقد وَلِيَ عمر بن عبد العزيز» ، ثم قال[2] : «وقدم بكيرٌ الكوفة ، ولقي سالماً وأصحابه فأبلَغَهُمْ رسالةَ محمد بن عليٍّ في إنفاذ كُتُبِهم ورُسُلِهم إلى فضالة ، لما أَحَبَّ من سَتْرِ أمْرِهِ». يريد سالم بنُ بُجَيرٍ الذي يُقالُ له : سالم الأعمى[3] ، أو سالم الأعين[4] ، وفضالة بن معاذ مَوْلى محمد بن علي ، وكان تاجراً ، وكان ينزلُ دمشق[5] . وإنما وَرَدَ بكيرٌ الحُمَيمَة بكتاب سالم بن بُجَيْرٍ إلى محمد بن عليٍّ بعد وفاة أبي رباحٍ مَيْسَرَة النَبَّال سنة خمسٍ ومائةٍ[6] ، وعاد إلى الكوفة يحملُ كتابَ محمد بن عليٍّ إلى سالمٍ وأصحابه في تَوْجيهِ رسائِلِهم وسُفرائهم إلى فضالة بن معاذ . ثم قال[7] : «وتَوَجَّهَ بكيرٌ إلى خراسان مع سعيد الحرشيِّ ، فَحَرَّكَ فيها وقَوَّى أمْرَ

صحبته له . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥) . ثم رجع الى الكوفة عندما أُقْصِيَ الجنيد عن السند سنة خمس ومائة في أرجح الروايات ، فلقي بها رفاقه من دعاة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، فأخبروه بانتقال الإمامة الى محمد بن علي بوصية أبي هاشم اليه ، فقبل ذلك ، وأصبح من دعاة بني العباس . (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥) . ثم بعثه سالم بن بجير الى الحميمة سنة خمسٍ ومائة ليُعْلِمَ محمد بن علي بوفاة أبي رباح ميسرة النبال ، فلقيه بها ، وأعلمه بذلك ، واستعمله محمد بن علي كبيراً للدعاة بالكوفة . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٤ — ٢٠٠) ، وظل يقوم له بأمر الدعوة بالكوفة ، ثم لابنه الإمام إبراهيم بن محمد حتى توفي سنة سبع وعشرين ومائة . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٢٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣٩) .

(١) أخبار الدعوة العباسية ص : ٢٠٠ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠١ ، وانظر ص : ١٩٧ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٧ ، وانظر ص : ١٧٩ — ١٨٠ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥ .

(٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠١ .

الدعوة بها» . وقد استعمَلَ عمرُ بن هبيرة الفزاريُّ سعيدَ بن عمرو الحرشيَّ على خراسان سنةَ ثلاثٍ ومائة[1] ! !

والصحيحُ أن بكيراً لقي محمد بن عليٍّ أوّلَ مرّةٍ سنةَ خمسٍ ومائة ، فعيَّنَهُ كبيراً للدُّعاةِ بالعراق[2] ، وأذن له في الخروج إلى السِّنْد ، لأن أخاه يزيد بن ماهان مات بها ، وتَرَكَ مالاً كثيراً ، وكان بكيرٌ وارِثَهُ ، إذ لم يكنْ له زَوْجٌ ولا وَلَدٌ. فمضى بكيرٌ إلى الكوفة ، ثم سار منها إلى السِّنْدِ ، فحاز تِرِكَةَ أخيه ، وانحدَرَ إلى خراسان ، فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي ، لما كان بينهما من مَعْرِفَةٍ قديمةٍ ، وأقامَ بمَرْو الشَّاهجان نحواً من شهرين ، وأتاهُ مَنْ بها من النُّقباء[3] ، فَحَثَّهُم على الجِدِّ في الدَّعوةِ ، ولم يَستَحْدِثْ مَجلِسَ النُّقباء ، ولا مَجلِسَ السَّبعين ، لأن الوفدَ الأولَ من الدُّعاةِ هو الذي أنشأ المَجلِسَينِ السابقين.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٢٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٠٣.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٢٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠١ — ٢٠٢.

(٩) انكشافُ بعضِ الدّعاةِ بخراسان

وفي سنة اثنتين ومائةٍ وَجَّهَ مَيْسَرَةُ رُسُلَهُ من العراقِ إلى خراسان، وظهر أمرُ الدَّعوةِ بها، فجاء رجل من بني تميم يقال له: عمرو بن بحير بن ورقاء السَّعْدي إلى سعيد خذينة فقال له: إنَّ ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلامٌ قبيحٌ، فبعث إليهم سعيدٌ، فأُتيَ بهم، فقال: من أنتم؟ قالوا: أناسٌ من التُّجَّارِ! قال: فما هذا الذي يُحكى عنكم؟ قالوا: لا نَدري. قال: جئتم دعاةً؟ فقالوا: إنَّ لنا في أنفسنا وتجارَتنا شُغلاً عن هذا. فقال: مَنْ يَعرِفُ هؤلاء، فجاء أناسٌ من أهل خراسان جُلُّهُم ربيعةُ واليمن، فقالوا: نحن نعرفهم، وهم علينا إن أتاكَ منهم شيءٌ تكرهه، فَخَلَّى سَبيلَهُم»[(١)] !

وأخذَ بعضُ الخراسانيين الذين انتظموا في الدعوة العباسيّةِ يُوافُونَ الكوفة والمدينة والحميمة يُريدون معرفةَ الإمام، فقد روى البلاذريّ أنَّ نفراً من شيعة بني العباس بخراسان أتوا محمد بن علي بعد أن وضعتْ زوجُهُ ريطة بنت عبيد الله الحارثية ابنه

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٦١٦، والكامل في التاريخ ٥: ١٠٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣١٢.

عبد الله ، فأظهره لهم ، وأنبأهم أنه أولُ من يلي الخلافة من بني العباس ، يقول[١] : «قدم على محمد بن عليٍّ ناسٌ من أهل خراسان من الشيعة ، بعد مَوْلِدِ أبي العباس ، فأخرجَهُ إليهم ، وقال : هذا صاحبكم الذي يتم الأمرُ على يَدِهِ. فقبَّلوا أطرافَهُ». ورُوي أنَّ أبا العباس وُلِدَ في سنة مائةٍ ، أو في سنة إحدى ومائة[٢] .

وذكر ابنُ جرير الطبري أنَّ أبا العباس وُلِدَ في سنة أربعٍ ومائةٍ ، وأنَّ أبا محمد الصادق كان رئيسَ النَّفرِ الذين جاؤوا إلى محمد بن عليٍّ ، يقول[٣] : «فيها دَخَلَ أبو محمد الصادق وعدةٌ من أصحابه من خراسان إلى محمد بن علي ، وقد وُلِدَ أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرةَ ليلةً ، فأخرجَهُ إليهم في خِرْقَةٍ ، وقال لهم : والله لَيَتِمَّنَّ هذا الأمرُ حتى تُدرِكُوا ثَأرَكم من عَدوِّكم».

وليس من اليسير تحديدُ التاريخ الذي وَرَدَ فيه أولئك النَّفرُ على محمد بن عليٍّ تحديداً دقيقاً ، لأن في مَوْلِدِ أبي العباس اختلافاً كثيراً[٤] ، فمن المؤرخين من يقول أيضاً : إنه وُلِدَ في سنة ثلاثٍ ومائة ، ومنهم مَنْ يقولُ : إنه وُلِدَ في سنة خمسٍ ومائةٍ ، ومنهم مَن يقولُ : إنه وُلِدَ في سنة ثمانٍ ومائة . وقد أشار ابن جرير الطبريُّ إلى ذلك الاختلاف حينَ تَرجَمَ لأبي العباس ، وألَمَّ بأقوالِ الإخباريين في مَوْلِدِهِ[٥] .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨١.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٨٢.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١١٤ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٠ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩.

(٤) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٢٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٥٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٨.

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧٠.

وأتى المدينةَ قومٌ آخرون من شيعة بني العباس بخراسان يسألون عن الإمام، لأنهم كانوا يَجهلونَهُ، فأطبَقُوا على أنه محمد بن عليٍّ، لأنه كان أعظَمَ آل محمدٍ شرفاً، وأفضَلَهُم في نفسه ديناً، وأسخاهُم كَفّاً، قال البلاذريُّ[1]: «كان الخراسانيون الذين قَدِمُوا لِطَلَبِ الإمامِ يَقولونَ: هذا أمرٌ لا يَصلُحُ إلاَّ لذي شَرَفٍ ودينٍ وسخاءٍ، فيتبعُهُ قومٌ لِشرَفِهِ، وآخرون لِدِينِه، وآخرون لِسَخائِهِ، وأتَوْا رجلاً من وَلَدِ عليٍّ بن أبي طالبٍ، فَدَلَّهُم على محمد بن عبد الله، وقال: هذا صاحِبُكم، وهو أَفضَلُنا، فأتوه».

وفَصَّلَ الخبرَ مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسيّة[2]، ومُصَنِّفُ العيون والحدائق[3]، والأزديُّ[4]، وزادُوا على ما رواه البلاذريُّ أن الخراسانيِّين ظنوا أن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالبٍ هو الإمام، فانسلُّوا إليه مُتَنَكِّرين وقالوا له[5]: «كنتَ غايَتَنا، وقد احتَجْنا إلى قَرْضٍ، وسموا له المال، فقال لهم عبد الله ابن الحسن: أدُلكم على نَظيري في الشَّرَفِ والمَذهَبِ وفي الدِّين، وهو أحمَلُ لما تُريدونَ مني: محمد بن علي بن عبد الله ابن عباسٍ. فجاءوه فقالوا له مثلَ ما قالوا لعبد الله، فحَمَلَ إليهم المال، وهو لا يَعرِفُهُم. فقالوا: هذا رجلٌ قد ظَهَرَ لكم فيه الخصالُ التي أردتم، وهو المجتمع عليه بالفَضلِ والبراعةِ في النَّسب، وقد أخبركم

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٨١.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ١٧٠ — ١٧١.

(٣) العيون والحدائق ٣: ١٧٩ — ١٨٠.

(٤) تاريخ الموصل ص: ٤٨.

(٥) أخبار الدولة العباسية ص: ١٧١، والعيون والحدائق ٣: ١٨٠، وتاريخ الموصل ص: ٤٨.

عبد الله أنه نَظيرُهُ ، وقدَّمَهُ على نفسه بالجود ، [وقد خَبَرْتُم كرمَهُ وحُسْنَ طريقتِهِ ، فهذا سببُ قيامهم في أمرِ دَعوَتِهِ] »[1] .

• ومن الصّعب معرفةُ أولئك الخراسانيِّين ، ومن الصَّعبِ أيضاً تَبيُّنُ السنة التي وافوا فيها المدينة يبحثون عن الإمام ، لأنه ليس في الخبر قَرائِنُ يُستَدَلُّ بها على ذلك .

والخبرُ ضعيفٌ ، وهو من الأخبارِ التي يَحسُنُ الاحترازُ منها ، لما فيه من دعايَةٍ عباسيّةٍ ، وما له من أهدافٍ سياسيّةٍ ، فهو يَرْفَعُ من شَأْنِ العباسيِّين ، ويضعُ من شأنِ العلويين ، بل هو يقطعُ بأنَّ العَلويِّين كانوا يُقرُّون بأنّ العباسيِّين أجدرُ منهم بالخلافة ، وأقدرُ على السَّعي لها ، وأقوى على حَمْلِ أعبائها وتكاليفها ! !

ومما يبعثُ على الاحترازِ منه أن موالي بني العباس هم أصلُهُ ومصدرُهُ ، فقد أسندَهُ البلاذريُّ إلى أبي سليمان مولى بني هاشمٍ[2] ، وأسنَدَهُ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية الى محمد بن سليمان بن سليط[3] .

---

(١) زيادة من العيون والحدائق ٣ : ١٨٠ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٨١ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ١٧٠ .

(١٠) تعيين بكير بن ماهان كبيراً للدّعاةِ بالكوفة

وفي سنة خَمْسٍ ومائة مَرِضَ أبو رَباحٍ مَيسَرَة النبَّال ، واستَخلَفَ على أصحابِهِ قبلَ وفاتِهِ سالم بن بُجَيْرٍ ، فقام بأمْرهم شهوراً ، ولكن محمد بن عليٍّ لم يلبَثْ أنْ نَحَّاهُ ووَلَّى بكير بن ماهان ، فقد ذكر مصنِّفُ أخبار الدولة العباسيّةِ أنَّ سالماً وأصحابَه كتبوا إلى محمد بن علي يُخبِرُونَهُ بموت أبي رباحٍ مَيْسَرَة النبَّال ، وسألوا بكير بن ماهان أن يَخرُجَ إليه بكتبهم ، فأجاب إلى ذلك ، وسُرَّ به ، ونَشَطَ له ، ثم شَخَصَ إلى الحُمَيمَة ، فَدَفَعَ إليه كتابَ سالمٍ وكتبَ أصحابه ، فقرأها وتَرَحَّمَ على سَلَمَة بن بُجَيْرٍ فأكثر وتَوَجَّعَ لموتِهِ ، وتَرَحَّمَ على أبي رباحٍ مَيسَرَةَ النبَّال . وأدَّى إليه بكيرٌ تسعينَ ومائة دينارٍ جَمَعَها من شيعةِ بني العباس بالكوفة ، وطوقاً من ذهبٍ وثوباً مَرْوِيّاً من أم الفَضْلِ زوج سالم ، فكان ذلك أوَّلَ مالٍ حَمَلَتْهُ الشيعةُ إلى محمد بن علي ، وحَدَّثَهُ بأخبارِ شيعَتِهِ بالكوفة ، ثم استعمَلَهُ محمد بن علي كبيراً للدُّعاة ، وأوصاهُ أنْ يَدعُوَ العامة إلى الرِّضا من آل محمدٍ ، ويذكُرُ جَورَ بني أميّة ، وأنَّ آل محمد أولَى منهم بالأمر ، وأوصاه أن يُحَذِّرَ شيعةَ بني العباس التَّحرُّكَ في شيءٍ مما يتحرَّكُ فيه بنو عمِّهم من آل أبي طالبٍ ، فإنَّ خارِجَهم مَقتولٌ ، وقائمهم مَخذولٌ ، وليس لهم في الأمر نَصيبٌ ! وخَوَّفَهُ جماعة أهلِ الكوفةِ ، وأمره أن لا يَقبلَ منهم أحداً

إلاَّ ذوي البصائر، فإنهم لا يُعَزُّ بهم من نَصَروهُ، ولا يُوهنون بخذلانهم مَنْ خَذَلُوه[1] !

وقال أبو حنيفة الدينوري[2] : «كان مع الجُنَيدِ بن عبد الرحمن عامل السِّند رجلٌ من الشيعة يُسمَّى بكير بن ماهان، فانصرَفَ إلى مَوطِنِهِ من الكوفة، وقد أصابَ بأرض السِّنْدِ مالاً كثيراً، فَلَقِيَهُ ميسرةُ العَبْدي[3] وابن خُنَيْسٍ، وأخبراه بأمرهما، وسألاه أنْ يَدْخُلَ في الأمرِ معهما، فأجابهما إليه، وقام معهما، وأنفقَ جميعَ ما استفاد بأرض السند من الأموال بذلك السبب. وماتَ ميسرةُ بأرض العراق، وكتبَ الإمام محمد بن علي إلى بكير بن ماهان أن يقوم مقام ميسرة. وكان بكير يكنى بأبي هاشم، وبها كان يُعرَفُ في الناس. وكان رَجلاً مُفَوَّهاً، فقام بالدُّعاء، وتولَّى الدعوة بالعراقَيْنِ. وكانت كُتُبُ الإمام تأتيه فيغسلها بالماء، ويَعجُنُ بغُسالتها الدقيق، ويأمر فَيُختَبَزُ منه قرصٌ، فلا يَبقى أحدٌ من أهله وولده إلاَّ أطعمَهُ منه».

وقال ابن جرير الطبري[4] : «في هذه السنة[5] قدم بكير بن ماهان من السِّنْد، وكان بها مع الجُنَيْدِ بنِ عبد الرحمن ترجماناً له، فلما عُزِلَ الجُنيد بن عبد

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩٤ — ٢٠٠، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١١٧.

(٢) الأخبار الطوال ص : ٣٣٣.

(٣) لم يُتابع أحدٌ أبا حنيفة الدينوري على أنَّ ولاء ميسرة النَّبَّال في عبد القيس. ويقال إنه مَوْلَى لبني أسدٍ، (انظر أنساب الاشراف ٣ : ١١٤، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٨٣). والمشهور أنه مَوْلى الأزد، وكانت داره فيهم، ثم صارت لجبل بن يزيد الكاتب. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٨٣).

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٥، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٥، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٣، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ١٩٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٧.

(٥) يعني سنة خمس ومائة.

الرحمن قدم الكوفة ، ومعه أربعُ لَبِناتٍ من فِضَّةٍ ولبنةٌ من ذهب ، فلقي أبا عِكْرِمَةَ الصادق ، وميسرة ، ومحمد بن خُنَيْسٍ ، وسالماً الأعيَنْ ، وأبا يحيى مولى بني سلمة ، فذكروا له أمرَ دعوة بني هاشمٍ ، فَقَبِلَ ذلك ورضيَهُ ، وأنفق ما معه عليهم ، ودخل إلى محمد بن علي ، ومات ميسرةُ ، فَوَجَّهَ محمدُ بن علي بكير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرةَ ، فأقامَه مقامه » .

(١١) وفودُ الدّعاة إلى خراسان

وفي سنة سبعٍ ومائةٍ بعث بكيرٌ وفداً من الدُّعاة إلى خراسان ، ففَشا أمرهُم بها ، ورُفعَ إلى أسد بن عبد الله القسري ، فَسيقُوا إليه ، فَقَتَلَ أكثرَهم ، ومَثَّلَ بهم ، قال ابن جرير الطبري[١] : «فيها[٢] وَجَّهَ بكير بن ماهان أبا عكرمة ، وأبا محمدٍ الصادق ! ومحمد بن خُنَيْسٍ ، وعماراً العبادي في عِدَّةٍ من شيعَتهم معهم زيادٌ خال الوليد الأزرق دعاةً إلى خراسان . فجاء رجلٌ من كِنْدَةَ إلى أسد بن عبد الله ، فَوَشى بهم إليه ، فأُتيَ بأبي عَكرَمةَ ومحمد بن خُنَيْسٍ وعامة أصحابه ، ونَجا عَمَّارٌ ، فقطع أسدٌ أيديَ مَنْ ظَفَرَ به منهم وأرجُلَهم ، وصلبَهم . فأقبلَ عمارٌ إلى بكير بن ماهان فأخبره الخبر . فكتب به إلى محمد بن علي ، فأجابه : الحمد لله الذي صدقَ مقالتكم ودعوتكم ، وقد بقيت منكم قَتلَى سَتُقتَلُ» .

وعلى أنَّ ما اختار ابن جرير الطبري من أخبار الدعوة العباسية هو أعلى ما نُقِلَ من أخبارِها وأوثَقُهُ وأدَقُّهُ ، فإن فيه هَفَواتٍ وسقطاتٍ قليلةً ، وآية ذلك أنه روى في الخبر السابق أن أبا عكرمة السرَّاج ، وأبا محمد الصادق رَجُلان مختلفان ! وهما رجُلٌ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٤٤ ، وانظر الأخبار الطوال ص : ٣٣٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٩ ، وتاريخ الموصل ص : ٢٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٠ .

(٢) يعني سنة سبعٍ ومائةٍ.

واحدٌ، فأبو عكرمة السرّاج هو زيادُ بن درهمٍ، مَوْلى همدان، وهو أبو محمد الصادق. وقد ذكر ابن جرير الطبري ذلك، ونبَّهَ عليه من قبل[1].

وفي بعض الروايات التي حمَلَها البلاذريُّ أنَّ بعضَ الدُّعاة من أهل خراسان جاءوا إلى الكوفة أثناء قيام أبي رباح ميسرةَ النبّال بأمْرِ الدعوة في العراق، وبحثوا فيها عن الإمام، فلم يهتدوا إليه، فساروا إلى المدينة، فأرشدهم أحدُ العلويِّين إلى اسمه ومَنزِله، فوفدوا على الحُميمة، فقابلوه بها، وطلبوا منه أن يرسل معهم أحدَ الدعاة إلى خراسان، فأرسل معهم أبا عكرمة، فبقي بها حتى وَلِيَها أسدُ بن عبد الله القسري، فبلغه أنه يؤلب الناس على بني أمية، ويدعو إلى بني العباس، فقبضَ عليه، وضَرَبَ عنُقَهُ، يقول[2]: «قدمَ قحطبة [بن شبيب الطائي]، وسليمان ابن كثير بن أمية [الخزاعي] إلى الكوفة، فلم يَعْرِفا الإمام، فأتيا المدينة، فسألا محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ عن الإمام فقال: هو منا، وهو بالشام. فمَضَيا إلى الشام، فلقيا محمد بن علي، فذاكراه أمرَهم، وسألاه أن يبعثَ إلى خراسان رجلاً معهما، وكتب إلى أبي عكرمة الصادق، واسمه زياد بن درهم، وهو بالكوفة، فخرج معهما إلى خراسان. ويقال: بل كتبَ إلى ميسرَةَ في تَوجيهِ رجلٍ يثق به، فَوَجَّهَ أبا عكرمة. فلما صارَ بخراسان اكتنى بأبي محمد، وتَسمَّى ماهان، فلم يزل بها حتى قدم أسدُ بن عبد الله، أخو خالد بن عبد الله القسري، والياً على خراسان من قِبَلِ أخيه، وذلك في أيام هشامٍ. فسعَى إليه جَبَلَةَ بن أبي رَوَّاد، واسم أبي رَوَّاد حسين، بأبي عكرمة وأصحابه، فقتل أسدٌ أبا عكرمة، وضرب

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٦٢، وانظر الكامل في التاريخ ٥: ٥٣، والبداية والنهاية ٩: ١٨٩.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١١٦.

أبا داود[1] ألفاً ، ويقال : ثلاثمائة ، وأمر به فَضُرِبَ على رأسه حتى عَمِشَ[2] ، ثم كَلَّمَ فيهم ورشاً بعضُهُم حتى تَخَلَّصُوا».

ونَقَلَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية روايةً طويلة عن تَوْجيهِ محمد بن عليٍّ لأبي عِكْرِمَة إلى خراسان[3] ، وهي روايةٌ مَبتورةٌ ، إذ ليس فيها شيءٌ عن مصيرِ أبي عَكرَمَة . وبعضُها يوافقُ الروايةَ التي ذكرها البلاذريّ ، فإنّ فيها أن محمد بن علي بَعثَ أبا عكرمة وحْدَهُ ، وأشارَ عليه أن يكتني بأبي محمدٍ . وبعضُها يخالف الرواية التي ذكرها البلاذري ، فإن فيها أن محمد بن علي أمرَ أبا عكرمةَ أنْ يَتّبعَ ما رَسَمَ لهُ بكيرُ بن ماهان ، وأنْ يَلقى سليمان بن كثير الخزاعي ، والنَّفرَ الذين استجابوا لبكير من قبلُ. وهي تتضمَّنُ وصيَّةَ محمد بن علي لأبي عِكرَمَة ، وفيها أنه نصح له أنْ لا يُظهِرَ جداً ولا دُعاءً إلى سَلَّةِ سَيْفٍ[4] ، وأن يُقِلَّ مكاتَبَتَهُ ومُراسَلَتَهُ ، وأنْ يَكتُمَ اسمَهُ إلاَّ عن رجُلٍ وَكَّدَ عليه ، وتَوثَّقَ منه ، وأخَذَ بَيعَتَهُ . وفيها أيضاً أنه أَمَرَهُ إذا قَدِمَ مَرْو الشَّاهجان أنْ يَحِلَّ في أهل اليمنِ ، ويتَألَّفَ ربيعةَ ، ويَتَوقّى مُضَرَ ، ويأخذَ بِنَصيبِهِ من ثقاتِهِم ، وأنْ يستَكثِرَ من الأعاجم ، فإنهم أهلُ الدعوة ، وبهم يُؤَيِّدُها الله .

---

(1) هو خالد بن إبراهيم الذهلي الربعي ، وكان من النقباء. (انظر رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٢ ، والمحبر ص : ٤٦٥ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٦ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٤ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩).

(2) عمش : فسدت عينه فهي لا تزال تسيل الدمع ، ولا يكاد يُبْصر بها .

(3) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٣ — ٢٠٨ .

(4) قال مصنف أخبار الدولة العباسية : «كان مما أمَرَ به محمد بن علي أبا عكرمة إغمادُ السيف ، وقال : إنه مُحَرَّمٌ عليكم أن تشهروا سيفاً على عدوكم ، كُفُّوا أيديكم حتى يؤذن لكم . وبهذا سُمِّيت الكَفِيَّةُ ، لأنهم كفوا ايديهم فلم يشهروا سيفاً ، حتى كتب إبراهيم بن محمد الى أبي مسلم يأمره بإظهار الدعوة ومجاهرة عدوه . فكل من أجاب الدعوة قبل ظهور أبي مسلم فهو كفيٌّ ، ومن دخل في الدعوة بعد ظهور أبي مسلم فليس من الكفية» . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٤) .

ونَقَلَ ابن جرير الطبري تلك الروايةَ وافية ، فأثبَتَ وَصيَّتَهُ محمد بن علي لأبي عكرمة ، وألمَّ بنهايتِهِ ، وأوْرَدَ فيها تَفاصيلَ ذكرها مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية ، وسَرَدَ تفاصيل أخرى لم يذكرْها . ومع أنه وضَعَها في حوادث سنة تسعٍ ومائةٍ ، فإنَّ سِيَاقَها يدلُّ على أنها وقعت قبل ذلك يقول[1] : « ذكر عليٌّ بن محمد أنَّ أوَّلَ مَنْ قدمَ خراسان من دعاة بني العباس زيادٌ أبو محمدٍ مَوْلى هَمْدان ، في ولاية أسد ابن عبد الله ، الأولى ، بعثَهُ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وقال له : ادعُ الناسَ إلينا ، وانزِلْ في اليمنِ ، والطِفْ بِمُضَر . ونهاه عن رَجُلٍ من أبْرَشَهْر يقال له : غالب ، لأنه كان مُفْرطاً في حُبٍّ بني فاطمة .

ويقال : أول من جاءَ أهلَ خراسان بكتاب محمد بن عليٍّ حَرْبُ بن عثمان ، مَولى بني قيس بن ثعلبة . من أهلِ بلْخ .

قال : فلما قدم زيادٌ أبو محمد ، ودعا إلى بني العباس ، وذكَرَ سيرةَ بني مروان وظُلمَهُم ، وجَعَلَ يُطعِمُ الناسَ الطعام ، فقدم عليه غالبٌ من أبْرَشَهْر ، فكانت بينهم منازعة ، غالبٌ يُفَضِّلُ آلَ أبي طالب ، وزيادٌ يُفَضِّلُ بني العباس . ففارَقَهُ غالبٌ ، وأقامَ زيادٌ بِمَرْو شَتْوَةً ، وكان يختَلِفُ إليه من أهل مَرْو يحيى بن عقيل الخزاعي وإبراهيم بن الخطاب العَدَوي ،... ، وكانَ على خَراج مَرْو الحسن ابن شيخ ، فبلغه أمرُهُ فأخبرَ به أسد بن عبد الله ، فدعا به ، وكان معه رجل يُكنَّى أبا موسى ، فلما نظر إليه أسدٌ قال له : أعَرَفُكَ؟ قال : نعم ، قال له أسد : رأيتُكَ في حانُوتٍ بدمشق . قال : نعم ، قال لزيادٍ : فما هذا الذي بلغني عنك؟ قال : رُفِعَ إليك الباطلُ ، إنما قَدِمتُ خراسانَ في تجارة ، وقد فرَّقْتُ مالي على الناسِ ، فإذا صارَ إليَّ خرجتُ . قال له أسدٌ : اخرُجْ عن بلادي ، فانْصَرفَ فعاد إلى أمْرِهِ ، فعاوَدَ

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ .

الحسنُ أسداً ، وعَظَّمَ عليه أمره ، فأرسلَ إليه ، قال : ألم أنْهَكَ عن المقام بخراسان ! قال : ليس عليك أيها الأمير مني بأسٌ فأحفَظَهُ وأمَرَ بقتلِهم ، فقال له أبو موسى : فَاقْضِ ما أنت قاضٍ ، فازدادَ غَضباً ، وقال له : أنْزَلْتَني منزلةَ فرعون ! فقال له : ما أنْزَلْتُكَ ولكن الله أنْزَلَكَ ، فَقُتِلُوا ، وكانوا عشرةً من أهلِ بيتٍ بالكوفة ، فلم يَنجُ منهم يومئذٍ إلاَّ غلامان ، استَصغَرَهُما ، وأمَرَ بالباقين فَقُتِلوا بكشانشاه.

وقال قومٌ : أمَرَ أَسَدٌ بزيادٍ أن يَحطَّ وَسَطُهُ ، فَمُدَّ بين اثنين ، فَضُرِبَ فَنَبا[1] السيفُ عنه ، فكَبَّرَ أهلُ السوق ، فقال أسدٌ : ما هذا؟ فقيل له : لم يحك[2] السيفُ فيه. فأعْطى أبا يعقوب سيفاً فخرجَ في سراويل ، والناسُ قد اجتمعوا عليه ، فَضَرَبَهُ ، فَنَبا السَّيفُ ! فَضَرَبَهُ ضَربَةً أُخرى فقطَعَهُ باثنتين.

وقال آخرون : عَرَضَ عليهم البراءَةَ ، فمن تَبَرَّأَ منهم مما رُفِعَ عليه خَلَّى سَبيلَهُ ، فأَبَى البراءَةَ ثمانيةٌ منهم ، وتَبرَّأَ اثنان. فلما كان الغد أقبَلَ أحدُهما ، وأسدٌ في مَجلسِهِ المُشرِفِ على السُّوقِ بالمدينة العَتيقة. فقال : أليسَ هذا أَسيرَنا بالأمسِ؟ فأتاه فقال له : أسألك أنْ تُلحِقَني بأصحابي ، فأشرفوا به على السوق ، وهو يقول : رَضِينا بالله رَبّاً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نَبيّاً ، فدعا أَسَدٌ بسيف بخاراخذاه ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بيده قبل الأضحى بأربعةِ أيامٍ ».

وتَدُلُّ تلك الرِّواياتُ المختلفة لخَبَرِ قُدُومِ أبي عِكْرَمَةَ إلى خراسان على أنه كان أنشطَ الدُّعاةِ بها ، وأنه تَرَدَّدَ إليها مِراراً ، فقد وَرَدَها في سنة مائةٍ مع أول وَفْدٍ من

---

(١) نبا السيف عن الضَّريبة : كلَّ ولم يقطع.

(٢) يقال : حكَّ الشيء في صَدْري ، وأحكَّ واحتكَّ : عَمِلَ ، والأول أجود. وحكاه ابن دُرَيْدٍ جَحْداً ، فقال : ما حكَّ هذا الأمرُ في صَدْري ، ولا يقال ما أحاك. وما أحاك فيه السلاح : لم يعمل فيه ، قال ابن سيدة : وإنما ذكرته هنا ، لأُفَرِّقَ بين حَكَّ وأحكَّ ، فإن العوام يستعملون أحاك في موضع حكَّ فيه ، فيقولون : ما أحاك ذلك في صَدْري. وما حكَّ في صَدْري منه شيء أي : ما تَخالَجَ. (انظر اللسان: حَكَكَ).

الدُّعاةِ ، ثم رجع منها إلى الكوفة ، ثم عاد إليها مرةً ثانيةً ، فأقام بها زمناً ، ثم رجع منها في سنة أربعٍ ومائةٍ أو قبلَها ، ولِيَ محمد بن علي بالحُمَيمة ، ثم تَوَجَّهَ إليها مرّةً ثالثةً في سنة سبعٍ ومائةٍ ، فَلَبِثَ فيها حتى ظَفِرَ به أسد بن عبد الله القسري فقتله .

وأخذ أسد بن عبد الله القسريُ جماعةً من النُّقباء قبل أن يُعزَلَ عن خراسان في سنة تسعٍ ومائةٍ ، وهم : سليمان بن كثير الخزاعي ، ومالك بن الهيثم الخزاعي ، وطلحة بن زريق مولى خزاعة ، وخالد بن إبراهيم الرَّبعي ، وموسى بن كعب التَّميمي ، ولاهِزُ بن قُرَيْظٍ التميمي . ويظهر أنه لم يُعَذِّبْهُم ، بل أغلَظَ القَولَ لهم ، ورَهَّبَهُم وحَذَّرَهُم ، ثم أطلَقَهُم . ولم يَرِدْ ذلك في خبرٍ مستقلٍّ ، بل وَرَدَ في خَبَرِ اعتقالِ أسدٍ لهم في ولايتِهِ الثانية سنة سبع عشرةَ ومائة[1] .

وتَأَنَّى محمدُ بن عليٍّ وتَرَيَّثَ في إرسالِ الدُّعاةِ إلى خراسان بعد مَقتَلِ أبي عِكْرِمَةَ السَّراج وأصحابه ، لأن أَمرَ الدَّعوةِ أصبحَ معروفاً ، ولأن أسد بن عبد الله القسري كان كثير التَّتَبُّعِ للدُّعاةِ ، ثقيل الوَطأةِ عليهم ، شديدَ البَطشِ بهم ، فَكَفَّ عن إرسالِهم مُدّةً ، وذكر البلاذريُّ أنه مكث لا يبعَثُ أحداً سنةً[2] . ولكن ما بقِي من أخبار الدعوة العباسية يشير إلى أنه توقَّفَ عن تَوجيهِ الدُّعاةِ الى خراسان ما يَقرُبُ من ست سنواتٍ ، فإن أول وَفدٍ منهم أتاها بعدَ مَصرَعِ أبي عِكرَمَةَ السراج وأصحابه إنما أتاها في سنة ثلاث عشرة ومائة ، ووقع بعضهم في يد الجُنَيْدِ بن عبد الرحمن المري فأعْدَمَهُ ، وأباحَ دَمَ من استَخفى منهم ، يقول ابن جرير الطبري[3] : «في

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٠٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٩ ، وتاريخ الموصل ص : ٣٨.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٨٨، والكامل في التاريخ ٥ : ١٧٦، والبداية والنهاية ٩ : ٣٠٤.

هذه السنة[1] صار من دعاة بني العباس جماعةٌ إلى خراسان ، فأخذ الجُنَيدُ بن عبد الرحمن رجلاً منهم فقتَلَهُ ، وقال : مَنْ أُصيبَ منهم فَدَمُهُ هَدَرٌ » . ومع ذلك فقد انتَشرَ الدّعاةُ في ولايةِ الجُنيدِ ، وقَوِيَ أمرهم[2] .

قال البلاذري[3] : « ثم بَعَثَ أبا الحسن كثير بن سعد ، فأقام ثلاث سنين ثم قَدِمَ » . ويُستَنتَجُ مما رواه ابن جرير الطبري من خَبَرِ كثيرٍ أنه وَرَدَ خراسان في حدود سنة ستَ عشرةَ ومائة ، فإنه لم يزل بها حتى جاء إليها خداشٌ في سنة ثماني عشرةَ ومائةٍ ، يقول[4] : « ثم قدم بعدهم رجلٌ من أهل الكوفة يُسمَّى كثيراً ، فنزل على أبي النَّجم[5] ، فكان يأتيه الذين لقوا زياداً[6] فيُحَدِّثُهم ويدعُوهُمْ ، فكان على ذلك سنةً أو سنتين ، وكان كثير أمياً ، فَقَدِمَ عليه خداش ، وهو في قريةٍ تُدعى مرعم ، فغَلَبَ كثيراً على أمرِهِ » .

وَوَليَ أسد بن عبد الله القسري خراسان مرةً ثانيةً في سنة ستَ عشرةَ ومائةٍ ، فَطارَدَ دعاةَ بني العباس وشيعَتَهم بها ، وفتَكَ بمن دُفِعَ إليه منهم ، وسَفَكَ دمَه ، في

---

(١) يعني سنة ثلاث عشرة ومائة .

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٣٩ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٥١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٤ .

(٥) هو أبو النجم عمران بن اسماعيل مولى آل أبي مُعَيْط ، وهو من النُّقباء من أهل مرو الشاهجان . (انظر المحبر ص : ٤٦٥ ، ورسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٤ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٥ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩) .

(٦) هو زياد بن درهم مولى همدان ، وهو أبو عكرمة السراج ، وأبو محمد الصادق .

سنة سبعَ عشرةَ ومائةٍ اعتقَلَ النُّقباءَ الذين حَبَسَهم ثم أخْلى سبيلهم في ولايته الأولى ، فَعاقَبَهم أشدَّ العقاب ، وأذاقَ بعضَهم ألوانَ العذاب ، ثم استَشفَعَ لهم عنده شيوخٌ من الأزد ، فَقَبلَ شَفَاعَتَهم فيهم ، وأخرجهم من السِّجن ، قال البلاذري[1] : «أُعيدَتْ خراسان إلى خالد بن عبد الله فولاَّها أسداً ، وكان لا يَظفرَ بداعِيَةٍ ولا مَدْعُوٌّ إلاَّ ضَرَبَ عُنُقَه وصَلَبَهُ ، حتى أخذ سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن قريظ ، وخالد بن إبراهيم ، وطلحة بن رزيق ، فأتي بهم فقال : أَلَمْ أَظفرْ بكم في إمرَتي الأولى فأعْفُوَ عنكم ؟ فقالوا : والله ما نَعرِفُ إلاَّ طاعةَ أمير المؤمنين هشام ، وإنه لمكذوبٌ علينا . فدَعا بموسى بن كعب فقال : يا ذا الثَّنايا ، أَعَليَّ تَتَوثَّبُ ، وفي سلطاني تُدْغِلُ[2] ، ثم تَدْعو هذه السِّفْلَةَ إلى هذه الدَّعوَةِ الضَّالةِ !! فألْجَمهُ بلجامِ حمار ، ويقال بإيوان[3] ، ثم أمَرَ به فَجُذِبَ حتى حُطِمَتْ أسنانُهُ ، ثم أمرَ به فرُتِمَ[4] أنفُهُ ، وأمَرَ بلاهزٍ فَضُرِبَ ثلاثمائة سوطٍ وحُبِسَ ، ثم طَلَبَ فيهم نَفَرٌ من الأزد ، وشهدوا لهم بالبراءة ، فخَلَّى سبيلهم» .

والخبر عند ابن جرير الطبري أطْوَلُ وأوسَعُ ، وهو يدُلُّ على أن أسد بن عبد الله القسريَّ تَعَصَّبَ على النُّقَباءِ من المُضَرِيَّةِ ، فنكَّلَ بهم ، لأنهم خُصُوم اليمانية بخراسان ، وحابَى اليمانيَّةَ والرَّبعيَّةَ منهم ، فلم يَمْسُسْهُم بسوءٍ ،لأن اليمانية قومُهُ ،

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٧ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٦٠.

(٢) أدغل في الأمر : أدخل فيه ما يُفْسِده.

(٣) الإيوان : لجام البعير.

(٤) رتم : كسر.

والرَّبعيّةَ حُلفاؤُهُم وأنصارُهم ، يقول[1] : «في هذه السنة أخَذَ أسدُ بن عبد الله جماعةً من دعاةِ بني العباس بخراسان ، فقَتَلَ بعضَهم ، ومَثَّلَ ببعضِهم ، وحَبَسَ بعضَهم . وكان فيمن أخَذَ سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن قريظ ، وخالد بن إبراهيم ، وطلحة بن رزيق ، فأُتِيَ بهم ، فقال لهم : يا فَسقَةُ ! ألمْ يَقُلِ اللهُ تعالى : (عَفَا اللهُ عمَّا سَلَفَ ومَنْ عادَ فينتَقِمُ اللهُ منهُ واللهُ عزيزٌ ذُو انتقامٍ) ! [المائدة : ٩٥] . فذُكِرَ أنَّ سليمان بن كثير قال : أَتَكَلَّمُ أم أسْكُتُ؟ قال : بل تَكَلَّم . قال : نحن والله كما قال الشاعر[2] :

لو بِغَيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعْتِصاري[3]

تَدْري ما قِصَّتُنا؟ صِيدَتْ واللهِ العَقارِبُ بيدك أيها الأمير ، إنا أناسٌ من قومك ، وإن هذه المُضَريَّةَ إنما رَفَعُوا إليك هذا لأنَّا كنا أَشَدَّ الناس على قُتَيبة ابن مسلم ، وإنما طلبوا بثأرهم . فتكلم ابنُ شريك ابن الصامت الباهِلي ، وقال : إنَّ هؤلاء القوم قد أُخِذُوا مرّةً بعد مرةٍ ، فقال مالك بن الهيثم : أصلحَ اللهُ الأمير ، ينبغي لك أن تعتَبِرَ كلامَ هذا بغيرِه . فقالوا : كأنك يا أخا باهلةَ تَطْلُبنا بثأر قتيبة ! نحن والله كنا أشد الناس عليه . فبعث بهم أسَدٌ إلى الحَبْس ، ثم دَعا عبد الرحمن ابن نعيم ، فقال له : ما تَرى؟ قال : أرى أنْ تَمُنَّ بهم على عشائرهم ، قال : فالتَّميميَّان

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٧ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٦١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٤٣.

(٢) هو عدي بن زيد العبادي . (انظر الشعر والشعراء ١ : ٢٢٩ ، والأغاني ٢ : ١١٤ ، ومعجم الشعراء ص : ٨١ ، واللسان : عَصَر ، وغَصَّ ، وخزانة الأدب ٣ : ٥٩٤ .

(٣) الغصان : من شرق بالماء ووقف في حلقه فلم يكد يُسيغُهُ . والاعتصار : أن يَغَصَّ الإنسان بالطعام ، فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلاً قليلاً .

اللذان معهم؟ قال : تُخَلِّي سبيلَهُما. قال : أنا إذاً من عبد الله بن يزيد[١] نَفِيٌّ[٢]! قال : فكيف تَصنعُ بالرَّبعي؟ قال : أُخلِّي واللهِ سبيلَهُ. ثم دعا بموسى بن كعب، وأمَرَ به فأُلجمَ بلجامِ حمارٍ، وأمَرَ باللجام أنْ يُجْذَبَ، فجُذِبَ حتى تَحطَّمَتْ أسنانُهُ، ثم قال : اكسروا وَجْهَهُ، فَدَقَّ أنفَهُ، وَوَجأَ[٣] لِحيَتَهُ، فَنَدَرَ[٤] ضِرْسٌ له. ثم دعا بِلاهِزِ بن قُرَيظٍ، فقال لاهِزٌ : واللهِ ما في هذا الحقُّ أن تَصنعَ بنا هذا، وتَترُكَ اليمانيينَ والرَّبعيين! فَضَرَبَهُ ثلاثمائة سَوْطٍ، ثم قال : اصْلُبُوهُ، فقال الحسن بن زيد الأَزْديُّ : هو لي جارٌ، وهو بَريءٌ مما قُذِفَ به، قال : فالآخرون؟ قال : أَعْرِفُهُم بالبراءةِ فَخَلِّي سبيلهم».

وروى أبو حنيفة الدينوري الخبر[٥]، وفي روايته لبعض أجزائه خَلْطٌ وخَطأٌ ونَقْصٌ، أما الخَلْطُ فيبدو في قوله : إن محمد بن علي وَجَّهَ أولئك النفرَ الخمسةَ دعاةً إلى خراسان، وهم لم يكونوا من الدُّعاةِ الطَّارئين عليها، بل كانوا من النُّقباءِ المُستوطنين لها، ويبدو في قوله : إن الجُنَيدَ بن عبد الرحمن هو الذي قَبَضَ عليهم، وذلك مُخالفٌ لما أجمعَ عليه البلاذري، وابن جرير الطبري، وابن الأثير، فقد نَصُّوا على أن أسد بن عبد الله القسري هو الذي اعتقَلَهُم. وأما الخطأ فيتَّضِحُ في قوله : إن الجُنَيدَ بن عبد الرحمن يَمانيٌّ، والصَّوابُ أنه مُريٌّ غَطَفانيٌّ

---

(١) هو والد أسد بن عبد الله القسري. (انظر فيه الأغاني ٢٢ : ٤).

(٢) نَفيُّ كل شيء : سُقَاطُهُ ورُذَالُهُ. والنَّفِي : الدَّعي.

(٣) وجأ لحيته : لكزَهَا ورَضَّها.

(٤) نَدَرَ : سَقَطَ.

(٥) الأخبار الطوال ص : ٣٣٥ — ٣٣٦.

دمشقيٌّ[1] . وأمّا النّقصُ فيظهرُ في إهمالِهِ الحديثَ عن أخذِهِم أولَ مَرّةٍ ، ويظهر في إغفالِهِ الحديثَ عن محاسَبَتِهم وتعذيب بَعضِهم حين أُخذُوا ثاني مرّةٍ.

ورَوى مُناظرةَ أسد بن عبد الله القَسريِّ لهم ، واستِشارَتَهُ لعبد الرحمن بن نُعيمٍ رئيس ربيعة في أمرهم ، وساقَ ذلك بأكثر ألفاظِهِ التي جاءت في روايةِ ابن جريرٍ الطبري للخبر ، ولكنه زعمَ أنَّ الجُنَيدَ هو الذي حَبَسهم وأنَّبَهُم !

وعلى ما في رواية أبي حنيفةَ الدينوريِّ لبعضِ أجزاءِ الخبرِ من فسادٍ وخَلَلٍ ، فإن فيها زيادةً لم تَرِدْ في روايَتِهِ عند البلاذري وابن جريرٍ الطبري وابن الأثير ، فقد ذكر أنَّ النُّقباءَ الخمسة أخبروا محمد بن عليٍّ بما أصابَهم من الأذَى والمكروه ، فأرسلَ إليهم يُحَمِّسُهُم ويَربُطُ على أفئدتِهم ، ويُوصيهم أن يَصبروا على البَلوى ، ويَستَهينوا بالموت ، ويَنصَحُهُم أن يحتاطُوا في بَثِّ الدَّعوة. فجالوا في مُدُنِ خراسان وجابُوها يَستَميلونَ الناس فيها ، ويدعُونَهم سرّاً إلى أهل بيتِ نَبيِّهم ، ويُبَغِّضونَ إليهم بني أمية ، لما يَظهَرُ من جَوْرِهِم واعتدائهم ، ورُكوبِهم القبائح ، حتى استجابَ لهم بَشرٌ كثيرٌ ، وانكَشفَ أمرُهُم ، فندم أسدٌ على إطلاقِهِم ، وتَعَقَّبَهُم فلم يَعثُرْ عليهم. ولكنه نسبَ ذلك إلى الجُنَيْدِ أيضاً !!

وذكر أنَّ أسد بن عبد الله القَسري أنبأَ أخاه خالداً باضطراب خراسان ، وتأَصُّلِ الدعوةِ فيها إلى بني العباس ، فأرسل خالد إلى هشام بن عبد الملك يُخبرُهُ ويُفاوضُهُ في الأمْرِ ، فأرسلَ إليه أن يقترِحَ على أَسدٍ أن يَجنَحَ للسلم ، ويحقِنَ الدماءَ ، ويتألَّفَ أهل خراسان ، فَيسوسهُم بالحكمةِ ، ويأْخُذُهُم باللِّينِ في غيرِ ضَعْفٍ ، وبالشِّدةِ في غيرِ عُنفٍ ، ويُوادِعُ مَنْ وادَعَهُ ، ويَبحَثُ عن دُعاةِ بني العباس حتى يَظفَرَ بهم ،

---

(1) جمهرة أنساب العرب ص : ٢٥٢ ، وراجع ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤١٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٩٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٥١.

فيخرجهُم من خراسان ، فَصَدَعَ أسدٌ بأمرِ هشام ، وتَتَبَّعَ النُّقباءَ الخمسة ، فلم يَقبضْ على أحدٍ منهم . ولكنه رَوَى أنَّ الجُنَيدَ هو الذي صَنَعَ ذلك ! ! يقول(١) : « أمَرَ بإطلاقِهم ، فخرجُوا وكتبوا بقصتهم إلى الإمام ، فكتَبَ إليهم : أنَّ هذا أَقلُّ ما لكم ، فاكتُموا أمرَكم ، وترَفَّقُوا في دعوتكم . فساروا من مدينة مَرْو إلى بُخَارَى ، ومن بُخارى إلى سَمَرْقَنْد ، ومن سَمَرْقَنْد إلى كَشٍّ ونَسف ، ثم عَطَفُوا على الصَّغانيان ، وجازوا منها إلى خَتْلان ، وانصرفوا إلى مَرْو الرُّوذ ، والطَّالقان ، وعَطَفُوا إلى هَراة وبوشنج وجازوا إلى سِجِسْتان . فغَرَسُوا في هذه البلدان غَرْساً كثيراً . وفَشَا أمرُهُم في جميع أقطار خراسان . وبلغ ذلك أسداً(٢) ، فأسف على تَرْكِهم ، وَوَجَّهَ في طَلَبِهم ، فلم يَقدِرْ عليهم . فكتب إلى خالد بن عبد الله القسري ، وكان على العراق ، يُعْلِمُهُ انتشارَ خراسان ، وما حَدَثَ فيها من الدُّعاةِ إلى محمد بن عليٍّ . فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يُعْلِمُهُ بذلك فكتب إليه هشام يأمُرُهُ بالكتابِ إلى أَسَدٍ(٣) ألاَّ يرغَبَ في الدِّماءِ ، وأنْ يَكُفَّ عمن كَفَّ عنه ، ويُسَكِّنَ الناس بِجُهْدِهِ ، وأن يَطلُبَ النَّفَرَ الذين يدعون الناس حتى يَجِدَهُم فينفيهم . فلما انتهى ذلك إلى أَسَدٍ(٤) بعث رُسُلَهُ في أقطارِ خراسان ، وكتَبَ إلى عمَّالِهِ في الكُوَر يَطلُبُ القومَ ، فطلبُوا ، فلم يُدْرِكْ لهم أثَرٌ » .

---

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٣٦ .

(٢) في الأصل : الجُنَيْد ، وهو خطأ لا نزاع فيه .

(٣) في الأصل : الجُنَيْد .

(٤) في الأصل : الجُنَيْد .

(١٢) انحرافُ خداشٍ عن مبادئ الدَّعْوَة

وفي سنة ثمانيَ عشرةَ ومائة بعثَ بكيرُ بن ماهان عَمَّارَ بن يَزْداد داعيةً إلى خراسان، وكان نصرانيّاً من أهل الحيرة، ثم أسلَمَ وصارَ مُعلِّماً بالكوفة. فلمَّا أتى خراسان تَسَمَّى بخِداشِ بن يزيد[١]، ودَعا الناسَ إلى بني العباس فأجابوه. ثم انحرفَ عن الدعوة العباسية، وخَرَجَ على مبادئها وقواعدِها، وشَذَّ عن مَراميها ومَقَاصِدِها. فثارَ عليه شيعة بني العباس وفتكوا به، ويقال: إنَّ أسدَ بن عبد الله القَسْري هو الذي قَبَضَ عليه وأعْدَمَهُ، قال البلاذري[٢]: «وجَّهَ بكير عمَّاراً هذا فغَيَّرَ سُنَنَ الإمام، وبَدَّلَ ما كان في سيرةِ مَنْ قبلَه، وحكم بأحكامٍ منكرةٍ مكروهةٍ، فوَثَبَ به أصحابُ محمد بن علي فقَتَلوه، ويقال: بل قتلَه أسدُ بن عبد الله وصَلَبَه».

وفيما روى ابنُ جريرٍ الطبريّ من خَبَرِ خداشٍ أنه أعْلَنَ دين الخُرَّمية، وأحَلَّ النساءَ وأباحَهُنَّ، وذكرَ لشيعة بني العباس أنَّ محمدَ بن عليٍّ أمَرَه بذلك، فأخذه

(١) أنساب الأشراف ٣: ١١٦ — ١١٧، وانظر الكامل في التاريخ ٥: ١٩٦.
(٢) أنساب الأشراف ٣: ١١٧، وانظر البدء والتاريخ ٦: ٦٠.

أسد بن عبد الله القسري ، ومَثَّلَ به ثم قَتَلَه ، يقول [1] : «فيها [2] وجَّهَ بكيرُ ابن ماهان عَمَّارَ بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس ، فنَزَلَ فيما ذُكِرَ مَرْوَ ، وغَيَّرَ اسمَه ، وتَسمَّى بخداش ، ودعا إلى محمد بن عليٍّ ، فسارعَ إليه الناس ، وقَبِلُوا ما جاءَهم به ، وسمعوا إليه وأطاعوا . ثم غَيَّرَ ما دعاهم إليه ، وتَكَذَّبَ وأظهَرَ دينَ الخُرَّمِيَة ، ودعا إليه ، ورَخَّصَ لبعضهم في نساء بعضٍ ، وأخبرَهم أنَّ ذلك عن أمْرِ محمد بن عليّ . فبلغَ أسدَ بن عبد الله خَبَرُهُ ، فَوَضَعَ عليه العيونَ حتى ظفرَ به ، فأُتيَ به ، وقد تَجَهَّزَ لِغَزْوِ بَلْخ ، فسأله عن حاله ، فأغْلَظَ خداش له القولَ ، فأمَرَ به فقُطعت يده ، وقَلَعَ لسانَه ، وسُمِلَتْ عَينُهُ» . ويقول [3] : «لما قدم أسدُ آمُلَ في مَبْدَئِهِ ، أتوه بخداش صاحب الهاشمية ، فأمَرَ به قُرعَةَ الطبيب ، فقَطَعَ لسانَه ، وسَمَلَ عَينَهُ ، فقال : الحمد لله الذي انْتَقَمَ لأبي بكرٍ وعمر منك ! ثم دَفَعَهُ إلى يحيى بن نعيم الشيباني ، عامل آمُل ، فلما قَفَلَ من سَمَرْقَنْد كتب إلى يحيى فقتله وصَلَبَهُ بآمل» .

ورَوَى ابنُ الأثير أنَّ خِداشاً أجازَ لشيعة بني العباس تَرْكَ الطاعات والفُرُوض ، وسَوَّغَ لهم ذلك ، واحتَجَّ له احتجاجاً قبيحاً ، يقول [4] : «قال لهم : إنه لا صَوْمَ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٠ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٦١.

(٢) يعني سنة ثماني عشرة ومائة.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٩ ، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٧.

(٤) الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦.

ولا صلاةَ ولا حَجَّ ، وإنَّ تأويلَ الصَوْمِ أنْ يُصامَ عن ذِكرِ الإمامِ فلا يباح باسمه ، والصلاة الدعاءُ له ، والحج القَصدُ إليه ، وكانَ يَتَأَوَّلُ من القرآن قوله تعالى : (ليسَ على الذين آمنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات) ، [المائدة : ٩٣]» .

(١٣) مُعالَجَةُ الإمامِ محمدٍ لانحرافِ خداشٍ

وكانَ مُرُوقُ خِداشٍ من الدِّين ، وانسلاخُهُ من الإسلام ، ومَزجُهُ تعاليمَ الدَّعوةِ العباسية بتعاليم الخُرَّمِيَّة أكبر الأخطار التي صادَفَها محمدُ بن علي ، فقد نَكَبَ خداشٌ عن خُطَّةِ الدَّعوةِ وأهدافِها المَرسومَة ، ولم يَعبأْ بها ، ولم يَعُدْ يَعمَلُ لها ، وفَرَّقَ شيعَتَها ، وشَقَّ صُفُوفَهُم شَقّاً . وكان من انحازوا إليه منهم كُثْراً ، وكان فيهم بعض النُّقباء والدُّعاة [١] ، مثل مالك بن الهيثم الخزاعي ، وكان من النُّقباء من أهلِ مَرْو الشَّاهجان [٢] ، والحَرِيش بن سليمان [٣] مولى خُزاعَة ، وكان من مجلس السبعين من أهلِ نَسَا [٤] . وأشارَ ابن الأثير إلى أن آخرين منهم تابعوه على مقالته [٥] ، ولكنه لم يذكر أسماءهم .

---

(١) الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ .

(٢) المحبر ص : ٤٦٥ ، ورسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٢ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٥ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٣٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩ .

(٣) في الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ : سليم ، والتصحيح من أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ ، ٢٢١ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ ، ٢٢١ .

(٥) الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ .

وروى البلاذري أنَّ محمدَ بن عليٍّ صَرَفَ شيعة بني العباس بخراسان عن مَقالَةِ خِداشٍ ، إذْ أرسَلَ إليهم بكير بن ماهان ، فَرَتَقَ فَتقَهُمْ ، وَرَأَبَ صَدْعَهُم ، ولَمَّ شَعثَهُم ، وأعادَهم إلى مِنْهاجِ محمد بن عليٍّ ودَعوَتِهِ ، يقول[1] : «شَخَصَ بكير إلى خراسان ، فأصلَحَ ما كانَ خداش أفسَدَهُ ، وَرَدَّ الناسَ إلى أمْرِ الإمام وسُنَّتِهِ».

وفَصَّلَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ بعضَ ما أجمَلَهُ البلاذريُّ ، فقد رَوَى أنَّ محمد بن علي شَقِيَ بِخُروجِ خداشٍ على الدّعوةِ العباسيةِ ، وأَرِقَ له ، وغَضِبَ على شيعَتِهِ ، لاعْتِناقِهِم مَقالَةَ خداش ، وهَجَرَهم وقاطَعَهم حَوْلَيْنِ كامِلين ، فَغُمَّ الأمرُ عليهم ، ولم يَستَظهِرُوا مَوْقِفَهُ منهم ، فبعثوا إليه سليمان بن كثير الخزاعي لِيُخبِرَهُ بخَبَرِهم ، ويَعلَمَ رأيه فيهم ، فَقَابَلَهُ في سنة عشرين ومائةٍ ، وتَبَرَّأَ محمد بن علي من خداشٍ ، ولامَ شيعةَ بني العباس على اعْتِقادِهِم بِمَقالَتِهِ ، وأَنَّبَهُم ، وَرَدَّ سليمان إليهم ، وأرسلَ إليهم معه رسالةً ، فكَسَروا خَتمَها وفَتحوها ، فأَلْفَوْها بيضاءَ خاليةً ، ولم يَرَوا فيها إلاَّ «بسم الله الرحمن الرحيم» ، فَهالَهُم ذلك ، وعرفوا أنَّ ما جاءَهم به خداشٌ مُفارِقٌ لِسنَّةِ محمد بن علي وسيرَتِهِ ، يقول[2] : «في هذه السَّنَةِ وَجَّهَتْ شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس سليمانَ بن كثيرٍ لِيُعلِمَهُ أمرَهم وما هم عليه ، وكان السبب في ذلك مَوْجدةٌ كانت من محمد بن عليٍّ ، على مَنْ كان بخراسان مِنْ شيعَتِهِ ، مِنْ أجل طاعتهم التي كانت لخداش ، ... ، وقبولهم منه ما رَوَى عليه من الكذب. فَتَرَكَ مكاتَبَتهم ، فلما أبطأَ عليهم كتابُهُ ، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم ، فأجمعوا على الرِّضا بسليمان بن كثيرٍ ليَلْقاهُ بأمْرِهِم ، ويُخبِرَه عنهم ، ويرجعَ إليهم بما

---

(١) أنساب الاشراف ٣ : ١١٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢١٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٦. وانظر البدء ، والتاريخ ٦ : ٦١.

يُرَدُّ عليه. فقدم سليمان بن كثير على محمد بن عليٍّ، وهو مُتَنَكِّرٌ لمن بخراسان من شيعتِهِ، فأخبره عنهم، فعَنَّفَهُم في اتِّباعِهم خداشاً، وما كانَ دعا إليه، وقال: لَعَنَ الله خداشاً ومَنْ كان على دينِهِ! ثم صَرَفَ سليمان إلى خراسان، وكَتَبَ إليهم معه كتاباً، فقدم عليهم ومعه الكتاب مختوماً، فَفَضُّوا خاتمَهُ، فلم يجدوا فيه شيئاً إلاَّ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فَغَلُظَ ذلك عليهم، وعَلِمُوا أنَّ ما كانَ خِداشٌ أَتَاهُمْ به لأمْرِهِ مُخالِفٌ».

وروى أيضاً أنَّ فريقاً منهم لم يتحوَّلوا عن مقالة خداشٍ، بل ظلُّوا يؤمنون بها، ويُعارِضُونَ محمد بن عليٍّ، ويَهمُّونَ بِرُسُلِهِ، وأتاهم بكير بن ماهان برسالته ينهاهم عن مقالة خداشٍ، ويُنبِئُهُم أنه خَرَجَ على أمرِهِ، فكذَّبوهُ واستَهانُوا به، فَرَجعَ إليه، فأعادَهُ إليهم، وأعطاهُ عِصِيّاً مَلْوِيّاً عليها حديدٌ ونحاسٌ، فَعَرَفُوا أنَّ هذا إشارةٌ إلى أنهم عُصاةٌ، وأنهم مختلفون كاختلاف الحديد والنُّحاس، فاستبانُوا الرُّشْدَ، وتَحلَّلوا من مَقالةِ خداشٍ وعَزَفُوا عنها، يقول[1]: «وفي هذه السنة[2] وَجَّهَ محمدُ بن عليٍّ بكير بن ماهان إلى شيعته بخراسان، بعد مُنصَرَفِ سليمان بن كثير من عنده إليهم، وكتبَ معه إليهم كتاباً يُعْلِمُهُم أنَّ خداشاً حمَلَ شيعتَه على غيرِ مِنْهاجِهِ. فقدمَ عليهم بكيرٌ بكتابه، فلم يُصَدِّقُوهُ واستَخَفُّوا به، فانصرَفَ بكيرٌ إلى محمد ابن عليٍّ، فبعثَ معه بِعصيٍّ مُضَبَّبةٍ[3] بعضَها بالحديد وبعضُها بالشَّبَه[4]، فقدم بها

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٤٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٢١٨، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٦، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٦١.

(٢) يعني سنة عشرين ومائة.

(٣) الضَبُّ والتَّضبيب: تغطية الشيء ودخول بعضه في بعض.

(٤) الشَّبَهُ: النحاس يُصْبَغُ فَيَصفَرُّ.

بكيرٌ ، وجمعَ النُّقباءَ والشيعةَ ، ودَفَعَ إلى كل رجلٍ منهم عصاً ، فَعَلِمُوا أنهم مخالفون لسيرتِهِ ، فَرَجَعُوا وتابُوا » .

وأعْرَضَ مُصَنِّفُ العيون والحدائق عن خُروجِ خداشٍ على الدعوة العباسية ، واضطراب شيعَتِها وتَحزُّبهم بسببه ، ولكنَّه ألَمَّ بوُفُودِ سليمان بن كثير الخُزاعيِّ على محمد بن عليٍّ ، وزَعَمَ أنه قَدِمَ عليه لِيُعلِمَهُ بأخبارِ الدعوة ، فاستمع إليه ، ثم رَدَّهُ إلى خراسان ، وأوصاه أن يَحُضَّ شيعتَه على الاجتهادِ في بَثِّ الدعوةِ بها ، يقول[1] : « في سنة عشرين ومائة قدم سليمان بن كثير من خراسان ، وهو أحدُ الدعاة ، على محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو مُتَنَكِّرٌ ، وعَرَّفَهُ أحوال دُعاتِهِ بخراسان ، وطاعتَهم وجِدَّهم في الأمر ، فأمرَه بالرُّجوعِ إلى جماعَتِهم ، وتبليغِ سلامِهِ إليهم ، وأمَرَهم أنْ يدعوا الناس بخراسان. فكان الرجلُ يدعو مَنْ يثق به ويميلُ إليه ، ويستكتِمُهُ ذلك خوفاً من الأمراء بخراسان من قِبَلِ بني أمية » !

وأحاطَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية بانحراف خداشٍ عن الدعوة العباسية ، ومُعالجةِ محمد بن علي له ، وساقَ معلوماتٍ كثيرةً ، بَعضُها يُوَضِّحُ ما أوجَزَهُ ابنُ جريرٍ الطبريُّ ويُفَصِّلُهُ ، وبعضُها جديدٌ تَفَرَّدَ به ، لأن سائرَ المؤرخين لم يشيروا إليه ، ولم يحمِلُوا شيئاً منه ، فقد رَوَى أنَّ محمد بن عليٍّ بعثَ إلى شيعَتِهِ بخراسانَ رسالةً مع قحطبة بن شبيبٍ الطائي ، تَوْطِئةً لمجيء بكير بن ماهان إليهم . وكان قحطبة في الوَفْدِ الذي وَرَدَ عليه مع سليمان بن كثير الخزاعي ، فمرض بالحُمَيمة ، وتَخَلَّفَ عن الرُّجوعِ مع أصحابه إلى خراسان ، ثم سار إليها ، فَوافاها قبلَ وُصُولِ بكيرٍ إليها[2] . وهو يأمُرُهم فيها بالخضوع لبكيرٍ ، والانقياد له ، والصُّدور في المسائل عن حُكْمِهِ ،

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ١٨٢ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٣ .

إذ يقول لهم فيها [1] : «قد وَجَّهتُ إليكم شِقَّةً مني ، بكيرَ بن ماهان ، فاسْمَعُوا منه وأطيعوا ، وافْهَمُوا عنه ، فإنه من نُجَباء الله ، وهو لساني إليكم ، وأميني فيكم ، فلا تخالفُوه ولا تَقْضُوا الأمورَ إلاَّ بِرأْيِهِ . وقد آثرتكم به على نَفسي ، لِثِقَتِي به في النَّصيحة لكم ، واجتهادِهِ في إظهارِ نورِ الله فيكم» .

وحَفِظَ رسالةً أخرى بَعَثَها محمد بن علي إلى شيعَتِهِ مع بكيرٍ ، وهو يَتَنَصَّلُ فيها مما أحْدَثَ خداشٌ من البِدَع ، وما أشاعَ من الضَّلال ، وينهاهُم عن الاتِّصال بمن اعتنقَ مقالَتَه ، ويَحُثُّهم على الاعتصامِ بالقرآن والسُّنةِ ، إذ يقولُ لهم فيها [2] : «قد كنتُ أعْلَمتُ إخوانَكم رأيي في خداشٍ ، وأمرتُهُم أنْ يُبلغوكم قولي فيه . وإني أُشهِدُ اللهَ الذي يَحفَظُ ما تَلفُظُ به العبادُ من زَكيِّ القَوْلِ وخَبيثِه أني بَريءٌ من خداشٍ وممن كان على رأْيه ، ودانَ بدينِهِ ، وآمُرُكم ألاَّ تقبَلُوا من أحدٍ ممن أتاكم عني قولاً ولا رسالةً خالفتُ فيها كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه» .

وحَفِظَ رسالةً ثالثةً بَعَثَها محمدُ بن عليٍّ إلى شيعَتِهِ مع بكيرٍ ، وهي رسالةٌ طويلةٌ [3] . وهو يَدعوهم فيها إلى التَّمسُّكِ بحُدُودِ الإسلامِ وأحكامِهِ ، إذ يقولُ لهم فيها [4] : «عليكم بمحابِّ الله ، وصِدْقِ الحديثِ ، ووفاءِ بالعَهْدِ ، وأداءِ الأمانة ، وتَرْكِ الخيانة ، وَبَذْلِ السلام ، وطيب الكلام ، وحُسنِ العَمَلِ ، وقِصرِ الأَمَل ، وتَرْكِ الحرامِ ، وأَخْذِ الحَلالِ ، وعرفانِ الحقِّ ، وإنكارِ الباطل ، ولُزومِ الإيمان ، والتَّفقُّهِ في القرآن ، واتِّباعِ التَّقوى ، وفراقِ الهَوَى ، واجتنابِ قُرَناءِ السُّوءِ» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٣ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٢ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٨ — ٢١٢ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٠ .

وعندما وَرَدَ بكيرُ بن ماهان خراسان ، استدعَى مَنْ بها من رؤساءِ شيعةِ بني العباس ، ولَقيَهم بمنزل سليمان بن كثير الخزاعي بِمَرْو الشَّاهجان ، فَقرأَ لهم كُتُبَ محمد بن عليٍّ ، فأذعَنُوا له ، وأصْلَحَ ما فَسَدَ من أمرهم[١].

وزعمَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العباسية أنَّ بكيراً كَوَّنَ مجالسَ الدَّعوةِ العباسية المختلفة في سنة عشرين ومائة[٢]. وفي حَديثِه عن بعضِها تَعميمٌ وَوَهْمٌ ، فَإنَّ مجلسَ النُّقباء ، ومجلسَ السَّبعينَ أُلِّفَا في سنة مائة ، روى ذلك أكثر المؤرخين ، واتَّفقُوا عليه . ويبدو أنَّ بكيراً جَمعَ رجالَ المجلسين[٣] ، وتبادَلَ معهم الرأيَ في شئونِ الدعوة العباسية ، وأَقرَّهُم وأبقاهم في مَناصِبِهم ، ولم يَعزِلْ أحداً منهم ، ولا سيَّما النُّقباء ، فإنَّ أسماءهم عند مُصَنِّفِ أخبارِ الدولة العباسيّة[٤] ، وعند غيره من المؤرخين[٥] متطابقة . أما سائر رجال السبعين فإنه استَقَلَّ بِسَرْدِ أسمائِهم ، إذ لم يشركْهُ أحد من المؤرخين في ذلك .

ويبدو أن بكيراً أنشأ بقيّةَ المجالس التي ذكرها مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية ، لأنها لم تُعرَفْ قبل هذا التاريخ ، وهي : مجلس نُظَراءِ النُّقباء . وهو يتألَّفُ من اثني عشرَ رجلاً ، وقيل من عشرين أو أحدٍ وعشرين رجلاً ، وقد سمَّاهُم جميعاً[٦] ،

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٣ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٣ ، ٢١٥ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٣ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ .

(٥) المحبر ص : ٤٦٥ ، ورسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٢ ، ٢٤ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٥ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، وتاريخ الموصل للأزدي ص : ٢٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٩ — ٢٢٠ .

ومجلس الدُّعاة، وهو يتألف من سبعين رجلاً، وقد سَمَّى منهم خمسة وستين رَجُلاً[1]، ومجلس دُعاة الدُّعاة، ولم يُحَدِّدْ عَدَدَ رجالِهِ، وقد سَمَّى منهم سبعةً وثلاثين رجلاً[2]. وفي كل مجلسٍ من هذه المجالس طائفةٌ من رجال مجلس السبعين. ونَصَّ على أنَّ النُّقباء الاثني عشر ليس بين أحدٍ من أهل العِلْمِ فيهم اختلافٌ، فأما نُظَراءُ النُّقباء والسبعون فقد اخْتُلِفَ فيهم[3].

ثم أخذَ بكيرٌ البَيعَةَ على مَن حَضَرَهُ من الشيعةِ على مُناصَحَةِ إمامهم في السرِّ والعلانية، وألاَّ يُطْلِعُوا على أمرهم أحداً خافوا ناحيته ولم يَثِقُوا به. وجمعوا مالاً كثيراً، وأتوه به، وخَلَّفَ عليهم سليمان بن كثير الخزاعي، وأمَرَهُم إذا حَزَبَهُمْ أمرٌ أن يجتمعوا إليه فيناظروه فيه عنده. وأمَرَهم أن يأخُذُوا برأي أبي صالح كامل ابن مُظَفر[4]، فإنه ثقة في رأيه وشفقته. وشخص إلى جرجان، فلما قَدِمَها أقامَ بها شهراً، وجَمعَ له شيعَتُها مالاً وحُلياً، ثم سار منها إلى الكوفة، فلما بَلَغَها مكثَ بها يسيراً، ثم تَوَجَّهَ إلى محمد بن علي، فَدَفَعَ إليه ما قَدِمَ به[5]، ولَبِثَ في الحُمَيمَة زمناً، ثم رَجعَ إلى الكوفة في أول سنة اثنتين وعشرين ومائة[6].

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢١ — ٢٢٢.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢٢ — ٢٢٣.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢٠.

(٤) هو من موالي همدان، وهو من رجال مجلس السبعين، من أهل مرو الشاهجان. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٨).

(٥) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢٣ — ٢٢٤.

(٦) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٣٠.

(١٤) رحلاتٌ بين خراسان والحجاز

وبعدَ مَقتَلِ زَيْد بن عليّ في سنة اثنتين وعشرين ومائة مضى بكير بن ماهان إلى خراسان ، فبدأ بجرجان ، فأقامَ بها نحواً من شهر. ثم شَخَصَ إلى مَرْو الشّاهجان ، فلما قَدِمَها نزل بكامل بن المُظَفَّر ، واختلفَتْ شيعةُ بني العباس إليه ، وأطافَت به ، وانتَشَرَ بعضُ حديثِه ، وكان أبو الحجّاج التيمي قد لابَسَ شيعةَ بني العباس وخالَطَهم ، ولم يَعرِفْ كُنْهَ أخبارِهِم ، فظَنَّ أنَّ بكيراً يدعو إلى يحيى بن زيد. فأتى نصر بن سيار اللَّيثي ، وكان عامل خراسان لهشام بن عبد الملك ، فأعلَمَهُ بموضع بكيرٍ ، فطَلَبَهُ. وكان عبيد الله بن بسام أجابَ دعوةَ بني العباس ، وكان له منزلةٌ من نَصْرٍ ، فانتَدَبَ للبحثِ عن بكير حتى لا يُدَلَّ نَصْرٌ عليه وعلى أصحابِهِ ، فَخَرَجَ ، وَقَدَّمَ بينَ يَدَيْهِ رجلاً إلى بكيرٍ يأمره بالتَّنحّي عن مَوضِعِهِ ، فقد وُجِّهَ في طَلَبِهِ. وبعثَ نَصْرٌ رجلاً من أصحابه أميناً على عبيد الله ، فَلَحِقَهُ ، فَمَضَيَا حتى انتهَيا إلى منزل كامل بن المظفّر ، وقد تنحّى بكيرٌ عنه ، فَفَتَّشاه فلم يَجِدا فيه أحداً. فانصَرَفَ أَمينُ نصرٍ إليه ، فأخبَرَهُ أنَّ ما أُنهِيَ من أمرِ بكيرٍ باطلٌ. وأقامَ بكيرٌ شهراً ، وَوَجَّهَ دعاتَهُ إلى نواحي خراسان. ثم عادَ إلى الكوفة ، فاستراحَ بها قليلاً ، ثم سار منها إلى محمد بن علي ، فأخبره بما كان مِنْ أمرِهِ[٢].

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٢ — ٢٣٣.

وقالَ ابنُ جريرٍ الطبري [1] : «تَوَجَّهَ سليمانُ بن كثير، ومالك بن الهيثم، ولاهز بن قُرَيْظ، وقحطبة بن شبيب من خراسان، وهم يريدون مكة في سنة أربعٍ وعشرين ومائة، فلما دَخَلُوا الكوفة، أتوا عاصم بن يونس العجلي، وهو في الحبس، قد اتُّهِمَ بالدعاء إلى ولد العباس، ومعه عيسى وإدريس ابنا مَعْقل [2]، حَبَسَهما يوسفُ بن عمر فيمن حَبَسَ من عمّال خالد بنِ عبد الله، ومعهما أبو مسلم [3] يخدمهما، فرأوا فيه العلامات فقالوا: من هذا؟ قالوا: غُلامٌ معنا من السَّرّاجين، وقد كانَ أبو مسلمٍ يَسمَعُ عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي، فإذا سمعهما بكى، فلما رأوا ذلك منه دَعَوْهُ إلى ما هم عليه، فأجاب وقَبِلَ».

وليس في الخبرِ السابق الذي حَمَلَهُ ابنُ جرير الطبري وغيره من المؤرخين أنَّ أولئك النُّقباء قابلوا محمد بن علي بمكة في سنة أربعٍ وعشرين ومائةٍ، وحدثوه بخَبَرِ أبي مسلمٍ، وإنما ذكروا ذلك في خبرِ قُدُومِ أولئك النُّقباء أنفسهم على محمد ابن

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٩٨، وتاريخ الموصل ص : ٥٠، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٤، والبداية والنهاية ٩ : ٣٤٠.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٧، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٩، والاخبار الطوال ص : ٣٣٧، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٥٥، وتاريخ الطبري ٧ : ١٩٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٧، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٦.

(٣) في اصل أبي مسلم، وانضمامه الى الدعوة العباسية اختلاف كثير، انظر ذلك في أنساب الأشراف ٣ : ١١٨، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢، والأخبار الطوال ص : ٣٣٧، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٣، وتاريخ الطبري ٧ : ١٩٨، وتاريخ الموصل ص : ١٢١، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٢، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٢، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٥، وميزان الاعتدال ٢ : ٥٨٩، والعبر في خبر من غبر ١ : ٣٨٦، ومروج الذهب ٣ : ٢٤٥، والبداية والنهاية ٩ : ٣٤٠، ولسان الميزان ٣ : ٤٣٦، وشذرات الذهب ١ : ١٧٩.

علي في سنة خمسٍ وعشرين ومائة. ولكنَّ أبا حنيفة الدينوري زَعَمَ أنهم قَابَلُوهُ وحدَّثُوه بخبرِ أبي مُسْلمٍ في سنة أربعٍ وعشرين ومائة[1]، ويَظهَرُ أنه خَلَطَ بينَ الخَبَرَينِ!

(١) الأخبار الطوال ص: ٣٣٧— ٣٣٨.

(١٥) انتظامُ أبي مسلمٍ في الدعوة

وفي سنة خمسٍ وعشرين ومائةٍ جاء النُّقباءُ الأربعةُ إلى مكة في مَوْسمِ الحجِّ، ووجدُوا محمدَ بن عليٍّ بها، فَدَفَعُوا إليه ما حَمَلُوا من أموالٍ، وَوَصَفُوا له أبا مُسلمٍ، فسألَهُم أنْ يبتاعُوهُ، وَيَبعَثوا به إليه بالحُمَيمَةِ. وأَحَسَّ محمدُ بنُ عليٍّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، فَجَعَلَ الإمامةَ من بعدِهِ لابنه إبراهيم، وأمرَ النُّقباءَ أنْ يسمعوا له ويُطيعُوا، ثم رجعوا إلى خراسان، قال ابن جرير الطبري[١]: «فيها قدم سليمان بن كثير، ومالك ابن الهيثم، ولاهز بن قُرَيظٍ، وقَحطَبَة بن شَبيبٍ مكة، فَلَقُوا في قول بعضِ أهل السِّير، محمدَ بن عليٍّ فأخبروه بقصَّةِ أبي مسلمٍ[٢]، وما رأوا منه، فقالَ لهم: أحُرٌّ هو أم عبدٌ؟ قالوا: أما عيسى [بن مَعْقلٍ العَجلي] فيزعَمُ أنه عبدٌ، وأما هو فيزعمُ أنه حرٌّ، قال: فاشتَرُوهُ واعتِقُوهُ. واعطُوا محمد بن علي مائتي ألف درهم، وكُسْوَةً بثلاثين ألف درهم، فقالَ لهم: ما أظنُّكم تَلْقَوني بعدَ عامي هذا، فإذا حَدَثَ بي حَدَثٌ فصاحِبُكم ابراهيمُ بن محمد، فإني أثقُ به، وأُوصيكُمْ به خَيْراً، فقد أوصَيتُهُ بكم، فَصَدرُوا من عنده».

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢٢٧، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٢، وأنساب الأشراف ٣: ١١٨، والأخبار الطوال ص: ٣٣٧، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٣٧، وتاريخ الموصل ص: ٥٣، والعيون والحدائق ٣: ١٨٢، والكامل في التاريخ ٥: ٢٧٤، والبداية والنهاية ١٠: ٥، وشذرات الذهب ١: ١٧٩.

(٢) زَعَمَ اليعقوبيُّ أنَّ أبا مسلم كان مع النُّقباء في هذه الوَفْدة. (انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٢).

ورَوى أبو حنيفة الدِّينَوري أنَّ العِجْليين أهْدَوْا أبا مسلم لمحمد بن علي ، فأرسلَه النُّقباءُ إليه ، فَسَفَرَ بينَه وبينهم ، يقول[1] : « انصَرَفَ القوم نحوَ خراسان ، ومرُّوا بواسط ، ولقوا عيسى وإدريس ابني مَعْقِلٍ[2] ، فأخبروهما بحاجة الإمام إلى أبي مُسْلم ، وسألوهما بَيْعَهُ منهم ، فزعموا أنهما وَهَباهُ له ، فَوَجَّهَ به القومُ إلى الإمام ، فلمَّا رآهُ تفرَّسَ فيه الخيْرَ ، ورَجَا أن يكونَ هو القيِّمَ بالأمرِ ، لعلاماتٍ رآها فيه ، قد كانت بَلَغَتْهُ ، فَجَعَلَهُ الرسولَ فيما بينه وبينهم ، فاختَلَفَ إليهم مراراً كثيرةً » .

وقال البلاذريُّ[3] : « ذكرَ بَعضُ وَلَدِ قَحطَبَةَ أنه كان عَبداً للعِجْليِّينَ ، فأسْلَمُوهُ إلى أبي موسى [السَّرَّاج] . فتَعَلَّمَ منه السِّراجة ، فابْتيعَ للإمام بسبعمائة درهم ، وأُهْدِيَ إليه ، وأنَّ اللذين أهْدَياهُ سليمانُ بن كثيرٍ ولاهزُ بنُ قُرَيْظٍ » . وَروى مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسيّة أن أبا مُسلمٍ دَخَلَ إلى محمد بن علي مع أبي مُوسى السَّرَّاج ، وكان تاجراً مُتَنَقِّلاً ، وكان من كبارِ شيعةِ بني العباس بالكوفة[4] . وتشيرُ رواياتٌ أخرى إلى أن أبا مسلمٍ اتَّصَلَ بمحمد بن علي ، وعَمِلَ له ، وأنَّ إبراهيمَ بن محمد عَرَفَهُ في حياةِ أبيه[5] .

---

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٣٨ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣١ .

(٢) في الأصل : عيسى ومَعْقل ابنا إدريس ! ! وهو خطأ . (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٣١٣) .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٠ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٤ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٨٤ .

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٦ ، وقارن بما وَرَدَ في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٧ .

(١٦) علاقةُ الإمام محمدٍ بالأمويِّين

وقد أدركَ محمد بن علي أكثرَ الخلفاء المروانيِّين ، واختَلفَ إليهم ، وفي بعضِ أخبارِ اختِلافِهِ إليهم ضَرْبٌ من التَّكَهُّنِ بانتهاءِ دولة بني أمية ، والتَّعجيزِ للعلويِّين ، والحكم بإخفاقهم في طَلَبِ الخلافة ، والقَطْعِ بأن القضاءَ على بني أمية لا يتمُّ على أيديهم ، والتَّوقُّع لمَصْرَعِ ثُوَّارِهِم ، والتَّمجيدِ للعباسيِّين ، والتَّرقُّبِ لدَولَتِهم ، والتَّسميةِ لخلفائِهم ، والتَّحديدِ لخلافةِ كل منهم ، والجَزْمِ ببقاءِ المُلْكِ فيهم إلى آخرِ الزَّمان ! ! وفيها أيضاً أنَّ المُنَجِّمين والعَرَّافين هم الذين كانوا يَتَنَبَّئُونَ بذلك، ويُعلِنونَهُ ، ويُخبرونَ به خلفاءَ بني أميّة وأُمراءَهم ، فكانوا يتنازعون فيه ويختصمون ، منهم مَنْ يَقْبَلُهُ ويُصَدِّقُهُ ويُسلِّمُ به ، ومنهم مَنْ يَرْفُضُه ويُكَذِّبُهُ ويَستَهزِئُ به ! !

وهذا لَوْنٌ جديدٌ من الأخبارِ التي افتَعَلَها علماءُ بني العباس ورواتُهُم للتبشيرِ بخلافتهم ، فإنهم لم يعتمدوا فيه على الأحاديث النَّبويَّة الضَّعيفةِ والموضوعةِ التي تُثبِتُ حَقَّهم في الخلافة ، وتؤكِّدُ تَحَوُّلَ المُلْكِ إليهم ، وقد دَأَبُوا على ذلك في بعض ما حَمَلُوا من أخبار العباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، بل اعتمدوا فيه على أحاديث المُنَجِّمين والعَرَّافين ، وهي أحاديث ظاهرةُ التَّوليدِ ، وهي أشبَهُ بالقِصَصِ الشعبي ، وأَلْصَقُ به ، وأَدْخَلُ فيه . وكانَ يُقصَدُ بها إلى اسْتِهواءِ العامَّةِ ، واسْتِمالَةِ أفئِدَتهم ، واسْتِخلاصِ مَوَدَّتِهم ، واستِدرارِ عَطفِهِم ، واستخراجِ مُوالاتهم . وكلما غَلَبَ عليها الخيالُ ، وشاعَ فيها اكتشافُ المجهولِ ، كانَ ذلك أطْرَفَ عند العامَّةِ ،

وأوْقَعَ في قُلُوبِهم ، وأَدْعى لاجتِذابِهِم ، وأقْوى على إقناعِهِم ، ولذلك أَلَحَّ فيها صَانِعُوها ومُرَوِّجُوها على التَّنبُّؤ بالغَيْبِ ، واستكثروا منه ، حتى تُحَقِّقَ الغايات التي لُفِّقَتْ ونُسِجَتْ من أجلِها !

ويبدو أن محمد بن علي قدم على عبد الملك بن مروان ، وهو في مُقتَبَلِ الشبابِ ، وقد صِيغَ خَبَرُ لقائِهِ به صياغةً فنيةً مُحكَمَةً ، فيها الرَّجاءُ لانْقِضاءِ سلطان بني أمية ، والتَّثبيطُ عن العلويِّين ، والانتظارُ لانتقالِ الخلافةِ إلى بني العباس ، والتَّكَهُّنُ باستمرارها فيهم مُدَّةَ الحياة ، قال البلاذريُّ[1] : «نَظَرَ عبد الملك بن مروان إلى محمد بن علي وهو غلامٌ ، وكان جميلاً ، فقال : هذا والله يَفْتِنُ المرأةَ الشريفةَ ! فقال خالدُ بن يزيدٍ بن معاوية : أما والله إنَّ وَلَدَهُ لأصحاب هذا الأمر ! فقال عبد الملك : كلاَّ ! فقال خالد : هو والله ذاك ، إنَّ تُبيعاً أخبَرَني عن كَعْبٍ أنَّ هذا الأمرَ يصيرُ إلى بني العباس ، وأنه لا يَليهِ رجلٌ من آل أبي طالبٍ إلاَّ أنْ يَخْرُجَ على والٍ فَيُقْتَلَ ، وأنها لِوَلَدِ العباس إلى أنْ يَنزِلَ المسيحُ» !

وكان يزورُ الوليدَ بن عبد الملك لماماً ، لأنه استَخَفَّ بأبيه وأذَلَّهُ ، وَضَرَبَهُ مراراً ، ثم سَيَّرَهُ وغَرَّبَهُ وشَهَّرَ به ، فاستكانَ أبناؤُهُ وسَكَتُوا ، وخافُوا خَوْفاً شديداً ، واشْتَغَلُوا بالجهادِ وقتالِ الرُّوم . وأقاموا في ثُغورِ الشام ، لِيَصْرِفُوا الوليدَ عن اتِّهامِهِم ، ويَحُولوا بينَه وبين العُنفِ بهم ، قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسيّة[2] : «كان محمد بن علي يَفِدُ على الوليد أحياناً ، ويَغْزو الصائفةَ[3] ، ويُرابِطُ بالسواحل هو وإخوتهُ وولدُهُ ،

---

(١) أنساب الاشراف ٣ : ٨٥ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦٨ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٧٤ .

(٣) الصائفة : غزوة الروم صَيْفاً .

فوفد على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه، فألْفَى عندَهُ أبا هاشمٍ، عبد الله ابن محمد بن علي بن أبي طالبٍ بن الحَنَفيَّة».

فتركَهُم الوليدُ، ولم يَتَحامَلْ عليهم. وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يُحَذِّرُهُ شَرَّهُمْ، ويؤلِّبُهُ عليهم، ويُزَيِّنُ له الفَتْكَ بهم، لأنهم أدْهى خُصُومِ بني أميّة، وألَدُّ أعدائِهِمْ، الذين يَعْمَلُونَ لانتزاعِ المُلْكِ منهم، ويَرُومُونَ إبَادَتَهُمْ. ولكنَّ الوليدَ أبى أن يحاصِرَهُم ويُؤذيَهم، لأنهم كانوا صامتين مُسالِمينَ، لم يشغَبُوا عليه، ولم يسْعُوا للإطاحة به، قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية[1]: «دَخَلَ أبو هاشمٍ عبد الله بن محمدٍ ذات يوم على الوليد، وعنده خالدبن يزيد ابن معاوية وهشام بن عبد الملك، فَكَلَّمَهُ في أمْرٍ من أمْرِهِ، فقال الوليد: ما رأيت في بني هاشمٍ رجلاً أعدِلُهُ به، وإنه لخليقٌ لكل داهية، وإنْ كانَ الحَزْمُ عندي أنْ أستودِعَهُ الحبسَ فيكون مَثْواهُ حتى يموت فيه. هل تجدُ يا أبا هاشمٍ، يعني خالدابن يزيد، لهذا منعةً في نَقْضٍ علينا؟ قال خالد: لا والله، ما وجدتُ ذلك، ولا هو بالمَخُوفِ، ولا أحدٌ من بني أمية على دولتكم ولكني أخافُ أَصَلَةً كامنةً[2] بناحية البَلْقاء، يَسْعى لها أهلُ الشرق، يُدَوِّخُونَ لها البلاد، ويقتُلُونَ لها الجبابرة! قال: وما هذه الأَصَلَة؟ قال: وَلَدُ علي بن عبد الله بن عباس. قال الوليدُ: غَفَرَ الله لك، ما بَلَغَنا أنَّ أولئك تَحَرَّكوا في شيءٍ من هذا الأمرِ، ولا دَبُّوا فيه. قال: أجَل، وسيَكْفونَ ذلك، قال الوليد: فمتى يكون ذلك؟ قال: لستُ أخافُهُ عليك ولا على القَرْنِ الذي أنتَ فيه. وإنما أخافهُ إذا قُتِلَ سَمِيُّكَ، وَوَقَعَ الاختلافُ بين أهلِ بيتك، وابْتَزَّ الأمْرَ منهم سَمِيُّ جَدِّك، فَظَهَرَت الراياتُ السُّودُ بالمشرق، فبؤساً لبني أمية، عند ذلك يزولُ الأمرُ عنهم، وتُسفَكُ دِماؤُهم، ويَرْثي لهم مَنْ كانَ يَتَمَنَّى

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ١٧٨.

(٢) الأصلة: الحيَّة القصيرة الخبيثة، تَثِبُ فَتُهْلِكُ.

هَلاكَهُم . قال الوليد : ما قَضَى الله كائنٌ ، وما على القومِ من سَبيلٍ ، ما لم يُظهروا خِلافاً » .

وللخبر قيمةٌ تاريخيةٌ كبيرةٌ ، لأنه يَدُلُّ على مَوْقفِ الوليد بن عبد الملك من محمد بن علي وإخوته ، فهو يكشفُ عن حُسْنِ معاملته لهم ، وتأنِّيهِ في النَّظر إليهم ، وكُرْهِهِ لِظُلْمِهم ، وحِرْصِهِ على إنْصافِهم .

وكأنه كان للخبر أصْلٌ قديمٌ ثم وُسِّع . وقد أخذه مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية عن إسحاق بن الفضل الهاشمي ، «وكان من أعْلَمِ الناس بأمورهم [١] » ، فربما كان إسحاق هو الذي مَدَّهُ وزادَ فيه ، واستغلَّ ما وَقَعَ من أحْدَاثٍ في آخر خلافة بني أمية ، وفي صَدْرِ خلافة بني العباس ، فبناهُ بناءً دقيقاً ، وأخرَجَهُ إخراجاً مُتْقَناً ، فيه التَّوْهينُ لِلْعَلَوِيّين ، والتَّخْذيلُ عنهم ، وفيه التَّعْظيم للعباسيين ، والدعوة اليهم ، وفيه التَّفخِيْمُ لأنصارهم من أهل خراسان ، والتَّنْويهُ بهم ، وفيه التَّكَهُّنُ بالغَيْبِ والوَصْفُ للمسْتَقْبلِ ! ففيه ذكرٌ لشيعة بني العباس من أهل خراسان ، ولم تكن دَعْوَتُهم قد بلغت خراسانَ ولا انتشرت بها في أيام الوليد بن عبد الملك ! وفيه ذِكْرٌ لاستخلافِ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وافْتِرَاقِ بني أمية واحترابهم ، ولم يكن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد وُلِدَ [٢] ، ولا كان يُعْلَمُ أنه سَيَتولّى الخلافةَ ! وفيهِ ذكرٌ لأبي العباس السَفَّاح ، وأنه الرجلُ الذي يُدِيلُ من بني أمية ، ولم يكن أبوه قد تَزَوَّجَ أمَّهُ الحارثية ، ولا كان يُسْمَحُ لهُ بتزوُّجها في أيام الوليد وسليمان ابني عبد الملك [٣] .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٧٨ .

(٢) أنظر الاختلاف في مَوْلد الوليد بن يزيد بن عبد الملك في الوليد بن يزيد عرضٌ ونَقْدٌ ص : ١٣ — ١٤ ، وانظر الاختلاف في وفاة خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٦٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٢٣ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٦٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٨٠ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ١٢٨ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٢١ ، وشذرات الذهب ١ : ٩٦ .

(٣) انظر الكامل للمبرد ٢ : ٢١٩ .

وكان محمد بن علي يختلفُ إلى عمر بن عبد العزيز، فكانَ يَفْسَحُ له في مَجْلِسِهِ، ويُصْغي إليه ويَقْضي مَطالِبَهُ، ويَمْضي رَغَباتِهِ، وقد أباح له أن يَقْتَرِنَ بَرَيْطة الحارثية، وكان يُصَدُّ عن الاقتران بها، للحديثِ المَرْوِيّ[1]، إذ كان يقال: إنَّ الرجل الذي يَزُولُ على يده مُلْكُ بني أمية تكون أُمُّهُ حارثية، فكانت بنو أمية تَمْنَعُ من التَّزْويجِ بالحارثيات[2]، قال البلاذري[3]: «كانت رَيْطَة بنت عبيد الله ابن عبد الله بن عبد المدان الحارثي عند عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فمات عنها، فَتَزَوَّجَهَا بعده الحجاج بن عبد الملك بن مروان، فطلَّقها. فقدم محمد بن علي ابن عبد الله من الشَّراة، وهو يريدُ الصَّائفةَ، فسألَ عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذٍ خليفةٌ، أنْ يأذَنَ له في تَزَوُّجِهَا، فَقال: وَمَنْ يَمْنَعُكَ رحمك الله من ذلك إنْ رَضِيَتْ؟ هي أَمْلَكُ لنفسها. فَتزوَّجها بحاضِرِ قِنَّسْرِينَ، في دار طلحة بن مالك الطَّائي، واشْتَمَلَتْ على أبي العباس، وولدته في سنة مائةٍ، وقيل: في سنة إحدى ومائةٍ».

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٠: ٥، ٥٩، وتاريخ الخلفاء ص: ٢٥٦.

(٢) البدء والتاريخ ٦: ٥٨، ووفيات الأعيان ٣: ١٤٧، وانظر مقاتل الطالبيين ص: ٢٣٥.

(٣) انساب الأشراف ٣: ٨٢، وانظر الكامل للمبرد ٢: ٢١٩، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٠١، والبدء والتاريخ ٦: ٥٨، ووفيات الأعيان ٣: ١٤٧.

(١٧) مناهضةُ هشامٍ للإمام محمدٍ

وهشام بن عبد الملك هو أشْهَرُ الخلفاء المروانيين الذين زارَهُمْ محمد بن علي كثيراً ، وكان يَفْزَعُ إليه في النَّائبات والأزمات . ويبدو أنَّ مَوْقِفَ هشام منه قد تَأَثَّرَ بما كان يُنْقلُ إليه من أخبارِ دَعْوةِ بني العباس ، ففي أوَّلِ أمْرِهِ كان يَحْتفي به ويُكْرِمُهُ ، ويُجْزِلُ له العَطَاء، ويتغاضى عن سَعْيِهِ للخلافة ، لأَنَّ دعوة بني العباس كانت في المَهْدِ ، حَدِيثَةَ الميلاد ، صغيرةَ السِّنِّ ، لا يَمْلِكُ أصْحَابُهَا وشيعتُهَا لبني أمية ضُرًّا ولا أذًى ، وروى مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية أنه أمَرَ له بألْفِ دينار ، في وَفْدةٍ وفَدها عليه [١] ، وساق ذلك في خبر طويل [٢] .

ثم تَغَيَّر له بعد ذلك ، فَجَفاهُ وعَنَّفَهُ وتَهَكَّمَ منه ، وطَرَدَه ، وردَّهُ خائباً ، لأنَّ دعوة بني العباس شَبَّتْ وتَرعْرَعَتْ ، واشتَدَّ عودُهَا ، واستَدَّ ساعِدُهَا ، فَقَوِيَ أصحابُهَا وشيعتُهَا ، واستَفْسَدُوا رَعِيَّةَ بني أمية ، وعَبِثُوا بسُلطانهم ، وزعزعوا مُلْكَهم ، قال اليعقوبي [٣] : « قدم محمد بن علي بن عبد الله على هشامٍ ، ومعه ابنه

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٧٢ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ١٧١ — ١٨٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٢ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ .

أبو العباس غلامٌ ، فلما خَرَجَ من عنده قال لبعض أصحابه : شكوتُ إلى أمير المؤمنين ثقلَ الدَّيْنِ ، وكثرةَ العيال ، فاستَهزَأَ بي وقال : «انْتَظِرْ ابنَ الحارثية ، يعني هذا الغلام» .

وقال البلاذري يَصِفُ بَرَمَ هشامٍ به ، واحتجابَهُ عنه ، وتقْريعَهُ له ، واحتجاجَ محمد بن عليٍ عليه ، وتحَدِّيه له[1] : «كان هشامُ بن عبد الملك بالرُّصافةِ قاعداً في مَنْظَرَةٍ[2] له ، فرفع له ركبٌ ، فقال : يا غُلام ، ائتني بخَبَرِ هؤلاء . فمَضَى بعضُ مَنْ كان بين يَدَيْهِ حتى تَلَقَّاهم ، فقال : مَنْ أنتم ؟ قالوا : هذا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وإخوتُهُ ، قال : فما أقْدَمكم ؟ قالوا : قَدِمْنَا نشكوا إلى أمير المؤمنين حالنا وَديْننا . فرجع إلى هشامٍ فأخبره ، فقال : ارجع فقل لمحمد ارجع من حيث جئت ، وانْتَظِرْ أنْ يَقْضِيَ دَيْنَكَ ودَيْنَ إخوتك ابن الحارثية ! يعني أبا العباس . فقال محمد بن علي : قُلْ لأمير المؤمنين : إنْ كان الأمْرُ صائراً إلى ابن الحارثية ، فما عليك أنْ يكون لكم عنده يَدٌ ، وإلاَّ يكن ذلك ، فعلامَ تَحرِمُنا فَضْلَكَ وصِلَتَكَ وعَائِدَتَكَ ؟ فقالَ هشام للرسول : قُلْ له : ما قُلْتُ لك ، وأزْعِجْهم حتى يرجعوا عَوْدهم على بَدْئهم . فقال محمد : دَعونا لِنُريحَ ، فقد نَصِبْنا وتَعِبْنا . فأبْلَغُوا قولَهم هشاماً ، فأذن لهم فأراحوا . فلما جَنَّ عليهم الليل ، أتى محمداً بعض جُلسَاء هشامٍ يَعْرِضُ عليه مالاً ، فلم يَقْبَلْهُ ، وسأله عن ابن الحارثية ، فأراه أبا العباس ، وهو صَبِيٌّ . ثم رَجَعَ إلى الشراة ، وقال : اللهم إنَّ هذا بِعَيْنِكَ» .

ثمَّ ازدادَ بَغْضَةً له وحَنَقاً عليه ، لأن دعوة بني العباس كَبِرَتْ وعَظُمتْ ، واستَفْحَلَ أمرُ أصحابها وشيعتها ، واستطارَ شرُّهم ، وتَفَاقَم خَطَرُهم ، وأصْبَحُوا

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٦.

(٢) المنظرة : المَرْقَبَةُ ، ومَوْضعٌ في رأس جَبَلٍ فيه رَقِيبٌ يَنْظُرُ العَدُوَّ ويحْرُسُه.

يَنخَرونَ في دَوْلة بني أمية نَخْراً ، ففكَّرَ في أنْ يُلْقِيَهُ في غياهبِ السَّجْنِ. ولكن الأبْرَشَ الكلبي ، وكان من خاصة هشام[1] ، وكان الغالبَ عليه[2] ، نهاه عن ذلك ، وحَذَّرَهُ عَواقِبَهُ ، فَعَدَل عنه ، رَوَى البلاذري عن هشام بن عَمَّار عن أشياخهم[3] : «أَنَّ هشام بن عبد الملك هَمَّ بحَبْسِ محمد بن علي وَوَلَدِهِ ، وقال : إنهم يزعمون أنَّ الخلافةَ تَصِيرُ إليهم ، فقد استَشْرَفَ الناسُ لهم. فقال له الأبْرَش الكَلْبي ، واسمه سعيد بن الوليد بن عبد عمرو[4] ، إنْ كان في المَقْدُور أنْ ينالوا الخلافة ، فلا بُدَّ والله أنْ ينالوها ، فلا تَقْطَعْ أرْحَامهم ، وتَأْثَمَ برأيكَ فيهم ، وصَانِعْهُمْ فإن مُصَانَعَتَكَ إيَّاهُمْ لِعَقِبِكَ لَهُوَ الرَّأيُ والحَزْمُ ، وإلاَّ يكونوا من هذا الأمْرِ في شيءٍ ، فما خَوْفُكَ لما ليس بمَقْدُورٍ؟ على أنَّ إظهارك الخَوْفَ لهم تَنْبيهٌ للناس عليهم ، فأمْسَكَ».

وذكر البلاذريُّ أن هشاماً ضاقَ به في آخر الأمر ، ولم يُطِقِ الصَّبْرَ على سَعْيه للخلافة ، ولم يَحْتَمِلْ تَهْديدَ شيعَتِهِ لملك بني أمية ، فاحْتَجزَهُ عنده ، وتَذَرَّعَ إلى احتجازه بما تَأَخَّرَ من خَرَاجِ قَوْمِهِ بالشَّراة لسنواتٍ خَلَتْ ، وأَذِنَ في التَّنْكيل به حتى يَدْفَعَ ما وُظِّفَ عليه من مالٍ. فسار شيعَتُهُ سِرًّا إلى سالمٍ كاتب هشامٍ ، فتكَفَّلُوا بالمال الذي طُولِبَ به ، فقَسَّطَهُ عليهم ، وأخذوا يَدْفَعُونه إليه ، فلما وَفَوْا بجميع ما وُضِعَ عليه أطلَقَهُ هشام ، فعادَ إلى الحُمَيْمَة ، يقول[5] : «وَفَدَ محمد بن علي الإمام على هشام بن عبد الملك ، فلما دَخَلَ عليه قالَ : ما جاءَ بك؟ قال : حاجةٌ يا أمير

(١) انظر ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١٨ ، وراجع جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٨.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٨٥.

(٤) وقارن بما ورد في جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٨.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ٨٤ــ ٨٥.

المؤمنين. قال : انْتَظِرْ بها دولتكم التي تَتوقَّعونها وتَرْوُونَ فيها الأحاديث ، وتُرَشِّحُونَ لها أحْدَاثكم ! فقال : أُعِيذُكَ بالله يا أمير المؤمنين. ثم نَظَر إلى حاجبِهِ نَظْرَةَ مُغْضبٍ لإذْنِهِ له ، فدَنا الحاجبُ منه فقال : أصْدُقْكَ والله يا أمير المؤمنين ، إني رجل عقيمٌ فَسَمِعني أشكو ذلك فقال : إنَّ عندي دَعَواتٍ رَوِيتُهَا عن أبي عن أبيه عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَدْعُو بها مِثْلُكَ ، فَيُرْزَقُ الوَلَدَ ، فإنْ عَلَّمْتُكَ إياها تَأْذَنْ لي؟ فضَمِنْتُ له ، فَعَلَّمنيها ووفيتُ له ! فقال : قَبَّحَكَ الله ، فما أعْجَزَ رَأْيَكَ ، لَهَمَمْتُ أنْ أضْرِبَ عُنُقَكَ ، إنَّ هؤلاء قَوْمٌ جعلوا رسول الله لهم سُوقاً ! ! ثم قال لمحمد بن علي : إنَّ عامل نَاحِيَتِكَ كتبَ يُعْلِمُنا أنَّ الوُلاَةَ قبلَهُ تَرَكُوا لكم من الخَرَاجِ مائة ألف درهمٍ في سنين ، لغير حقٍّ واجبٍ ، فأَدِّ ذلك ، وأمَرَ أنْ يُؤْخَذَ بالمائة الألف ، فَيُقامَ في الشمس ، ويُبْسَطَ عليه العذاب. وكان في عسكر هشامٍ يومئذٍ عيسى بن إبراهيم ، أبو موسى السَّرَّاج ، الذي كان أبو مسلمٍ يتَعلَّمُ منه السِّراجَةَ ويخدمه ، وأبو مسلمٍ يومئذٍ معه. وكان عيسى يومئذٍ من أهل الكوفة ، ورئيساً من رؤساء الشيعة ، وكان مُوسراً يأتي بالسُّروجِ إليها وإلى أصْبهَان والجبال والرَّقة ونَصيبين وآمد ونواحي البلاد ، فيبيعُهَا بها[1] . فَجَمعَ نفراً من الشيعة ، ذوي يسار ، فانْطَلَقَ بهم إلى سالمٍ كاتب هشامٍ ، فضَمِنُوا ما على محمد بن علي ، وجَعَلُوا يُؤدُّونَ عنه الأوَّلَ فالأولَ منه ، وأبو مسلمٍ يأتي محمدَبن عليٍ برسالة صاحبه والْطَافِهِ وما يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ من الخَبَر. فلما أُدِّيت المائة الألف ، كَلَّمَ هشامٌ في محمد بن علي ، فخَلَّى سَبيلَهُ ، فرجع إلى الحُمَيْمَةِ ، ورجع أبو موسى السراج الى الكُوفَة ، وأبو مسلمٍ معه ، وهو يومئذ ابن عشرين سنة ».

ونَقَلَ الأزديُّ الخبر من طريقٍ أخرى مرفوعاً إلى محمد بن علي[2] ، وهو أطوَلُ مما

---

(١) أنظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٤.

(٢) تاريخ الموصل ص : ٤٥— ٤٨.

وَرَدَ عند البلاذريّ ، وفيه أن محمد بن عليٍّ اضْطُرَّ إلى الخُروجِ إلى هشام بن عبد الملك لما أصابَ بني العباس من إملاقٍ ، وَجَفوَةٍ من الخليفة ، واطِّراحٍ من الناس ، ومُجانبةٍ لهم لِسُخْطِ الخليفة عليهم ، وأنه تَوسَّلَ إلى هشامٍ بحاجِبِهِ ، وكانَ غَنيّاً عقيماً ، وكانَ من أحْرَصِ الناس على ولدٍ ، وأشدّهم لذلك حُبّاً . فأخبره محمد ابن علي أنه يَرْوي عن رسول الله حَديثاً في كَثْرَةِ الوَلَد ، وتَعَهَّدَ أن يُعَلِّمَهُ إياه إذا أدْخَلَهُ على هشام ، فأحجم عن الاستِئْذانِ له حيناً ، لأنه كانَ يَعْرِفُ نُفُورَ هشامٍ منه ، وغَضَبَهُ عليه . فلم يزل يُغْرِيهِ حتى استأذن له ، فَقَرَّعَ هشامٌ حاجِبَهُ وتَوَعَّدَهُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وعُنُقِ محمد بن علي ، فرجع إليه الحاجبُ ، ونَصَحَهُ أنْ يَرتَحِلَ ويَنجُوَ بنفسه . فَلَوَّحَ له بالحديث الذي يَحْفَظُ في كَثْرَةِ الوَلَد ، وامتنعَ من تَعْليمِهِ إياه ، وزَيَّنَ له أن يَنتَهِزَ فُرْصَةً يكون فيها هشام طَيِّبَ النَّفسِ ، وألحَّ عليه ، فاستأذنَ له بعد شَهْرَين .

وتختلف خاتمةُ الخبرِ في رواية الأزدي عن خاتمته في رواية البلاذري أشدَّ الاختلاف ، فليس فيها أَنَّ هشاماً حَبَسَ محمد بن عليٍّ ، بل فيها أنه استَقْبَلَهُ ، وزَجَرَهُ وهَدَّدَه ، فلما هَدَأَتْ ثَوْرَتُهُ ، شرح له سوء حال بني العباس ، وتَحَلَّلَ مما يَبْلُغُهُ من أخبار طَلَبِهم للخلافة ، ولم يزل يتلَطَّفُ له حتى خَدَعَهُ ، فلان له ، ورَفَقَ به ، وأشْفَقَ عليه ، وَوَصَلَهُ بأربعين ألف درهم ، يقول[1] : «دخلتُ على هشامٍ ، فسلَّمْتُ فقال : لا سَلَّمَ اللهُ عليك ، ولا قَرَّبَ دارَكَ ، ولا حَيَّاكَ ! أما رَضِيتَ أن تَرَكْتُكَ بالحُمَيْمَة حتى جئتني في عسكري ، وعلى بابي ، وأنت في غِشِّكَ وغشِّ بني أبيك ، وما يُؤَمِّلُون ويَرْجُونَ والله مُكَذِّبٌ آمالكم ، ومُخْلِفٌ رَجاءكم ! والله ، إني لأَهُمُّ أن آمر بقَتْلِكَ . قال : وأنا ساكتٌ ، حتى إذا فرغ قلتُ له : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله ، وله الحمدُ ، وَلاَّكَ خلْقَهُ ، واستَعْمَلَكَ عليهم ، وجعل عندك ، والحمد لله ، من

---

(١) تاريخ الموصل ص : ٤٧.

المعرفةِ بالله ، والفَضْل والبرِّ والرَّأْفَة والرحمة ما قد رجوتُ أنْ يَعْطِفَكَ الله عَزَّ وجَلَّ علينا ، فإن لنا رَحِماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبك يا أمير المؤمنين ، وحقاً في الإسلام ، فلا تؤاخذنا بما يقول الناس عن غير رضائنا ، ولا طمعاً فيما يقولون ، ولا محبةً لذلك ، والله إنكَ لتعْلَمُ ، يا أمير المؤمنين ، ما نَقْدرُ على ضَبْطِ أفواه الناس ، وكم من شيءٍ قد قِيلَ وتُحُدِّثَ به وخفق في أقاويل الناس ، ثم أكذب اللهُ أقاويلَهم فيه ، وأبْطَلَهُ ، وهذا إنْ شاء الله من ذاك. فَصِلْ رحمي ، أطَالَ الله بقَاءكَ ، فإني لم آتك حتى بَلَغنا الجَهْد ، واشتد حالُنا ، وتمنَّينا الموت من الفقر والحاجة ، واجتَنَبنا الناسُ ورَفَضُونا ، لاطِّراح أمير المؤمنين وأهل بيته إيانا ، لا نقدرُ على شيءٍ من الأشياء ، فارْحَمْنا رحمك اللهُ ، وانْظُرْ في فَاقَتِنا وحاجتنا ، وأرْضِ اللهَ في ذلك ، قال : فَرقَّ لي ، وقال : أعْطُوه أربعين ألف درهم ، قال : فدعوتُ له وخرجت. فعمد الحاجب ، ودَفَعها إلي ، وقال : الحمدُ لله الذي أخْرَجَهَا لك».

ويقال : إنَّ محمد بن عليٍّ قَدمَ على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قال مصنف أخبار الدولة العباسية(١) : قال عبد الرحمن الأنصاري : «كنت عند الوليد ابن يزيد ، فَدخَل عليه محمد بن علي بن عبد الله ، ومعه ابناه أبو العباس وأبو جعفر ، فكلمه في شيءٍ ثم خرج ، فقال لي الوليد ، وأشار إلى أبي العباس : هذا صاحبُ بني أمية ! قلت : وكم يملك منهم؟ قال : يملك منهم أربعة وعشرون رجلاً : ثمانية منهم يُسَمَّوْنَ عبد الله ، وثمانية يُسَمَّوْنَ محمداً ، وثمانيةٌ أسماؤهم مختلفةٌ ، يَلي بَعْضُهم السنة ، وبَعْضُهم السنتين ، وبعضُهم العَشْرَ ، وبعضُهم أكثرَ وأقلَّ ، وآخِرُهم يملكُ أربعين سنةً ! قلتُ : وكيفَ علمتَ ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : منَ الكُتُب التي بَعثَ بها إليَّ عاملي على المَغْرِب ، مِنْ كُتُبِ دانيال ، قال : فَقُلتُ لجعفر بن محمدٍ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٦٩.

الرَّاسيِّ : اقرأْ عليَّ هذا الكتاب؟ قال : لستُ اقرأهُ على أحدٍ من الناس ، فإنْ أَرَدْتَ أنْ تكتبَهُ فاكْتُبْهُ ، فكتبتهُ من خَطِّهِ» ! !

والتّكَهُّنُ بالغَيْبِ واضحٌ في الخَبَرِ ، والتَّوْليدُ فيه ظاهرٌ ، وهو من قَصَصِ الدَّعْوة العبَّاسية ، وهو لا يَصْمُدُ للنَّقْدِ .

(١٨) وَفاةُ الإمام محمدٍ

وفي بعضِ الرّوايات أنَّ محمد بن عليٍ شَهِدَ خلافةَ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قال الواقديُّ[١] : «الثَّبْتُ أنه تُوُفِّيَ سنةَ خمسٍ وعشرينَ ومائةٍ ، قبلَ قَتْلِ الوليد بن يزيد بقليلٍ» ، ولكنّه أحسَّ بالموت في أوّلِ تلكَ السنةِ[٢] ، وكان في أثنائها مُتهدِّماً فانياً ، لا يَقْوى على الحركةِ والتُّقْلَةِ ، ولا يَحْتَمِلَ مَشَقَّةَ السَّفر والرِّحْلَةِ ، وماتَ في نِهَايتها[٣] .

وفي بعضِ الرِّواياتِ أنه تُوفِّيَ في آخر خلافةِ هشام بن عبد الملك ، قال المدائني[٤] : تُوفِّي محمد بن علي سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومائةٍ ، وقُتِلَ الوليد بنُ يزيد

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٠ ، وانظر المعارف ص : ١٢٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٢٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٧٥ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٨ ، ومختصر التاريخ ص : ١٠٢ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٥ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٩٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢ .

(٤) أنساب الاشراف ٣ : ٨٠ ، وانظر طبقات خليفة بن خياط ص : ٧٧٩ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٩٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٩ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٣ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٥ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٩٣ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣ .

سنةَ ستٍ وعشرينَ ومائةٍ». وهو قَوْلٌ مُحتَملٌ تَسْنُدُهُ حُجَجٌ قويَّةٌ، ويَعْضُدُهُ الاختلافُ في أخبارِ السنةِ الأخيرة من حياة محمد بن علي.

وزَعَمَ هشامُ بن محمدٍ الكلبيُّ أنه «ماتَ سنةَ اثنتين وعشرينَ ومائةٍ»[1]. وهو قَوْلٌ ضعيفٌ تَنْقُضُهُ أَدِلَّةٌ كثيرةٌ، ويُبْطِلُهُ ما ذُكِرَ من لقاءِ محمد بن عليٍ للنُّقباء من أهْلِ خراسان بعدَ هذه السَّنةِ[2].

ومن غريبِ الأمرِ أنَّ مُصَنِّفَ أخبارِ الدولةِ العباسيَّةِ نَقَلَ ما يفيدُ أنه لم يُدْرِكْ خلافةَ الوليد بن يزيد، فقد جاءَ فيما رَوَى من خَبَرِ مسير بكير بن ماهان إلى خراسانَ، بعدَ وفاةِ محمد بن علي، ومَعَهُ كتابُ إبراهيم بن محمدٍ إلى شيعته بها أنه رَجَعَ إلى الكوفة، ومَعَهُ قَوْمٌ من النُّقباء والدُّعاةِ «فَبلغَهم بها مَوْتُ هشام بن عبد الملك، واسْتِخْلَافُ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وذلك في سنةِ خمسٍ وعشرين ومائةٍ[3]».

وعلى هذا النَّحْوِ نَمَتْ دَعْوَةُ بني العباس في حياة محمد بن عليٍّ، فقد وَضَعَ مَبادِئَهَا وشعاراتِهَا، وكَوَّنَ مُنَظَّماتِها ومُؤَسّساتها، وانْتَخَبَ نُقَباءَها ودعاتَهَا، وحَدَّدَ مَراتِبَهم ودَرَجاتِهم، وبَيَّنَ عَمَلَ كلِّ جماعةٍ منهم، وجَدَّ معهم في نَشْرِهَا حتى فَشَتْ

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٠، وانظر المعارف ص : ١٢٤، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٩، ووفيات الأعيان ٤ : ١٨٨.

(٢) من عجيب الأمر أن ابن جرير الطبري ذكر عن الواقدي أنه توفي سنة أربع وعشرين ومائة. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ١٩٩)، وأعجب منه أنَّ ابن خلكان نسب إلى ابن جرير الطبري أنه ذكر أنه توفي في مستهل ذي القعدة سنة ستٍ وعشرين ومائة. (انظر وفيات الأعيان ٤ : ١٨٨، وراجع العيون والحدائق ٣ : ١٨٣)

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٠.

واتَّسَعَتْ ورَسخَتْ بخراسان، قال ابنُ الحكم[1] : «كان أوّل مَنْ نَطَقَ بالدَّعْوَةِ العباسية، وماتَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومائةٍ، وقد انْتَشرَتْ دَعْوَتُهُ، وكَثُرَتْ شيعَتُهُ»، وقال الصَّفَدِيُّ[2] : «كان ابتداءُ دَعْوةِ بني العباس إلى محمدٍ، ولَقَّبوهُ بالإمام، وكاتَبُوهُ سِرًّا، بعدَ المائة والعشرينَ، ولم يزَلْ أمْرُهُ يَقْوَى ويتزايَدُ، فعَاجلَتْهُ المَنِيَّةُ، وقد انْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ بخراسانَ».

(١) تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٥.

(٢) الوافي بالوفيات ٤ : ١٠٣.

الفصل الخامس

«الإمامُ إبراهيمُ بنُ محمدٍ»

(١) مكانَتُهُ وثقافَتُهُ

خَلَّفَ محمدُ بن عليٍ عِدَّةً من الولَدِ ، أشهرهم سِتَّةٌ ، وهم[١] : إبراهيم ، وموسى ، وهما أكبرُ وَلَدِهِ[٢] ، وعبد الله أبو العباس ، وعبد الله أبو جَعْفَرٍ ، ويحيى ، والعباس ، وهو أصْغَرُ وَلَدِهِ[٣] . وذكر مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية أنه كان له ولدٌ آخر يُسَمَّى إسماعيل[٤] . وقال البلاذري[٥] : «يقال : إنه كان له داودُ ، وعبيدُ الله ، ويعقوبُ ، فلم يُعْقِبُوا» .

وكان إبراهيم بن محمد المقتول سنة اثنتين وثلاثين ومائة[٦] أرْفَعَ إخْوَتِهِ مكاناً ،

---

(١) انظر فيهم نسب قريش ص : ٣٠ ، والمعارف ص : ٣٧٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٤ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص : ٢٠ . وذكر مصعب الزبيري أن موسى مات في حياة أبيه . (انظر نسب قريش ص : ٣١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٤) . ويقال إن ابراهيم أكبرُ وَلَده . (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٣٩) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٢٠ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٥ .

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١١٤ .

(٦) انظر ترجمته في نسب قريش ص : ٣١ ، والمعارف ص : ٣٧٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٤ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٠ ، ٣٧٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٧٩ .

وأعْلَاهُمْ شَأْناً ، وكان عظيمَ القَدْرِ عند أهل المدينة ومكة[1] . وكان تَقِيًّا ورعاً[2] ، وجواداً مِعْطَاءً[3] ، وحكيماً حليماً[4] ، وحَازِماً صَارِماً. وكان له عِنايةٌ بالحديثِ[5] ، ومَعْرِفَةٌ بالبلاغة[6] ، وروايةٌ للشعر[7] .

وقد عهدَ إليه أبوه بالإمامة ، فَسَعَى في بثِّ الدّعوة ونَشْرِهَا ، وجَدَّ في تَقْوِيتها وتَرْسيخها ، واجتهد في تَنْظيمها وإحْكامِهَا ، حتى إذا أمْكَنَتْهُ الفُرْصَةُ سنة تسعٍ وعشرين ومائة أمِرَ أبا مُسْلمٍ بإعْلانِ الدَّعْوَةِ وإظهارها ، وإشعالِ الثورةِ وتَسْعيرها .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٢.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٥.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٤ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٩— ٣٨٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠.

(٤) أنساب الأشراف ٣: ١٢٥.

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠.

(٦) البيان والتبيين ١ : ٨٥، وأنساب الأشراف ٣ : ١٢٥ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٥ ، والعمدة ١ : ٢٤٥ ، ٢٤٦.

(٧) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٠ ، وانظر العيون والحدائق ٣ : ٢٣٠ .

(٢) تَوْجِيهُ بكير بن ماهان إلى خراسان

وفي سنة ستٍ وعشرين ومائة أرْسَلَ إبراهيمُ بن محمد بكيرَ بن ماهان إلى خراسان ، فأخبرَ شيعة بني العباس بها بوفاة محمد بن علي ، وقيام ابنه إبراهيم بالإمامة من بعده ، فبايعوا له وسَاقُوا إليه ما عندهم من أموالٍ. فرجع بكيرٌ، ولقي الإمام إبراهيم بمكة ، فأعلَمَهُ بمبايعةِ شيعة بني العباس له ، وأدّى إليه ما حملَ من أموالهم ، قال ابن جرير الطبري[1] : «في هذه السنة وَجَّهَ إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشمٍ بكير بن ماهان[2] إلى خراسان ، وبعثَ معه بالسِّيرة والوَصِيَّةِ. فقدم مَرْوَ ، وجَمَعَ النُّقباءَ ومَنْ بها من الدعاة ، فنَعَى لهم الإمام محمد بن علي ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودَفَعَ إليهم كتابَ إبراهيم ، فَقَبِلُوه ، ودفعوا إليه ما اجتمعَ عندهم من نفقات الشيعة ، فقدم بها بكير على ابراهيم بن محمد».

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٢٩٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٠٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٦.

(٢) قال أبو حنيفة الدينوري : «توفي الإمام محمد بن علي ، فقام بالأمر بعده ابنه إبراهيم بن محمد ، وكان أكبر ولده ، فأمر أبا مسلم أنْ يسير الى الدعاة بالعراق وخراسان ، فيعلمهم وفاة الإمام وقيامه بالأمر من بعده. فسار حتى وَافَى العراق ، ولقي أبا سلمة ومن كان معه من الشيعة ، فأخبرهم بما أمره ، ثم سار الى خراسان ، ولقي الدعاة بها ، فأخبرهم بذلك». (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٣٩). وهو وَاهِمٌ في ذلك ، وهو يُخَلِّطُ فيه تخليطاً شديداً ، يخالف ما أجمع عليه المؤرخون.

وروى مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية الخَبَرَ، وسَرَدَ تفاصيل كثيرةً لم يَحْفَظْهَا غيرُه من المؤرخين. فقد ذكر أنَّ بكير بن ماهان قدمَ عَلى محمد بن علي ٍ من خراسان بأموالٍ كثيرةٍ وحليٍ وثيابٍ فدفعها إليه. ويبدو أنها الأموال التي جاء بها النُّقباءُ الأربعةُ من خراسان، وقَابَلُوا محمد بن علي بمكة سنة خمسٍ وعشرين ومائةٍ. ولَبِثَ بكيرٌ في الحُمَيْمَةِ عشرين ليلةً، ومَرِضَ الإمام، فأقام ينتظرُ ما يكون من أمره، فحَضَرَ وصيَّتَهُ ووفاته[1]، يقول[2]: «لمَّا مات محمدُ بن علي ٍ أقام أبو هاشم ٍ مع إبراهيم أيَّاماً، ...، ثم شَخَصَ إلى خراسان، وقد كتبَ معه إبراهيم كتاباً إلى الشيعة نَعَى إليهم فيه أباه، وَوَعَظَهُمْ وأَمَرَهُمْ ونَهاهُمْ، وقَرَّبَ لهم أمْرَهُمْ، وأَمَرَهُمْ بطاعة أبي هاشمٍ والقَبُول عنه. فبدأ بجُرْجَان فلَقِيَهُ الشيعة[3]» ثم مَضَى إلى خراسان، فأَتَى مرو الشاهجان، ولقيَ مَنْ بها من النُّقباء والدُّعاة، «فنَعَى إليهم محمدَ ابن عليٍ، وأخبرهم أنَّ الإمام بعده إبراهيم، وأنه جعلَ وَصِيَّتَهُ إليه، فقرأ عليهم كتابَ إبراهيم بالأمْرِ بعده، فسلَّموا لأمْرِهِ ورَضُوا به، ودَفَعَ إليهم كتابَ إبراهيم، فأعْظَمُوهُ وازْدَادُوا لأبي هاشمٍ تَعْظيماً. وأقام بين أظْهُرِهمْ نَحْواً من شهرين، ثم عَزَم على الانصراف، وقال للشيعة: لِيَتَوجَّهْ عِدَّةٌ منكم إلى إبراهيم لِيَلْقوهُ، وتُعَرِّفُوهُ أنْفُسَكم، وتخبروه بطاعتكم. فشَخَصَ معه في تلك الدفعة قحطبةُ بن شَبيبٍ،

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٣٧ — ٢٣٩.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٤٠.

(٣) في النصِّ نَقْصٌ، لأنه ليس فيه ما يدل على أنَّ بكير بن ماهان سار من جرجان الى خراسان، ولأن بقيته تشير الى أنه رجع من خراسان الى جرجان، ومعه قَوْمٌ من النقباء والدعاة.

ومالك بن الهيثم ، وأبو سيفٍ[(١)] ، وأبو حميدٍ[(٢)] ، والأزهر بن شُعَيْبٍ[(٣)] ، فأقْبَلَ بهم حتى قدم جرجان ، فشَخَصَ معه من شيعة جرجان أبو عَوْنٍ ، وأبو بَصيرٍ ، فأقبلوا حتى قدموا الكوفة ،... ، فلم يلبثوا إلاّ يسيراً حتى مضوا إلى مكة ، وشَخَصَ معهم أبو سلمة ، فلقوا إبراهيم ، ودفعوا إليه مالاً كثيراً كانوا قَدِمُوا به » .

(١) هو من دعاة الدعاة (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٣).

(٢) هو محمد بن ابراهيم الحميري ، وهو من الدعاة السبعين من أهل مرو الشاهجان. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠).

(٣) هو من شيعة أهل مرو الشاهجان. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٣).

(٣) اتصالُ أبي مسلمٍ بالإمام إبراهيم

وفي سنة سبعٍ وعشرين ومائةٍ ورَدَ الكوفة ثلاثةٌ من النُّقباء ، ثم ساروا منها إلى مكة ، وقد انضمَّ إليهم أبو مسلمٍ ، فقابلوا الإمام إبراهيم ، ودفعوا إليه ما معهم من أموالِ شيعة بني العباس ، قال ابنُ جرير الطبري [١] : «في هذه السنة تَوَجَّهَ سليمان بن كثير ، ولاهزُ بن قُرَيْظٍ ، وقحطبةُ بن شبيبٍ إلى مكة ، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها ، وأعْلَمُوهُ أنَّ معهم عشرين ألف دينارٍ ، ومائتي ألف درهمٍ ومِسْكاً ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدَفْعِ ذلك إلى ابن عُرْوَة مولى محمد بن علي، وكانوا قَدِمُوا معهم بأبي مسلمٍ ذلك العامَ ، فقال ابنُ كثيرٍ لابراهيم بن محمد : إنَّ هذا مَوْلَاكَ» .

وروى البلاذريُّ الخبرَ ، وفي روايتِه له زيادةٌ وتِبْيانٌ لأمر أبي مسلمٍ ، والتحاقِه بالدّعوة العباسية ، يقول [٢] : «قدم سليمان بن كثير ، ولاهزٌ ، وقحطبةُ الكوفة يريدون الحجَّ ، فدخلوا على عاصم [بن يونس العجلي] مُسَلِّمين [٣] ، فرَأَوْا

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٢٩٤ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٦ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٦ .

(٣) قال البلاذري : «كان عاصم بن يونس العجلي محبوساً بسبب فسادٍ» (انظر أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٥).

أبا مسلمٍ عنده ، فأعْجَبَهُمْ عقْلُهُ وظَرْفُهُ وأدبُهُ وشدّةُ نَفْسِهِ وذهابُه بها ، ومال إليهم فعرَفَ أمرَهم ، فقال : أنا أصْحَبُكم وأكونُ معكم . فسألوا أبا موسى السراج أنْ يُعينَهُمْ به ، وكان من كبارِ الشيعة ، فَفَعَلَ وكتبَ معه كتاباً إلى إبراهيم الإمام ، وقد كَانَ علمَ أنَّ إبراهيمَ على الحجِّ في سَنَتِهِ ، وأنَّ القومَ واعدوه الالتقاء بمكة . فشخص أبو مسلمٍ معهم ، ووجدوا إبراهيم بمكة ، فأعطوه عشرين ألفَ دينارٍ ، ومائتي ألف درهمٍ ، وأوْصَلوا إليه كُسًى حَمَلُوها له ، ورأى إبراهيم الإمام أبا مسلمٍ ، فَعَرَفَهُ وأثْبَتَهُ ، لأنه كان يراه أيام اختلافه إلى أبيه في مَحْبَسِهِ ، وتأمَّلَ أمرَهُ وأخلاقَهُ فأعجبَهُ منطقُهُ ورأيُهُ وجزالَتُهُ فقال : هذا عُضْلَةٌ من العُضَل[1] ، ومَضى به ، فكان يَخْدِمُهُ »[2] .

والخَبَرُ واضحُ الدلالة على أنَّ أبا مسلمٍ انتظَمَ في الدعوة العباسية بأخرَةٍ من حياة الإمام محمد بن عليٍ . وهو يُوافقُ الأخبارَ السابقةَ التي تشيرُ إلى ذلك ويُوثِّقُها ، ويخالفُ الأخبارَ التي تشيرُ إلى أنه انتظم في الدعوة العباسية في أيام الإمام إبراهيم بن محمدٍ ، بعدَ أن ابْتيعَ له أو أُهْدِيَ إليه[3] .

ويقال : إنه كان يُسَمّى إبراهيم بن حَيّكان ، أو خَتّكان ، أو عثمان[4] ، فَسمَّاهُ

---

(١) عُضْلَةٌ من العُضَل : داهية من الدواهي .

(٢) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٦١ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ ، ١٢٠ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٦١ ، ٢٦٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٩٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٧ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١١٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٥ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٥ .

الإمام إبراهيمُ بن محمدٍ عبد الرحمن بن مسلم، وكنّاه أبا مسلم[1]. و«كتبَ الى شيعتِه بالكوفة يُعْلمهم أنه قد سَمَّاهُ وكنّاهُ، وقَبِلَ ولاءَهُ، ويأمرهم أنْ يجعلوه رسولَهم إليه، فإنه قد أفْهَمَهُ وفَهِم عنه، ولا يُرْسِلُوا غيره[2]». فَسَفَرَ بينَهُ وبينهم، كما سفَرَ بينَهُ وبين النُّقباء بخراسان، قال المدائني[5]: «كان أبو مسلم يَخْتَلِفُ إلى خراسان، يبعثُهُ الإمام بكُتبهِ إلى سليمان بن كثير، فيَشْخَصُ على حمارٍ له».

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٥، ١١٨، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٥٤، ٢٥٥، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٥.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٥٤.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٠، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٨، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٦.

(٤) إرسالُ أبي سَلمةَ الخَلَّال بالرّايات إلى خراسان

وذكر مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية أن بكير بن ماهان لقي الإمام إبراهيم ابن محمد في هذه السنة. فأخبره الإمامُ بِلَوْنِ رايات الثورة، وأطْلَعَهُ على شعارِهَا، وكَلَّفَهُ الذهابَ إلى خراسان ليُهَيِّئَ شيعة بني العباس ليوم الثورة المُرْتَقَب. ولكنه سُجِنَ بالكوفة في دَيْنٍ تأخَّرَ عن الوَفَاء به، فَحِيلَ بينه وبين المَسير إلى خراسان، فوَجَّهَ إليها أبا سلمة الخلال، فنهضَ بالأمر، وأدّى الرسالة، ثم عاد إلى الكوفة فقَضَى دَيْنَ بكيرٍ، واستَنْقَذَه من السجن، يقول[1]: قال الإمام ابراهيم لبكيرٍ: «عليكم بالسَّوادِ، فليكنْ لبَاسكم، وليكن شعاركم يا محمد يا منصور. وأمَرَ أبا هاشمٍ بالانصراف والمُضِيِّ إلى خراسان، وأمره أنْ يأمرَ الشيعة بتَسْويد الثياب، والرايات السُّود، ويُعدُّها إلى يوم خُرُوجهم. فانْصَرَفَ أبو هاشمٍ ومعه أبو سَلَمَةَ إلى الكوفة، فلما قَدِمَها تَعَلَّقَ به غُرماءُ له، فَحَبسوهُ في دَيْنٍ كان لهم عليه. وبعث أبا سلمة إلى خراسان، ودَفَعَ له ثَلاثَ راياتٍ سودٍ، وأمره أن يدفَعَ واحدةً إلى مَنْ بِمَرْوٍ مِنَ الشِّيعة، ويدفع واحدةً إلى مَنْ بجُرجان من الشيعة، ويبعثَ بواحدةٍ إلى ما وراء النهر، فَشَخَصَ أبو سَلَمَة إلى خراسان، فكان أول مَنْ قَدِمَها بالرّايات السُّود، ...، وقَدِمَ أبو سلمةَ خراسانَ وأبو مُسلمٍ يومئذٍ معه خادمٌ له، فبدأ بجُرْجانَ، فدَفَعَ رايةً سوداءَ إلى أبي

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٤٥ — ٢٤٩، وانظر أنساب الأشراف ٣: ١٣٦، وتاريخ الطبري ٧: ٣٦٩، ومروج الذهب ٣: ٢٥٥، والإمامة والسياسة ٢: ١٣٨، والكامل في التاريخ ٥: ٣٦٤.

عَوْنٍ، وهو يومئذٍ رئيسُ القَوْم، وقد لَقِيَ الإمامَيْنِ جميعاً، وعَظُمَ قدرُهُ في الدَّعوَة. ثم نَفَذَ إلى مَرْوَ، فدفعَ إلى سليمان بن كثيرٍ رايةً سَوداءَ، و بعَثَ برايةٍ سوداءَ إلى ما وراء النهر مع مجاشع بن حريثٍ الأنصاريِّ، وقيل مع عمرو بن سنانٍ المراديِّ. وأقامَ أبو سلمةَ بمَرْوَ، ونَصْرُ بن سيارٍ يومئذٍ الوالي، فاضطربَ أمرُ العربِ بخراسان، وتَعَصَّبُوا وتَحَزَّبُوا، واقْتَتَلُوا، وهم مُتَحَيِّرُون، وقد قُتِلَ الوَليدُ بن يزيد، ولم يأتِهِمْ الخبرُ باجتماعِ الأمْرِ لغيرِهِ، فتمكن أبو سلمةَ في تلك الأيام مما أراد، واستثارت الدّعوةُ[1]، وقَوِيَ أهلُها، وبثَّ دُعاتَهُ وَرُسُلَهُ وانْصَرَفَ، . . .، وكانت إقامة أبي سلمةَ هناك أربعةَ أشْهُرٍ. ولمَّا انْصَرَفَ أَلْفى أبا هاشمٍ محبوساً[2] على ما خلَّفَهُ عليه، وكانت حمامَةُ بنتُ بكيرٍ أبي هاشمٍ تحت أبي سلمةَ، فصَالَحَ أبو سَلمَةَ عنه غُرَماءَهُ، وكانَ ما لَزِمَهُ من الدَّيْنِ في إنفاقِهِ على أهلِ الدّعوة، وفي أسفارِهِ، وفي أُمورِهِ، وقد أنفقَ في ذلك مالاً كثيراً لنفسِهِ، كانَ أفادَهُ من السِّنْدِ، وخَرَجَ من الحَبْس».

---

(١) استثارت: ظهرت وانتشرت.

(٢) انظر حَبْسَ بكير بن ماهان، ومعرفته لأبي مُسلمٍ وهو يخدم العِجْلِيِّينَ في الحَبْسِ، وشراءَهُ له منهم، وتوجيهه إياه الى الامام إبراهيم بن محمد في تاريخ الطبري ٧ : ١٩٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٧٥، وراجع أخبار الدولة العباسية ص: ٢٤٩.

(٥) تعيينُ أبي سلمةَ الخلَّالِ كبيراً للدُّعاةِ بالكوفةِ

وفي سنة سبعٍ وعشرين ومائةٍ مرضَ بكيرُ بنُ ماهانَ ، ثم تُوفيَ ، وأنابَ مَنابَهُ قَبْلَ وفاتِه أبا سلمةَ الخَلَّالَ ، وأعْلَمَ الإمام إبراهيم بتوليته إياه ، وزَكَّاهُ له ، وأثنى عليه ، ونوَّهَ بصِدْقِهِ وإخْلاصِهِ ووفائه للدَّعْوَةِ ، فأقرَّهُ وثَبَّتَهُ ، قال البلاذري [(١)] : «احتُضِرَ بكيرٌ ، فأوْصَى إلى سليمان بن حَفْصٍ [(٢)] أبي سَلمة الداعية ، مَوْلَى همدان ، وهو صِهْرُهُ ، وكان صَيْرفيًّا ، ويقال : خَلَّالاً [(٣)] ، وكتبَ إلى محمد بن علي [(٤)] الإمام باستِخْلَافِهِ إياه ، لِرِضَاهُ مَذْهَبَهُ ونِيَّتَهُ ونَصيحتَهُ ، فكتبَ إليه محمدُ ابنُ عليٍ [(٥)] بالقيام بما كان بكيرُ بن ماهانَ يقومُ به» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٨.

(٢) الصواب حَفْصُ بن سليمان. (انظر ترجمته في الوزراء والكتاب ص : ٨٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٠ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٩٥ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٦).

(٣) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٨ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٤.

(٤) كذلك أيضاً في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٩ ، والأخبار الطوال ص : ٣٣٤. وفي تاريخ الطبري ٧ : ٣٢٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣٩ : إبراهيم بن محمد ، وهو الصَّوابُ ، ويؤيده ما رواه مصنفُ أخبار الدولة العباسية. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٠— ٢٥٠).

(٥) الصواب إبراهيم بن محمد.

وأنبأ الإمامُ إبراهيمُ شيعَتهُ بخراسانَ أنّهُ عيَّنَ أبا سلمةَ الخَلاَّلَ كبيراً للدُّعاةِ بالكوفةِ ، وأمَرهم بطاعتِه ، وسارَ أبو سلمة إليهم ، فارْتَضوهُ وانْقادُوا له ، وأدَّوْا إليه ما عندهم من أمْوالٍ ، قال ابن جرير الطبري[1] : «كتبَ إبراهيم إلى أبي سَلَمةَ يأمرُهُ بالقيام بأمْرِ أصحابه ، وكتبَ إلى أهل خراسان يُخبِرُهم أنه أسْنَدَ أمْرَهُمْ إليه . ومَضَى أبو سلمةَ إلى خراسان فصَدَّقُوهُ ، وقَبِلُوا أمْرَهُ ، ودَفَعُوا إليه ما اجتمعَ قبلَهُمْ مِنْ نَفَقاتِ الشيعةِ وخُمْسِ أموالهم» .

ورَوَى مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية خبرَ قدومِ أبي سلمةَ إلى خراسان كاملاً مُسْهَباً[2] ، وهو يتَضَمَّنُ أسماءَ المُدنِ التي أتاها ، وأسماءَ النُّقباء والدُّعَاةِ الذين قابَلَهم بها ، والغايات التي كان يتَوخَّاها ، ويتضمَّنُ أيضاً دَقائقَ نادرةً وأسْراراً كثيرةً ، فقد ذكر فيه أن أبا سلمةَ سار إلى خراسان ، ومعه أبو مسلمٍ ، فَعرَّجَ على جُرْجَانَ ، ونزل بأبي عامرٍ ، ولقي مَنْ بها من الشيعةِ ، ثم انْطلقَ إلى نسَا ، وأبِيوَرْدَ ، فلَقي من بهما من الدُّعاةِ والشيعة ، ثم نَفَذَ إلى مَرْو الشاهجان ، فلقي من بها من النُّقباء والدعاة ، وبَعثَ أبا مسلمٍ إلى بَلْخَ ، فلَقي زياد بن صالح ومَنْ بها مِنْ دعاتِه ، ثم انصرفَ إليه . وكان أبو سلمةَ يُوصي الشيعة في كل مدينةٍ وَرَدهَا أنْ يَجِدُّوا ويَستَعِدُّوا ، وقال لهم في مَرْو الشاهجان : «تأهَّبُوا وتَهيَّأُوا إلى رَأْسِ الثلاثين ومائة ، ولا تُظْهِرُوا شيئاً إلاَّ أنْ تُضْطَرُّوا ، فإذَا اضْطُرِرْتُمْ ، فأْتَلِفُوا واجتمعوا ، وادْفَعُوا عن أنفسكم إلى الوقت الذي وُقِّتَ لكم» . ووكَّلَ بهم جميعاً سليمان بن كثير الخزاعي ، ثم رجَعَ إلى الكوفة . فأرسلَ إليه الإمام إبراهيم يَستَوفِدُهُ إلى الحميمة ، فشخصَ إليه ومعه أبو مسلمٍ ، فَقابَلَهُ وأوصَلَ إليه المال الذي حَمَلَهُ من خراسان . ثم عاد إلى الكوفة ،وتابعَ بالكتبِ إلى سليمان ابن

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٢٩ ، ٧ : ٤٢١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣٩ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٦٧ — ٢٦٩ .

كثيرٍ وأصحابه بخراسان في الاستعدادِ والإكْماشِ [1] ، واختلفَ أبو مسلمٍ في ذلك مرةً بعدَ أخرى » .

(١) الإكماش : الإسراع .

(٦) تَوْليةُ أبي مسلمٍ أمرَ الدَّعْوَةِ بخراسان

وظَلَّ كَبيرُ الدُّعاةِ بالكوفةِ يُشرِفُ على الدَّعْوَةِ بخراسان ، ويتَرَدَّدُ عليها ، ويَبْعَثُ الدُّعاةَ إليها ، ويَسْتَقْبِلُ الوُفود منها ، ويُرَافِقُهم إلى مكة والحُمَيْمَة ، ويلتقي بالإمام ، ويكتب إليه التَّقارير عن أحوال الدَّعوة. حتى إذا كانت سنة ثمانٍ وعشرين ومائةٍ قَرَّرَ الإمام إبراهيم بن محمدٍ أنْ يُسَيْطرَ على الدعوة بخراسان ويَضْبِطَها ، ويتَولّى بنفسه قيادةَ شيعتِه بها ، لأنه تَبيَّنَ له أن الفُرْصَةَ أخذتْ تتهيَّأُ لِتَفْجيرِ الثورة ، بعد احتدامِ العَصَبيَّةِ بين اليمانية والرَّبعية وبين المضرية بخراسان ، واقْتِتالهم وتفانيهم [1] ، واشتغال مروان بن محمد بمحاربة الثائرين عليه مِنْ أهل بَيْتِه ومِنَ الخَوارج [2] ، ولأنه كان يَخْشَى سليمان بن كثير الخزاعي ، ويَخافُ أن يتمرَّدَ عليه ، ويَسْتَقِلَّ بالأمْرِ دُونَهُ. وكان سليمان القائم بالدَّعوة في خراسان ، والمسؤول عنها ، وكان ذا طُمُوحٍ وقوةٍ وسطوةٍ [3].

ويقال : إنَّ سليمان بن كثير الخزاعيّ ، ولاهِزَ بن قُرَيْظٍ التميميَّ ، وقَحْطبةَ ابن شبيبٍ الطائيَّ وَفَدُوا على الإمام إبراهيم بن محمدٍ سنة ثمانٍ وعشرين ومائةٍ ، وسألوه أن يُوَلِّيَ على شيعةِ بني العباس في خراسان قائداً جديداً ، فَرَشَّحَ سليمانَ فامْتَنَعَ ،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ١٣٤ — ١٥٠.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤٦٦ — ٤٧٥ ، ٤٩٦ — ٥٠٧.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٢ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١١٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٥٦.

ورَشَّحَ قَحْطَبَةَ فامْتَنعَ ، فَفكَّرَ أنْ يعهد برئاستهم إلى أحد بني العباس ، ثم عَدلَ عن ذلك ، واقْتَرحَ أبا مسلمٍ ، فأشادوا به ، وأطْبَقُوا عليه ، فَقلَّدَهُ أمرهم ، قال البلاذري[1] : «ثم إنَّ هؤلاء النُّقباء قدموا على إبراهيم يَطْلُبونَ رجلاً يَتوجَّهُ معهم إلى خراسان ، فَعرضَ على سليمان بن كثير أنْ يكون ذلك الرجل فأبى ، وعرضَ مثلَ ذلك على قَحْطَبة فأبى ، فأراد تَوْجيهَ رَجُلٍ من أهل بَيْتِهِ فَكَرِهَ ذلك ، وذَكَرَ أبا مُسلمٍ فأُطَرياهُ وَوَصَفَا عَقلَهُ وعِلْمَهُ بما يأتي وَيَذَرُ ، فاستخارَ اللهَ ووجَّهَهُ إلى خراسان» .

ويتَّفِقُ المؤرِّخون على أنَّ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ رَأَّسَ أبا مسلمٍ على شيعتِهِ بخراسان ، وأرْسَلَ إليهم أن ينصاعُوا له ، وبَعثَ به إليهم سنة ثمانٍ وعشرين ومائةٍ[2] ، ولكنهم يَخْتلفُون في مَوْقفِ النُّقباء من تَرْئيسهِ عليهم ، فبَعْضُهم يَرْوي أنَّ النقباءَ والدعاةَ وسائرَ الشيعة قبلوا أبا مسلمٍ ، ورحَّبُوا به ، والْتَفُّوا من حوله ، وانْتَهُوا إلى رأْيِهِ ، وكانَفُوهُ وعَاوَنُوهُ ، وأنَّ سليمان بن كثير الخزاعي خَضَعَ لهُ ، وقَدَّرَهُ ، ولم يُنَاهِضْهُ ، ولم يَتَنَدَّدْ به ، قال البلاذري[3] : «نزل على سليمان بن كثيرٍ ، فكان والشيعة جميعاً له مُكْرِمينَ مُبَجِّلينَ سامعينَ مُطيعينَ ، وجعلَ أمْرُهم يَنْمُو حتى كان منه ما كان» ، وقال[4] : «شَخَصَ فنزلَ على سليمان بن كثير ، فكان يُجِلُّهُ ويُوَقِّرُهُ ويُعَظِّمُ أمْرَهُ» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٥٦ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٧ .

(٢) أنساب الاشراف ٣ : ١٢١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٦٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٤٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٤٤ ، وتاريخ الموصل ص : ٦٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٧ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٧ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٢١ .

(٧) وصيَّةُ الإمام إبراهيم لأبي مسلمٍ

وبَعضُ المؤرِّخِينَ يَرْوي أنَّ نَفَراً من النُّقباءِ استَخفوا به ، وعارضُوهُ ورفضُوهُ ، ولم يَلْتَفِتُوا إلى كتابِ الإمامِ إليهم بالانقيادِ له ، بل أعْرَضُوا عنه ونَبَذُوهُ ولم يعملوا به ، وساروا إلى الإمامِ في السنةِ التّاليةِ ، فقَابَلُوهُ بمكة ، ومعهم أبو مسلمٍ ، فاشْتَكاهم إليه ، وأنبأَهُ أنهم استْهانُوا به ، ونازَعُوهُ ودَفَعُوه ، فعرَّفهم أنَّهُ اختارَهُ وأمَّرهُ ، وأنَّ عليهم أنْ يرْتَضُوهُ ويُذْعِنُوا له ، ونَصَحَهُ أن يُعَوِّلَ على اليمانية ، ويُقيمَ بينهم ، وأن يَحْذَرَ الرَّبعية ويتوقَّاهم ، وخَوَّفَهُ المُضَرِيَّةَ ، وأذن له أنْ يَضْرِبَ عُنقَ مَنْ يَرْتَابُ به منهم ، وأمَرَهُ أنْ يُجِلَّ سليمان بن كثير الخزاعي ويُفخِّمهُ ، وأوصاهُ أنْ يشاوِرَهُ ويرجعَ إليه فيما يطرأُ عليه من مُبْهماتٍ ومُعْضِلاتٍ ، وأنْ يَصْدُرَ فيها عن رأيِهِ ، ويَصْدَعَ بأمْرِهِ ، قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ[1] : «في هذه السنةِ وَجَّهَ إبراهيمُ بن محمدٍ أبا مسلمٍ إلى خراسان ، وكتبَ إلى أصحابِهِ : إني قد أمَّرْتُهُ بأمْري ، فاسْمَعُوا منه ، واقْبَلُوا قَوْلَهُ ، فإني قد أمَّرْتُهُ على خراسان ، وما غَلَبَ عليه بعدَ ذلك[2] . فأتاهم فلم يَقْبَلُوا قَوْلَهُ ، وخَرَجُوا من قابلٍ ، فالْتَقَوْا بمكةَ ، عند إبراهيم ، فأعْلَمهُ أبو مسلمٍ أنهم لم

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٤٤.

(٢) قال مصنف أخبار الدولة العباسية : «جعل إبراهيم لأبي مسلمٍ إنْ هو ظَهَرَ ولايةَ خراسانَ ، وسجستانَ ، وكِرْمانَ ، وجُرْجانَ وقُومَسَ ، والرّيِّ ، وأصْبهان ، وهمذان ، وجعل ولاية أبي سَلَمةَ ما دون عقبة همذان من أرض العراق فالجزيرة فالشام». (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٠).

يُنْفِذُوا كتابَهُ وأمْرَهُ. فقال إبراهيم: إني قد عَرَضْتُ هذا الأمرَ على غير واحدٍ، فأَبَوْهُ عليَّ، وذلك أنه كانَ عَرَضَ ذلك قَبلَ أن يُوجِّهَ أبا مسلمٍ على سليمانَ بن كثير، فقال: لا ألي اثنين أبداً، ثم عَرَضَهُ على إبراهيم بن سَلَمة، فأَبَى فأعْلَمهم أنه أجمعَ رأيَهُ على أبي مُسلمٍ، وأمرهم بالسمعِ والطاعةِ، ثم قال: يا عبد الرحمن، إنَّكَ رجلٌ منا أهْلَ البيتِ، فاحْتَفِظْ وَصِيَّتي، وانْظُرْ هذا الحيَّ من اليمن فأكْرِمْهُم وحُلَّ بين أظْهُرهم، فإنَّ اللهَ لا يُتمُّ هذا الأمرَ إلاَّ بهم، وانْظُرْ هذا الحيَّ من ربيعةَ، فاتَّهِمْهُمْ في أمرِهم، وانْظُرْ هذا الحيَّ من مُضَرَ، فإنهم العدوُّ القريبُ الدار، فاقْتُلْ مَنْ شككتَ في أمْرِهِ، ومَنْ كانَ في أمْرِهِ شُبْهةٌ، ومن وَقَعَ في نَفْسِكَ منه شيءٌ، وإن استَطَعْتَ ألاَّ تَدَعَ بخراسانَ لساناً عربياً فافْعَلْ، فأيَّما غلامٍ بلغَ خمسةَ أشبارٍ تَتَّهِمُهُ فاقْتُلْهُ، ولا تُخَالِفْ هذا الشيخَ، يَعْني سليمانَ بن كثيرٍ، ولا تَعْصِهِ، وإذَا أشْكَلَ عليك أمْرٌ، فاكْتَفِ به مني».

ونَقَلَ الخبرَ بألفاظِهِ مصنفُ الإمامةِ والسياسةِ[1]، وابنُ الأثير[2]، ونَقَلَهُ بمَعناهُ وأكثرِ ألفاظِهِ ابنُ عبد رَبِّهِ[3]، وابن كثيرٍ[4]، وأوْرَدُوا ما نُسِبَ فيه إلى الإمام إبراهيم بن محمدٍ من أنه قال لأبي مسلمٍ: «إن استَطَعْتَ ألاَّ تَدَعَ بخراسان لساناً عربيًّا فافْعَلْ».

وذكر مصنفُ أخبارِ الدولة العباسية ما يشبهُ ذلك في خبر قَبْض مروان بن محمدٍ على الإمام إبراهيم بن محمد، فقد رَوَى أنَّ الإمامَ كتبَ إلى أبي مسلمٍ «ألاَّ يدعَ بخراسانَ عربيًّا إلاَّ قتلهُ[5]».

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ١٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٥: ٣٤٧.

(٣) العقد الفريد ٤: ٤٧٩.

(٤) البداية والنهاية ١٠: ٢٧.

(٥) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٩٢.

وروى ذلك أيضاً ابنُ جريرٍ الطبريُّ[1] ، ومُصَنِّفُ الإمامة والسياسة[2] ، والأزديُّ[3] ، وابن الأثير[4] ، وابن كثيرٍ[5] ، وابن تَغْري بَرْدي[6] ، فقالوا : «وَقَعَ في يد مروانَ بن محمدٍ كتابٌ لابراهيمَ بن محمدٍ إلى أبي مسلمٍ ، جواب كتابٍ لأبي مسلمٍ ، يأمُرهُ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ يتكلَّمُ بالعربية بخراسانَ» .

وحَمَلَ المسعوديُّ خَبَرَ قَبْضِ مروانَ بن محمدٍ على الإمام إبراهيم بن محمدٍ ، وأشارَ إلى كتابِ الإمام إلى أبي مسلمٍ ، ولكنه لم يذكر أنه حَرَّضَهُ فيه على استِئْصَالِ العربِ ، بل ذكر أنه حَضَّهُ فيه على التَّشميرِ للدَّعْوَةِ ، والكَيْدِ لخُصومِهِ ، يقول[7] : «كان نَصْرُ بن سيارٍ كتبَ كتاباً إلى مروانَ يذكر فيه خُرُوجَهُ عن خراسانَ ، وأَنَّ هذا الأمرَ الذي أزْعَجَهُ سيَنْمُو حتى يملأَ البلادَ ، ... ، فلم يَستَتِمَّ مَروانُ قراءةَ هذا الكتابِ حتَّى مَثَّلَ أصْحَابُهُ بين يَدَيْهِ ، ممن كان قد وُكِّل بالطُّرقِ ، رسولاً من خراسان من أبي مسلمٍ إلى إبراهيم بن محمدٍ الإمام ، يُخْبِرُهُ فيه خَبَرهُ ، وما آل إليه أمْرُهُ ، فلما تَأَمَّلَ مروانُ كتابَ أبي مسلمٍ قال للرسول : لا تُرَعْ ، كم دَفَعَ لك صَاحِبُكَ؟ قال : كذا وكذا ، وقال : فهذه عشرةُ آلافِ درهمٍ لك ، وإنما دَفَعَ إليك شيئاً يسيراً ، وامْضِ بهذا الكتاب إلى إبراهيم ، ولا تُعْلِمْهُ بشيءٍ مما جَرَى ، وخُذْ جوابَهُ ، فائْتني به ، فَفَعلَ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٢ .

(٢) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٩ .

(٣) تاريخ الموصل ص : ١٠٧ .

(٤) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦ .

(٥) البداية والنهاية ١٠ : ٣٣ ، ٣٩ .

(٦) النجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠ .

(٧) مروج الذهب ٣ : ٢٥٨ .

الرسولُ ذلك ، فتأملَ مروانُ جوابَ إبراهيم إلى أبي مسلمٍ بخَطِّهِ ، يأمُرُهُ فيه بالجدِّ والاجتهادِ والحيلةِ على عَدُوِّهِ ، وغير ذلك من أمْرِهِ ونَهْيِهِ».

وذكر ابن عساكرٍ أنَّ الإمام إبراهيم بن محمدٍ كان يَسْتَحْسِنُ أنْ يكون الرسولُ بينه وبينَ أبي مسلمٍ من العَجمِ ، لأن ذلك أبعدُ من الشُّبْهةِ ، وأنْفَى للرِّيبةِ ، وأنْجَى من الشَّرِّ ، وأنْأَى عن الأذَى ، وأدْعَى للسَّلامةِ ، وأدْنَى من العافيةِ ، فلما وَجَّهَ إليه أبو مسلمٍ رسولاً من العَربِ ، كتبَ إليه كتاباً يلُومُهُ فيه ويَكُفُّهُ ، ويأمُرُهُ بِقتْلِ الرسول ، وبعث بالكتاب مع الرسول الذي وَجَّهَهُ إليه ، فَفَضَّ الرسولُ الكتابَ ، فرأى فيه أنه أمرَ بِقتْلِهِ ، فسار بالكتاب إلى مروان بن محمدٍ ، يَقُولُ[1] : «كان أبو مسلمٍ يكاتبُ إبراهيمَ بن محمدٍ ، فقدمَ على إبراهيم رسولُ أبي مسلمٍ ، فسأله فإذا هو رَجُلٌ من عرب خراسان فصيحٌ ، فَغمَّهُ ذلك ، فكتب إلى أبي مسلمٍ : ألَمْ أنْهَكَ عن أنْ يكون رسُولُكَ عربياً ، يَطَّلِعُ مثلُ هذا على أمْرِكَ ! ! فإذا أتاكَ فاقْتُلْهُ ، وحَبَسَ الرسولَ ، فلما خرجَ من عنده ، قرأ الكتاب ، فأتَى به مروان».

وذلك أشبهُ بالحقِّ ، وكأنه حُرِّفَ عن مَوْضِعِه ، وكأن ما عُزِيَ إلى الإمام إبراهيم بن محمدٍ من أنه أمرَ أبا مسلمٍ بإبادةِ العرب بخراسان قد وُلِّدَ منه ! !

وحَمَلَ خبرَ تَوْجِيهِ الإمام إبراهيم بن محمد لأبي مسلمٍ إلى خراسان وَوَصِيَّتَهُ له الأزدي[2] ، ومُصَنِّفُ العيون والحدائق[3] ، وَسَاقا الوَصِيَّةَ بألفاظها عند ابن جرير الطبري ، ولكن الجملةَ التي يأمرُ فيها الإمامُ أبا مسلمٍ بإبادة العرب كافة بخراسان لم تَرِدْ فيها ! !

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢.

(٢) تاريخ الموصل ص : ٦٥.

(٣) العيون والحدائق ٣ : ١٨٤.

ومن الواضح أنّ تلك الجملةَ من الوَصِيَّة لم تَتَواتَرْ روايتُهَا ، فإنَّ المؤرخين لم يُجْمعوا عليها ، وكان ابنُ جريرِ الطبريُّ أوَّلَ مَنْ أَثْبتَهَا بغيرِ إسنادٍ ، وصَنَعَ صَنيعَهُ مصنفُ الإمامة والسياسة ، وهو من المؤرخين المُعَاصِرينَ له ، ونَقلهَا عنه بغيرِ إسنادٍ أيضاً ابنُ الأثير وابنُ كثيرٍ. وإذا صَحَّ أنَّ الجُمْلَةَ من الوَصِيَّة ، فيبدو أنه سَقَطَ منها بَعْضُ الألفاظ ، وأنَّ فيها نَقْصاً أدّى إلى التَّعْميم في مَعْنَاها ، ويمكن أن يكون تقديره : «ممَّن خَالَفَكَ». فأفْضَى هذا النَّقْصُ إلى إذْنِ الإمام لأبي مسلم في إفناءِ العرب عامةً بخراسان ! ! دون تمييزٍ بين مَنْ أجابَ الدَّعْوَة العباسية منهم وأيَّدَهَا ، ومَن انْحازَ عنها وعَادَاها ! ! وذلك مناقضٌ لوصايا الإمامَيْن محمد بن عليّ ، وإبراهيم بن محمدٍ لدُعاتهما ، وأمْرِهما لهم فيها أن يُعامِلوا القبائل العربية بخراسان حسبَ مَوَاقِفها من الدعوة العباسية ، فإنهما كانا يُشيرانِ عليهم أنْ يُقَدِّمُوا اليمانية ويُقيموا بينهم ، وَيَستَظِلُّوا بهم ، وأنْ يُقَرِّبُوا الرَّبعيَّةَ ، ويُلْحِقُوهُم بهم ، فإنهم حُلَفاءُ اليمانيّة وأنْصارُهم ، وأنْ يتحَفَّظُوا من المُضَريَّة ، ولا يَقْبلُوا إلاَّ ثِقاتَهم ، وأنْ يُعْمِلُوا السَّيْفَ فيمن يُشكُّون فيه منهم ، وأنْ يَستَكْثِرُوا من المَوَالي والعَجَمِ . ويَعْتَمِدُوا عليهم ، جاء ذلك في وصية الإمام محمد بن علي لأبي عَكْرِمَةَ السَّراج [١] ، وجاء في وصية الإمام إبراهيم بن محمد لأبي مسلمٍ على اختلاف رواياتها [٢] ، وجاء أيضاً ما يُمَاثِلُهُ في وصِيَّةِ أبي العباس السَّفاح لأبي مسلم بعد مَقْتَلِ الإمام إبراهيم بن محمد ، قال ابو حنيفة الدينوري [٣] : «تَقَدَّمَ إليه أبو العباس ألاَّ يدَعَ بخراسان عَرَبيًّا لا يَدْخُلُ في أمْرِهِ إلاَّ ضَرَبَ عُنُقَهُ».

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ .

(٢) أنظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ .

(٣) الأخبار الطوال ص : ٣٥٩.

وَرَوى مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية وَصِيَّةَ الإمام إبراهيم بن محمدٍ لأبي مسلمٍ ، ومن الطَّريف أنَّ ما وَرَدَ فيها منَ الدَّعْوَةِ إلى الاحْتراسِ من المضَرِيَّة ، والإِذْنِ في سَفْكِ دماء المُناوئينَ له منهم قد أحْنَقَ بعضَ النُّقباء من المُضَرِيَّةِ وأسْخطهم ، وهَيَّجَ الشرَّ بينهم وبين النُّقباء من اليمانية ، وأثار العَصَبِيَّةَ القبليَّةَ بينهم ، وأوْشَكَ أنْ يُمزِّقَ صُفوفَهم ، لولا احتيالُ أبي مسلمٍ للأمْرِ ، وتفسيرُهُ له تَفْسيراً أقْنَعَهم وأرضاهم ، وأطفأ نار الفِتْنَةِ بينهم ، فقد ذكر أنَّ المقصودَ بذلك هم المُضَرِيَّةُ الذين يُوالونَ الدولة الأموية ويُظاهرونها ، لا يَكُفُّونَ عن ذلك ، ولا يَحيدونَ عنه ، ولا يُخْفُونَهُ ، بل يَمْضُونَ فيه ، ويُصِرُّونَ عليه ، ويَجْهَرُونَ به ، ويُعْلِنُونَهُ ، أمَّا المُضَرِيَّةُ واليَمانِيَّةُ الذين انْضَمُّوا إلى الدَّعْوَةِ العباسية ، وتعاقَدُوا على مُؤَازَرتها ، فإنهم مُتَكافئون مُتَساوُونَ ، لا فَرْقَ بينهم إلاّ بالإِخْلاصِ لها والحِرْصِ عليها ، يقول في خَبَرِ مُناظَرَةِ رُسُلِ نَصْرِ بن سيار الليثي لأبي مُسْلمٍ ومَنْ حضَرَ معه من النُّقباءِ من المُضَرِيَّةِ واليَمانِيَّةِ في حاله ودَعْوته وسَبَبِ خُرُوجِهِ[1] : «قالوا له : قد بلغنا أنك تقول : إنَّ صَاحِبَكَ أمَرَكَ أنْ تَنزِلَ في أهل اليمن ، وتَتَألَّفَ ربيعةَ ، وتَحْذَر مُضَر ، في كتاب الله هذا؟ أمَا تَعْلَمُ أنَّ نبيَّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان رَجُلاً من مُضَر؟ قال لاهِزُ [بن قُرَيْظٍ التميميُّ] لكم في هذا قَوْلٌ ! فنَظَر إليه أبو مسلمٍ نَظَراً شديداً . فقال سليمانُ بنُ كثيرٍ [الخزاعي] : «لَقَدْ كانَ لكمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ» (الأحزاب : ٢١) ، اخْتَصَّ رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، أهْلَ اليمن لطاعتهم وإيمانهم ، وجَانَبَ قَوْمَهُ وأقْرَبيهِ لكُفْرهم ومَعْصِيَتهم ! فقال أبو مسلمٍ : نعم ، أمَرَني الإمامُ أنْ أنزلَ في أهل اليمن ، وأتألَّفَ ربيعةَ ، ولا أدَعَ نَصِيبي مِنْ صالحي مُضَر ، وأحْذَرَ أكثرَهم من أتباعِ بني أمية ، وأجْمَعَ إليَّ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٤ — ٢٨٥ .

العَجَمَ وأختَصَّهم ، وإنَّما الأعمال بخواتيمِهَا ، قال الله عَزَّ وجَلَّ : « ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الذينَ استُضْعِفُوا في الأَرضِ ونَجْعَلَهمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهمُ الوَارِثين » ، (القصص : ٥) ، ومَنْ أتَانا من مُضَر ، ودَخَلَ في أمْرِنا ، وصَحَّحَ لنا قَبِلْنَاهُ وحَمَلناهُ على رُؤوسنا ، ومَنْ عَانَدَنا استُعَنَّا الله عليه ، وكان الله حَكَماً بيننا وبينه ، فَرَضِيَ قَوْلَهُ مَنْ حَضَر من الشيعة » .

(٨) معارضةُ سليمانَ بن كثيرٍ لأبي مسلمٍ

وبَعْضُ المؤرخين يَرْوي أن سليمان بن كثير الخزاعيّ هو الذي أَبى أَنْ يُسْلِمَ قيادة شيعة بني العباس بخراسان إلى أبي مسلمٍ ، وأنه استكبرَ عليه وصَدَّهُ عن ذلك ، ولم يكترِثْ لكتاب الإمام إبراهيم إليهم بتَرْئيسه عليهم ، وأمْرِهِ لهم بِقَبُولِهِ ومُساندته ، وزعم أنه صَنَعَ ذلك لِصِغَرِ أبي مسلمٍ ، وقِلَّة تجربتِهِ ، وخشيتِهِ أنْ يَعْجزَ عن النُّهوضِ بقيادتهم ، فيَضِيعَ نضالُهُ ونضالُ غيره من النُّقباء سُدًى ، ويهلكوا ، وتُخْفِقَ الدعوة ، ويُقْضَى على شيعتها . فقرَّرَ أبو مسلم أنْ يَرْجعَ إلى الإمام ، ولم يلبث أن سار اليه . ثم قَدِمَ النَّقيبُ خالد بن إبراهيم الرَّبعي إلى مَرْو الشَّاهجان ، فأُخْبِرَ بما حَدَث ، فَجَمَعَ النُّقَباء ،وناقشهم ، وسَوَّغَ تولية الإمام لأبي مسلمٍ عليهم ، ولم يزل يحتجُّ لها حتى حَملهم على القبول بها ، والامْتثالِ لأمرِ الإمام ، فأرسلَ في طَلَبِ أبي مسلم ، فأَدْرِكَ بِقُومَس ، فأُعِيدَ إليهم ، وأسْندوا إليه قيادتهم ، قال ابن جريرٍ الطبري[1] : «قالَ غَيْرُ الذين ذَكَرنا قولهم في أمْرِ أبي مسلمٍ ، وإظهاره الدعوة ، ومَصيره إلى خراسان ، وشُخُوصِهِ عنها ، وعَوْدِهِ إليها بعدَ الشُّخُوصِ قَوْلاً خلافَ قَوْلهم ، والذي قال في ذلك أنَّ إبراهيم الإمام زَوَّجَ أبا مسلمٍ لَمَّا تَوجَّهَ إلى خراسان ابنة أبي النَّجْم[2] ، وساق عنه صَداقَها ، وكتبَ بذلك إلى النُّقباء ، وأمَرهُم بالسَّمْعِ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣١.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧.

والطاعة لأبي مسْلم ، ... ، فقَدِمَ خراسان ، وهو حديثُ السِّنِّ ، فلم يَقْبَلْهُ سليمانُ بن كثيرٍ ، وتَخوَّفَ ألاَّ يَقْوَى على أمْرِهم ، وخاف على نَفْسِهِ وأصحابه ، فَرَدُّوهُ — وأبو داود خالد بن إبراهيم غائبٌ خَلْفَ نهر بَلْخَ — فلما انصرفَ أبو داود ، وقدمَ مَرْوَ أقرأُوهُ كتابَ الإمام إبراهيم ، فسأَلَ عن الرجل الذي وَجَّهَهُ ، فأخبروهُ أنَّ سليمان ابن كثير رَدَّهُ ، فأرسل إلى جميعِ النُّقباء ، فاجتمعوا في منزل عمران بن إسماعيل ، فقال لهم أبو داود : أتاكُمْ كتابُ الإمام فيمن وَجَّهَهُ إليكم ، وأنا غائب فَرَدَدْتموهُ ، فما حُجَّتُكُمْ في رَدِّهِ؟ فقال سليمانُ بن كثيرٍ : لحَداثةِ سنِّه ، وتَخَوُّفاً ألاّ يَقْدِرَ على القيام بهذا الأمْرِ ، فأشْفَقْنا على مَنْ دَعَوْنا إليه وعلى أنفسنا وعلى المُحِبِّينَ لنا . فقال : ... ، فهَلْ أحدٌ منكم إذا رأَى من هذا الأمر إقبالاً ، ورأَى الناسَ له مُجيبينَ ، بَدَا له أنْ يَصْرِفَ ذلك إلى نَفْسِهِ؟ قالوا : اللهم ، لا ، وكيف يكون ذلك؟ قال : لستُ أقولُ لكم : فَعَلْتُمْ ، ولكن الشيطان ربّما نَزَغَ(٢) النَّزْغَةَ فيما يكون وفيما لا يكون . قال : فهل فيكم أحدٌ بدا له أنْ يصرفَ هذا الأمْرَ عن أهل البيتِ إلى غيرهم من عِتْرَةِ النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم؟ قالوا : لا ، قال : أَفَتَشُكُّونَ أنهم مَعْدِنُ العلمِ وأصحابُ ميراثِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم؟ قالوا : لا ، قال : فأراكم قد شككتم في أمْرِهم ، ورَدَدْتُمْ عليهم عِلْمَهُم ، ولو لم يعلموا أنَّ هذا الرجلَ هو الذي ينبغي له أنْ يقومَ بأمرهم لما بَعَثُوهُ إليكم ، وهو لا يُتَّهمُ في مُوَالاتهم ونُصْرتهمْ والقيام بحَقِّهم . فبعثوا إلى أبي مسلمٍ فردُّوهُ من قُومس بقول أبي داود ، وَوَلُّوهُ أمرهم وسَمِعُوا له وأطاعوا . ولم تَزَلْ في نَفْسِ أبي مسْلمٍ على سليمان بن كثيرٍ ، ولم يزل يَعْرِفُهَا لأبي داود » .

والراجحُ أنَّ سليمان بن كثير الخزاعي لم يَفْرَحْ بِقُدوم أبي مسلمٍ والياً عليه ، بل

---

(٢) نزغ : أغرى وأفسد .

استاءَ من ذلك ، وأنكره ، وأخذتْهُ العِزَّةُ بعشيرته وأُسْرته ومَكانَتِهِ وكِفاحِهِ في سبيل الدعوة ، وقيامِهِ برئاسة شيعتها بخراسان زمناً طويلاً ، فاطَّرحَ كتابَ الإمام ، ولم يَعْمَلْ به ، واحْتَقَرَ أبا مُسْلمٍ ، واسْتَنْكَفَ من الخضوع له ، وقد نَصَحَهُ أبو داود خالدابن إبراهيم الرَّبعيُّ أنْ يستجيبَ لأمْرِ الإمام ، وأنْ يُوافقَ على تأميرِ أبي مُسْلمٍ ، فأبي ، قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية [1] : «شَخَصَ أبو مسلمٍ حتى دَخَلَ مَرْو في سنةِ تِسْعٍ وعشرين ومائة ، فنزل على أبي النجم ، واجتمعَ النُّقباءُ ورجالُ الشيعة في منزل سليمان بن كثيرٍ ، فأتاهم أبو مسلمٍ ، فوضَعَ كتاب إبراهيم نُصْبَ أعيُنِهم وقال : هذا كتابُ إمامكم ومَوْلاكم ، فقال سليمان بن كثير : أحْسِبُكَ والله قد جئت بها دُوَيْهِيَّةً صَمَّاءَ [2] ، يا أبا مَنْصُور ، أفْضُضِ الخاتمَ ، واقْرأْ علينا كتاب إمامنا ، وكان أبو منصور طلحة بن رُزَيْق هو الذي يتولَّى قراءةَ كُتبِ الإمام على الشيعة ، ويكْتُبُ الجوابَ بخَطِّه ، فقرأ أبو منصور الكتاب ، فقال سليمان : صَلينا بمكرُوهِ هذا الأمر ، واسْتَشْعَرْنا الخوفَ ، واكْتَحَلْنا السَّهَر ، حتى قُطِّعَتْ فيه الأيدي والأرجل ، وبُرِيَتْ فيه الألْسُنُ حَزًّا بالشِّفار ، وسُمِلَتِ الأعْيُنُ ، وابْتُلينا بأنواع المُثُلاتِ ، وكان الضربُ والحَبْسُ في السجون من أيْسَرِ ما نَزَلَ بنا ، فلما تَنَسَّمنا روحَ الحياة ، وانْفَسَحَتْ أبْصَارنا ، وأيْنَعَتْ ثمارُ غراسنا ، طرأَ علينا هذا المجهولُ الذي لا يُدْرَى أيَّةُ بيضةٍ تَفَلَّقَت عن رأسه ، ولا من أيِّ عِشٍّ دَرَجَ ، والله لقد عَرفْتُ الدعوةَ من قبل أنْ يُخلق هذا في بَطْنِ أمِّه ! ! اكتبْ يا أبا منصور بما تسمعُ إلى الإمام ، فقال أبو منصور : سَمِعْنا وأطَعْنا ، غُفرانك رَبَّنا وإليك المصير ، إنا والله أولُ من سَلَّمَ لأمرِ الإمام ، وسمعَ وأطاع . وتَكَلَّمَ أبو داود خالد بن إبراهيم وغيرُهُ ممن حَضَر ، فقالوا

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٠ .

(٢) صَمَّاء : مُنْسَدَّةٌ شديدةٌ.

لسليمان : يا أبا محمدٍ ، إنْ كنتَ مُؤتمًّا بطاعةِ إمامك ، فقَلِّدْهُ شرائعَ الدِّين ، واسمعْ له وأطعْ فيما وَافقَكَ أو خالفَ هَوَاكَ» .

وذكرَ أنَّ سليمان بن كثيرٍ الخزاعيَّ رَمَى أبا مسلمٍ فَجَرحَ جَبينَهُ ، ورَماهُ بشيرُ بن كثيرٍ الخزاعيُّ أيضاً ، فانْفَضَّ النُّقباءُ وهم مُتَنابذون مُتَنازعون ، يقول[1] : «ولمَّا مَدَّ أبو مسلمٍ يده إلى كتابِ إبراهيم ليأخذه حَذَفَهُ سليمان بن كثير بالدَّواة فَشَجَّهُ ، فسال الدمُ على وَجْهِهِ ، وقذَفَهُ بشيرُ بن كثير أخو سليمان. فقام أبو مسلمٍ عن المجلس ، وهو يقول : أتَقْتُلونَ رجلاً أنْ يقول ربي الله وقد جاءكم بالبَيِّنات مِنْ إمامكم[2] ؟ ونَهَضَ مع أبي مسلمٍ من المجلس ناجية بن أُثيلة الباهلي[3] ، ومحمد بن علوان المروزي ، فَجعلا يغسلان الدمَ عن وَجْهِهِ ، وهو يقول : «لكل نَبإٍ مُسْتَقرٌّ وسوف تَعْلَمُون» (الأنعام : ٦٧) . وشَقَّ محمد بن عُلْوان من أسفل ثيابه عصابةً فعَصَبَ بها رأسَ أبي مسلم. وافترقَ القوم عن مجلسهم مُخْتَلِفينَ» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧١ .

(٢) اقتبس أكثر قوله من الآية ٢٨ من سورة غافر.

(٣) هو من دعاة الدعاة (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٢).

(٩) انقِيادُ سليمانَ بن كثيرٍ لأبي مسلم

ورَوَى مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العباسيّةِ أنَّ النقباءَ كانوا يَسْتَثْقِلُونَ سليمانَ بن كثير الخزاعيَّ وَيَمْقُتُونَهُ ، لأنه كان شديدَ الكِبْرِ والعُجْبِ بنفسه ، فاغتنموا مُخالَفتَهُ للإمام إبراهيم بن محمد ، لِيَعْزِلُوهُ عن قيادَتِهم ، ويَحطُّوا مِنْ قَدْرِهِ بينهم ، فاتَّفقوا على تَوْلِيَةِ أبي مُسلمٍ عليهم ، وأجَلُّوهُ وعَظَّمُوهُ ، فبقيَ سليمانُ وحيداً مَنبوذاً ، فلم يلبثْ أَنْ مال إليهم ، وأذْعَنَ لأبي مسلمٍ صاغراً ، يقول[1] : «كانت النقباءُ تُحِبُّ أَنْ تَضَعَ من أُبَّهَةِ سليمان بن كثير ، وكانَ أَنْ يترأَسَ عليهم أَجْنبيٌّ ليس منهم أَرْوَحَ عليهم ، وأوفقَ لهم ، فاجتمعت الكلمة من الشيعة على تَرْئيسِ أبي مسلم ، وخَذَلُوا سليمانَ بن كثير ، وأفرَدُوهُ ، ومَضَى أبو مسلمٍ من مَجْلِسِهِ ذلك حتى نزل منزلَ أبي داود في قَرْيته من رُبْعِ خرقان ، واجتمعتْ إليه النُّقباءُ والشيعة فبايعوه وَرَأَّسُوهُ ، واضطر سليمان إلى اتِّباعِ إخوانِهِ وأصْحابِهِ ، فَسَمِعَ وأَطاعَ لأبي مُسلمٍ على الكُرْهِ منه ، واستَقَامَتْ لأبي مسلمٍ طاعة الشيعة بخراسان ، وانْقادُوا له» .

وروى مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية أيضاً أنَّ الإمام ابراهيمَ بن محمدٍ كان قد وَطَّنَ نَفْسَهُ على الرُّضُوخِ لسليمان بن كثير الخزاعي إذا امتنعَ عن التَّنازل لأبي مسلمٍ عن رئاسة شيعة بني العباس بخراسان ، وأنه كتبَ بذلك إلى أبي مسلمٍ ، فلما اطَّلعَ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٢ .

سليمان على كتابه صَافَى أبا مسلمٍ ، وأمرَ أعيانَ الشيعة بمدن خراسان بالخضُوعِ له ، يقول(١) : « ثم إنَّ أبا مسلمٍ راجع سليمانَ بن كثيرٍ ، وأعْلَمهُ بما أتاهُ ، وأقرأهُ ما كتبَ به الإمام إليه ، وكان فيما كتب به إليه : إنْ قَبِلَ سليمانُ بن كثيرٍ القيام بأمْرِ الدَّعْوَةِ ، ونَصَبَ نَفْسَهُ لذلك ، فسَلِّمْ له ، وإنْ كَرِهَ قبولَ القيام فلا تَعْصِينَّ لسليمان أمراً ، وقَدِّمْهُ في جميع ما تُدَبِّرون . فلما قَرأَ سليمانُ ذلك قال : إني واللهِ ما كرهتُ القيامَ ألاَّ أكون أضْعَفَ الناس فيه نِيَّةً ، ولكني أخاف اختلافَ أصحابي ، ونحن نُدَاري ما نُداري ، وأنا يَدُكَ وصاحِبُكَ الذي لا يخذُلُكَ ولا يَغُشُّكَ ، ما لم تُخَالِفْنَا وتعملْ ما يُوهِن أمْرَنا . قال أبو مسلمٍ : أحْسِنْ بي الظَنَّ ، فلأَنا أطْوَعُ لك من يَمينك ، قال : فشأنَك ، ابعثْ إلى الدعاة بخراسان فيما حَوْلَكَ فيأتيك مَنْ قَدَرَ على ذلك ، واكتُبْ إلى مَنْ في الكُوَرِ فلْيَتأَهَّبُوا ويستَعِدُّوا . فَبَثَّ أبو مسلمٍ الرُّسُلَ فيما يلي مَرْو ، وكتبَ إلى مَنْ في الكُوَرِ يأمرهم بالاستعداد للمحرم سنة ثلاثين ومائة ، فإن نازعهم أحَدٌ أظهروا أمرَهم ، وحاربوا مَنْ حاربهم . وبعثَ سليمان إلى رؤساء الشيعة ، وسليمان يومئذٍ صاحبهم والمنظورُ إليه منهم ، فخَبَّرهم بما كتب إلى أبي مسلمٍ ، وأن الرَّأيَ ما أُمِرُوا به من نَصْبِهِ لأمْرِهم ، وقال لهم : نَنْصُبهُ ونُدَبِّرُ الأمرَ له ، فذاكَ أرهَبُ عندَ عَدُوِّنَا وأشدُّ لهَيْبَتِهِمْ له وإعْظَامهم أمْرَهُ ، فاتَّسَقُوا واتَّفَقُوا على ذلك » .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٢ .

(١٠) نشاطُ أبي مسلمٍ في نَشْرِ الدعوة

وأقام أبو مسلمٍ عند سليمان بن كثير الخزاعي بقريةِ سَفيذَنْج[١] على مَقْربةٍ من مرو الشاهجان ، واتَّخذَ منها مركزاً له ، واهتمَّ بترسيخ الدَّعْوة وتَنْظيمها ، ونجحَ في ذلك نجاحاً كبيراً ، قال أبو حنيفةَ الدِّينوريُّ يُصَوِّرُ أثرَهُ وفَضْلَهُ في تَوْسيعِ الدَّعْوَةِ وضَبْطِهَا[٢] : «تَشمَّرَ أبو مسلمٍ للدُّعاء ، وأخذَ القومَ بالبَيْعة ، ووَجَّهَ كُلَّ رجلٍ من أصحابهِ إلى ناحية من خراسان ، فكانوا يَدُورونَ بها كُورةً كُورةً ، وبلداً بلَداً ، في زيِّ التُّجَّار . فاتَّبعَهُ عالمٌ من الناس عَظيمٌ ، فَوَاعَدَهُمْ لظُهوره يوماً سَمَّاهُ لهم ، وَوَلَّى على مَنْ بايعه في كل كُورةٍ رَجُلاً من أهْلِهَا ، وتَقَدَّمَ إليهم بالاستعداد للخُروجِ من ذلك اليوم الذي سَمَّاهُ لهم ، حتى أجابَ جميع أرض خراسان : سَهْلُهَا وجَبَلُهَا ، وأقْصَاهَا وأدْناها . وبَلَغَ في ذلك ما لم يَبْلُغْهُ أصحابُهُ من قَبْلِهِ ، واسْتَتَبَّ له الأمرُ على مَحَبَّتِهِ ، وصار من أعظَمِ الناس منزلاً عند شيعته ، حتى كانوا يتحالَفُونَ به فلا يَحْنَثُونَ ، ويَذْكُرُونَهُ فلا يَمَلُّون» ! !

وقالَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ يَصِفُ علُوَّ مكانَتِهِ بين أصحابه ، وفَلاحَهُ في إشاعة

---

(٢) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٥٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٨.

(٣) الأخبار الطوال ص : ٣٤٣.

الدَّعوة بأنحاء خراسان[1] : «سَمِعَت الشيعةُ من النُّقباءِ وغيرهم لأبي مُسْلمٍ ، وأطاعوهُ ، وتَنازَعُوا[2] [قولَهُ] ، وقَبِلُوا ما جاء به ، وبَثَّ الدُّعاةَ في أقطار خراسان ، فدَخَلَ الناسُ أفواجاً ، وكَثروا ، وفَشَتِ الدعاةُ بخراسان كلها» .

وأشار مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية إلى كَثْرةِ الأعاجم من الفلاحين والدَّهاقين[3] الذين أَوَوْا إلى أبي مسلمٍ وَضَوَوْا إليه ، ونَبَّهَ على أنَّ العربَ الذين انْضافُوا إليه كان جُلُّهُمْ من اليمانيَّةِ والرَّبعيةِ ، وأقلُّهم من المُضَرِيَّة ، وأنهم كانوا مُخْتَلِفِي المآربِ ، مُتَبايني المَرَامي ، فكان منهم الصادقُ والمُنافقُ ، يقول[4] : «انْتَشَرَ قولُ أبي مسلمٍ ، وتُحُدِّثَ به ، فسارعت الأعاجمُ وكثيرٌ من أهلِ اليمن وربيعة إلى الدعوة ، من بين مُتَديِّنٍ بذلك ، أو طالبٍ بِذَحْلٍ[5] ، أو مَوْتُورٍ[6] يرجو أنْ يُدْرِكَ بها ثأرَهُ ، وأتاهُ عِدَّةٌ من ذوي البَصائرِ من مُضَر» .

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٢.

(٢) في الأصل : تنازعوا ، ولعل المراد تَنَازَعُوا قَوْلَهُ ، بمعنى تَنَاقَلُوه وتَدَاوَلُوهُ ، من قولهم : تَنَازَعُوا الكأس ، أي : تعَاطَوْهَا وتَجاذَبوها.

(٣) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٢٩.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ .

(٥) الذَّحْل : الثأر.

(٦) الموتور : الذي قُتِلَ له قتيلٌ فلم يُدْرِكْ بدمه.

(١١) إظْهَارُ الدَّعْوةِ بخراسان

وفي سنة تسعٍ وعشرين ومائةٍ كتب الإمامُ إبراهيمُ بن محمدٍ إلى أبي مسلمٍ يأمُرُهُ أنْ يُوافِيَهُ بالمَوْسم ، ليأمُرَهُ أمْرَهُ في إظهار دَعْوتِهِ ، وأنْ يقدم معه بِقَحْطبة بن شبيبٍ الطائي ، ويَحْمِلَ إليه ما اجتمع عندَهُ من الأموال ، وقد كان اجتمع عنده ثلاثمائةِ الفٍ وستون ألفَ درهم ، فاشترى بِعَامَّتها عُرُوضاً من متاع التُّجَّار ، وصَيَّرَ بَقِيَّتها سبائكَ ذهبٍ وفضَّةٍ ، وخبَّأها في الأقبيةِ المَحْشوةِ ، واشترى البِغَالَ ، وخَرَجَ ومعه من النُّقباء قحطبةُ بن شبيبٍ الطَّائي ، والقاسمُ بن مجاشعٍ التَّميميُّ ، وطَلْحةُ ابن رُزَيْق الخزاعيُّ ، ومن الشيعة واحدٌ وأربعون رجلاً ، وارْتَحَلَ من قُرى خزاعة ، وحَمَلَ أثقالَهُ على واحدٍ وعشرين بَغْلاً ، وجَعَلَ على كل بَغْلٍ رَجُلاً من الشيعة بسلاحِهِ ، وأخَذَ المفازةَ ، وعدا عن مَسْلَحةِ نصرِ بن سيارٍ ، حتى انْتَهَوا إلى أَبِيوَرْدَ. فلما كان بِقُومَسَ أتاهُ كتابٌ من الإمام إليه ، وكتابٌ إلى سليمان بن كثير الخزاعيِّ ، وأتاهُ منه لواءٌ ورايةٌ ، وكان في كتاب الإمام إليه : ارْجعْ من حيث يَلْقَاكَ كتابي ، وَوَجِّهْ إليَّ قَحطبَة بما معك يُوافيني به في المَوْسمِ . فانْصرفَ أبو مسلمٍ إلى خراسان ، وجَهَّزَ قحطبة ، ودَفَعَ إليه المالَ الذي كان معه ، والأحمال بما فيها ، ثم أنفذه إلى الإمام[1] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٤ ، ٣٦٢ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٠.

وَقَدِمَ أبو مسلم مَرْوَ الشَّاهجان مُتَنكِّراً ، ونَزَلَ بقرية سَفيذَنْجَ[1] ، ودَفعَ كتابَ الإمام إلى سليمان بن كثيرِ الخزاعي ، وكان فيه أنْ أظْهِرْ دَعْوتَكَ ولا تَرَبَّصْ ، فقد آنَ ذلك . فأخذَ أبو مُسْلمٍ يُرَتِّبُ لإعلان الدَّعْوَةِ والسيطرة على خراسان ، فجمعَ مَنْ بمَرْو الشَّاهجان من النُّقباء والدُّعاة ، واستَنْفَرَ مَنْ قَرُبَ منه أو بَعُدَ منَ الشيعة ، ليتأهَّبُوا لإظهارِ الدَّعْوَةِ في آخر شهر رمضان من سنة تِسْعٍ وعشرين ومائة .

ووجَّهَ إلى طُخَارستان وما دونَ بَلْخَ النَّقيبَ خالدَ بن إبراهيم الرَّبعي ، ومعه النَّقيب عمرو بن أعين الخزاعي ، وإلى مَرْو الرُّوذ النَّضْرَ بن صُبَيْحٍ التميمي ، وشريك بن غُضَيٍّ التميمي ، وهما من مجلس السبعين ، وإلى الطَّالقان عبد الرحمن بن سليم مولى قريش ، وإلى خوارزم أبا الجَهْم بن عطية مولى باهلة من نُظَرَاء النُّقباء ، والعلاء بن حُرَيثٍ الخزاعيَّ من مجلس السبعين ، وإلى أبيوَردَ ونَسَا النَّقيبَ موسى بن كعب التَّميمي ، لإظْهَارِ الدعوة بتلك المدن والنَّواحي والاستيلاء عليها في آخر شهر رمضان من سنة تِسْعٍ وعشرين ومائة ، وأَمَرهُم ألاَّ يشْهَرُوا السيوف ولا يَنْتَضُوها ولا يَرْفَعُوها على أحدٍ إلى ذلك الوقت ، فإن أعْجَلَهُمْ عَدُوُّهُم دُونَ الوَقْتِ ، فَعَرضَ لهم بالأذَى والمكروه فقد حَلَّ لهم أنْ يَدْفَعُوا عن أنفسهم ، وأنْ يظهروا السيوفَ ، ويُجَرِّدُوها من أغْمادها ، ويُجَاهِدوا أعداءَ الله ، ومَنْ شَغَلَهُ منهم عَدُوُّهم عَن الوقتِ فلا حَرَجَ عليهم أنْ يظهروا بعد الوقت . وأتاهُ ظُهورُ أهل الطَّالقان قبلَ قدومِ خالد ابن إبراهيم الرَّبعي وعمرو بن أعينَ الخزاعي عليهم ، فزاد ذلك في قُوَّتِهِ ، وكان ظُهورُ أهل نَسَا والطَّالقان ومَرْو الرُّوذ وآمُل ونواحيها قَريباً بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ[2] .

---

(١) قيل إن أبا مسلم نزل في أول الأمر قرية فنين . (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٧) . ولكن الراجح أنه نزل قرية سفيذنج عند سليمان بن كثير الخزاعي ، فلما ضاقت بالشيعة الذين أتوه بعد إظهار الدعوة تحول عنها إلى قرية الماخوان . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٥٥ ، ٣٦٦) .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٦ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٧ .

فلما كانت ليلة الخميس لخمسٍ بَقينَ من شهرِ رمضان سنة تسعٍ وعشرين ومائةٍ عَقَد أبو مسلمٍ اللواءَ الذي بعثَ به الإمامُ إليه الذي يُدْعَى الظِّلَ على رُمْحٍ طُولُهُ أربعةَ عَشَرَ ذراعاً ، وعَقَدَ الرَّاية التي بَعَثَ بها إليه ، وهي التي تُدْعَى السَّحابَ ، على رُمْحٍ طولُهُ ثلاثةَ عَشَرَ ذراعاً ، وتأويلُ هذين الإسمين : الظِّلِّ والسَّحاب أنَّ السَّحابَ يُطَبِّقُ الأرضَ ، وكذلك دعوةُ بني العباس ، وتأويلُ الظِّلِّ أنَّ الأرضَ لا تَخْلُو من الظِّلِّ أبداً ، وكذلك لا تَخْلُو من خليفةٍ عباسي أَبَدَ الدَّهْرِ ، وكان يَتْلُو : «أُذِن للَّذينَ يُقَاتَلُونَ بأنهم ظُلِمُوا وإنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَديرٌ» (الحج : ٣٩) ، ولَبِسَ السَّوادَ هو وسليمان بن كثير الخزاعي وإخوة سليمان ومواليه ومَنْ كان أجاب الدعوة مِنْ أهلِ سَفِيذَنْجَ ، وأوْقَدُوا النيرانَ ليلَتَهم لشيعتهم من سكان رُبْعِ خرقان ، وكانت العلامة بينهم ، فلما أصْبَحُوا أسْرَعُوا إليه ، وتَجَمَّعُوا له ، وقدم عليه الدُّعاة بمَنْ أجاب الدعوةَ من قُرَى مَرْوِ الشَّاهجان ، فدَخَلُوا معسكَرَهُ يوم السبت ، بعد ظهورِهِ بيومين ، وَرَمَّ حِصْنَ سَفِيذَنْجَ وأَصْلَحَهُ وسَدَّ دُرُوبَهَا[1] .

فلما حَضَرَ العيدُ يومَ الفِطْرِ أمَرَ أبو مُسْلمٍ سليمان بن كثير الخزاعي أنْ يُصَلِّيَ به وبالشيعَةِ ، ونَصَبَ لهُ مِنْبراً في معسكره ، وأمَرَهُ أنْ يُخَالِفَ في ذلك بني أمية ويَعْمَلَ بالسُّنَّة[2] ، فقد أمرَهُ أنْ يَبْدَأَ بالصلاةِ قبل الخطبة بغير أذانٍ ولا إقامةٍ ، وكانت بنو أُمية تبدأُ بالخطبةِ والأذانِ ثم الصلاةِ بالإقامة على صلاة يوم الجمعة ، فيخطبون على المنابر جُلُوساً في الجمعة والأعياد. وأمَرَهُ أنْ يُكَبِّرَ في الركعة الأولى ستَّ تكبيراتٍ تِباعاً ، ثم يقرأ ويركع بالسابعة ، ويكبر في الركعة الثانية خمسَ تكبيراتٍ ، ثم يقرأ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٠ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩١ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٠٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ٣٠.

ويركع بالسادسة ، ويفتحَ الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن . وكانت بنو أمية تُكبِّرُ في الركعَةِ الأولى أربعَ تكبيراتٍ يوم العيد ، وفي الثانية ثلاث تكبيرات . فلما قَضَى سليمان الصلاة والخطبة انصرفَ أبو مسلمٍ والشيعة إلى طعام أعَدَّهُ لهم ، فطَعِموا مُسْتَبْشرين [1] .

وتكاثَفَ من تَتَابَعَ إلى أبي مسلم من الشيعة ، حتى ضاقت سَفِيذَنْجُ بهم ، فأقام بها اثنين وأربعين يوماً ، ثم ارتادَ موضعاً فسيحاً يَسَعُهم ، فأصابَ حاجته بالمَاخُوان ، وهي قرية كبيرةٌ من قرى مَرْوِ الشاهجان ، وهي قرية العلاء بن حُرَيْثٍ الخزاعي ، فتَحوَّلَ إليها ، واحْتَفَرَ بها خندقاً ، فَعَسْكَرَ فيه هو والشيعة [2] ، ويقال : إن أبا سلمة الخَلاَّل كتب إليه : «متى ظَهرْت فلا تَعْدِلَنَّ بأنْ تخندقَ على نَفْسِكَ ومن معك ، فإن ذلك رأيُ الإمام ، وفيه عِزُّك ، وسيَنْزِعُ إليك أعداءُ نَصْرٍ ومن حَارَبَهُ لِيَتعزَّزوا بك ، ودافِعِ الحربَ ما استطعْتَ ، وقَدِّمْ وأخِّرْ ، ولا تُوحِشْ نصراً منكَ إلى دُخُولِ المحرم [3] .

وَوَلَّى أبو مسلمٍ مَالكَ بن الهيثم الخُزَاعيَّ أمر العَسْكَرِ كَهَيْأةِ صاحبِ الشُّرَط ، وجعل نصرَ بن مالك الخُزاعيَّ [4] خَليفَتَهُ يسير بين يَدَي أبي مسلم إذا رَكِبَ . ووَلَّى خالد بن عثمان مولى باهلةَ الحَرَسَ . واستعملَ على الرَّسائل أسلم بن صُبَيْحٍ ، وعلى القَضَاء القاسم بن مجاشع التميمي ، فكان يُصَلِّي به الصلوات في الخندق ، ويَقُصُّ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٠ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٧ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٧ .

(٤) هو من الدعاة . (انظر اخبار الدولة العباسية ص : ٢٢١) .

بعد العصر، ويذكرُ جَوْرَ بني أمية ومعايبهم، وفَضْلَ بني هاشمٍ وحَقَّهم. واستعملَ على الجُنْدِ كامل بن مُظَفَّرٍ مولى باهلة، وأمرَهُ أنْ يَعْرِضَ أهل الخندقِ بأسمائهم وأسماءِ آبائهم فيَنْسِبَهُمْ إلى القُرَى، ويجعل ذلك في دفترٍ، فَفَعل فبَلَغَتْ عِدَّتُهم سبعة آلاف رجل، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكل رجلٍ، ثم أعْطَاهم أرْبعةً أربعةً[1].

قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية[2]: وأمرَ محرز بن إبراهيم الجُوبانيَّ المروزي، وكان عظيم القَدْرِ في الدَّعْوَةِ، شديدَ الاجتهاد في الدُّعاء إليها، مشهوراً بذلك[3]، أنْ يُعَسْكِرَ بقريةٍ يقالُ لها جيرَنْجَ بأعْلَى مَرْو الشاهجان، وفيما يلي طريق مرو الرُّوذ وتلك الكُوَر، ليَأْمَنَ بمكانه مَنْ يأتيهِ من أهل تلك الناحية، ويكون رُسلُهُ ممن بمَرْو الشاهجان عليه. فلم يزل مُحْرِزٌ مقيماً هناك في نَحْوٍ من ألف رَجُلٍ حتى دَخَلَ أبو مسلمٍ الحائطَ بمَرْو الشاهجان، وغلبَ عليها، وعسكرَ بباب سَرَخْسَ فانضمَّ إليه مُحْرِزٌ عند ذاك.

وقال ابنُ جريرٍ الطبري[4]: لما استَقَرَّ بأبي مسلمٍ مُعَسْكَرُهُ بالمَاخوان، أمرَ محرز بن إبراهيم أنْ يُخَنْدِقَ خندقاً بجيرَنْجَ، ويجتمعَ إليه أصحابه ومَنْ نَزَعَ إليه من الشيعة، فيقطعَ مَادَّة نصر بن سيارٍ من مَرْو الرُّوذ، وبَلْخَ وكُورِ طُخارستان، فَفَعلَ ذلك مُحْرِزُ بن إبراهيم، واجتمع له في خَنْدقٍ نحو من ألفِ رجلٍ. فأمر أبو مسلمٍ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٨٠، وانظر ص: ٢٧٩، وتاريخ الطبري ٧: ٣٦٦، والكامل في التاريخ ٥: ٣٦٩.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٧٩.

(٣) هو من مجلس السبعين. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٨).

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٥٨، والكامل في التاريخ ٥: ٣٧٠.

أبا صالحٍ كامل بن مُظَفّرٍ أنْ يُوَجِّهَ رجلاً إلى خندق مُحْرز بن إبرهيم ، لِعَرْضِ مَنْ فيه وإحصائهم في دفترٍ بأسمائهم وأسماء آبائهم وقُراهم . فوجَّهَ أبو صالحٍ حميداً الأزرق لذلك ، وكان كاتباً ، فأحْصَى في خندق مُحْرزٍ ثمانمائة رجلٍ ، وأربعة رجالٍ من أهل الكَفِّ . وكان فيهم من القُوّادِ المعروفين زياد بن سيَّار الأزدي ، وخذام بن عمار الكندي ، وحنيفة بن قَيْسٍ من قرية تُدْعى الشّنْج ، وعَبْدَويهِ بن عبد الكريم من أهل هراة ، وكان يَجْلُبُ الغنم إلى مرو الشاهجان ، وحمزة بن زنيم الباهلي من قرية جُوبان ، وجيلان بن السُّغدي ، وموسى بن صبيح . فلم يزل مُحْرزُ بن إبراهيم مقيماً في خَنْدقه حتى دَخَلَ أبو مسلمٍ حائط مرو الشاهجان ، وعَطَّلَ الخندق بمَاخُوان ، وإلى أنْ عسكر بباب سَرَخْس ، يريد نيسابور ، فضَمّ إليه مُحْرزُ بن ابراهيم أصحابه .(١)

وفَرَّ إلى أبي مسلمٍ بعضُ العبيد ، فَقَبِلَهم ، وأفْتَى بتَحْريرهم ، وقال : «أيُّما عَبْدٍ أتانا راغباً في أمْرِنا قبلناهُ ، وكان له ما لنا وعليه ما علينا» ، واستشار مَنْ معه من رؤساءِ الشيعةِ ووُجُوههم في انضمام العبيد إليهم ، فصَوَّبُوا رأيَهُ فيهم . وانتشر قَوْلُهُ بمرو الشاهجان ، فنزع العبيد إلى خَنْدقه ، وكان مصعبُ بن قيسٍ الحَنفيُّ داعية العبيد ، لم يكن يَدْعُو غيرَهم ، فلما كثروا صَيَّرَ لهم موضعاً في خَنْدَقِهِ على حِدةٍ ، ويقال : بل رَدَّهُمْ عن أنْ يُضامُّوا في خَنْدَقِهِ ، واحْتَفَر لهم خَنْدَقاً بقرية شَوَّالٍ من قرى مَرْو الشاهجان ، ووَلّى الخندقَ داود بن كَرّازٍ الباهلي . واتَّصَلَتْ مراجعةُ مواليهم له فيهم ، فأرادَ أنْ يَرُدَّهم إليهم ، فأتاه قائدُهم فقال : «كيف يرجعون إليهم ، وقد

(١) في الأصل : «بمارسرجس» . وهو خطأ ، والتصحيح من أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٩ ، وانظر معجم البلدان : سَرَخس .

خَالَفُوهم وأسْخَطوهم في حُبِّ آل محمدٍ، قال الله عز وجَلَّ : «النبيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنْفُسِهِم» (الأحزاب : ٦) ، فرجعوا إلى خَنْدَقهم. ولما كثرَ عليه في أمْرِهم وَجَّههم إلى موسى بن كعب [التميمي] ، فكانوا أَوَّلَ جُنْدٍ أمَدَّ به أهْلَ أَبِيَوَرْدَ ونَسا» [1] .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩ .

(١٢) احتلالُ مَرْو الشَّاهجان وإعلانُ الثورة

وجعلَ أبو مسلمٍ يتأتَّى للسيطرة على مَرْوِ الشاهجان، فاستَغَلَّ احتدامَ العَصَبيَّةِ القبليَّةِ واسْتفحالهَا بين اليمانية والرَّبعية وبين المضرية، وكانت قد اشْتَعَلَتْ بينهم سنة ست وعشرين ومائة[١]، وكان نَصْرُ بن سَيَّارٍ الليثي عامل خراسان قد تَوَرَّطَ فيها، وعَجز عن القَضَاء عليها، فإن جُدَيْعَ بن علي الكِرْمانيَّ كان رئيسَ الأزد بخراسان، وكان يَكْرَهُ المُضَرِيَّةَ لأنهم خُصُومُ قَوْمِهِ، وكان يَمْقُتُ نَصْراً لأنه كان يُحَابي المُضَرِيَّةَ، ويُحَكِّمهم في رقاب اليمانية وحُلفائهم من الرَّبعية. وكان الكِرْمانيُّ قد أحْسَنَ إلى نَصْرٍ في ولاية أسد بن عبد الله القَسْري[٢]، فعزله نَصْرٌ عن رئاسة الأزْد، وكان الكرماني يَسْعَى للزعامة بكل الوسائل، حتى قيل فيه[٣]: «لو أنَّ جُدَيْعاً لم يَقْدِرْ على السُّلطان والمُلْكِ إلاّ بالنَّصْرانيَّة واليَهوديَّةِ لتنصَّرَ وتهود»! وكان يَبْغَضُ بني أُميّة، لأنهم قَتَلُوا يزيد بن المُهَلَّبِ وإخوته، وهم أبناءُ قبيلتِهِ وسَادَتُهَا، وكان يقول[٤]: «كانت غَايَتِي في طَاعَةِ بَني مَرْوان أنْ يُقَلَّدَ وَلَدي السيوف، فأطلب

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص: ١٣٣ — ١٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٢٨٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٠٤، والعيون والحدائق ٣: ١٨٦.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٢٨٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٠٤.

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٢٨٧.

بثأر بني المهلب ، مع ما لَقينا من نصْرٍ وجَفَائِهِ وطُولِ حرمانِهِ ومكافأتِهِ إيانا بما كان مِنْ صَنيعِ أسَدٍ إليه » ! ! فَحَبَسهُ نَصْرٌ، ثمَّ هربَ من حَبْسِهِ ، وطالَ الخلافُ بينهما ، ثم انهما اقْتَتَلَا ، فاغتَنَمَ أبو مسلم اقْتِتَالَهُما ، ووَجَدَ فيه فُسْحَةً يَتَدبَّرُ فيها أمْرَهُ ويُقوّي أنصاره ، وكان يقول[1] : « إذا التَقَى الكرمانيُّ ونَصْرُ بن سيارٍ للقتال اللهم أفْرغْ عليهما الصَّبْرَ ، وانْزِعْ عنهما النصر » ! ! ولم يلبث الكرمانيُّ أنْ استولَى على مَرْو الشَّاهجان[2] فتَنحَّى عنها نَصْرٌ إلى نيسابور ، وخلصت لليمانية . ثم إنَّ نَصْراً جَدَّ في استرداد المدينة من أيدي اليمانية ، فوَجَّهَ إليها صَفْوَةَ جُنْدِهِ وخيرةَ قُوَّادِهِ من المُضَرِيَّة ، فاقْتَحَموا جزءاً منها ، وغَلَبُوا عليه ، ولكنهم لم يتمكَّنوا من استعادة الأجزاء الأخرى[3] وصَمَدَ كل فريقٍ منهم للآخر ، وناجَزَهُ وجَالده مراراً ، دون أن يستطيعَ له قَهْراً .

وكان الكرمانيُّ لا يكْرَهُ أمر أبي مسلمٍ ، لأنه دَعَا إلى خَلْعِ مروان ابن محمد[4] ، فبعث إليه أبو مسلمٍ إني معك ، فَقَبِلَ ذلك الكرمانيُّ ، وانضم إليه أبو مسلمٍ[5] ، وذكر اليعقوبي أنه قال له[6] : « ادْعُ إلى آل محمدٍ ، وجَعَلَ يُمَايِلُ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٤٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٧ : ٣٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٣ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٥.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٣.

أصْحَابَهُ، ويَدْعُوهُمْ إلى ذلك، حتى أظْهَرُوا دعوةَ بني هاشمٍ بخراسان»، وقال[1]: «كان أبو مسلمٍ الغالبَ على أمْرِ الكِرْماني».

وشَقَّ انضمامُ أبي مسلمٍ إلى الكرمانيِّ على نَصْرٍ، واشتدَّ عليه، وأيْقَنَ بالهَزيمة والهَلكةِ إنْ لم يُبَاعِدْ بينهما، فأرسلَ إلى الكرْماني يُخَوِّفُهُ أبا مسلمٍ وشيعَتَهُ، وأنه لن يَسْلَمَ من أذاهم وشرِّهم، ولن يَنْجُوَ من مَكْرِهم وغَدْرِهِم، وروى ابن جرير الطبري أنه دَعَاه إلى المُوادَعةِ، وأنْ يَكْتُبَا بينهما كتاباً بالصُّلْحْ، وهو يريدُ أنْ يُفَرِّقَ بينه وبين أبي مسلمٍ[2]، وذكر أبو حنيفة الدِّينوري أنه كَتَبَ إلى الكرماني يسألُه الرُّجوع إليه على أنْ يَعْتَزِلَا، ويُوَلِّيا الأمرَ رجلاً من ربيعة يَرْضَيانه، وهو الأمر الذي سأله إياه[3]». فخرج الكرمانيُّ إلى نَصْرٍ، فأبْصَرَ منه غِرَّةً، فوجَّهَ إليه ابن الحارث ابن سُرَيْحٍ التميمي في ثلاثمائة فارسٍ، فكَمَنُوا له، فلمَّا حَاذَاهم، وهو غافلٌ عنهم، حَمَلُوا عليه فقَتَلُوه، وصَلَبه نَصْرٌ[4].

ويقال إن الإمام إبراهيمَ بن محمدٍ كَتَبَ إلى أبي مسلمٍ يَلْعَنُهُ ويَسُبُّهُ، حيثُ لم يَنتَهِزِ الفُرْصَةَ من نصْرٍ والكِرْماني إذ أمْكَناه[5].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧١، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٥.

(٣) الأخبار الطوال ص : ٣٦٢.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٩، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١، والأخبار الطوال ص : ٣٦٢، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧١، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٦، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٥، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٥، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٢.

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٩٢، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠، وتاريخ الموصل ص : ١٠٧، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٣.

وفي بعض الروايات أنَّ عليّ بن جُدَيْعٍ الكرماني انحازَ بعدَ مَقتَلِ أبيه إلى أبي مسلم ، واستَعداهُ على نَصْرٍ ، واستَظْهَرَ به عليه ، قال أبو حنيفة الدينوري[1] : «لما قُتِلَ الكِرْمانيُّ مَضَى ابنه عليٌّ من خَندَقِهِ إلى أبي مسلمٍ ، فسأله أن يطلبَ له بثأر أبيه» . وروى اليعقوبيُّ أن أبا مسلمٍ غلب على عسكر الكِرْماني بعد اغتياله[2] .

وفي أكثر الرِّوايات أنَّ أبا مسلمٍ هو الذي سَعَى إلى عليٍّ بن جُديعٍ الكِرْماني ، فَحالَفَهُ واعترَفَ له بالزَّعامة ، وتعَهَّدَ بمُساعَدَتِهِ على نَصْرٍ ، قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسيّة[3] : «بعثَ أبو مسلمٍ أسلمَ بن أبي سَلاَّم البَجَلي[4] إلى علي بن الكِرْماني يَعْرِضُ عليه أمرَهُ ودَعوَتَهُ ، ويُعلِمُهُ أنه مُؤَمِّرُهُ على نَفسِهِ ومجاهِدٌ معه مَنْ خالَفَهُ ، وأنَّ الإمام قد أمَرَهُ بذلك» . وذكر البلاذريُّ أن أبا مسلمٍ انتَهَزَ انضمامَهُ إلى ابن الكِرْماني ، فَمَكَّنَ لنفسه وشيعَتِهِ ، وَوَسَّعَ نِطاقَ دَعوَتِهِ ، يقول[5] : «مال أبو مسلمٍ فيما أظْهَرَ إلى ابن الكرماني ، وسَلَّمَ عليه بالإمرَةِ ، وقال له : قد قَوِيَ أمْرُكَ ، وَوَهَنَ أمرُ نَصْرٍ ، فابْعَثْ عُمَّالَكَ إلى النَّواحي ، فكان يَبعَثُ بالرَّجُلِ إلى الناحية في جماعةٍ ، ويبعثُ أبو مسلمٍ إليها بأضْعافها ، فَيَدْعُونَ إلى الرِّضا من آل محمد.

فَقَوِيَ أمرُ أبي مسلم ، وضَعُفَ أمرُ نَصرٍ ، فاستَمَدَّ يزيد بن عمر بن هبيرة

---

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٦٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٨.

(٤) ذكر ابن جرير الطبري أنه أسْلم بن سَلاَّم أبو سلام، وأنه من النقباء. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠) . ولم يُورِدْ ابن جرير الطبري اسمه في النُّقباء حين أحصاهم من قبل . (انظر تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣).

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٠.

الفزاريّ عامل العراق ، ووصف له في أبياتٍ من شِعرِهِ ظُهورَ المُسَوِّدَة بخراسان في العامين الماضِيَيْنِ ، وحَذَّرَهُ خطَرَهُم ، يقول[1] :

أَبْلِغْ يزيدَ وخيرُ القَولِ أَصْدَقُهُ وقد تَبَيَّنْتُ أَلاَّ خيرَ في الكَذِبِ
أَنَّ خراسانَ أرضٌ قد رأيتُ بها بَيْضاً لو أَفْرَخَ قد حُدِّثْتَ بالعَجَبِ
فِراخُ عَامَيْنِ إلاَّ أنها كَبِرَتْ لَمَّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ[2]
فإنْ يَطِرْنَ ولم يُحْتَلْ لهنَّ بها يُلْهِبْنَ نِيرانَ حَرْبٍ أَيَّما لَهَبِ[3]

وكان يزيد مشغولاً بمحاربة الخوارج[4] ، فقال[5] : «لا غَلَبَةَ إلاَّ بِكَثْرَةٍ ، وليسَ عندي رَجُل» ، وكان مُبغضاً له ، مُستثقلاً لوِلايَتِهِ خراسان»[6] ، وكان يَودُّ أن يستعملَ عليها رجلاً من قَيْسٍ[7] .

فكتبَ نصرٌ إلى مروان بن محمد يَستَنجِدُهُ ، ويُعلِمُهُ حال أبي مسلمٍ وخُروجَهُ ، وكثْرَةَ مَنْ معه ومَنْ تَبِعَهُ ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمدٍ . وصَوَّرَ له في أبياتٍ من

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٣ .

(٢) سربلن : اكْتَسَيْن . الزغب : أول ما يبدو من ريش الفرخ .

(٣) زعم أبو حنيفة الدينوري أنَّ نصراً بعث بتلك الأبيات إلى مروان بن محمد ، ورَوى معها بيتين آخرين يَدُلّانِ على ذلك . (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٦٠) .

(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٥٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠ ، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦ .

(٦) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٤ .

(٧) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٥٦ ، ١٩٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٢ .

شعره سوءَ الأمرِ بخُراسان ، وخَوّفَهُ انهيارَ دولة بني أميّة ، وزوالَ سلطانِهم ، وحَثَّهُ على أن يسارعَ إلى القَضاء على شيعةِ بني العباس ، يقول [(١)] :

أرَى بَيْنَ الرَّمادِ وَميضَ جَمْرٍ فَيُوشِكُ أنْ يكونَ له ضِرامُ
فإنَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذكى وإنَّ الحَرْبَ مَبْدَؤُها الكلامُ
فَإنْ لم تُطْفِئوها تَجْنِ حَرْباً مُشَمِّرَةً يَشيبُ لها الغُلامُ
فَقُلتُ مِنَ التَّعَجُّبِ ليتَ شِعْري أأَيْقاظٌ أمَيَّةُ أمْ نِيامُ
فإن يقظت فذاك بقاءُ مُلْكٍ وإنْ رَقَدَتْ فإنِّي لا أُلامُ
فَإنْ يَكُ أصْبَحوا وثَوَوْا نِياماً فَقُلْ قُومُوا فَقَدْ حانَ القِيامُ
فَفُرِّي عن رِحالِكِ ثُمَّ قولي عَلَى الإسلامِ والعَرَبِ السَّلامُ [(٢)]

فيقال : إنه نصح له أن يعتَمِدَ على مَنْ عِندَهُ مِنَ الجنود ، إذ كَتبَ إليه [(٣)] : « الشاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائب ، فاحْسِمِ الثُؤْلُولَ [(٤)] قِبلَك » . ويقال : بل كَتَبَ إلى يزيد بن عمر بن هُبَيرَةَ الفزاريِّ [(٥)] : « يأمُرُهُ أنْ ينتخبَ من جنودِهِ اثني عشر ألفَ

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠١ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٥٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١٠٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٥ ، والأغاني ٧ : ٥٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٨ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٥ ، والحماسة البصرية ١ : ١٠٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣ : ١١٧ .

(٢) فري عن رِحالك : ابحثي عنها وانظري اليها .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١٠٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٢ .

(٤) الثؤلول : الخراج ، أو الحبة تظهر في الجلد كالحِمَّصة فما دونها .

(٥) الأخبار الطوال ص : ٣٦٠ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦١ .

رَجُلٍ ، مع فَرْضٍ يَفرِضُهُ من عَرَب الكوفة والبصرة ، ويُوَلِّي عليهم رجلاً حازماً يَرْضى عَقْلَهُ وإقدامَهُ ، ويُوَجِّهَ بهم إلى نصر بن سيّار » ، فاعتذرَ له ، وكتبَ إليه : « إنَّ مَنْ معه مِنَ الجنود لا يَفُونَ باثني عشرَ ألفاً ، ويُعلِمُهُ أنَّ فَرْضَ الشام أفضَلُ من فَرْضِ العراق ، لأنَّ عرب العراق ليست لهم نصيحةٌ للخلفاء من بني أميّة ، وفي قلوبهم إحَنٌ » .

وأشار اليعقوبي إلى أنَّ مروان بن محمد أمرَ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أنْ يُمِدَّ نصراً ، فَقَعَدَ يزيد عن إغاثَتِهِ ، وزاد أنَّ مروان كَتَبَ إلى يزيد يَتَوَعَّدُه ، « فوجَّهَ بابنه داود بن يزيد في جيشٍ عظيمٍ ، فيه عامر بن ضُبَّارَةَ المريُّ ، والجُوَيْرِيَةُ ابن إسماعيل ، ونُباتَةُ بن حَنْظَلَةَ الكلابي . وكان داود بن يزيد بن عمر حَدَثَ السِّنِّ ، فكتبَ مروان إلى ابن هُبيرة يُنْكِرُ عَقدَهُ لابنه داود لِحداثَةِ سِنِّهِ ، ويأمُرُهُ أن يُنفِذَ إليه من يَحُلُّ لواءَه ، ويعقدُ لعامر بن ضبارة المُرِّي على الجيش . فَفَعَلَ ابن هبيرة ذلك ، ونفذ الجيش ، وعلى المُقَدِّمَة نُباتَة بن حَنظَلَةَ الكلابي »(١) .

وذكرَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسيّة أنَّ الغَوْثَ تأَخَّرَ عن نَصْرٍ ، فكتب إلى مروان بن محمد كتاباً آخر يُخْبِرُهُ « أَنَّ مَنْ ظَهَرَ قِبَلَنا لو كانت هِمَّتُهُم خراسان وَحْدَها لَهانَتْ شَوكَتُهم ، ولكنهم يُريدون الغايةَ الكبرى من التَّملكِ على الآفاقِ في جميعِ بلادِ المسلمين ، وأنَّ أكثرَ ما يَحاضُّونَ عليه الطَّلَبُ بِثأرِ آل محمدٍ من بني أمية ، يتذاكرون ذلك في أحاديثهم ، ويَدْعون به إذا قَضَوْا صَلاتَهم »(٢) . فأجابَهُ أنه كتبَ إلى ابن هبيرة أنْ يبعثَ إليه عامر بن ضُبارةَ المريَّ ، ونُباتةَ بن حَنظلةَ الكلابي ، وأنهما قد سارَا إليه ، بعد أنْ حاربَ أولُهما عبدَ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤١ ، وقارن بما وَرَدَ في أنساب الأشراف ٣ : ١٣٦ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٥ .

طالب بفارس، وهَزَمَهُ، وشيبانَ بن سَلَمَة اليشكري الحروريَّ بِكِرْمان، وانتصَرَ عليه، وبعد أن واقَعَ ثانيهما سليمانَ بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفْرَةَ، والِيَ الأهواز لعبد الله بن معاوية، وظَفِرَ به. وقال له: «كتبتُ إلى ابن هبيرة آمُرُهُ باستحثاثِهِما باللُّحوقِ بك، ودخولِ خراسانَ عليك فيمن معهما من خُيولِ أمير المؤمنين من ناحية الطَّبَسيْنِ، وناحية سجستان، فكأنك بخيولِ أمير المؤمنين قد وَرَدَتْ عليك بأحسن عُدَّةٍ، وأكثر عَدَد، فَثِقْ بالله، وتَوَقَّعِ الأمْدادَ والقُوَّةَ، فكأن قد غَشِيَتْكَ [1].

وأحاطَ البلاذري بذلك، وفَصَّلَ القَوْلَ فيه، ورَوَى أن مُجالدةَ عامر بن ضُبارة المريِّ، ونُباتَة بن حَنظَلَة الكلابيِّ لعبد الله بن معاوية الطَّالبيِّ، وشيبانَ بن سَلَمَة اليشكريِّ الحَروريِّ، وسليمان بن حبيبٍ المُهَلَّبي استغرقت وَقتاً طويلاً، حتى دخلت سنة ثلاثين ومائة. وكانَ جيشُ الثورة العباسية قد اندَفَعَ من خراسان إلى العراق، يَقودُهُ قحطبة بن شبيب الطَّائي، فبلغَ عامرُ ابن ضُبارةَ المريُّ أصبهان، ولم يُجاوِزْها، فَتَصَدَّى له قحطبةُ، وقَتَلَهُ بها، وصارَ نُباتَةُ بن حَنظَلَة الكلابيُّ إلى جُرجانَ، ولم يَفصِلْ منها، فلاقاه قحطبةُ، وصَرَعَهُ فيها [2].

وأقامَ نَصْرٌ ينتظرُ الأمدادَ أن تأتيه، وقد اتصلَ خروجُ اليمانيّةِ والربعيّةِ عليه، وعَظُمَ قِتالُهُم له، واشتدّت شوكةُ أبي مسلمٍ ومن اجتمع إليه من شيعةِ بني العباس، وتفاقَمَ كيدُهم له، وطَمَعهم فيه، إلاَّ المضريةَ فإنهم ظَلُّوا يَلوذونَ به، ويَذُودونَ عنه، فازداد ضَعفاً إلى ضَعْفٍ، وعَجزاً إلى عَجْزٍ، فأخذَ يُخاطِبُ العرَبَ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٠٦.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٣٥ — ١٣٧، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٣، وتاريخ خليفة بن خياط ٢: ٥٩١، ٦٠٠، وتاريخ الطبري ٧: ٣٩١، ٤٠٥، وتاريخ الموصل ص: ١١٦، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٧، ٣٩٣، والبداية والنهاية ١٠: ٣٧، ٣٨.

بِمَرْو الشَّاهجان بشعره ، مُستثيراً عواطفَهم القوميةَ والدينية ، ومُستَنْهِضاً هِمَمَهم وعزائِمَهم ، وَدَاعياً لهم إلى التَّوادُعِ والتَّضامن ، فقد حَضَّ الربعية على الانفصال عن اليمانية ، والتَّحلُّلِ من محالفتهم ومُناصرتِهم ، وناشَدَهم أنْ يَنهوهُمْ عن مُحاربَةِ المُضَريَّةِ ، وحَثَّهم جميعاً أنْ يتآلفوا وَيتَّحِدُوا ، حتى يتفرَّغُوا لمجاهدةِ أبي مسلمٍ ، ويتمكّنوا من الفتكِ به ، والتَّخلُّصِ منه ، فإنه عَدُوُّهم اللدودُ الذي يتربّصُ بهم ، ويَتَحَيَّنُ الفُرَصَ للقضاء عليهم ، وحَذَّرَهُم شيعَتَهُ ، فَوَصَفَهم بأنهم أخلاطٌ من الناسِ ، لا أصولَ لهم ، ولا ذِمَمَ عندَهم ، فهم غُرباءُ مجهولونَ ، ودُخلاءُ مَغمورون ، لا يَنتَمونَ إلى العرب المَذكورينَ ، ولا إلى المَوالي المَعروفين ، واتَّهمهم بأنهم ليسوا منَ المسلمين ولا من الكِتابيِّين ، فهم يَعتَنِقون نِحْلَةً مخالفةً لكل الأديان ، وزعمَ أنَّهم يَبتَغُونَ إبادةَ العَرَب واستِعبادَهم ، ويَرُومُونَ سَبْيَ نسائهم ، وهَتْكَ أعْراضِهم ، وانْتِهاكَ حُرُماتِهم ، يقول(١) :

أَبْلِغْ ربيعةَ في مَرْوٍ وإخوَتَهمْ فَلْيَغضَبُوا قبلَ أنْ لا يَنفَعُ الغَضَبُ
وَلْيَنصِبُوا الحربَ إنَّ القومَ قد نَصَبُوا حَرْباً يُحَرَّقُ في حَافاتِها الحَطَبُ
ما بالُكُم تَلْقِحُونَ الحَرْبَ بينَكُمُ كأنَّ أهْلَ الحِجَا عن فِعلِكُمْ غُيَّبُ(٢)
وتَترُكُونَ عَدُوّاً قد أحاطَ بكُمْ فِيمَنْ تأشَّبَ لا دينٌ ولا حَسَبُ(٣)
لا عَرَبٌ مِثْلُكُمْ في الناسِ نَعْرِفُهُمْ ولا صَرِيحَ مَوالٍ إنْ هُمُ نُسِبُوا

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣١٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٨ ، وكتاب الفتوح المخطوط ، لابن أعثم ٢ : ٢٢٠ ظ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٧ .

(٢) الحجا : العقل والفطنة .

(٣) فيمن تأشب : أي اجتمع إليه والتفَّ عليه من اخلاط الناس . وفي أكثر الأصول : «مِمَّن» والتصحيح من اللسان : أشب .

مَنْ كان يَسألُني عن أصلِ دينِهم ... فإنَّ دِينَهُمُ أنْ تَهلِكَ العَرَبُ
قَوْمٌ يَدينونَ ديناً ما سَمِعْتُ به ... عن النبيِّ ولا جاءَتْ بهِ الكُتُبُ
ويَقسِمَ الخُمْسَ من أموالِكُم أُسَراً ... من العُلوجِ ولا يبقى لكم نَشَبُ(١)
ويَنْكِحُوا فيكمُ قَسْراً بَنَاتِكُمُ ... لو كانَ قَوْمِيَ أحراراً لقد غَضِبُوا(٢)
ذَرُوا التَّفَرُّقَ والأحقادَ واجْتَمِعُوا ... لِيُوصَلَ الحَبْلُ والأصهارُ والنَّسَبُ(٣)
إنْ تُبْعِدُوا الأزْدَ مِنّا لا نُقَرِّبُها ... أو تَدْنُ نَحْمَدْهُمْ يوماً إذا اقْتَرَبُوا
أَتَخذِلُونَ إذا احْتَجْنا وَنَنصُرُهُمْ ... لَبِئْسَ واللهِ ما ظَنُّوا وما حَسِبُوا

ولكن الرَّبعيّةَ لم يَعبَأوا بنداءِ نَصْرٍ في أولِ الأمرِ، ولم يُبالوا بدعوتِهِ، ولم يَكترِثُوا لتَحْذيرِهِ، بل مَضوا يَتَشبَّثونَ بمحالفتهم اليمانية، واستمروا يُسانِدُونَ ابن الكِرماني ويُعينونَهُ، ويُقاتِلونَ المُضَرِيَّةَ معه.

فعاد نَصْرٌ إلى رَمْيِ أبي مسلمٍ وشيعةِ بني العباس بالكُفْرِ، وألحَّ على القَدْحِ في عقيدتهم، ولجَّ في التشهير بغاياتهم، يريد أنْ يُبَغِّضَهُم إلى الناس، ويُكَرِّهَهم إليهم، ويَحْمِلَهُم على الطَّعْنِ فيهم، ويدفعَهُم إلى مُكافَحَتِهم، ويُحَمِّسَهُم على محارَبتهم. فجعل يَقْذِفُهم بأنهم وثَنِيُّونَ مُشركون، وأنهم يؤمنون بالمانَوِيَّةِ والمَجوسيَّةِ وغيرهما من المِلَلِ الفارسية القديمة، وراح يشيع في أصحابِهِ أنهم يقصدون إلى نَسْفِ قواعِدِ الإسلامِ، وهَدْمِ دعائِمِهِ، وتحطيمِ أركانِهِ، وطَمْسِ مَعالِمِهِ، واستِئصالِ آثارِهِ، وأنهم يَستَهْدِفُونَ لِتَقويضِ سلطانِ العَرَبِ، وتَمزيقِ قبائلهم، وقَتْلِ رجالهم، واستِرقاقِ أبنائهم، وأَسْرِ بناتِهم. ولم يَزَلْ يذيعُ ذلك فيهم، ويُزَيِّنُهُ

(١) العلج: الرجل من كفار العَجم. والنَّشَب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

(٢) تفرد ابن أعثم برواية هذا البيت والبيت الذي سبقه.

(٣) تفرد مصنف أخبار الدولة العباسية برواية الأبيات الثلاثة الأخيرة.

لهم ، حتى اغْتَرَّ بعضُهُم بأقوالِهِ ، وخُدِعُوا بأباطيلِهِ ، فَظَنُّوا أنَّ أبا مسلمٍ ومَنْ أَحاطَ به من شيعةِ بني العباس مَارِقُونَ من الدين ، يُسِرُّون الكُفْرَ ، ويُظهِرُون الإسلامَ ، ولا يَعبُدُونَ الله ولا يُقيمونَ الصلاة[1] !

ثم بعثَ إلى القُرّاء والفُقهاء والأتقياءِ الذين اعتزَلُوا الحَرْبَ ، وكَفَّرُوا مَنْ شاركَ فيها ، فَجَمَعَهم وقال لهم[2] : « إنكم كَرِهتُم مُشاهَدَتَنا في حَرْبِنَا هذه ، وزعمتُم أنها فِتْنَةٌ القاتلُ والمقتولُ فيها في النار ، فلم نَرْدُدْ عليكم رأيكم في ذلك ، وهذا حَدَثٌ قد ظَهَرَ بِحَضرَتِكم : هذه المُسَوِّدَة ، وهي تدعو إلى غيرِ مِلَّتِنا ، وقد أَظْهَرُوا غير سُنَّتِنا ، وليسوا من أهْلِ قِبْلَتِنا ، يعبدون السَّنانيرَ ، ويعبدُون الرُّؤُوسَ ، عُلُوجٌ ، وأغتامٌ[3] ، وعبيدٌ ، وسُقَّاطُ العَرَبِ والموالي ، فَهَلُمُّوا فَلْنَتعاوَنْ على إطفاءِ نائرتهم[4] وقمعِ ضَلالَتِهم . ولكم أنْ نَعمَلَ بما في كتابِ الله ، وسُنَّةِ نبيِّهِ ، وسُنَّةِ العُمَرَيْن بعدَهُ ، فأجابوهُ إلى مُظاهرَتِهِ على حَرْب أبي مسلم ، والجِدِّ معه في ذلك » .

وبلغَ أبا مسلمٍ تَشنيعُ نصرٍ على دعوةِ بني العباس وشيعَتِهم ، واجتماعُ المُتَديِّنين والمُتَنَسِّكينَ على قِتَالِهِ ، فاغْتَمَّ بذلك ، واهتمَّ له ، واستشارَ النقباءَ وكبارَ الدُّعاة في نَقْضِهِ والتَّخلُّصِ منه ، فاتَّفَقُوا على أنْ يُعلِنوا مبادئهم ، ويُبايعوا هم وشيعتُهم سليمانَ بن كثير الخزاعي عليها ، وكانت مبادِئُهم العمل بالكتاب والسُّنة ، وتحقيقَ العَدْلِ ، ورَفْعَ الظُّلم ، والمساواةَ بين المسلمين ، وإنصافَ المُستَضعَفين ، والبَيعَةَ للرِّضا من آل محمد ، ثم أعلنوا مبادئهم في مُعَسكَرِهم ، وأخذوا البيعةَ عليها من شيعَتِهم . فَنَفَوا

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ ، وانظر ص : ٣٢٤ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩٠ .

(٣) الأغتام : جمع أغتم ، وهو الذي لا يفصح ، أي العجمي .

(٤) النائرة : الفتنةُ والشر والشحناء والعداوة .

أراجيفَ نَصْرٍ عن دعوتهم ، ونَجوا من تَدبيرِهِ للإيقاع بهم ، وأزالُوا الشُّبهاتِ عن أنفسهم ، وكَفَّ مَنْ فُتِنُوا بأضاليل نَصرٍ عن الشَّكِ فيهم ، والتَّعرُّضِ لهم ، وأخذ الناسُ يُقبلونَ عليهم ، ويَنْضمُّونَ إليهم ، قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية[1] : «أصبحَ أهلُ الخندق قد اجتمعوا بباب أبي مسلمٍ ، فخرَجَ إليهم فقال : يا معشرَ المسلمين ، بَلَغَنا أنَّ نصرَ بن سيّارٍ جمعَ قوماً فَخَبَّرَهُم بأنكم على غير دين المسلمين ، وأنكم تَستَحِلُّونَ المحارمَ ، ولا تعملون بكتاب الله ، ولا سُنَّةِ نبيِّه ، صلى الله عليه وسلم . يريدُ بذلك لِيُطفىءَ نورَكُم ، ويُؤَلِّبَ عليكم الناس . وقد كان الإمامُ أمرَنَا وتوالَتْ كُتُبُه إلينا بأنْ نَدْعُوَ الناس إلى كتابِ الله ، وسُنَّةِ نبيِّه ، والعملِ بذلك ، وإظهارِ العَدْلِ ، وإنكارِ الجَوْرِ ، ودَفْعِ الظُّلمِ عن الضُّعفاء ، وأخذِ الحقِّ من الأقوياء ، خُذْ بَيْعَتي يا أبا محمدٍ ، يقول ذلك لسليمان بن كثير . فأخَذَ بيعَتَهُ سليمانُ ، وقال : عليك عَهْدُ الله وميثاقُهُ لِتَفِيَنَّ بما أعْطَيْتَ من نفسك ، قال : نعم . ثم تتابَعَ الناس على ذلك ، بُدِىءَ فيه بِذَوي القَدَم[2] من النُّقباء وغيرهم ، ثم الوُجُوهِ ، ثم العامَّة ، حتى لم يَبْقَ أحَدٌ إلاَّ بايَعَ ، واضطرَبَ الصوتُ به ، وخرَجَتْ به الأخبارُ ، وتحدَّثَتْ به العامة . وانصرَفَ إلى نَصْرٍ جواسيسُهُ فأخبروهُ بالذي كان ، فأسْقِطَ في يَدَيْهِ ، وأمسَكَ عن أبي مسلمٍ مَنْ كانَ قَبِلَ قولَ نصرٍ ، وقالوا : هؤلاء أوْلى بالإجابَةِ ، إذ دَعَوا إلى كتابِ الله ، وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ، صلى الله عليه وسلَّم ، من نصرٍ . فانتَقَضَ على نَصْرٍ ما كانَ أبرَمَهُ لأهلِ الدَّعوةِ ، ودَخَلَ الوَهَنُ عليه فيما كادَهم به ، وزاد في بصائر القوم ، وحَرَّكَ ذلك مَنْ كان مُمْسكاً عنهم بالنُّزوع إليهم ، والاستِبصارِ في أمورِهم» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩٢ .

(٢) ذوي القَدَم : الذين لهم سابقةٌ وقُدْمَةٌ في الدعوة .

فَقَوِيَ أبو مسلمٍ من بعد ضَعْفٍ، وكَثُر شيعَتُهُ، وتَكاثَفَ جَمعُهُ، فَجَدَّ في التَّدبيرِ لاحْتِلالِ مَرْو الشَّاهجان.

وفي سنة تسعٍ وعشرين ومائة نفسها أدرَكَ الرَّبعيةُ أنهم لم يَجْنُوا شيئاً من مُظاهرَتِهم اليمانيّة، ومُحارَبَتِهم المُضَريَّةَ أربعَ سنواتٍ مُتَّصلاتٍ، فإنَّ مكانَتَهم لم تَتعزَّزْ، بل انحَطَّتْ وتَرَدَّتْ، ومَنافِعهم لم تَتَضاعَفْ، بل نَقَصَتْ وانْقَطَعَتْ، وتَبَدَّى لهم أنَّ أبا مسلمٍ هو الذي استفادَ من تَنابُذِ قبائلِ العرب بخراسان، وتَناحُرِها على السُّلطان، وأنه أصبح شرّاً كبيراً، يُهَدِّدُ حياتَها وَوُجودَها، ويُنْذرُ بِهَلاكِها وفَنائِها.

وقد حَرَمَ بنو أمية الربعيةَ ولايةَ خراسان، ولم يَستَعمِلُوا عليها أحداً منهم، لأنهم كانوا يَستَغِشُّونهم ولا يَستَنصِحونَهم، ويَخافُونَهم ولا يَأْمَنونَهُم، فإنهم كانوا يُنافِسونَ المُضَريَّةَ، ويَحْقِدُونَ عليهم، وكان هشام بن عبد الملك يُرَدِّدُ أنَّهم لا يصلحون للإمارة، إذ كان يقول[1]: «إنَّ ربيعةَ لا تُسَدُّ بها الثُّغور»، فجعلوا وِلايَتَها للمُضَرِيَّةِ واليمانيَّة.

وكان الربعيّةُ يَتَضَجَّرونَ من بني أميّة، ويَتَسخَّطونَ عليهم، ويُعاتبونهم على إنكارِهم لِفَضْلِهم، ويلومونَهُم على قِلَّةِ مصانَعَتِهم لهم. وكانوا يَحُثُّونَهم على مُراجَعَةِ آرائهم في القبائل، وأحكامهم عليها، ويَحُضُّونَهُم على تَبْديلِها وتَعْديلِها. وكانوا يَسأَلونَهم أنْ يُقيموا سياسَتَهم لها على مَواقِفِها منهم، وأَنْ يُجازوها بأعمالِها، فيُقَرِّبُوا الوفيَّ الأَمينَ منها، وَيَثِقُوا به، ويُثيبوهُ، ويُوَلُّوهُ، ويُبْعِدُوا الغَادِرَ الخائن، ويَرتابُوا به، ويُعاقِبُوهُ، ولا يَستَعمِلُوه. فَإنَّ الرَّبعيَّةَ كانوا يَرفُضُونَ أن يُسَيطِرَ أحدٌ من الثائرين

---

(١) الأخبار الطوال ص: ٣٤٠، وتاريخ الطبري ٧: ١٥٦، والعيون والحدائق ٣: ١٠٥، والكامل في التاريخ ٥: ٢٢٦، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٦.

على خراسان، ويَستَقِلَّ بها وَيَفصِلَها عن سُلطان بني أميّة، وكانوا يَأْبَوْنَ أن يتابعوا الخارجين عليهم ويُبايعُوهُم، ويُنَدِّدُونَ بخَلْعِهم لهم ويُقاوِمونَهُم. وكانوا يُدافِعوانَ عن مُلكِهم، وَيَحْرِصُونَ على أنْ تَظَلَّ خراسانُ جُزْءاً من دَوْلَتِهم[1]!

وعلى الرغم من سوءِ ظَنِّ بني أميّة في الرَّبعية، وإقصائهم لهم عن الولاية، فإن يحيى بن نُعيم بن هبيرة الشيباني، سَيِّدَ بكرٍ ورئيس ربيعة بخراسان أتى علي ابن جُديعٍ الكِرْماني، وشيبان بن سلمةَ اليشكريّ الحَروريّ، وكانَ قد تَنحَّى إلى سِجْستان بعد أنْ أوقَعَ به عامر بن ضُبارة المُريُّ بكِرْمان، واستْباحَ عسكرَه، ثم ارتَحَلَ إلى خراسان، ونَزَلَ مَرْو الشَّاهجان، وأعلَنَ خَلْعَ مروان بن محمد[2]، فَحَذَّرهما أبا مسلمٍ، وأقنَعَهُما أنه أشدُّ مَكراً بهما من نَصْرٍ، وأكثرُ عداوةً لهما من المُضَريَّة، وأنه لن يَقتُلَ المُناهضين له من المُضريّة، ويَترُكَ المُناهضين له من اليمانيّة والرَّبعيةِ، بل سيقتُلُهم جميعاً، ولن يُفرِّقَ بين أحدٍ منهم، ودَعاهما أن يُهادِنا نَصْراً والمُضَريَّةَ، ونادَى بأنْ تَتعاوَنَ قبائلُ العَرَبِ على محارَبَةِ أبي مسلم[3].

وقد دفع يحيى بن نُعيم بن هبيرة الشيباني إلى التَّيَقُّظِ لِخَطَرِ أبي مسلمٍ، والدَّعوةِ إلى مكافحَتِهِ أنه تبيَّنَ أنَّ أبا مُسلمٍ يَسعَى لإزالةِ مُلْكِ بني أميّة، وأنه لن يُبقيَ على أحدٍ من مُناوئيه مُضَريِّهم ويمانيِّهم ورَبَعيِّهم، وتَيَقَّنَ أنه أخَذَ يُطْبِقُ عليهم،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص: ٨٧ — ٨٨، ١٢٠ — ١٢٣، ١٣٠ — ١٣٢.

(٢) انظر بعض أخباره في تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٥٨٦، وأنساب الأشراف المخطوط ٢: ٣٧١، ٣٧٢، وأنساب الأشراف ٣: ١٣٠، وتاريخ الطبري ٧: ٣٥٢، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣١٠، والعيون والحدائق ٣: ١٦٥، ١٦٦، والكامل في التاريخ ٥: ٣٦٧، والبداية والنهاية ١٠: ٣٠.

(٣) أنساب الأشراف المخطوط ٢: ٣٧٢، تاريخ الطبري ٧: ٣٦٥، والكامل في التاريخ ٥: ٣٦٨.

وَيَستَدرِجُهُم إلى الموت يوماً بعد يومٍ ، وأنه شرعَ في استِئصالِهِم ، وقد جاءت النُّذُر بذلك ، وتَوارَدَتِ الأنباءُ به ، فقد بعثَ النَّضْرَ بن نُعَيمٍ الضَّبيَّ إلى هراة ، فَغَلَبَ عليها ، وطَرَدَ عنها عيسى بن مَعْقِلٍ الليثيَّ ، وكان عامِلَها لِنَصرٍ ، فعادَ إليه مُنهَزِماً (١) .

وَوُفِّقَتْ وساطَةُ يحيى بن نُعيم بن هبيرة الشيبانيّ بين المُتخاصمينَ والمُتحاربينَ ، ونَجَحَتْ دَعْوَتُهُ إلى المُسالَمَةِ والمُصالَحَةِ ، فأرسلَ شيبانُ إلى نَصْرٍ يسأَلُهُ المُوادَعَةَ ، فأجابه ، وبَعَثَ إليهم سلم بن أحْوَز التميمي ، وكان من كبار قادَتِهِ من المُضَرِيَّةِ ، فَلَقِيَهِمْ ، وعَنَّفَ ابنَ الكِرماني قائلاً له : يا أعْوَرُ ! ما أخْلَقَكَ أنْ تكونَ الأعورَ الذي بَلَغَنا أنَّ هَلاكَ مُضَر يكونُ على يَدَيْهِ ! ! ثم تَوادَعُوا سنةً ، وبلَغَ ذلك أبا مسلمٍ ، فأرسلَ إلى شيبان : إنا نُوادِعُكَ أشهُراً فَتُوادِعُنا ثلاثة أشهرٍ ، فَوادَعه (٢) .

وَوَضَعَ المُضَرِيَّةُ واليمانيةُ والرَّبعيّةُ الحَرْبَ بينهم ، وتعاقدوا على قتال أبي مسلمٍ ، فإذا نفوه عن مَرْو الشّاهجان تَدَبَّرُوا أمْرَهُم ، وتَشَاوروا فيمن يُوَلُّونَهُ عليهم ، فإذا أجمعُوا عليه أَسلَمُوا إليه قِيادَهُم ، وكَتَبُوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً . فأفظَعَ ذلك أبا مُسلمٍ ، ونَظَرَ في أمرِهِ فإذا الماخوان سافلةُ الماء ، فَتَخَوَّفَ أن يقطَعَ نَصْرٌ عنه الماء ، وكان قد أقام بها أربعة أشهر ، فَتحوَّلَ عنها إلى آلين ، وهي قريةُ النَّقيبِ طلحة بن رُزَيق الخزاعي ، فَخَنْدَقَ أمامَها خَندَقاً ، وكان شربُ أهلها من نهرِ خَرْقان ، ولم يكن في وُسْعِ نَصْرٍ أنْ يَقطَعَ ماءه عنهم (٣) .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣١ .

(٢) أنساب الأشراف المخطوط ٢ : ٣٧٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٨ .

(٣) تاري خ الطبري ٧ : ٣٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٢ .

واحتَشَدَ الفريقانِ للقتالِ وتَصَافُّوا ، وكان سليمان بن كثير الخُزاعي بإزاء علي ابن جُديعٍ الكِرْماني ، فقال له : إنَّ أبا مسلمٍ يقول لك : أَما تأْنفُ من مُصالَحةِ نَصْرٍ ، وقد قَتَلَ بالأمسِ أباكَ وصَلَبَه ! ما كُنتُ أحسَبُكَ تُجامعُ نصراً في مسجدٍ تُصلّيان فيه ! ! فأحْفَظَهُ كلامُهُ ، فَرجعَ عن مُحالفةِ نَصْرٍ ومُسانَدَتِهِ ، فانْتَقَضَ صُلْحُ العرب[1] ! ثم عاد إلى مخالفةِ نصرٍ ومُحارَبتِهِ ، وأرسلَ إلى شيبان أن يُعينَهُ فأبَى أن يُعينَهُ ، وقال : لا يَحِلُّ الغَدْرُ[2] !

وعندما انْتَقَضَ الصُّلْحُ بين قبائلِ العربِ بَعَثَ نَصرٌ إلى أبي مسلمٍ يَلتَمِسُ منه أن يَدخُلَ مع المُضَرِيَّة ، وبَعَثَ اليمانيةُ والرَّبعيةُ إليه بمثل ذلك ، فَتراسلُوا بذلك أياماً ، فأمرهم أبو مسلمٍ أنْ يقدم عليه وَفْدُ الفريقين ، حتى يختار أحدهما ، ففعلوا . وأمَرَ شيعتَه أن يختاروا اليمانيّة والربعيّة ، فإن السلطانَ في المُضَريّة ، وهم عمَّالُ مروان ابن محمد ، وهم قَتَلَةُ يحيى بن زيد . فقدم الوفدانِ عليه فاختارَ النُّقباءُ والدّعاةُ علي ابن جُديعٍ الكِرْماني وأصحابه من اليمانيّةِ والرَّبعيّةِ . فَرجعَ وَفْدُ المُضَريَّة عليهم الذِّلَّةُ والكآبةُ ، ورَجَعَ وَفْدُ اليمانيّة والرَّبعيّة مَسرورين مَنصورين . وانصرَفَ أبو مسلمٍ إلى خَنْدَقِهِ بالماخُوانِ ، بعد أنْ أقامَ بآلين تسعةَ وعشرين يوماً ، فَدخَلَهُ للنِّصْفِ من صَفَر سنة ثلاثين ومائة[3] . وقدم عليه رسولٌ لأبي سَلَمَة الخَلاَّل يقال له : مسرورٌ ، بكتاب إبراهيم الإمام يُخبِرُهُ فيه بما انتهى إليه من تَفاقُمِ الأمرِ بينَ ابن الكِرْماني ونَصرٍ ، ويأمرُهُ أنْ يَدعُوَ ابنَ الكِرْماني إلى أمْرِهِ ، فإن أجابَ نَصَبَ الحَربَ لِنَصرٍ ولم يُؤَخِّرْ ذلك ، وأنْ يَنتَهِزَ الفُرصَةَ قبلَ أن يَتَّفِقا على مُجانَبَتِهِ ومُقاتَلَتِهِ[4] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٨ ، وانظر تفاصيل أخرى في أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٥ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٨ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٧ .

ومكَثَ أبو مسلمٍ في خَنْدَقِهِ بقرية المَاخُوان ثلاثة أشْهرٍ قبل أن يَدْخُلَ مَرْو الشاهجان[1] . وقد ذكر مُصنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية كثيراً من أخبار مُرَاسَلَتِهِ لنصرٍ، وابن الكِرْماني ، وشَيْبان ، ومُدَارَاتِهِ لهم ، ومُخادعته إياهم ، وإفسادِهِ بينهم ، حتى تمَّ له دُخُولُ المدينة[2] .

وفي أكثر الروايات أنَّ ابن الكِرْماني استَنْجَدَ أبا مسلمٍ ، فأرسلَ إليه : إني معك على نَصْرٍ ، ثمَّ أحَبَّ ابن الكرْماني أنْ يلقاهُ ليتوثق منه ، فسار إليه أبو مسلمٍ ، وسَلَّمَ عليه بالإمْرةِ ، وأقام عنده يومين ، ثم رجعَ إلى خَنْدقه بالماخوان[3] . وبعد حين بعث إليه ابن الكِرْماني أنْ يَدْخُلَ حائط مرو الشاهجان من ناحيته ، ويدخُلَ هُو واليمانية من نَاحيته . فأرسل إليه أبو مسلمٍ : إني لست آمَنُ أنْ تَجْتمعَ أنت ونَصْرٌ على محاربتي ، ولكن أدْخُلْ أنت وأنْشِبِ الحرب ، فدخلَ فأنْشَبَ الحربَ . وبعثَ أبو مسلمٍ النقيب شِبْلَ بن طَهْمان مولى بني حَنيفةَ في جُنْدٍ ، فدخلوا الحائط[4] . وبعثوا إلى أبي مسلمٍ أن أدْخُلْ ، فأقبلَ من خَنْدق الماخُوان ، وعلى مُقَدِّمته أُسَيْدُ بن عبد الله الخزاعيُ ، وعلى مَيْمنتِهِ مالك بن الهيثم الخُزاعيُ ، وعلى مَيْسرتِهِ القاسم بن مجاشع

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٨.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩٦ — ٣٠٤.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٥ ، ٣٨٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩.

(٤) ذكر مصنف أخبار الدولة العباسية أنَّ أبا مسلمٍ استأذنَ شيبانَ وابنَ الكِرْماني ونَصْراً في دُخُولِ شِبْل بن طَهْمان مرو الشاهجان ، حتى يَذُبَّ عن أصحابه إذا دَخَلوا المدينة مُتَسوِّقين ، فأذِنُوا له في ذلك ، فَدَخلها قبلَ أن يَدْخُلهَا أبا مسلم بزمنٍ. فكان كل من دَخَلَ من المسودة يُعَزُّ ويُكْرَم بمكانه ، ولا يَقْدِرُ أحدٌ على أنْ يؤذِيَه . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٠— ٣٠١). وكان نِصْفُ المدينة في يد نَصْرٍ وعامله فيها ، وشِبْلُ بن طَهْمان في قَصْرٍ بخاراخذاه من قِبَل أبي مسلمٍ ، وكلا الفَرِيقَيْنِ يَدْخُلونها مُتَسوِّقين. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٥).

التميميُّ حتى دَخَلَ الحائطَ والفريقان يَقْتَتِلان ، فأمَرهُما بالكف وهو يَتْلُو : «ودَخَلَ المدينة عَلى حينِ غفْلَةٍ مِنْ أهْلِها فَوَجَدَ فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شيعَتِهِ وهذَا مِنْ عَدُوِّهِ» (القصص : ١٥) ، ومضى حتى نَزَلَ قَصْرَ الإمارة الذي كان ينزلُهُ عمالُ خراسان ، وكان ذلك لِتِسعٍ خَلَوْنَ من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة [١] .

وفي بعض الروايات أنَّ أبا مسلمٍ انفردَ بعسكره ، وبعَثَ إلى نَصْرٍ ، وابن الكرْماني ، وشَيْبان : إني رجلٌ أدعو إلى الرِّضا من آل محمدٍ ، ولستُ أعْرِضُ لكم ، ولا أُعين منكم أحداً على صاحبه ، فلما رأى نَصْرٌ قُوَّةَ أبي مسلمٍ بعثَ إليه يسألُهُ مُوادَعته ، وأنْ يدخلَ مَرْوَ الشاهجان. فقَصَدَ لدُخُولها ، وزَوى أصحابُ ابن الكِرْماني ، وأصْحابُ نَصْرٍ عنها ، فَدَخلها في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائة [٢] .

والقَوْلُ الأوَّلُ أثْبَتُ وأرْجَحُ. ثم أعْلَنَ أبو مسلمٍ الثورةَ العباسية ، وأمَرَ طلحةَ بن رُزَيق الخزاعيَّ بأخْذِ البَيْعَةِ على الجُنْدِ من الهاشمية خاصةً ، وكان أحد النُّقباء ؛ وكان رجلاً فصيحاً نبيلاً مُفَوَّها عالماً بحُجَجِ الهاشمية وغَوامضِ أمورهم ، ومعايبِ الأموية [٣] ، وكانت البيعة : «أبايعكم على كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّةِ نَبيِّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، والطاعة للرِّضا من أهْلِ بَيْتِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عَهْدُ الله وميثاقُهُ ، والطَّلاقُ والعِتاقُ ، والمشيُ إلى بيت الله ، وعلى ألاَّ تسألوا

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٧ ، ٣١٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٩.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨١ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٦٦ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٥.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠.

رِزْقاً ولا طَمَعاً[1] حتى يَبْدأكم به وُلَاتكم ، وإنْ كان عَدُوٌّ أحدكم تحتَ قَدَمِهِ فلا تَهِيجُوهُ إلاّ بأمْرِ وُلَاتكم[2] » .

ثم أخذَ أبو مُسْلمٍ يُقَدِّرُ للتَّخلُّصِ من نصْرٍ وشَيْبانَ وابن الكِرْماني غِيلَةً وغَدْراً ، حتى يَقْضيَ على مَنْ يُخَالِفُونه ويُنَازِعُونه ، ومَنْ يُقَاسِمونَهُ السُّلطانَ ويُشَارِكُونَهُ فيه ، فيَصْفُو لهُ الأمرُ ، ويستَقِلَّ به . وقد أقْدَمَ على التَّدْبيرِ لِقَتْلِهم واحداً بعد الآخر ، حينَ « ضَبَطَ أمْرَ خراسان ، وغَلَبَ أصحابُهُ ودعاتُهُ عليها ، ومالَ الناسُ إليه مِنْ كلِّ أوْبٍ ، واشْتَدَّ حجابُهُ ، وغَلُظَ أمرُهُ واستَفْحَلَ[3] » .

---

(١) الطَّمَعُ : الرزق ، وهو من المجاز ، يقال : أخذ الجندُ أطماعَهم ، أي أرزاقَهم ، ويقال : الطَّمَعُ وقتُ قَبْضِ الرزق والعطاء . (انظر أساس البلاغة واللسان : طمع) .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٦ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٠ .

(١٣) هَرَبُ نَصْرِ بنِ سَيَّارٍ اللَّيْثِيِّ وَمَوْتُه

أما نَصْرٌ فَبَعثَ إليه رُسُلَهُ وقد آنسَهُ وبَسَطَهُ، وضَمِنَ له أنْ يكفَّ عنه، ويقومَ بشأنِهِ عند الإمام، وأعْلَمَهُ أنَّ كتاباً أتاه من عند الإمام يَعِدُهُ فيه ويُمَنِّيهِ، ويَضْمَنُ له الكرامةَ، وكان فيهم لاهزُ بنُ قُرَيْظٍ التَّميمي، فَجاءُوهُ وأمَرُوهُ أن يُوَافيَ أبا مسلمٍ ويبايِعَهُ على كتاب الله وسُنَّةِ نبيهِ والطاعة للرِّضا من آلِ محمدٍ، فتريَّثَ عن إجابته، وتَلَبَّثَ عن مُبايعتِهِ. فَبَعثهم إليه مرةً أخرى، فلما أتَوْهُ تَلا لاهِزٌ قَوْلَ الله عَزَّ وجَلَّ: «إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرونَ بك لِيَقْتُلُوك فاخْرُجْ إني لكَ مِنَ النَّاصحينَ» (القصص: ٢٠)، فتَنَبَّهَ نَصْرٌ لما أرادَ من تَحْذيرِهِ، فقال: إنّي صائرٌ معكم إلى الأمير أبي مسلمٍ، ودَخَلَ بستاناً له كأنه يريد أن يَلْبَسَ ثيابَهُ، ثم ركب دابَّتَهُ وهرب. فلما اسْتَبْطَأَهُ لاهزٌ وأصحابُهُ دخلوا منزله فوجدُوهُ قد هَرَبَ. وبلغَ ذلك أبا مسلمٍ، فسار إلى معسكر نَصْرٍ، وأخذَ ثقات أصحابه وصَناديدَهم، فقَيَّدَهم وَوكَّلَ بهم النقيبَ عيسى ابن أعْيَنَ مَوْلَى خزاعة. ومضى أبو مسلم وعلي بن جُدَيْعٍ الكِرْماني في طَلَبِ نَصْرٍ، ففاتهم، فَرجَعَ أبو مسلمٍ إلى مَرْو الشَّاهجان[١].

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٥٩٠، وأنساب الأشراف ٣: ١٣٠، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٢، وتاريخ الطبري ٧: ٣٨١، ٣٨٤، والبدء والتاريخ ٦: ٦٤، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨١، والبداية والنهاية ١٠: ٣٤.

واستشار أبو مسلمٍ بعض خاصته في أمْرِ أصحاب نَصْرٍ من قَادتِهِ وَوُلَاتِهِ وكُتَّابِهِ وأعوانِهِ من رُؤَسَاء المُضَرِيَّةِ الذين حَبَسَهُمْ بعد هُروبِ نصْرٍ، فقال له: «اجْعَلْ سَوْطَكَ السَّيْفَ وسجْنَكَ القَبْرَ[1]»! فَقَتلهم جميعاً، وكانوا أربعة وعشرين رجلاً، ثم نَصَبَ رُؤُوسَهم في المسجدِ، فخافَه الناسُ خوفاً شديداً[2].

ويقال: إنَّ نَصْراً كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرةالفزاري يَسْتَمِدُّهُ قبلَ خُروجه عن خراسان، ودخول أبي مسلم مَرْوَ الشاهجان، ويَلُومُهُ على تَخَاذُلِهِ عن غِيَاثِهِ[3]. وكتب أيضاً إلى مروان بن محمد يَسْتَنْصِرُهُ وينذره بالهَلَاك، ويُغْلِظُ له القَوْلَ لِتَأَخُّرِهِ عن نَجْدَتِهِ[4]. وقد وَصَلَ كتابُهُ إلى مَرْوانَ، فاتَّهمهُ عبد الحميد الكاتب بالحُمْقِ والخُرْقِ وسوءِ السياسة، وأشار على مَرْوانَ بِعَزْلِهِ عن خراسان، وأنْ يستعمل عليها رجُلاً حكيماً حليماً حازماً صارماً شاميَّ الرَّأْيِ والهَوَى، فكتبَ إلى ابن هُبَيْرَةَ بعزل نَصْرٍ عنها، وتَوْلِيَةِ نُباتَةَ بن حَنْظَلَة عليها، وإمْضَائِهِ إليها مِنْ طريق قُومَس، وتَوْجيهِ عامر بن ضُبارة المُرِيِّ إليها من طريق سِجِسْتان[5].

وزعم مُصَنِّفُ العيون والحدائق أَنَّ نَصْراً أتى جُرْجان بعدَ هُرُوبه من مرْو الشاهجان، وانْضَمَّ إلى نُباتَة بن حَنْظَلَةَ الكلابي، وحاربَ معه قحطبة بن شبيبٍ الطائيَّ، قائد الجيوش العباسية، سنةَ ثلاثين ومائة، فهَزَمها، وقَتَلَ نباتَةَ، فتَقهْقَرَ نَصْرٌ حتى وَرَدَ مَدينة خُوار من أعمال الرَّي فأقام بها[6].

---

(١) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٢

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٤، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٢

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٠.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١١، وانظر شعراً لنصرٍ في ذلك في الأخبار الطوال ص : ٣٦٠، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٨.

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٤.

(٦) العيون والحدائق ٣ : ١٩٢، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٧.

وليس ذلك بِثبتٍ. والصحيحُ أَنَّ نَصْراً نَزَلَ بِقُومَس ، ثم أرادَ أَنْ يتحوَّلَ عنها إلى جُرْجَانَ ، لِيَنْضَمَّ بها إلى نُبَاتَةَ ، فبلغهُ أنه أَسْقَطَ اسمَه وأسماءَ مَنْ معه مِنْ ديوان الجُنْد ، وقَطَعَ عنهم العَطَاء ، فبقي بِقُومس [1] . فلما غَلَبَ قحطبة على جُرْجان ، وجَّهَ ابنه الحَسَنَ لِقتال نَصْرٍ بقُومس ، ثم بعثَ إليه سبعمائة رَجُلٍ. فانْحاز أحدُ قادتِهم إلى نَصْرٍ ، وأعْلَمهُ بمكانهم ، فأرسل إليهم نَصْرٌ فأسرهم ، ثم هَرَبُوا منه ، فَوجَّهَ إليه الحسن فرساناً فهزموا مسالحه وطلائعه ، فَفَرَّ نَصْرٌ إلى الرَيِّ ، فمرض فيها ، فكان يُحْمَلُ حَمْلاً ، فخرج عنها ، حتى إذا كان بِساوةَ قريباً من هَمَذان ، مات بها في شهر ربيع الأول سنة إحدَى وثلاثين ومائة [2] .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢٨ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٩١.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣١ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٠٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٩٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٢ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣١ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٣ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٧.

(١٤) قَتْل شيبانَ بن سَلَمةَ اليَشكريِّ الحَروريِّ

وأما شيبانُ فكان هو وعلي بن جُدَيْعٍ الكِرْمانيُّ مُجْتَمعينَ على قتال نَصْرٍ، لمخالفةِ شيبان نصراً، لأنه من عُمَّالِ مروان بن محمدٍ، وأنَّ شَيبان يَرى رأيَ الخوارج، ومُخالفة ابن الكِرْماني نَصْراً، لأنه قتلَ أباه وصلَبهُ، وأَنَّ نصراً مُضَريٌّ، وابن الكِرْماني يَمانيٌّ، ولِمَا بينَ الفريقين من العَصَبيَّةِ القبلية[1].

وتَتضاربُ الرواياتُ في الوقت الذي خَرَجَ فيه شيبانُ عن مَرْو الشَّاهجان، وفي سَببِ خُرُوجِهِ عنها، بعدَ أنْ نكثَ ابنُ الكِرْماني العَهْدَ والميثاق بين قبائلِ العرب على مُناهضة أبي مسلمٍ، وانحاز إليه، فأمَّرهُ على نفسه، وعاقده على محاربة نَصْرٍ. فقد ذكر مصنفُ أخبار الدولة العباسية أنَّ أبا مسلمٍ سألَ ابنَ الكِرْماني أنْ يُبايِنَ شيبان، لأنه يَدِينُ بالبَراءةِ من علي بن أبي طالبٍ، وشيعة بني العباس يُعارضُونَهُ في ذلك، ولا يُتَابعونَهُ عليه، ولأنَّ أبا مسلمٍ لَا يَأْمَنُ أنْ يخدعَ نَصْرٌ شيبانَ، ويَحْمِلهُ على أنْ يُقاتِلُ معه شيعةَ بني العباس، فأتى ابنُ الكِرْماني شيبان، ونَصَحَ له أن يتنحَّى إلى سَرَخْسَ، حتى يكون قريباً من أصحابه في نيسابورَ وهَراةَ وبُوشَنْجَ، فيشْتَدُّوا به، ويُوَجِّهَ عُمَّالَهُ، ويَجْبِيَ خَراجَهُ، فإذا قَويَ، واستَجْمَعَ له ما يريد نَهَضَ فيما يَطْلُبُ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٥، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٢.

من الحَقِّ. فأَنْصَتَ له شيبان، وصَوَّبَ رَأْيَهُ، وأخذَ به، وأخبرَهُ أنه عَزَمَ على الشُّخُوص عنهم في أيامٍ مَعْدُوداتٍ، لِمَا أَبْصَرَ من اخْتلاطِ أمْرِهم، وخَشْيَتِهِ أن يكونَ مُقيماً معهم على ضِلالٍ. ولكنه شرطَ عليه أنْ يؤكِّدَ على أبي مسلمٍ في الكفِّ عنه، وحُسْنِ مُجاورتِهِ، حتى يَنْقَضي الخلافُ بينهم وبين نَصْرٍ. فبعثَ ابن الكِرْماني إلى أبي مسلمٍ يَعْرِضُ عليه شُروطَ شيبانَ، فرضيَ بها، على أن يكتبوا بينهم كتاباً بالمسالمة، فإن رَجَعَ أحَدُهم عما أعطَى من نفسه من الحَقِّ، فقد حَلَّ لصاحبه مُبايَنَتَهُ ومُحاربتهُ، فوافَقَ شيبانُ على ذلك، وكتبوا بينهم به كتاباً وثيقاً. وتَوجَّهَ شيبان إلى سَرَخْسَ في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة، ومعه علي بن مَعْقِلٍ الحَنَفيُّ، وجميعُ مَنْ كان معه من قومِهِ وأهلِ رأيه[1].

وقال البلاذري[2]: «كان أبو مسلمٍ قد وادعَ شيبانَ إلى مُدَّةٍ، فوجَّهَ إليه جيشاً فَوَاقَعُوهُ فكَشَفُوهُ، وصارَ إلى ناحية أبيورد».

وروى ابنُ جريرٍ الطبريُّ أنَّ شيبانَ ارْتَحَلَ عن مَرْو الشَّاهجان، بعد أنْ صالح ابنُ الكِرْماني أبا مسلمٍ، وفارق شيبان، إذْ عَلِمَ أنْ لا طاقة له بحربِ أبي مسلمٍ وابن الكِرْماني، مع اجْتماعهما عَلَى خِلافِهِ، وفِرارِ نَصْرٍ، وتَنَحِّيه إلى سَرَخْسَ. وكان أبو مسلمٍ قد سالم شيبان إلى مدةٍ، فلما انتهت أرسلَ إليه أبو مسلمٍ يَدْعُوهُ إلى البَيْعة، فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بَيْعتي، فأرسَلَ إليه أبو مسلم: إنْ لم تَدْخُلْ في أمْرِنا فارْتَحِلْ عن منزلكَ الذي أنت فيه. فبعثَ شيبانُ إلى ابن الكِرْماني يَسْتَنْصِرُهُ، فأبَى، فسارَ شيبان إلى سَرَخْسَ، فأوَى إليه جَمْعٌ كثيرٌ من بَكْرٍ، فوجَّهَ إليه أبو مسلمٍ تسعةً من الأزْدِ يَدعُوه إلى أَنْ يكفَّ عن مُناوأتِهِ، فأخذ رُسُلَهُ فحبَسهم.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٠٨، ٣١٠

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٣١، والعيون والحدائق ٣: ١٦٦.

وكان أهل أبيَوردَ أوّلَ مَنْ سوَّدَ ، وكان بها بَسَّام بن إبراهيم مولى بَني لَيْثٍ ، وكان من شيعة بني العباس ، فأرسل إليه أبو مسلم أَنْ يَخِفَّ إلى شَيْبان ويُنَاجِزَه ، فَخَفَّ إليه ونَاجَزَه ، فهزمه ، واتَّبعه حتى دَخَلَ المدينة ، فقتلَ شيبانَ وطائفة من بكر[1] .

قال ابن جرير الطبري[2] : ويقال : إن أبا مسلمٍ وَجَّهَ إلى شيبانَ عسكراً من قِبَلِهِ عليهم خازم بن خُزَيمَةَ الدَّارميُّ ، وبسام بن إبراهيم مولى بني لَيْثٍ . وحَمَلَ مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية هذا الخَبَرَ ، واقتَصَرَ عليه ، وفَصَّلَ القَوْلَ فيه ، فذكر أَنَّ ابا مسلمٍ أرسلَ في النِّصْفِ من شعبان سنة ثلاثين ومائة إلى قحطبة بن شبيب الطائي ، وهو بأَبيوَرْدَ أنْ يُشْخِصَ بَسَّام بن إبراهيم وخازم بن خزيمة إلى سَرَخْسَ . فَسارَا حتى نَزَلا عسكر شيبان ، فأرسل إلى بَسامٍ وفداً بما كان بينه وبين أبي مسلمٍ من العَقْد ، فقال بسام : إنما قدمنا سَرخْسَ مجتازين إلى هراة ، ولسنا نريدُ قتال شيبان . وارتحل بَسَّامٌ يَؤُمُّ هَراةَ ، فلما حاذَى سَرَخْسَ عَدَلَ إليها ، فخرج إليه شيبان ، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً ، وقُتِلَ عامةُ أصحابِ شَيْبانَ ، وانْهَزَمَ مَنْ بقيَ منهم إلى المدينة ، ولجأوا إلى المسجد ، فَقُتِلَ شيبانُ وأكثرُ من معه ، وبَعثَ بسامٌ برأسهِ إلى أبي مسلم[3] .

ونَجا من أصحاب شيبان عِدَّةٌ يسيرةٌ ، تَفرَّقَ بعضُهم في البلاد ، وصار بعضُهم إلى نَصْرٍ ، وهو بنيسابور ، ثم تقطَّعوا[4] . وروَى مُصنِّفُ أخبار الدولة العباسية أَنَّ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٤ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣١ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٦٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٣ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٦٦ .

علي بن مَعْقِلٍ الحَنَني كان ممن نَجَا من أصحاب شَيْبان فَمَضَى إلى الرَّيِّ ، والْتَحَقَ بِنَصْرٍ ، فَضَمَّه إلى ابنه سَيَّارٍ ، «وأَمَرَ ابنَهُ أَنْ لا يَقْطَعَ أمراً إلاَّ بِأَمْرِهِ[1] » ، ثم تَوجَّهَ مع سيارٍ إلى هَمذَان ، ثم انْحَازَا إلى نَهَاوَنْدَ فتحصَّنا فيها . فلما استولى قحطبة ابن شبيب الطائي عليها قتلهما بها مع مَنْ قَتَلَ من أهل خراسانِ مِمَّن هَرَبَ من أبي مسلمٍ[2] .

ومن غريب الأمرِ أَنَّ ابن جرير الطبري ذكر أنَّ علي بن مَعْقِلٍ الحَنفيَّ كان مِنْ شيعة بني العباس ، ومِنْ قادة أبي مسلمٍ ! وذكر أَنَّ علي بن عَقيلٍ هو الذي كانَ مع سَيَّارٍ بن نصر بن سَيَّار ، وهو الذي قُتِلَ معه بنَهاوَنْد[3] ! !

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٠٧ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٣ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٤ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٥٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٩٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٩ ، ٤٠٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٦ ، ٤٠٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٥.

(١٥) قَتْلُ عليٍّ بنِ جديعٍ الكِرْماني

وأمَّا ابنُ الكِرْماني فتأنَّى أبو مُسْلمٍ في قَتْلِهِ ، وصَبَرَ على ما يكرهُ منه ، وأمْهَلَهُ إلى حين ، إذ كان حليفَهُ الذي مَهَّدَ له السبيلَ إلى دخول مَرْو الشاهجان ، وكان يُقَاتِلُ معه ، وكان قوياً يَمْنَعُهُ قَوْمُهُ من الأزْدِ ، وأنصارُهُ من اليمانية والرَّبعية . ولم يزل يُقَدِّمه ، ويُسَلِّمُ عليه بالإمارة ، ويُصَلِّي خَلْفَهُ ، ويُريهِ أنه يتَّبعُهُ ، ويعمل برأيهِ[1] ، حتى بدَا كالمسؤول عنه ، يَطَّلِعُ على أسرارِهِ ، وَيَتَصَرَّفَ في شُؤنه ، وغَدَا كالقَيْد عليه ، يَسْلُبُهُ حُرِّيتهُ ، ويَغُلُّ يَدَهُ ، إذ كان «لا يقْطَعُ أمْراً دونَ عَرْضِهِ عليه ورِضَاهُ به[2] » !

فلما أفْنَى أبو مسلمٍ رُؤساءَ المضرية ، وبَسَطَ سُلْطانَهُ على أكبرِ مدُنِ خراسان وأكثرِ أقاليمها الشرقية والشمالية والجنوبية ، ومُدُنِ ما وراء نهر جَيْحون ، وتَوَالى انتصارُ الجيوش العباسية في مُدُنِ خراسان الغربية ، واستَتَبَّ لهُ الأمْرُ ، جَعَلَ يفكر في اغتيالِ ابن الكِرْماني ، ويحتالُ له . فاتَّفقَ رأيُهُ ورأيُ النَّقيب خالد بن إبراهيم على التَّفريق بين عُثْمان وعلي ابني جُديْعٍ الكِرْماني ، وأنْ يَقْتُلَاهما في يومٍ واحدٍ . فبعثَ عثمانَ عاملاً على بَلْخَ ، وسار هو وعليٌّ إلى نيسابور ، وادَّعى أنه يريد أن يكونَ رِدْءاً

---

(١) البدء والتاريخ ٦ : ٦٥.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٧.

وعوناً لقحطبة ومن معه ، وأنْ يَقْرُبَ مِنْ مَغانِهم إنْ نكبوا ، لِيُخْفيَ ما أُضْمَرَ من تَنْحِيَةِ عليٍ عن مَرْو الشاهجان وبلاد قَوْمه . ويَسْهُلَ عليه قَتْلُهُ وقَتْلُ أصحابه[١] . ثم أرْسلَ خالد بن إبراهيم إلى بَلْخ ، فبعثَ عثمان عاملاً على الخُتَّل فيمن معه من يمانيٍّ أهل مرو الشاهجان ورَبعيِّهم . فلما خَرَجَ من بَلْخَ ، خَرَجَ خالدٌ في أَثَرِه ، فلحقَ عثمانَ على شاطئ نهر بُوخَشَ من أرْض الخُتَّل ، فَوَثَبَ عليه وعلى أصحابِهِ ، فَحَبسهم ، ثم ضَربَ أعْناقَهم ، وقتَلَ أبو مسلمٍ في ذلك اليوم عليًّا . وكان قد أمَرهُ أنْ يُسَمِّيَ له خاصَّتَهُ ، لِيُوَلِّيهم ويأمرَ لهم بجوائزَ وكُسًى ، فسمَّاهُم له ، فَقَتَلهم جميعاً[٢] ! !

وقال البلاذري[٣] : «وَجَّهَ أبو مسلمٍ إلى ابن الكرماني رُسُلَهُ ، وقال لهم : ائتوني بابن الكِرْماني على الحال التي تَجِدُونَهُ عليها ، فجاءوا به فَحَبَسهُ . وكان أخوه عثمان بناحية هَرَاةَ ، فكتب إلى أبي داود [خالد بن إبراهيم] في أمْرِهِ ، فقال له أبو داود : إنَّ أبا مسلمٍ كَتَبَ إليَّ في عُبُورِ النهر لأمْرٍ سَتَعْرِفُهُ ، فإذا عُدْنَا خَلَّيْتُ ما بينك وبين ما وراء النهر ، وانْصَرَفْتُ إليه . ثم قال : لا يَعْبُرَنَّ أحدٌ إلاَّ أصحابُ عثمان ، فَعَبروا حتى إذا بقي في نَفَرٍ ، وثَبَ به فقتَلهُ ،وبعثَ برأسه إلى أبي مسلمٍ ، فأخرجَ علياً عند ذلك فَقَتَلهُ» .

وقد تَفرَّدَ البلاذري بهذه الرِّواية ، وخالفَ فيها ما أجمعَ عليه أكثر المؤرخين مِنْ أنَّ عثمان قُتِلَ بالخُتَّلِ ، وأن عليًّا قُتِلَ بنيسابور .

وساق ابن جرير الطبري خَبَرَ قَتْلِ ابني الكِرْماني في أحداثِ سنة ثلاثين ومائة .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٧.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٧ ، والبدء والتاريخ ٥ : ٦٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٤.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٣١.

وليس ذلك بصَحيحٍ ، والصَّوابُ أنَّهما قُتِلا في السَّنةِ التَّالية ، فقد نَصَّ مصَنِّفُ أخبار الدَّوْلَة العباسية على أنَّ أبا مسلمٍ قَدِمَ نيسابور في شهر صَفَر سنة إحدى وثلاثين ومائة [١] . وروى ذلك أيضاً ابنُ جريرِ الطبري [٢] وغيره من المؤرخين [٣] !! وذَكَرَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدَّوْلَةِ العباسية أنَّه قَتَلَهُما بعدَ أن بَعَثَ إليه قَحْطَبَةُ بِفَتْحِ نَهَاوَنْدَ [٤] . وكان فَتحها في شوَّال سنة إحدى وثلاثين ومائة [٥] .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٧ ، وقارن بما ورد في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٠٤.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٩٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٧.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٥٤.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠١.

(١٦) قَتْلُ العَرَبِ المُخَالفينَ للدَّعْوَة

وكان أبو مسلمٍ يَسْتَبْقِي الجرحَى والأسرَى من المُضَريَّةِ وغيرهم من أنصار بني أمية ، ويُريهم مودةً ورِفْقاً في المُعاملةِ ، بعدَ إظهارِ الدعوة ، وقبلَ احتلالِ مَرْوِ الشاهجان ، فكان يُدَاوي الجرحَى ، ويَرْعَى الأسْرَى ، فإذا شُفِيَ الجرحَى ، وأمِنَ الاسرَى ، كَسَاهُمْ وأطْلَقهم. وكان يبتغي من عنايتِه بهم وإكرامه لهم أنْ يُحَبِّبَ إليهم نَفْسَهُ ، ويُرَغِّبهم في دَعْوتهِ ، وأن يشهدوا عندَ أقْوامِهم أنَّه وشيعَتَهُ مُسْلِمُونَ صَالِحونَ ، يُقيمونَ الصلاةَ ، ويقرأونَ القرآن ، ويُسَبِّحون بحَمْدِ الله ، وأنْ يَصْرِفَ الأتقياءَ عن مُنَاهضَتِهِ. وقد آتتْ سياستُهُ أُكُلَها ، وحَقَّقَتْ غاياتها ، فإنَّ بعضَ الأسرَى أقاموا معه ، وانْضَمُّوا إليه ، وبعضهم فَارَقُوه وعادوا إلى أهلهم ، فذكروه بخيرٍ ، وأشادوا بحُسْنِ إسلام شيعتِه ، ودَافَعُوا عن دَعْوتِهِ.

فقد كان مِنَ الأحْداثِ[١] وأبو مسلمٍ بِسَفيذَنْجَ أَنَّ نَصرَ بن سيَّارٍ وَجَّهَ مَوْلًى له يقال له : يزيد في خَيْلٍ لمحاربةِ أبي مسلمٍ ، بعدَ ثمانيةَ عشرَ يوماً[٢] من ظُهُورِهِ ، فَوجَّهَ إليه أبو مسلمٍ النَّقيبَ مالكَ بنَ الهيثم الخُزَاعيَّ ، فالْتَقَوْا بقرية آلينَ ، فقُتِلَ

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٠.

(٢) في الأصل : «شهرا» ، وهو خطأ. (انظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٩٤).

من شيعة بني أمية أربعةٌ وثلاثون رجلاً ، وأُسِرَ منهم ثمانية نَفرٍ ، وقُبضَ على يزيدَ مَوْلَى نَصْرٍ ، وانهزمَ أصْحابُهُ ، فأرسله مالكُ بن الهيثم الخزاعيُّ ومعه الرؤوسُ والأسْرَى إلى أبي مسلمٍ بسَفيذَنْجَ ، فأمرَ أبو مسلمٍ بالرؤوسِ فَنُصِبَتْ على باب الحائط الذي في معسكرِهِ ، وأَمَرَ بمعالجةِ يزيد مَوْلَى نَصْرٍ من جراحاتٍ كانت به ، وبحُسْنِ تَعاهُدِهِ ، فلما انْدَمَلَتْ جراحاتُهُ ، دعاه أبو مسلمٍ فقال له : إنْ شئتَ أنْ تقيمَ معنا ، وتَدْخُلَ في دَعْوتنا ، فقد أرْشَدَكَ اللهُ ، وإنْ كَرِهتَ فارْجعْ إلى مَوْلَاكَ سالماً ، وأعْطِنا عهدَ الله ألاَّ تُحارِبَنا ، وألاَّ تكذبَ علينا ، وأنْ تقولَ فينا ما رأيتَ ، فاختارَ الرجوعَ إلى مَوْلَاهُ . فخَلَّى له الطريقَ . وقال أبو مسلمٍ لشيعتِهِ : إنَّ هذا سيُرُدُّ عنكم أهْلَ الوَرعِ والصَّلاح ، فإنا عندَهم على غير الإسلام ، وكانوا يُرْجِفُونَ عليهم بعبادةِ الأوثان واسْتحلالِ الدماءِ والأموالِ والفُروجِ[1] . «وقدمَ يزيدُ على نصرِ بن سيارٍ ، فقال : لا مَرْحباً بك ، والله ما ظَنَنْتُ اسْتَبْقَاكَ القومُ إلاَّ ليتخذوكَ حُجَّةً علينا ! فقال يزيد : فهو والله ما ظَنَنْتَ ! ! وقد استَحْلَفوني ألاَّ أكذبَ عليهم ، وأنا أقول : إنهم يُصَلُّونَ الصَّلواتِ لمواقيتِها بأذانٍ وإقامة ، ويَتْلُونَ الكتابَ ، ويذكرونَ اللهَ كثيراً ، ويَدْعُونَ إلى وِلَايةِ رسول الله صلّى الله عله وسلم ، وما أحْسَبُ أمرَهم إلاَّ سيَعْلُو ، ولولا أنك مَوْلَاي أعْتَقْتَني من الرِّقِّ ، ما رجعتُ إليك ، ولأقمْتُ معهم» .

وعندما تَحوَّلَ أبو مسلمٍ من قرية الماخُوان إلى قرية آلين[2] «رَتَّبَ نصرٌ المسالحَ فيما بينَهُ وبينَ أبي مسلمٍ مع قائدٍ يُقالُ له : عاصم بن عمير بِبَلا شَجِرْدَ[3] وَوَضَعَ أبا الذيال بِطُوسَان[4] وناحيتها فنزلت جُنْدُ نصرٍ مع هذين القائدين على أهْلِ بَلاشْجِرْدَ

---

(١) انظر اخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٢٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٠ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٠ ، وبين رواية الخبر عند مصنف أخبار الدولة العباسية وابن جرير الطبري اختلاف يسيرٌ.

(٣) بلاشجرد : من قرى مرو الشاهجان بينهما أربعة فراسخ .

(٤) طوسان : قرية بينها وبين مرو الشاهجان فرسخان.

وطُوسَانَ ، فآفوا أهلَهَا ، وذبحوا أغنامَهم وبَقَرهم ، فشكوا ذلك إلى أبي مسلمٍ ، فَوجَّهَ إليهم نصرَ بن عبد الحميد في خَيْلٍ من خَيْلِهِ ، وأمرَهُ أنْ يَنْفيَ أبا الذَّيال عنهم ، فسار إليهم ، فَلَقِيَهُ أبو الذيال ، فهزَمَهُ نَصْرُ بن عبد الحميد ، وكانَ أوَّلَ مَنْ لَقَوْا من أصحابِ نَصْرٍ في الحربِ ، وأَسَرَ منهم خمسين رجلاً ، وأتَى بهم إلى أبي مسلمٍ ، فكساهم وداوَى جَرْحاهم ، وقال لهم : مَنْ أحبَّ منكم أنْ يقيم مَعَنا واسيناهُ ، ومَنْ كرهَ ذلك فَلْيلحقْ بوطنِهِ ، وحَلَّفهم ألاَّ يُمالِئوا عليه أحداً ، وخَلَّى سبيلَهم ، فأقام منهم نَفرٌ يسيرٌ ، وانْصَرَفَ أكثرُهم إلى أوْطَانهم » .

فلما سيطرَ أبو مسلمٍ على مَرْوِ الشاهجان ، وبدأت الحربُ بين الجيوش العباسية والجيوش الأموية ، استُقرَّ بمَرْوِ الشَّاهجان ، وجَعَلَ يَقْتُلُ أعداءَ الدعوة من العرب بخراسانَ ، ولكن بعضَ المؤرخين يَرْوُونَ أنه قَتَلَ العربَ جميعاً ، قال المقدسيُّ[1] : « لما أفْنَى ربيعةَ ومُضَر وَثَبَ على ابن الكِرْمانيِّ فقتلَهُ وصَفَتِ المملكةُ له » ، وقال مُصَنِّفُ العيون والحدائق[2] : « فأما أبو مسلمٍ فأقامَ بخراسان ، لضَبْطِ خراسان ، وقَتْلِ مَنْ بَقِيَ بها من العرب منْ ربيعةَ ومُضَرَ ونِزَارٍ واليمَن » . وفي ذلك نَظَرٌ ، فإن أبا مسلمٍ إنما قَتَلَ اليمانيةَ والرَّبعيةَ الذين لم يدْخُلوا في الدَّعوة ، والذين كانوا يَطْمعون في الزَّعامة والرئاسة ، وقَتَلَ الحَروريَّةَ منَ الرَّبعية من أتْباعِ شيبانَ بن سَلَمةَ اليَشْكُريِّ[3] ، وقَتَلَ المُضَريَّةَ من شيعةِ بني أمية ، أمَّا سائرُ اليمانية والرَّبعية والمضَريَّة الذين انْتَظَمُوا في الدَّعوَةِ ، فإنَّهُ لم يَمْسَسْهُمْ بسوءٍ ، لأنهم كانوا من أنْصَارِهِ وأعْوَانِهِ .

---

(١) البدء والتاريخ ٦ : ٦٥.

(٢) العيون والحدائق ٣ : ١٩٣.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٣.

والمُقَلِّلُ منَ المؤرخين يذكر أن أبا مسلمٍ سفكَ دماءَ مائةِ ألفٍ من العَرب والخراسانيةِ من شيعَةِ بني أميةَ ، غير مَنْ صُرِعُوا في الحُروبِ بين الجيوش العباسية والجيوش الأموية ، قال اليعقوبي[1] : قال أبو مسلمٍ لكاتبه : «إني نَظَرتُ فيمن قَتَلْتُ بالسيف صَبْراً سِوَى مَنْ قُتِلَ في المعارك ، فَوَجَدْتُهم مائةَ ألفٍ من الناس» .

والمُكَثِّرُ منهم يذكرُ أنه قَتَلَ ستمائةِ ألفٍ ، قال المدائني[2] : «كان أبو مسلمٍ قد قَتَلَ في دَوْلته وحُروبِهِ ستّمائةِ ألْفٍ صَبْراً» . ونَبَّهَ مُصَنِّفُ العُيُونِ والحدائق على أنَّ هذا العددَ يشْمَلُ جميعَ مَنْ صَرَعَهم أبو مسلمٍ وبنو العباس مِنْ أهلِ الأمصارِ المختلفة ، يقول[3] : «قيلَ إنه أُحْصيَ القَتْلَى الذين قَتَلهم الدعاةُ والشيعةُ بخراسانَ والعراق والشام ، وما أمرَ السفاحُ بِقَتْلِهِ ، وما تَوَلاَّهُ عَمُّهُ عبدُ اللهِ بن عليٍ وأهلُهُ وأخوهُ فكانوا ستّمائةِ ألْفٍ» .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٥.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٦ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٨ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٥٩٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٢ ، ولسان الميزان ٣ : ٤٣٦.

(٣) العيون والحدائق ٣ : ٢٠١.

(١٧) تَوْلِيةُ قَحطَبَة بن شَبيبٍ قيادةَ الجيوشِ العباسيّة

وفي سنة ثلاثين ومائةٍ قدم قحطبة بن شبيبٍ الطائيُّ خراسان مُنْصرِفاً من عند الإمام إبراهيم بن محمد ، وكان قد لقيَهُ بمكة في الحجِّ سنة تسعٍ وعشرين ومائة ، وأعطاه الأموال التي حمَلَها إليه[١] . وأرسلَ معه الإمام كتاباً إلى أبي مسلمٍ يُخبِرُهُ فيه أنَّه وَلاَّهُ قيادةَ الجيوش العباسيّة ، وأمرَه بالمَسيرِ بها إلى العراق ، لما عَلِمَ من كِفايَتِهِ ، وما رَجَا من إحْرازِ النَّصْرِ على يَدَيْهِ[٢] ، ودَفَعَ إليه اللواءَ ، وكَتَبَ له عهداً بذلك ، وسيرةً يَعْمَلُ عليها[٣] . فَسَلَّمَ أبو مُسلمٍ إليه القيادةَ وضَمَّ إليه الجنودَ ، وجَعَلَ له العَزْلَ والاستعمالَ ، وأمَرَ الجنودَ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ له[٤] .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٨.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٣.

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٨ ، وانظر المعارف ص : ٣٧٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٣ ،، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٥.

(١٨) انتصاراتٌ عسكريّةٌ عباسيّةٌ كاسحةٌ

وانْدَفَعَ قَحْطبةُ نحوَ العراقِ كالسُّيولِ العَارِمَةِ التي تُدَمِّرُ كُلَّ ما تَمرُّ به ، والصَّواعقِ المُحْرِقَةِ التي تأخذُ كل ما تَقعُ عليه ، يفتَحُ المُدُنَ ، ويَكتَسِحُ الحُصونَ ، فاسْتولى على أبِيوَرْدَ ، وسَرَخْسَ ، وطوسَ ، ونيسابور ، وجُرْجانَ ، وقُومَسَ ، وَطَبَرسْتانَ ، والخُوار ، والرَّي ، وأبْهَر ، وهَمَذانَ ، ونَهاوَندَ ، وقُمَّ ، وأصْبَهانَ ، وجَابَلْقَ ، وقَرْماسِينَ ، وشَهْرَزُورَ ، وحُلْوانَ ، وخَانَقينَ ، وبلغَ الفراتَ ، فَعَسكَرَ على ضَفَّتِهِ الشرقيّةِ ، وكان يزيدُ بن عمرَ بن هُبَيرةَ الفزاريُّ قد عسْكَرَ على ضَفَّتِهِ الغَربيَّة .

ثم أخَذَ يُقدِّرُ لِعُبورِ الفرات ، ويَستَعِدُّ له ، فَلمَّا تهيَّأت له السُّبُلُ والوسائلُ ، وعبَّأ جُنودَهُ ، وجَهَّزَهُم لذلك ، قَرَّرَ العُبورَ ، فاقْتَحَمَتْ طلائعُ فُرسانِهِ النَّهرَ عِنْدَ العَصرِ ، واجتازَتهُ إلى الضفة الغربيّةِ ، وصَمَدَتْ لِجُنودِ ابن هُبَيرةَ ، وَصَدَّتْ غَاراتِهِم عليها ، وثَبَتَتْ في مَواقِعِها ، ومَكَّنَتْ سائرَ فُرْسانِهِ وجُنودِهِ من العُبور ، حتى إذا حَلَّ المساءُ كان أكثرُهم قد قَطَعُوا النهرَ ، وتكاثَفوا على ضفَّتِه الغربيّة ، وقَاتَلُوا جنودَ ابن هبيرة ، وأبْلَوا في قِتالهم بالليل بَلاءً حَسناً ، حتى هَزَموهُم وشَتَّتوهُم ، فمضى ابنُ هُبيرةَ بمن بقي معه منهم إلى واسطٍ ، وتَحَصَّنَ بها .

وأحْصى مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية المعاركَ التي نَشَبَتْ بين قحطبة وجُنودِهِ ، وبَينَ ولاةِ مروان بن محمد وقَادَتِهِ ، واسْتَقصاها منذ فَصَلُوا من مَرْوَ الشَّاهجان إلى أنْ

خاضُوا الفُراتَ وقطَعُوهُ ، وَوَصفَها وَصْفاً دقيقاً ، وذكَرَ بعضَ المعلوماتِ النَّادرة ، وتَفَرَّدَ بها، لأنه أخَذَها عن المصادرِ العباسيّة ، وعن حَلَقاتِ الدَّعوةِ السِّرِّيَّة [1] .

وألمَّ المُؤَرِّخونَ بتلك المعارك ، على تفاوتٍ بينهم في عَدِّها وعَرْضِها [2] . ولكنَّ ابن جريرٍ الطبريَّ أحاطَ بها ، وسَرَدَ تَفاصيلَها ، وساقَها بِرواياتِها المختلفة . وبعضُ ما حمَلَ من أخبارِها يُوافِقُ ما أوردهُ مُصنِّفُ أخبار الدولة العباسية ، وبعضُهُ يُفارِقُهُ ، لأنَّ ابنَ جريرِ الطبريّ نَقَلَهُ من طُرُقٍ أخرى [3] .

وكانَت المعركةُ التي دارتْ بين قَحْطبة وابن هُبيرةَ بفَمِ الزَّابِ من أرض الفَلُّوجَةِ العليا في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ معركةً فاصلةً ، فإنها كانت آخرَ المعارك الطَّاحنةِ التي وقعت بين جيوش الدولة الأموية ، وجيوش الثورة العباسيّة ، إذ انهزمَ ابنُ هُبيرةَ ، وتَفرَّقَ عنه أكثرُ جُنودِهِ ، إلاَّ أهلَ الحِفاظِ المُرِّ ، والخُلُقِ الوَعْرِ منهم ، فإنهم ثَبَتُوا معه ، فوَلَّى بهم الأدبارَ إلى واسطٍ ، واعتَصَمَ بها ، فبقِيَ في الحِصارِ حتى استَسلَمَ لأبي جعفرٍ المنصور في تلك السَّنة ، فجَعَلَ له أماناً ، وكَتَبَ به كِتاباً [4] .
وانْتَصَرَ جُنودُ قَحطَبَة نَصْراً مُؤَزراً ، وازْدادوا قوةً وحماسةً ، وتَضاعَفَ أملُهُم في الفَوْزِ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١ — ٣٧٠.

(٢) أنظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩١ — ٥٩٢ ، ٦٠٠ — ٦١٠ ، والمعارف ص : ٣٧٠ — ٣٧١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٥ — ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٣ — ٣٤٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٣ — ٣٦٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٦ — ١١٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩١ — ١٩٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤١.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٨ — ٣٩٢ ، ٤٠٣ — ٤١٠ ، ٤١٢ — ٤١٦ ، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ — ٤٠٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٤٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٧٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٥٦ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٠ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٢ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣١٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٤.

العظيم ، فقد أصبحت الكوفةُ قريبةً منهم ، ولم يَبْقَ في الطريق إليها إلاَّ قليلٌ من عَدُوِّهم ، وكادَتْ دَوْلَتُهم أنْ تَقومَ ، بل كأنْ قامَتْ ! !

هذه الانتصاراتُ المتلاحقةُ الساحقةُ التي أحْرَزَتْها الجيوشُ العباسيّة خِلالَ عَامَيْنِ ، لم تكن أمْراً غريباً ، بل كانَتْ أمراً متوقَّعاً ، فقد مَهَّدَتْ لها أسبابٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وساعَدَتْ على إنجازها عواملُ مُتَنَوِّعَةٌ : منها أنها ثَمَرَةُ ثلاثين عاماً من الدَّعوةِ السِّرِّيَّةِ ، والتَّعْبِئَةِ المُتْقَنَةِ ، والعَمَلِ الدَّائمِ ، والتَّنظيمِ المُحْكَمِ .

ومنها كَثْرَةُ الجيوشِ العباسيّةِ ، وتَدَفُّقِها مَوْجَةً بعدَ مَوْجَةٍ كأنها البركانُ الثائرُ لا يَضْعُفُ ولا يَخْمُدُ ، أو الطُّوفانُ الهَادِرُ لا يَخِفُّ ولا يَنفَدُ ، قال أبو حنيفة الدَّيْنوري يُصَوِّرُ تَحفُّزَ شيعةِ بني العباس وتَوَفُّزَهُم ، وتَسارُعَهُم وتَدافُعَهُم إلى أبي مسلمٍ لِنُصرَةِ الثَّورة [١] : «حَانَ الوَقتُ الذي واعَدَ فيه أبو مسلمٍ مُستَجيبيهِ ، فَخَرَجُوا جميعاً في يومٍ واحدٍ من جميعِ كُوَرِ خراسان حتى وَافَوْهُ ، وقد سَوَّدُوا ثيابَهُم ،... ، وانجَفَلَ الناسُ على أبي مسلمٍ من هراةَ ، وبُوشَنْجَ ، ومَرْو الرُّوذ ، والطَّالقان ، ومَرْو [الشَّاهجان] ، ونَسا ، وأَبِيوَرد ، وطُوسَ ، ونيسابُورَ ، وَسَرَخْسَ ، وبَلْخَ ، والصَّغانيان ، والطَّخارِستَانَ ، وخُتَّلان ، وَكَشَّ ، ونَسَف ، فَتوافَوْا جميعاً مُسَوِّدي الثياب ، وقد سَوَّدُوا أيضاً أَنصافَ الخَشَبِ التي كانت معهم ، وَسَموها : كافر كُوبادْ ، (أي مَضْرِبُ الكافر) . وأقبلوا فرساناً ، وحمَّارَةً ، وَرَجَّالَةً ، يَسوقُونَ حميرَهم وَيزْجُرُونَها هَرَّ مَرْوان ، يُسَمُّونَها مَروان تَرْغيماً لمروان بن محمدٍ ، وكانوا زهاءَ مائة ألف رَجُلٍ» .

وكانت الجيوشُ العباسيّةُ مُتَماسكةً غيرَ مُفَكَّكةٍ ، ومُتعاضِدَةً مُتَسانِدَةً ، ومُطيعةً مُنصاعةً ، وفَتِيَّةً قويّةً ، ومُستَبْسِلَةً مُستَقْتِلَةً . وقد جَمَعَتْ إلى ذلك سلامةَ

---

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٦٠ .

التَّخطيطِ ، وَحُنْكَةَ القيادةِ ، ودِقَّةَ الاتِّصالِ ودَوامِهِ بينَ ميادينِ الحَرْبِ ومراكزِ التَّجْنيدِ والحَشْدِ والتَّوجيهِ في خراسان والكوفة[1] ، وسرعةَ الإمْدادِ والإنجادِ[2] ، وثقةَ قادتِها في مَواقعِ القتالِ بقيادتِهم العليا ، واطْمئنانَهُمْ إليها ، وأخْذَهُم بآرائِها ، والتزامَهُمْ بها[3] ، واستِجابَتَهُم لأوامِرِها ، وإنفاذَهُمْ لها[4] .

وكانت الجيوشُ الأمويةُ مُبعثَرَةً مُتناثِرَةً ، ومُتدابِرَةً مُتنافِرَةً ، قد مَزَّقَتِ العَصَبيَّةُ القبليَّةُ صُفُوفَها ، وَفَرَّقَتْ بين يَمانيِّها وقَيسِيِّها ، وأفْسَدَتِ المنافَسَةُ السياسيةُ أهواءَها ، وباعَدَتْ بين قُلُوبِها[5] . وكانت مَكْدودةً مَجهودةً ، ومُنهَكَةً مُستهْلَكَةً ، وخامِلَةً مُتَبَلِّدَةً ، ويائسةً قانِطَةً ، لِطُولِ مُقارَعَتِها في السنواتِ الخَمسِ الماضيةِ للمُتَمَرِّدينَ على مروان بن محمدٍ من بني أميّة[6] ، والمُناوِئينَ له من اليَمانيَةِ[7] ، والخارِجينَ عليه من الشيعة[8] والحَرُوريَّةِ[9] ، فَمَلَّتِ القِتالَ لِما بَلَتْ مِنْ أهوالِهِ ، وما تَجَشَّمَتْ مِنْ مهالِكِهِ ، وسَئِمَتِ الحربَ لما تَعَرَّضَتْ له مِنْ أخطارِها ، وما اصْطَلَتْ به مِنْ نارِها ! !

---

(1) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ .

(2) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥١ .

(3) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٧ ، ٣٦٤ .

(4) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١ ، ٣٦٤

(5) انظر تفصيل ذلك في الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤٨٣ — ٤٩٤ .

(6) انظر تفصيل ذلك في الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤٠١ — ٤١٠ ، ٤٦٦ — ٤٧٤ .

(7) انظر تفصيل ذلك في الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤١١ — ٤٤١ ، ٤٧١ — ٤٧٢ .

(8) انظر تفصيل ذلك في الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤٩٤ — ٤٩٦

(9) انظر تفصيل ذلك في الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤٩٦ — ٥٠٧ .

ومنها أنَّ أبا مسلمٍ أقامَ بِمَرْو الشَّاهجان، يَضْبِطُ أمرَ خراسان[١] ، ويُجَنِّدُ الجُنودَ، ويُجَيِّشُ الجيوش، ويبعَثُ إلى قَحطَبَة بالأموالِ والرِّجالِ والسِّلاح [٢] . وكان أبو سلَمَة الخلاَّلُ كبيرُ الدعاةِ مُقيماً بالكوفة يُهَيِّئُ شيعةَ بني العباس لاسْتِقبالِ دولَتِهم، ويُعَبِّئُ المُقاتلَةَ منهم لِنُصرَةِ ثَورَتِهم [٣] . وكان عَيْناً لِقَحطَبَة، يَسْتَكشِفُ له أماكنَ الجيوشِ الأموية، ويَرصُدُ ما يأتيها من أمْدادٍ، ويُراقِبُ حَرَكَتَها، ويَتَعَقَّبُ وِجْهَتَها، ويُسَرِّبُ إليه أخبارَها [٤] . وكان مُسَدِّداً له وهادياً، وآمِراً وناهياً، حين يَنْصَحُ لهُ أن يَترُكَ حِصَارَ مدينةٍ ويُهاجِمَ مدينةً أُخرى، حتى لا يَستَفرِغَ الوقتَ في غيرِ فائِدَةٍ، ولا تَفتُرَ هِمَمُ جُنودِهِ وعَزائِمُهُمْ، ولا يَتطَرَّقَ الوَهَنُ والعَجْزُ والفَشَلُ الى نفوسهم[٥] ، وحيناً يشيرُ عليه أنْ يُبادِرَ إلى مُنَاجَزَةِ بعضِ الطَّلائعِ المُتَقَدِّمَة، قبلَ أن يتكامَلَ جُنودُ عَدُوِّهِ ويتكاثَروا، ويَتَحَصَّنُوا في المعاقلِ والقلاعِ التي يقصدونَها، ويَستَريحوا بها ويَصحُّوا، فيَقوْوا على قِتالِهِ[٦] ، وحيناً يُحَذِّرُهُ أنْ يَنْقَضَّ عليه عَدُوُّهُ على حين غَفْلَةٍ منه، فيَفْتِكَ به [٧] ، وحيناً يأمُرُهُ أنْ يُغَيِّرَ طريقَهُ، ويَحيدَ عَنْ عَدُوِّهِ، حتى لا يَصْطَدِمَ به، ولا يُضْطَرَّ إلى مُحارَبَتِهِ، ويَرْسمُ له الطريقَ الخاليَ المأمونَ إلى الكوفة، حتى يَسْبِقَ إليها، ويستولي عليها[٨] .

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ١٩٣.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١، ٣٣٧، ٣٥١، ٣٦٣، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤، ٦٥

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٥٥، ٣٦٧.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٣٧، ٣٦٣.

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٥١.

(٦) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٥١.

(٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٣٧.

(٨) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٤.

وكان ابنُ هُبَيرةَ بالعراق مُتهاوِناً مُهمِلاً ، ومُفرِّطاً مُتخاذلاً ، وقد حمَّلَهُ مروانُ ابن محمدٍ ما حاقَ بالجيوشِ الأمويةِ من هزائم ماحقةٍ ، لتراخيهِ ، وسوءِ سياستِهِ ، وقُعودِهِ عن قتْلِ خُصُومِهِ ، وسُكوتِهِ عن المُنحَرفينَ عن بني أميّة ، وتَقاعُسِهِ عن مُعاقبةِ الفَاسدينَ من جُنودِهِ ، واحْتيازِهِ الأموال ، واخْتِيانِهِ لها ، وقَطْعِهِ العَطاءَ عن جُنودِهِ.

وحفظ مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسيّة كتابَ مروان إلى ابن هبيرة في ذلك ، وفيه يقولُ له متَّهماً ومُجرِّماً [١] : «إنَّ أميرَ المؤمنين وَلاَّكَ العراقَ لما أملَ من كِفايَتِكَ ، فأخْلَفْتَ ظَنَّهُ في أمورٍ : منها إبْطاؤُكَ عمن استَصرخَكَ من أهل طاعته بخراسان ، حتى وَهَنَتْ قُوَّتُهُم ، وَقَوِيَ عَدوُّهُم عليهم. ومنها أَخْذُكَ أُهْبَةَ الحِصارِ قَبْلَ أوانِ ذلك ، حتى أَرْعَبْتَ قلوبَ من مَعَك ، وسَهَّلْتَ عليهم سُبُلَ الهزائم ، وإنما يكونُ الحصارُ بعدَ طولِ المُنازلةِ والمُحارَبَة. ومنها إغْمادُكَ السيفَ عن آل المُهَلَّبِ المُتَرَبِّصينَ للفِتَنِ ، ألاَّ تكونَ سَفَكْتَ دماءَهُمْ ، وأَبحْتَ حَريمَهُم. ومنها إهمالُكَ أمْرَ جُنودِكَ بلا شِدَّةٍ على أهلِ الرِّيَبِ منهم ، وإقامةِ الحُدودِ فيهم. ومنها تَقْصيرُكَ في قَطعِ ألسِنَةِ مَنْ يَنْطقُ فيما يكرَهُهُ أميرُ المؤمنين من أهل الشام ، وقد رأيتَ آثارَ أمير المؤمنين وتنكيلَهُ بهم. ومنها اشْتِمالُكَ على فَيْءِ المسلمين يَبْعَثُهُ مزاحم بن زُفَر يُدَسِّسُهُ لك إلى أحِبَّائِكَ بِقِنَّسْرِينَ ، وهذا أعظمُ قُوَّتِكَ على عَدوِّك».

وعلى الرغم من أنَّ ابن هبيرةَ دافعَ عن نفسه ، ونَفَى ما نسبَهُ مروان إليه [٢] ، فإنَّه ظَلَّ يخرجُ على إرادتِهِ ، ولا يُبالي بِمَشيئَتِهِ ، ومَضَى يُعْرِضُ عن تَدابيرِهِ ، ولا يكترثُ لأوامرِهِ. فَنَقِمَ مروانُ ذلك منه ، وحَقَدَه عليه. وكان ابن هبيرة يَعْلَمُ ذلك ويَعْرِفُهُ ، فلم يَنْضَمَّ بعد اندِحارِهِ في فَمِ الزَّابِ إلى مَروانَ ، لأنه كان يَخْشى أن

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٦٠.

(٢) انظر جواب ابن هبيرة عن كتاب مروان اليه في أخبار الدولة العباسية ص: ٣٦١.

يَضربَ عُنُقَهُ ! قال ابن جرير الطبري[1] : «كان يَخافُ مَروانَ ، لأنه كان يكتبُ إليه في الأمْرِ فَيُخالِفُهُ ، فخافَهُ إنْ قَدِمَ عليه أن يَقْتُلَهُ ، فأتى واسطاً فَدَخَلَها ، وتَحَصَّنَ بها » .

وأنكَرَ مروانُ بن محمدٍ تَنَحِّيَ ابن هبيرةَ إلى واسطٍ ، بعد أن أجْلَتْ معركةُ فَمِ الزَّابِ عن موتِ قَحطَبَةَ بن شبيبٍ الطائيّ ، وتشاءمَ من صَنيعِهِ ، وتَطَيَّرَ به ، إذ رأى فيه نذيراً بِهلاكِهِ ، وانهيارِ دَولةِ بني أميّة ، وقال حين قرأ كتاب ابن هبيرة إليه بذلك[2] : «وَيْلي عليه ابن القَرْعاء ! يُقتَلُ قَحطَبَةُ ويَنْهَزِم» ! ووَقَّعَ حينَ أتاهُ غَرَقُ قحطبةَ وانْهِزامُ ابنُ هبيرة[3] : «هذا والله الإدبارُ ! والاَّ فَمَنْ رأى مَيِّتاً هَزَمَ حيّاً» !

ومنها أنَّ شيعةَ بني العباس في جُرْجان والرَّيِّ وهَمَذانَ وأَصْبَهانَ وغيرها من المُدُنِ كانوا مُستَنفِرينَ منذ أنْ أعْلَنَ أبو مسلمٍ الثورةَ العباسيّة ، فكانوا عَوْناً للجيوشِ العباسيّة ومَدَداً لا يَنْضَبُ لها ، فإنهم كانوا يُناهِضُونَ عَدُوَّها وهي تُطبِقُ على تلك المُدُنِ ، وتُقاتِلُ جنودَ بني أميّةَ بها ، فإذا غَلَبَتْ عليها انضافُوا إليها ، فَزادُوها كثرةً وقُوّةً[4] .

وكانَ الناسُ قد كَرِهُوا بني أميّة . واستَثْقَلُوا أمْرَهُم ، وتَمَنَّوا فَناءَهم ، واستَبطَأُوا زَوالَ مُلْكِهِم[5] ، فكانوا إذا مَرَّتْ جيوشُ بني أمية بمُدُنِهم ، أو وَرَدَتْها وحَلَّتْ بها ، أو عَسكَرَتْ بِمَشَارِفِها يَتَثَبَّطون عَن مُساعَدَتِها ، ويَمتَنِعُونَ من نُصرتِها .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٨ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٣ .

(٣) العقد الفريد ٤ : ٢١٠ ، ٤٨١ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٤ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٦ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٤ .

(١٩) هلاكُ قَحطَبَةَ بنِ شبيبٍ الطَّائي

وأسْفَرَتْ معركةُ فَمِ الزَّابِ عن فَقْدِ قَحْطَبَةَ بن شبيبٍ الطائي ، قائد الجيوش العباسية ، وقد اختُلِفَ في مَوْتِهِ اختلافاً شديداً ، فقيل : غَرِقَ غَرَقاً ، وهو يَعْبُرُ الفراتَ ، انْهارَ به جُرْفٌ فَغَاصَ في النَّهر[١] . وقيل : إنَّ قوماً من الطائيين دَلُّوهُ على مَخَاضَةٍ ، فَغَرِقَ فيها[٢] .

وقيل : قُتِلَ قَتْلاً ، وهوَ يُصارِعُ أعداءَهُ ، أصابَتْهُ طعنةٌ في وجهه ، فَوَقَعَ في الفراتِ فَهَلَكَ ، ولم يَعْلَمْ به أحدٌ[٣] . وقيل : جازَ المخاضَةَ التي دَلَّهُ الطَّائيّونَ عليها ، فقَاتَلَ ليلاً ، فوُجِدَ فَرَسَهُ نافراً ، فلم يُدْرَ ما خَبَرُهُ[٤] . وقيل : وُجِدَ مَقتولاً ، فَدَفَنَهُ أبو الجَهْمِ بن عطيّة[٥] . وقيل : وُجِدَ مَقْتولاً ، وإلى جانبه حَرْبُ بن سَلْم بن أحْوَز

---

(١) المعارف ص : ٣٧٢ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٧١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٧ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٦ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٨ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ .

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٤ ، وانظر المعارف ص : ٣٧٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨ .

التَّميمي ، وقد اختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه[1] .

وقيلَ : ضَرَبَهُ معنُ بن زائدة الشيباني على حَبْلِ عاتِقِهِ ، فأسرَعَ فيه السيفُ ، وسَقَطَ في الماءِ فأخرجوه[2] ، فقال : شُدُّوا يَدي ، فَشَدُّوها بعمامةٍ ، فقال : إنْ مُتُّ فألقوني في الماء ، لا يعلمُ أحدٌ بِقَتْلي[3] . وقيلَ قَتَلَهُ جماعةٌ ممن وَتَرهُمْ ، طلبوا فُرْصَتَهُ وهو في الماء فَقَتَلُوه[4] .

وقيلَ : قَتَلَهُ أحْلَمُ بن إبراهيم بن بسام مولى بني ليثٍ ، لأنه ذكرَ شيئاً كان في نفسه عليهِ فَقَتَلَهُ[5] . وقال أحلَمُ[6] : لما رأيتُ قحطبةَ في الفرات ، وقد سَبَحَتْ به دابَّتُهُ حتى كادت تعبُرُ به من الجانب الذي كنتُ فيه أنا وبسام بن ابراهيم أخي ، وكان بسامٌ على مُقَدِّمَةِ قَحْطَبَة ، فَذَكَرْتُ مَنْ قَتَلَ مِنْ وَلَدِ نصرِ بن سيّار ، وأشياء ذكرتُها منه ، وقد أشفَقْتُ على أخي بسام بن ابراهيم لِشيءٍ بَلَغَهُ عنه ، فقُلتُ : لا طَلَبْتُ بثأرٍ أبداً إنْ نَجَوْتَ الليلة . فَتَلَقَّيتُهُ وقد صَعَدَتْ به دَأْبَتُهُ لِتخرُجَ من الفراتِ وأنا على الشَّطِّ ، فَضَرَبْتُهُ بالسيف على جبينه ، فَوَثَبَ فرسُهُ ، وأعجَلَهُ الموتُ ،

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤١٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ .

(٤) العيون والحدائق ٣ : ١٩٥ .

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٧ .

(٦) تاريخ الطبري ٧ : ٤١٦ .

فَذَهَبَ في الفُراتِ بسلاحِهِ. ثم أخبَرَ ابن حُصَيْن السَّعدي بعد موتِ أجلَمَ بن إبراهيم بمثلِ ذلك، وقال: لولا أنه أَقَرَّ بذلك عند موته ما أخبَرْتُ عنه بشيء.

فالغموضُ يَلُفُّ موتَ قحطبةَ لَفّاً، ومما يثيرُ الشَّكَّ في سَبَبِ مَوْتِهِ، ويبعَثُ على الارتيابِ به أنه يَرْتَبِطُ في بعض الأخبارِ بالتَّكهُّنِ، فقد رُوِيَ عن قحطبةَ أنَّ الإمامَ محمد بن عليّ حَذَّرَهُ أن يقطَعَ الفراتَ، وأخبرَهُ أنه يَغْرَقُ فيه إذا قَطَعَهُ!! ونُسِبَ إليه أنه كان يقول لأصحابه[1]: «قد أعْلمتكم أنَّ الإمامَ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أعْلَمَني أنْ ألْقى نُباتَةَ بن حَنْظَلَةَ الكِلابيَّ، وعامر بن ضُبارَةَ المُريَّ، فأهزِمُهُما وأستَبيحُ عَسْكَرَهما، وأقْتُلُ مُقاتِلَتَهما. وأنبأْتُكُمْ بذلك قبلَ كَوْنِهِ، وقد رَأَيْتُمْ صِدْقَ ما خَبَّرْتُكُمْ! وإن الإمام أعلَمَني أنْ لا أعبُرَ الفرات[2]، وإنكم تَعْبُرونَهُ، فلا يُفقَدَ من الجيش أحدٌ غيري، وإنه والله لا كَذِبَ فيما قال»!

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٤، وانظر العقد الفريد ٤: ٤٨٠، ٤٨١.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٢، ٣٤٣.

(٢٠) تَولِيَةُ الحسنِ بنِ قحطبَةَ قِيادةَ الجيوشِ العباسيّة

ولمَّا قُتِلَ قحطبةُ اضطربَ الجيش[١] ، ولكنَّ قادَتَهُ سرعانَ ما تَدارَكُوا الاضطرابَ ، فَزَعَمَ بعضُهُم أنه عهدَ قبلَ مَوتِهِ إلى ابنه الحسن ، قال مُقاتلُ ابن حكيم[٢] العَكّي[٣] : «سمعْتُ قحطبةَ يقول : إنْ حَدَثَ بي حَدَثٌ فالحسنُ أميرُ الناس. فأُسنِدَت إليه قيادة الجيوش العباسيّة بوصية أبيه إليه. وبايَعَهُ القادةُ والجنودِ ، واجتمعوا عليه وانْقادُوا له[٤]/.

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ١٩٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٧ : ٤١٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٣ : «مقاتل بن مالك». وفي العيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٣ : «العَتكي». والتصحيح من أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٤.

وكان مقاتل بن حكيم العَكّي من مجلس السبعين ومن نظراء النُّقباء. (انظر اخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ ، ٢٢٠).

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤١٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٣ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٤ ، ٤١٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨.

(٢١) دُخولُ الكوفةِ وتَسليمُ الأمرِ إلى أبي سلمةَ الخَلاَّل

وتَقَدَّمَ الحسنُ إلى ظاهرِ الكوفةِ ، وأخذَ يقتربُ منها شيئاً فشيئاً ، فنزَلَ كَرْبُلاء ، ثم ارتَحَلَ فنزلَ سُورا ، ثم نزل بعدَها دَيرَ الأعوَر ، ثم سارَ منه فنزلَ العباسيّة(١) .

وأرْسَلَ أبو سلمَة الخلاَّلُ إلى محمد بن خالد بن عبد الله القَسْريّ أنْ يُظهِرَ السَّوادَ ، ويَخْرُجَ بالكوفة ، وبعث بِمثلِ ذلك إلى طَلْحَة بن إسحاق بن محمد ابن الأشْعَث الكَندي(٢) ، فتأهَّبا ، واجتمعَ لمحمد بن خالد بن عبد الله القَسري ألفُ رجل من قَوْمِهِ ومَواليهِ وصنائع أبيه(٣) ، ويقال : بل اجتمعَ له منهم أحدَ عشر ألف رجل(٤) . وبلغ ذلك زيادَ بن صالح الحارثي عامل ابن هُبيرةَ على الكوفة ، فهربَ إلى واسطٍ وَلَحِقَ بابن هُبيرة . فمضَى محمدُ بن خالد بن عبد الله القَسْريُّ إلى قَصْرِ الإمارةِ فَدَخَلَهُ ، وخلَعَ مروان ابن محمد ، ودعا الناسَ إلى البَيْعَةِ للرِّضا من آل محمدٍ ، فبايَعوهُ ، وضَبَطَ الكوفة(٥) .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤١٦ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٣.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٧.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٧.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ . وفي تاريخ الطبري ٧ : ٤١٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٦ : أحد عشر رجلاً !!

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ،

فلما تمَّ لأبي سَلَمَةَ الخلاَّلَ ذلك أشارَ على الحسن بن قَحْطَبَة الطائي أنْ يَدخُلَ الكوفة ، فَدَخَلَها بعد أربعِ ليالٍ من فَقْدِ والِده[1] . وأرسَلَ إلى أبي سَلَمَة الخلاَّل ، فأتاه ، وظَهَرَ بالنُّخَيْلَةِ يوم الجمعة لعشرٍ خَلَوْنَ من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فَسَلَّمَ إليه الأمرَ ، وبايَعَهُ أهلُ خراسانُ وأهلُ الكوفة[2] ، ثم خطبَ فَهنَّأَ القوّادَ والجنودَ من أهل خراسان بالنَّصْرِ ، ووَصَفَهم بأنهم أصحابُ الدّعوةِ والدَّولةِ ، وقَدَّمَهُم وفَضَّلَهُم ، وحَذَّرَهُم وحَمَّسَهُم ، ووَعَدَهُم ومناهم ، إذ قال لهم[3] : « إنَّ الله قد أكرَمَكم بهذه الدّعوةِ المباركةِ التي لم تَزَلِ القُلُوبُ تَتَشَوَّقُ إليها ، فَخَصَّكُم الله بها ، وجَعَلَكم أهْلَها . ألا وإنه ليس لأحدٍ فيها شَرَفٌ إلاَّ بعدَكم ، ولا مَنزِلَةٌ في حِباءٍ ولا في مَجْلسٍ ، ولا مَدْخَلٌ ولا مَخْرَجٌ عند أئمَّتِكُم إلاَّ دونكم . ألا وإنها دَوْلَتُكُم فأقيلُوها[4] وأَيْقِنُوا بنصرِ الله إياكم ، كَعادَتِهِ فيما أبلاكم حتى بلَّغَكُمْ ما أنتم فيه . فاعتبروا ما بَقِيَ بما مَضى ، وتَحَفَّظُوا من خُدَعِ السُّفهاء ، وتَزْيين شياطينهم لكم اتِّباعَ أهوائهم ، فإنهم سيَقْرَعون[5] لكم بالحَسَدِ على هذه النِّعمةِ ، فاتَّهموهم ، ولا تُقارِبُوهُم ، ولا تُطْمِعُوهُم في أنفسكم ، فيردُّوكم على أعقابكم ، وأبْشِروا بالخيرِ الكثيرِ في عاجِلِكم إلى ما قَدْ ذَخَرَهُ اللهُ لكم في آجِلِكُم » .

والأخبار الطوال ص : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٧ ، ٤١٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٩.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٧٤ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٧ ، ٦١٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، ١٩٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٦ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٥.

(٤) أقيلوها : أجيبوها ودافعوا عنها. وفي الأصل : «فاقبلوها».

(٥) قرعه : ضربه ، وأصابه ، وفجأه .

ولَبِثَ في النُّخَيلَةِ يَوْمَيْنِ ، ثم ارتحلَ إلى حَمَّامِ أعيَنَ على نَحوِ ثلاثةِ فراسخ من الكوفة ، فعَسكَرَ به (١) . ثم وَلَّى أبا الجَهْم بن عطيّة ديوانَ الجُندِ ، وأبا غانمٍ عبد الحميد بن رَبعي الطائي الشُّرَطَ ، وعبيدَ الله بن بسام مولى بني لَيْثٍ الحَرَس ، وعَمْرَوَيْه الزَّيَّاتَ حِجابَتَهُ ، والمغيرة بن الرَّيَّان الخَراج ، ثم نَقَلَهُ إلى ديوان الرَّسائل ، وَوَلَّى يُوسفَ بن ثابت ديوانَ الخراج ، وَوَلَّى عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم الغَامدي الصَّوافي والقطائع والخزائن (٢) .

وفَرَضَ للجُندِ ، فَجَعَلَ رِزْقَ الرجل في الشهر ثمانين دِرْهماً ، وأجْرَى لِكُبَراء القُوَّادِ وأهلِ الغَناء من النُّقباءِ وغيرهم ما بين ألفٍ إلى ألْفين ، وخَصَّ مَنْ دُونَهُم ما بَيْنَ مائةٍ إلى ألْف (٣) . وبَعَثَ إلى بيتِ المالِ والخزائن فَحَمَلَ ما فيها إلى المُعَسْكَرِ ، وأعْطى الجُنْدَ منه جميعاً على ما كان رَسَمَهُ لهم . فكان ذلك أولَ ما قُبِضَ من ديوان بني العباس (٤) . وفَرَّقَ العُمَّالَ في البلدان لِيَضبِطُوا أمورَها ، وَوَجَّهَ القُوَّادَ إلى النَّواحي لِيُقاتِلُوا فُلُولَ الجيوش الأموية بها ، ويُسيطِرُوا عليها (٥) ، وأقامَ بمعسكرِهِ من حَمَّامِ أعْيَنَ يُصْدِرُ الأعمالَ ، ويُدَبِّرُ الأمورَ ، ويُكاتِبُ أبا مُسْلمٍ (٦) .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٨ ، ٤١٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٦ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٦ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٦ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٧ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٧ ، وأنظر أنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٨ ، ٤١٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٦ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٨ .

(٢٢) أسبابُ اعتقالِ الإمام ابراهيم

ولم يَدْعُ أبو سَلَمَة الخَلاَّلُ إلى بَيْعَةِ رَجُلٍ مَعْروفٍ من بني العباس ، بعد أن استَقَامَ له الأمرُ بالكوفة ، بل طَلَبَ من العمَّالِ والقُوَّادِ الذين وجَّهَهُم إلى البلدان والنَّواحي «الدَّعوَةَ للإمام القائم من بني العبّاس»[١] دون تسميَةٍ له. واختارَ ذلكَ ، وأَقدَمَ عليه ، لأنَّ مروانَ بن محمد قَبَضَ على الإمامِ إبراهيم بن محمدٍ ، ثم قَتَلَهُ. وفي سببِ حَبْسِهِ له اختلافٌ شديدٌ ، وقد ساقَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدّولةِ العباسيّة أكثر ما رُوِيَ في ذلك[٢] .

فقد قيلَ : إنَّ مروان بن محمد عَلِمَ بأمرِ الدعوةِ إلى الرِّضا من آل محمدٍ ، فَظَنَّ أنَّ الدُّعاةَ يَدْعُونَ لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالبٍ ، لأنه شيخُ هذا البَيْت ، وذُو سِنِّهم. فبعَثَ إليه فأَقْدَمَهُ ، وأخبَرَهُ بما انتهى إليه من أمرِ الدَّعوةِ ، واتَّهَمَهُ في ذلك. فتبَرَّأَ مما نَسبَهُ إليه ، وأَنْبَأَهُ أنَّ إبراهيمَ بن محمدٍ هو صاحبُ الدَّعوةِ ، وهو المُتَحَرِّكُ لها. فأرسلَ إليه فَحَبَسَه[٣] .

وقيل : إنَّ قُرَيظَ بن مُجاج بن المُستَوْرِدْ التَّميمي أصابَ دماً في قَومِهِ بالبصرة ،

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤١٩ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٧— ٤٠٣.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤.

فخَافَ فلحقَ بخراسان ، وغَيَّرَ اسمَهُ فتَسَمَّى بعبد الكريم ، وتكنَّى بأبي العَوْجاء . ولَزِمَ لاهز بن قُرَيْظٍ التميمي ، والقاسم بن مجاشعٍ التميمي ، وانقَطَعَ إليهما ، فأطلعاهُ على أمرِهما ، ودَعَواهُ إلى دَعوَتِهما ، فأجابَهما ، وسَعَى معهما حتى عُرِفَ بالصِّحة وقُوَّةِ البَصيرة . فَوَجَّهَهُ أبو مسلمٍ مع أبي حميدٍ محمد بن إبراهيم الحِمْيَري إلى الإمام إبراهيم ، فلما كانَ بِتَدْمُرَ مَرِضَ عبد الكريم أو تمارَضَ ، وتَخَلَّفَ بها . فلما مَضَى أبو حُمَيْدٍ ، سارَ عبد الكريم إلى مروان بن محمد فأخبرَهُ بأمرِ الدَّعوةِ وصاحِبِها ، فبعَثَ إليه فأَخَذَهُ(١) .

وقيل : إنَّ مروان بن محمد أرسل رجلاً من خاصَّتِهِ إلى عَسكَرِ قحطبة بن شبيب الطائي ، فلما غَلَبَ على جرجان ، تَقَدَّمَ إليه الرجلُ لِيُبايِعَهُ ، فقال له : بَايِعْ للرِّضا من آل محمدٍ ، فقال : هذه بيعةٌ مَجهولَةٌ لا يَصِحُّ بها عَقْدٌ ، فَزَجَرَهُ قحطبة ، فقال : ما كنتُ لأُبايعَ إلاَّ لمن أعرِفُ اسمَه ، فاستشرفَ الجُندُ هذا القَولَ ، فخافَ قحطبةُ على نفسه ، وأنْ تَفْسدَ قلوبُ الجُندِ ، فقال : بايِعْ لإبراهيمَ بن محمد ، وهو بالشَّراةِ ، فأوصَلَ الرجُلُ خَبَرَهُ إلى مروان ، فَحَمَلَهُ إلى حَرَّان(٢) .

وقيل : إنَّ نَصْرَ بن سيّارٍ هو الذي أعْلَمَ مروان بن محمد بأنَّ أبا مسلمٍ يَدْعو إلى بيعةِ إبراهيم بن محمد ، فَطَلَبَهُ ، فَجِيءَ به إليه ، فَوَبَّخَهُ ، فَاشْتَدَّ لسانُ إبراهيم عليه فيما خَاطَبَهُ ، فحَبَسَهُ بِحَرَّان(٣) .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٩ ، وانظر مروج الذهب ٣ : ٢٥٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٩١ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٩١ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٢١ ، والأخبار الطوال ص : ٣٥٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٩ .

وروى آخرون أن أبا مسلم أرْسَلَ إلى الإمام إبراهيم بن محمدٍ كتاباً يُخْبِرُهُ فيه خبره وما آلَ إليه أمرُهُ ، فيقال[1] : إن أصحابَ مَرْوان بن محمد الذين وَكَّلَهُمْ بالطُّرقِ اعْتَقَلُوا رسولَ أبي مسلمٍ ، وقَادُوهُ إلى مروان ، فأمَّنَهُ ورشَاهُ ، على أنْ يَمْضِيَ إلى إبراهيم فيأخذَ جوابَهُ ، ويَأْتيهِ به ، فَفَعلَ الرسولُ ذلك ، وتأمَّلَ مروانُ جواب إبراهيم إلى أبي مسلمٍ بِخَطِّهِ ، فاحْتَبسَ الرسولَ ، وأمَرَ بالقَبْضِ على إبراهيم ، فَحُمِلَ إليه ، فَسَجنَهُ بحرَّان. ويُقَالُ[2] : إنَّ أصحاب مروان لم يَعْتَقِلُوا رسولَ أبي مسلمٍ إلى إبراهيم ، بل سارَ الرسولُ نَفْسُهُ إلى مَرْوَانَ ، لأنَّ إبراهيم سألَهُ عن اسمِهِ ونَسَبِهِ ، فإذا هو رَجُلٌ فصيحٌ من عَرَبِ خراسان ، فَغَمَّهُ ذلك ، فكتب إلى أبي مسلمٍ أن يَقْتُلَهُ ، وكان نَهَاهُ عن أن يتَّخِذ رسُولَه من العرب[3] حتى لا يطَّلعَ على أمرِهِ ، ولا يُفْشِيَ سِرَّه. وحَبَسَ الرسولَ ، فلما خرجَ من عنده قرأَ الكتابَ ، فأتى به مروان ، فأمرَ بِأَخْذِ إبراهيم ، وحَبسَهُ بحران.

وقال المقدسيُّ وغيره[4] : إنَّ الإمام إبراهيم حجَّ سنة إحدى وثلاثين ومائة ، ومعه أخواه أبو العبَّاس وأبو جعفرٍ وولدُهُ ومواليه ، عليهم الثيابُ الفاخرة ، ومعهم الرِّحالُ والأثقالُ ، ووقفَ في الموسم في أُبهةٍ عظيمةٍ ، ونجائبَ كثيرةٍ ، وحُرْمةٍ وافرةٍ ، فَشهرَهُ أهلُ الشام وأهلُ البوادي وأهل الحَرَمَيْنِ ، معَ ما انتَشرَ في الدنيا من ظهُورِ

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٥٨— ٢٥٩.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢.

(٣) انظر الإشارة الى كتاب أبي مسلم ، وكتاب الإمام إبراهيم بن محمد إليه في أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٠٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٣ ، ٣٩.

(٤) البدء والتاريخ ٦ : ٦٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ ، وانظر تاريخ الموصل ص : ١٢٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٨.

أَمْرِهم ، وبلغَ مروانَ بن محمدٍ خبرُ حَجِّهم ، وقيل له : إنَّ أبا مسلمٍ يَدْعُو الناس إلى إبراهيم بن محمد ، وإنهم يُسَمُّونه الإمام ، فكتب إلى عامله بدمشق الوليد بن معاوية بن عبد الملك[1] يأمُرُهُ بِتَوْجيهِ خيلٍ إليه ، فوجَّه إليه الوليدُ خيلاً ، فَهجمُوا عليه بمسجدِ قرية كُداد ، فأخذوهُ فحملُوهُ إلى الوليد ، فأنْفَذَهُ إلى مروان ، فحَبسَهُ بحرَّان .

وعلى الرغم من أنَّ مُصنِّفَ أخبار الدولة العباسية ذكَرَ أربعة أقوالٍ مختلفةٍ في حَبْسِ الإمام إبراهيم بن محمدٍ ، فإنه يُوحي أَنَّ عبد الله بن الحسن هو الذي سَعَى به إلى مروان بن محمدٍ ، فقَبَضَ عليه . وأَوْرَدَ ذلك في ثلاثِ رواياتٍ ، ونَقَلَها من ثلاثِ جهاتٍ[2] ، وهي تُرَجِّحُ سعايته به ، بل تَقْطَعُ بها قَطْعاً ! وجاء في اثنتين منها أنه أفْضَى إلى مروان بذلك ، وَوَقَفَهُ عليه بنَفْسِهِ[3] ، وجاء في الثالثة أنه بعث إليه كتاباً بذلك ، وأنَّ الكتاب كان بخَطِّهِ ، قال[4] : « فلما دَخَلَ عليه إبراهيم دَفعَ إليه كتاباً في قرطاس فقال : اقْرأْ ، فلما نَظَرَ ابراهيم فيه قال : هذا خَطُّ عبد الله بن حَسَن ! قال مروان : صَدَقْتَ . هو ابنُ عَمِّكَ مُصَدِّقٌ عليك » !

(١) في البدء والتاريخ ٦ : ٦٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣١٢ ، ٣١٤ ، الوليد بن معاوية بن مروان » ، وهو خطأ . قال البلاذري : « من قال : الوليد بن معاوية بن مروان باطل ، لم يكن لمعاوية بن مروان ابن يقال له الوليد » (انظر أنساب الأشراف ٣ : ١٢١) . وراجع الأخبار الطوال ص : ٣٥٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٠٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٢ . ومن غريب الأمر أن ابن حزم ذكر أنه كان لمعاوية بن مروان بن الحكم ابنٌ يقال له : الوليد ، وأنه ولي دمشق لمروان بن محمد ، وأنه قتل يوم نهر أبي فطرس ! (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٨٤) .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٩ ، ٣٩٣ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٩٤ ، وانظر مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٧ .

وأشارَ إلى أسباب وشايتِهِ به ، فمنها أنَّ عبد الله بن الحسن استسْلَفَ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ أربعة آلاف دينار ، بعد أن بَلَغَهُ أن قحطبة بن شبيبٍ الطَّائي قدم عليه بمالٍ من خراسان ، فأبَى أنْ يُسْلِفَهُ ما سأل ، وأعطَاه ألفَ دينارٍ صِلَةً [1] . فمَكَرَ به ، وكادَ له.

ومنها أنَّ عبدالله بن الحسن نُميَ إليه شيءٌ من خَبَرِ الدعوة إلى الرِّضا من آل محمد ، وتَشْميرِ أهل خراسان في الدُّعاء لهم ، وأنَّ ابراهيم بن محمدٍ هو صاحبُ أمْرِهم ، فأرادَ أنْ يَدْفَعَهُ عن رئاستِهم ! ! وكان إبراهيم بن محمد قد صَدَرَ من الحجِّ سنة تسعٍ وعشرين ومائة ، واتَى المدينةَ ، فعَرضَ عليه عبدُ الله بن الحسن أن يجتمع أهلُ البيت ، ويتَشاوروا فيمن يُوَلُّونه أمرَهُمْ ، ويَعْهَدُونَ إليه بمُراسلة شيعتهم بخراسان. فوافَقَهُ على ذلك ، فَدَعَا بني أبي طالب ، وبعثَ إلى إبراهيم بن محمد ومَنْ مَعَهُ مِنْ بني العباس ، فالْتَقَوْا بقرية الأبْوَاءِ على مقربةٍ من المدينة. فرشح عبد الله بن الحسن ابنه محمداً ، وكان يُسَمِّيه المهدي ، فوَصَفَهُ بالفَضْل ، وذكَرَ مَيْلَ الشيعة إليه ، وتأْميلَهم له ، فسكَتَ القوم ، فأبَى إبراهيم بن محمدٍ أنْ يُبَايعه [2] وقال : تَدَعُ مَشَايِخَنَا وذَوي الأسْنانِ منا ، وتَدْعُونا إلى فتًى كبَعْضِ فِتْيانِنَا ! ! لَوْ دَعَوْتَنا إلى نَفْسِكَ ، أو إلى بَعْضِ مَنْ تَرَى من مَشَايخنا ! ما ها هنا أحدٌ من ذَوي الأسْنَان يَرْضَى بهذا في نَفْسِهِ ، وإنْ أعْطَاكَ الرِّضا في عَلانيته ! قال مَنْ حَضَر : صَدقَ وبَرَّ. فَأيْقَنَ بأنْ قد وَطأَ الأمرَ لنَفْسِهِ ، وانصَرَفَ إبراهيمُ إلى منزلِهِ من الشَّراة ، فكان على ما كانَ من مُعالجَةِ أمْرِ الدّعوة [3] . فازدادَ عبد الله بن الحسن سُخْطاً عليه ، وأخذَ يَتَرَبَّصُ للايقاعِ به.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٧.

(٢) في الروايات العلوية أنه بايع له هو وأخوه أبو جعفر. (انظر مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٦ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥١٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥١٣).

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٨.

ومنها أنَّ عبد الله بن الحسن أرادَ أنْ يَنْفي عن نَفْسِهِ ما أَلْصَقَهُ به مروانُ بن محمد مِنْ أنَّهُ صاحبُ الدعوة للرِّضَا من آل محمدٍ بخراسان، وأن يَنْجُوَ من عِقَابِهِ، قال [1] : «فَحلَّفَهُ على بَرَاءَتِهِ مما ظنَّ به، فحَلَفَ له، ولما حَلَفَ له، أَخَذَ بَيْعَتَهُ وخَلَّى عَنْه».

ولا يَخْفَى ما في إِلْحاحِ مُصَنِّفِ أخبار الدولة العباسية على ذلك، واسترْسَالِهِ فيه، وتَدْليلِهِ عليه من مَقَاصدَ إعلاميةٍ، ودِعايةٍ عباسيةٍ، ففيه تَشْنيعٌ على بني الحَسَن، ونَيْلٌ منهم، وفيه غَمْزٌ فيهم، وتَخْوينٌ لهم، وفيه احْتجاجٌ لتَضْييقِ العباسيين عليهم، وتَسْويغٌ لبَطْشِهِم بهم بعدَ ذلك. فإنّ عبد الله بن الحسن جَهَرَ بمُنافَسَتِهِ للعباسيين في رئاسة أهْلِ البَيْتِ، منذ العقد الثالث من القَرْنِ الثاني، ونَازعهم فيها مُنازعةً قويةً، ثم نَاوَأَهُم هو وابنهُ محمدٌ، بعد قيام دَوْلَتِهم، وغَالبهم على الخلافة مُغالبةً شديدةً، ولم يلبث ابنه محمدٌ أنْ ثار على أبي جعفرٍ المَنْصُورِ، وخَلَعَهُ، ولم يَزَلْ يناهِضُهُ حتى قَتَلَهُ أبو جعْفرٍ، وقَتَلَ أخاهُ ابراهيم، وقَضَى على ثَوْرة الزَّيْديةِ من بني الحَسَن، ومَحَقَهُمْ مَحْقاً.

ويميلُ البلاذريُّ إلى أنَّ نَصْرَ بن سيارٍ هو الذي أنْبأَ مروانَ بن محمدٍ بأنَّ أبا مسلمٍ يَدْعُو إلى ابراهيم بن محمدٍ، وأنَّ ذلك كانَ السببَ الذي حَرَّكَ مروان للْقَبْضِ عليه، وقد اقْتَصرَ على هذا القَوْل، ولم يَذْكرْ غيره، يقول [2] : «دَسَّ نصْرٌ رجلاً استأْمنَ إلى أبي مسلمٍ، وأظْهَرَ الدُّخُولَ معه في أمْرِهِ فعرفَ أنَّ الذي يُكَاتِبُهم ويُكَاتبونَهُ ويدعون له ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فكتبَ بذلك إلى مروان بن محمدٍ. فكتب مروانُ إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك ابن

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٨٩.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٢١.

مروان ، وهو عاملُهُ على دمشق ، يأمُرُهُ أنْ يكتبَ إلى عامِلِه على البَلْقاء في المسير إلى كُدَاد والحُمَيْمة ، وأَخْذِ ابراهيم بن محمد بن علي ، وشَدِّه وَثاقاً ، وحَمْلِهِ إليه في خَيْلٍ كَثيفةٍ يحتفظُ به ، فإذا وَافَى إلى ما قبلِه أَنْفَذَهُ إليه مع مَنْ يقومُ بحِفْظِهِ وحراستِهِ. فأتي إبراهيمُ ، وهو في مَسْجِدِ القَرْية ، فأُخِذَ وَلُفَّ رأسُهُ ، وحُمِلَ إلى دمشقَ ، فأنْفَذَهُ الوليدُ بن معاوية إلى مروان ».

وصَرَّحَ نَصْرُ بن سيّارٍ أنه أخبَرَ مروانَ بن محمد بابتداء أمْرِ الدولة العباسية ، وأنَّ أصحابَهَا هم أولو قُرْبَاهُ ، وابْناءُ عُمومته ، يَقُولُ في قصيدةٍ له أرْسلَهَا في كتابٍ بعثَ به إلى مروان ، حينَ خرجَ عن خراسان ، وصار إلى الرَيِّ[1] :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الإمامَ الذي ... قامَ بِأمْرٍ بَيِّنٍ ساطِعِ
أنّي نذيرٌ لكَ مِنْ دَوْلةٍ ... قامَ بها ذو رَحِمٍ قاطِعِ
والثَّوْبُ إن أنْهَجَ فيهِ البِلَى ... أعْيَى عَلَى ذِي الحيلةِ الصَّانعِ[2]
كُنّا نُدَارِيهَا فَقَدْ مُزِّقَتْ ... واتَّسعَ الخرْقُ على الرَّافِعِ[3]

ورَوَى سائرُ المؤرِّخينَ الخبرَ الذي ذكَرَهُ البلاذري ، وساقوه بأكثر ألْفاظِهِ ، ومنهم مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية[4] ، وأبو حنيفة الدينوري[5] ، وابن جرير

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٦٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٨ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١٤٦ ، وراجع كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ١٤٦ — ١٤٧ .

(٢) أنهج : انتشر.

(٣) وروى ابن عساكر أن القصيدة لشقران السلاماني القضاعي ، وأنه قالها للوليد بن يزيد يحرضه على ابن عمه يزيد بن الوليد. (انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٢٧).

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٩١ — ٣٩٢ .

(٥) الأخبار الطوال ص : ٣٥٧ — ٣٥٨ .

الطبري [١] ، وابن عَبْدِ رَبِّهِ [٢] ، والأزدي [٣] والمسعودي [٤] ، ومُصَنِّفُ العيون والحدائق [٥] ، ومُصَنِّفُ الإمامة والسياسة [٦] ، وابن الأثير [٧] ، وابنُ كثيرٍ [٨] .
ولكنهم زادوا عليه أنَّ كتاب نصْرٍ إلى مَرْوان وافقَ وُصُولَ رسول ابراهيم إليه ، ومعه كتابٌ منه ، جواب كتاب أبي مسلمٍ اليه . وروى المسعوديُّ خاصةً أنَّ مروانَ دَفعَ الكتاب إلى ابراهيم ، وأظْهرَ إليه الرسُولَ ، بعدَ أنْ قبضَ عليه ، يقول [٩] : «أنْكرَ [إبراهيمُ] كلَّ ما ذَكَرَهُ له مروان مِنْ أمْرِ أبي مسلمٍ ، فقال له مروان : يا منافقُ ، أليسَ هذا كتابُكَ إلى أبي مسلمٍ جواباً عن كتابِهِ إليك ؟ وأخرجَ إليه الرسولَ ، وقال أتَعْرِفُ هذا ؟ فلما رأى ذلك ابراهيم أمْسَكَ ، وعَلِمَ أنه أُتِيَ مِنْ مأمنه» .

وكأنَّ في تَوَاتُرِ روايةِ الخَبرِ الذي أوْرَدَهُ البلاذري ، واستِفاضَتِهِ بين المُؤَرِّخين ما يكشفُ عن تَرْجيحهم له ، وتَصْحيحهم إياهُ ، وإجْماعهم عليه .

ويذهبُ الأزديُّ [١٠] ، والمقدسيُّ [١١] ، ومُصَنِّفُ العيون والحدائق [١٢] ، وابنُ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٩ — ٣٧٠ .
(٢) العقد الفريد ٤ : ٤٧٧ — ٤٧٩ .
(٣) تاريخ الموصل ص : ١٠٦ — ١٠٧ .
(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٥٥ — ٢٥٩ .
(٥) العيون والحدائق ٣ : ١٨٩ — ١٩٠ .
(٦) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٨ — ١٣٩ .
(٧) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٥ — ٣٦٦ .
(٨) البداية والنهاية ١٠ : ٣٢ — ٣٣ .
(٩) مروج الذهب ٣ : ٢٥٩ .
(١٠) تاريخ الموصل ص : ١١٨ ، ١٢٠ .
(١١) البدء والتاريخ ٦ : ٦٥ — ٦٦ .
(١٢) العيون والحدائق ٣ : ١٩٨ .

عساكر[1] ، وابن كثير[2] إلى أنَّ اشتِهارَ إبراهيم بن محمد في المَوْسم سنةَ إحدى وثلاثين ومائة ، وما أُنهِيَ إلى مَرْوان من خَبَرِ حَجِّهِ ، وما قيل له مِنْ أنَّ أبا مُسْلمٍ يَدْعُو إليه ، وأَنَّ الناسَ يُلَقِّبونَهُ بالإمام ، هو السببُ الذي بعثَ مروانَ على أخْذِهِ وحَبْسِهِ. ويقولُ ابن عساكرٍ[3] ، وابن كثير[4] : إنَّ هذا الخَبَرَ أقْرَبُ الى الصَّوابِ من خَبَرِ اطِّلاع مروان على كتابِ ابراهيم إلى أبي مُسْلمٍ ، وأصَحُّ منه . ومما يقوِّي هذا الرَّأْيَ أن ما حُفِظَ من نَصِّ الكتاب فيه خَلَلٌ بَيِّنٌ ، واضطرابٌ واضحٌ ، وأَنَّ المَصْدَرَ الذي نُقِلَ عنه الكتابُ مجهول غير مَعْروفٍ.

وعلى أنَّ لخَبَرِ اشتِهارِ إبراهيم بن محمدٍ في المَوْسمِ وَجْهاً مَقبُولاً ، فإنَّ فيه نَقْصاً وغُموضاً ، إذ ليس فيه تَحْديدٌ للرَّجلِ أو المسئُولِ الذي أبلغَ مروان بن محمدٍ أَنَّ أبا مسلمٍ يدعو إلى إبراهيم بن محمدٍ ، وأَنَّ الناسَ يُخَاطِبونَهُ بالإمام . ويبدو أنه عرفَ ذلك من كتاب نَصْرِ بن سيار إليه ، فقد صادفَ اشتهارُ إبراهيم في المَوْسمِ وُصُولَ كتاب نَصْرٍ إلى مَرْوان ، فإنَّ الأمْرَيْنِ مُتقاربان مُتدانيان ، ومُترافقان مُتَصاحبان.

ومن أجل ذلك يَظَلُّ الخبرُ الذي رواهُ البلاذريُّ أعْلَى الأخبار التي رُوِيَتْ في سَبَبِ اعْتِقال مروان بن محمدٍ لابراهيم بن محمدٍ ، لاتِّفاقِ المُؤَرِّخينَ عليه ، وإشارة نصر بن سيار في شعرِهِ إليه .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ٤٠ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ٤٠ .

(٢٣) تاريخُ اعتقالِ الإمام إبراهيمَ واغتيالِه

وفي تاريخ حَبْسِ الإمام إبراهيم وقَتْلِهِ اختلافٌ كبيرٌ أيضاً، في بعض الرِّوايَاتِ أنَّ مروان بن محمدٍ أخَذَهُ وحَبَسَهُ سنة تسعٍ وعشرين ومائة[١]، ثم قتَلَهُ سنةَ ثلاثين ومائةٍ[٢]. ولذلك يُقالُ: إنَّ قَحْطَبَةَ بن شبيبٍ الطائي لم يَلْقَهُ بمكةَ ولا بالحُمَيْمَةِ سنة تسعٍ وعشرين ومائة، بل لَقِيَهُ في السِّجْنِ بحَرَّان، وأظهَرَ أنه تاجرٌ، وأنَّ له عندَهُ وديعةً، وفرَّقَ شَيْئاً من المال الذي بَعَثَ به أبو مُسلمٍ إلى إبراهيم، حتى تمكَّنَ من الدُّخول إليه، لأنه عَلِمَ أنه لا يَخْلُصُ من يَدِ مَرْوانَ، فيبقى الأمرُ شورَى في أهلِهِ، فعَرَّفَهُ إبراهيمُ أنه أوصَى بالإمامةِ لأخيه أبي العباس السَّفاح، ونصَّ عليه نصّاً، ثم عاد قحطبة إلى خراسان[٣].

وهذا قَوْلٌ شاذٌّ مَرْجُوحٌ، تُضَعِّفُهُ أخبارٌ كثيرةٌ، وتَنْقُضُهُ رواياتٌ غيرُ قليلةٍ.

وذكَرَ الأزديُّ أنَّ مروانَ بنَ محمدٍ كان قد حَبَس إبراهيمَ بن محمدٍ قبلَ سنةِ إحدى وثلاثين ومائة، ثم أطْلَقَهُ[٤]، وقد تَفَرَّدَ الأزديُّ بهذا القَوْل.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٢، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٢، والأخبار الطوال ص : ٣٦٠، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٩، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٩، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٣، ٣٩.

(٢) العيون والحدائق ٣ : ١٩٠.

(٣) العيون والحدائق ٣ : ١٩٠.

(٤) تاريخ الموصل ص : ١٢٠.

وفي بعضِ الرِّواياتِ أنه قَبَضَ عليه مَرْجِعَهُ من المَوْسِمِ سنةَ إحدى وثلاثين ومائةٍ[1] . وذكرَ ابنُ سَعْدٍ أنَّ مروان بن محمدٍ حَبَسهُ بأرضِ الشام ، فماتَ في حَبْسِهِ سنةَ إحدى وثلاثين ومائةٍ[2] .

وليس ذلك بِثَبْتٍ ، بل هو مُخَالِفٌ لما أجمعَ عليه المؤرخون من أنه سُجِنَ بحَرَّانَ ، وقُتِلَ بها ، ودُفِنَ فيها .

وفي أكثرِ الرِّواياتِ أنَّ مروانَ بن محمدٍ أخَذَهُ في المُحَرَّمِ سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ ، وحَبَسَهُ بحَرَّانَ ، ثم قتلهُ في صَفَرٍ سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ[3] .

وهذا هو القَوْلُ الصَّحيحُ الرَّاجحُ ، لأن جُمْهورَ المؤرخين أطْبَقوا عليه ، ولأنَّ مصَنِّفَ أخبار الدولة العباسية سَرَدَ بعضَ الأخبار التي تُشِيرُ إليه ، وتَقْطَعُ به ، فقدْ رَوَى أنَّ أبا مسلمٍ كَتَبَ إلى الإمام إبراهيم بن محمدٍ باستيلائِهِ على مَرْوِ الشَّاهجان ، لسبعٍ خَلَوْنَ من ربيع الآخر سنةَ ثلاثين ومائة ، وبمُناصَحةِ اليمانية إياه ، وقُوَّةِ الهاشمية بخراسان ، وأنَّ كتابَهُ وصَلَ إليه فسُرَّ به[4] . ورَوَى أنَّ أبا سلَمةَ الخَلاَّلَ كتبَ إلى قَحْطَبَةَ بن شبيبٍ الطائيِّ يُعْلِمُهُ أنَّ الإمامَ حُبِسَ ، وأنَّهُ هَيَّأَ رَجُلَيْنِ يَبْعَثُهما

---

(١) تاريخ الموصل ص : ١٢٠ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩١ .

(٣) تاريخ الموصل ص : ١٢١ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٩٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ . وقد ساق ابنُ جرير الطبري وابنُ الأثير خبرَ قَتْل الإمام ابراهيم بن محمدٍ في أحداث سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ولكنهما لم يُعَيِّنا الشهرَ الذي قُتِلَ فيه . (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٣٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٢ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٢) .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٨ .

بمالٍ يُصَانِعان في تَخْليصِهِ. ووَرِدَ كتابُهُ على قَحْطَبةَ، وهو بخَانَقِين، يَسْتَعِدُّ للقاء ابن هبيرة، وهو بجَلُولاء [١]. وقد نَزَلَ قحطبةُ خَانَقِينَ في آخر ذي القعدة سنةَ إحدَى وثلاثين ومائة [٢]، وتَأَهَّبَ للقاء ابن هُبَيْرَةَ في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة [٣]. ورَوى أنَّ الإمامَ كان مَحْبُوساً بحَرَّانَ، بعد أنْ غَلَبَ أبو عَوْنٍ عبد الملك بن يزيد الأزدي على شَهرَزُور، وقَتلَ عثمانَ بن سفيان [٤]. وقد سَيْطَرَ أبو عَوْنٍ على شَهْرَزورَ في العشرين من ذي الحِجَّة سنة إحدَى وثلاثين ومائة، وأقامَ بها بقية ذي الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة [٥]. ورَوى أنَّ مروانَ قَتَلَهُ لمَّا أرادَ المسيرَ من حَرَّانَ إلى الزَّاب [٦]. وقد ارْتَحَلَ مروانُ إلى الزَّابِ في مُسْتَهلِّ صَفَر سنة اثنتين [٧] وثلاثين ومائة [٨].

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٦٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٦٠٣.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٦٠٦، وأخبار الدولة العباسية ص: ٣٦٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٤، وتاريخ الطبري ٧: ٤١٢، والكامل في التاريخ ٥: ٤٠٣، والبداية والنهاية ١٠: ٣٨.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٧٩.

(٥) أنساب الأشراف ٣: ١٣٧، وتاريخ الطبري ٧: ٤٠٩، ٤٣٢، والكامل في التاريخ ٥: ٤٠١، ٤١٧، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٣، والأخبار الطوال ص: ٣٦٥، والعيون والحدائق ٣: ١٩٤، والبداية والنهاية ١٠: ٣٨.

(٦) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٩٦.

(٧) في الأصل «سنة ثلاث وثلاثين ومائة»، وهو خطأ واضحٌ لم يتنبّه له مُحقِّقُ تاريخ الموصل، فإن مروان بن محمد هزم بالزاب صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٦١١، وتاريخ الطبري ٧: ٤٣٥، وتاريخ الموصل ص: ١٢٧، والتنبيه والاشراف ص: ٢٨٣، ومروج الذهب ٣: ٢٦٠، والكامل في التاريخ ٥: ٤٢١).

(٨) تاريخ الموصل ص: ١٢٥.

وهكذا كان للإمام إبراهيم بن محمدٍ فَضْلٌ ظاهرٌ في تَوْسيعِ قواعدِ الدعوة، وتَوْطيدِ أركانها، وضبْطِ أمورها، والإمساك بزمام قيادتها في خراسان، وكان له أثرٌ كبيرٌ في تَعْبئةِ شيعتها وتهيئةِ اتْباعِهَا ليومِ الثورة المُحَدَّد، فلما واتَتْهُ الفرصةُ اغْتَنَمها، فأذنَ لأبي مسلم في إعْلَانِ الثورة، وبدأت الحربُ بين الجيوش العباسية والجيوش الأموية، وقُتِلَ بعدَ أن انتصرتِ الجيوشُ العباسية، ودخلتِ الكوفةَ، وسَلَّمت الأمر إلى أبي سَلَمةَ الخَلاَّلِ.

الفصل السادس

«بَيْعَةُ أبي العباسِ السَّفاح»

(١) عَزْمُ أبي سلمةَ الخَلاَّلِ على تَحْويلِ الخلافة إلى العَلَويِّين

لم يَزَلْ أبو سَلمةَ الخَلاَّلُ يَدْعُو «للإمامِ القائم من بني العباس» ، دونَ تَسْميةٍ له ، مُدَّةَ حَبْسِ إبراهيم بن محمدٍ ، ويُقَرِّبُ لأهلِ خراسان ظُهورَهُ ، وربما قرأ عليهم الكتابَ ، يَفْتَعِلُهُ بيِّنةً على ما يُمَنِّيهم به[١] ، حتى إذا قُتِل إبراهيمُ بن محمدٍ ، وبلغَ أبا سلمةَ الخلالَ خبرُ قَتْلِهِ ، غُمَّ عليه الأمْرُ واختَلَطَ ، وحارَ فيه وتَخَبَّطَ[٢] ، «وخافَ انْتِقاضَ الأمْرِ وفَسادَهُ عليه[٣]» . فلما أُفْرِخَ رُوعُهُ أخذ يُفكِّرُ في مَخْرجٍ مما وَقَعَ فيه ، فيقال : إنه قَدَّرَ أنْ يجعلَ الخلافةَ شُورَى بين وَلَدِ علي بن أبي طالبٍ وَوَلَدِ العباس ابن عبد المطلب ، حتى يختاروا مَنْ أرادوا منهم[٤] . ولكنه لم يلبث أنْ عَدَلَ عن ذلك ، لأنه خَشيَ أنْ يَخْتَلِفُوا ويتَنازَعُوا ، فيَفْشَلُوا ، ويَفْقِدُوا فُرْصَتَهم[٥] .

ثم بدَا له في الدُّعاءِ إلى وَلَدِ العباس بن عبد المطلب ، وأضْمَرَ الدعاءَ لغيرهم ، فقد رَاجَعَهُ هواهُ العَلويُّ القديم ، وكان من كبار شيعة أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٠٤ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٠٤ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٦٨ .

(٤) العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ .

(٥) العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ .

بن الحنفية ، ثم أصبح من شيعة بني العباس ، بعد أنْ مات أبو هاشم ، وأوْصَى بالإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[1] ، فقرَّرَ أنْ يُحَوِّلَ الخلافةَ إلى العَلويِّين[2] . فيقال : إنه رَاسَلَ جعفر بن محمدٍ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[3] ، ويقال : بل راسَلهما ، ورَاسَلَ أيضاً عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[4] ، ليَعْقِدَ الأمرَ لأحدهم . وكتبَ إليهم ثلاثة كُتُبٍ على نُسْخةٍ واحدةٍ ، وبَعَثَ بها إليهم مَعَ محمد بن عبد الرحمن بن أسْلَم مَوْلَى بني هاشم الكوفي[5] ، وأمرَهُ أنْ يسيرَ اليهم بالمدينة ، فيَلْقَى جعفر بن محمدٍ ، فإن قَبلَ ماكَتَبَ به إليه ، مَزَّقَ الكتَابَيْنِ الآخرين ، وإنْ لم يَقْبَلْ لَقِيَ عبدَ الله بن الحسن ، فإنْ قَبلَ مَزَّقَ الكتابَ الثالث ، وإنْ لم يَقْبَلْ لقيَ عمر بن علي ، قال مُصَنِّفُ العيون والحدائق[6] : «كتبَ إلى ثلاثةٍ من وَلَدِ الحسن والحسين ، منهم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ ، وعمر بن علي بن الحسين بن علي [بن أبي طالب] ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩١ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨٢ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٢ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٨ .

(٤) البدء والتاريخ ٦ : ٦٦ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٦ .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٢٦٨ ، وانظر العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والفخري في الآداب اللطانية ص : ١٣٦ .

(٦) العيون والحدائق ٣ : ١٩٦ .

بن علي [بن أبي طالبٍ]، وَوَجَّهَ بكُتُبِهِ مع رجلٍ من مواليهم من ساكني الكوفة، فبدأ بجعفر بن محمدٍ، فلقيهُ ليلاً، وعَرَضَ عليه كتابَ أبي سَلمةَ، فقال: وما أنا وأبو سَلمةَ، هو شيعةٌ لغيري، وقرَّبَ إليه المصباح، وأحْرَقَ الكتابَ ولم يقرأْهُ. ثم أتى عبد الله بن الحسن، فعَرَضَ عليه الكتابَ، فقرأهُ وركبَ إلى جعفر بن محمدٍ، وقال له: قد جاءني كتابُ أبي سلَمةَ يدعوني إلى الخلافة، ويَرى أني أحقُّ بها، وقد جاءتهُ شيعَتُنا من خراسان. فقال له جعفر بن محمدٍ: ومتى صاروا شيعَتكَ؟ أأنتَ وَجَّهْتَ أبا مسلمٍ إلى خراسانَ، وأمرْتَهُ بِلُبْسِ السَّوادِ وغيره من الدعاء؟ وهل تعرفُ أحداً منهم؟ يكونون شيعَتَك، وأنت لا تعرفُ أحداً منهم؟ ثم قال له: عَلِمَ الله أنني أُوجِبُ النُّصْحَ على نفسي لكل مسلمٍ، فكيفَ أدَّخِرُهُ عنك؟ فإن هذه الدولة تَتِم لبني العباس، وما هي لأحدٍ من وَلَدِ أبي طالبٍ!! وقد جاءني ما جاءكَ، فلم أُجِبْ عنه، وستعرف الخبر. فانْصرَفَ عنه غيرَ راضٍ، وأمَّا عمر بن علي بن الحسين فإنه رَدَّ الكتابَ وقال: ما أعرِفُ كاتبَهُ فأُجِيبَهُ».

ورَوى الجهشياريُّ[1]، والمقدسيُّ[2]، وابن الطقطقي[3] كلامَ جعفر ابن محمد، وعبد الله بن الحسن بأكثر ألفاظه. وقال اليعقوبي[4]: «أرسل إلى عبد الله بن الحسن يدعوه إلى ذلك، فقال: أنا شيخٌ كبيرٌ، وابني محمدٌ أوْلَى بهذا الأمر. وأرسلَ إلى جماعة بني أبيه، وقال: بايِعُوا لأبني محمدٍ، فإنَّ هذا كتابُ أبي سَلمة حَفْص بن سليمان إلي. فقال جعفر بن محمد: أيُّها الشيخ، لا تَسفِكْ دمَ ابنك،

---

(١) الوزراء والكتاب ص: ٨٦.

(٢) البدء والتاريخ ٦: ٦٧.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ص: ١٣٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٩.

فإني أخافُ أنْ يكونَ المقتولَ بأحجار الزَّيْت[١] » . وقال المسعودي[٢] : « نازَعَهُ عبد الله بن الحسن الكلامَ إلى أنْ قال : إنما يريدُ القومُ ابني محمداً ، لأنه مَهْدِيُّ هذه الأُمَّة . فقال أبو عبد الله جعفرٌ : والله ، ما هو مَهْدِيٌّ هذه الأمة ! ولئن شَهَرَ سَيْفَهُ لَيُقْتَلَنَّ ! فنازعه عبد الله القولَ حتى قال له : والله ما يَمنَعُكَ من ذلك إلاَّ الحَسَدُ » !

وما رواهُ اليعقوبيُّ والمسعوديُّ قريب مما جَرَى بين عبد الله بن الحسن ، وجعفر ابن محمد ، حينَ اجْتَمَعَ بنو هاشمٍ بالمدينة سنة ستٍ وعشرين ومائة ، بعد مَقْتَلِ الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٣] ، وحينَ اجتمعوا بقرية الأبواء على مَقْرُبةٍ من المدينة سنة تسع وعشرين ومائة ، بعد تَشْميرِ أبي مسلم في الدعوة إلى آل محمد[٤] . فربما تداخَل عندهما الخبران ، والْتبَسَ عليهما الأمران ، وربما كان ذلك رأيَ جعفر بن محمدٍ القاطع في محمد بن عبد الله بن الحسن .

وأقام أبو سلمةَ الخَلاَّلُ ينتظر أن يَنْصَرِفَ إليه رسولُهُ بجوابِ أحدِ العَلَويِّينَ الذين كَتَبَ إليهم ، فلم يَنْصَرِفِ إليه إلى أنْ بُويعَ أبو العباس السفاح بالخلافة[٥] ! !

---

(١) أحجار الزيت : موضع بالمدينة قريب من الزوراء ، وهو موضع صلاة الاسْتِسْقاء .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٦٩ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٧ .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٢٦٩ .

(٢) تنكُّرُ أبي سَلَمَةَ الخلاَّلَ للعباسيِّين بالكوفة

وكان الإمام إبراهيم بن محمد أوْصى بالإمامة لأخيه أبي العباس ، وأمَرَهُ أنْ يسيرَ هو وأهْلُ بيته إلى الكوفة . ويقال : إنه أوصى له وهو في سجْنِ حرَّان ، وبعثَ إليه الوصية مع سابق الخوارزمي ، ويقال إنه أوْصى له قبل أنْ يُحمَل إلى مروان ابن محمد[١] . ورَجَّحَ مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية القَوْلَ الأول .

فَمَضَوْا إلى الكوفة ، فلما بَلَغُوا مَشارِفَها أرسلَ أبو العباس إلى أبي سَلَمَةَ الخَلاَّلِ يعلمُهُ بِقُدُومِهم ، فأنكرَ أبو سلمةَ إسراعَهُمْ وتَعْجيلَهم . وأمَرَهُمْ بالمقام بقَصْرِ مُقاتلٍ على مَرحَلَتَيْنِ من الكوفة . فبعثوا إليه : «إنا في بَرِّيَّةٍ ، ولا نَأْمَنُ أنْ يُسعَى بنا إلى مروان ، فَيستَأْصِلَنا ، فأذن لهم في دُخولِ الكوفة على كرهٍ منه[٢] ، فَدَخَلوها في صَفَر[٣] سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ[٤] . فأنزلهم دار الوليد بن سَعْدٍ مولى بني هاشم في

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٠٢ ، ٤١٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٢٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٠ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٦ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٥ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٩٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٩ .

(٢) العيون والحدائق ٣ : ١٩٨ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٠ .

(٣) قال اليعقوبي : «قدم أبو العباس وإخوته وأهل بيته الكوفة في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة» . (انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥) . وقوله ضعيف مرجوحٌ . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٤١٠) .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٣ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٩ ، وراجع أخبار الدولة العباسية ص : ٤١٠ .

بني أَوْد اليمانيِّين ، وكتَمَ أمْرَهُمْ أربعين يوماً[1] أو شهرين [2] ، فلم يَطَّلِعْ على خبرِهم أحَدٌ من شيعةِ بني العباس ، وكان يقولُ كُلَّما سألوه عن الإمام : لا تَعْجَلُوا[3] ، وكانَ أبو الجَهْم بن عطية مَوْلى باهلة أجرأَهم عليه وأشدَّهم مراجعةً له ، وسأله يوماً عن الإمام فقالَ : لم يَقْدِمْ بَعْدُ ، ثم عَاوَدَهُ ، وألحَّ عليه فقالَ : قد أكثرت ! وليس هذا أوانَ خُرُوجه[4] .

وذكرَ المقدسيُّ أنَّ أبا مسلمٍ واعدَ الإمامَ إبراهيم بن محمد أن يَخرُجَ في يومٍ مَعلومٍ ، وأخْبَرَ به النُّقباءَ والدّعاةَ والقادةَ الذين تَوَجَّهُوا إلى الكوفة ، وبعثَ معهم بالسَّوادِ والسَّيفِ والمراكب ، وما يحتاجُ إليه الإمام من المالِ والفُرُشِ والأثاث[5] . فلما فاتَ الموعدُ الذي أعْلَمَهُم به أبو مسلمٍ ، وطال انتظارُهُم لِقُدُومِ الإمام إليهم ، واتَّصلَ تَسْويفُ أبي سَلَمة لهم ، ارْتابُوا بأبي سَلَمَة وناظروه وقالوا له [6] : « ما لكَ خَرَجْنَا من قَعْرِ خراسان ، ولا إليك دَعَوْنا ، وما أنت لنا بإمامٍ » ! !

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٩ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٠ ، ومختصر التاريخ ص : ١٠٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٠ .

(٥) البدء والتاريخ ٦ : ٦٨ .

(٦) الوزراء والكتاب ص : ٨٦ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٦٧ .

وتنكَّرَ أبو سَلَمةَ الخلاَّلُ لأبي العباس وأهل بيته، وضيّق عليهم[(١)]، وتَغيَّبَ عنهم، وكان كلما أرسَلَ إليه أبو العباس يسأله عن موعد ظهورهم طَلَبَ منه أنْ يَتَرَيَّثَ، وأخبرَهُ أنَّ الوَقتَ لم يَحِنْ بعدُ، «وكانَ ينهى أبا العباس عن الخروج، ويقول له: إنَّ الأمرَ لم يَتِمَّ، وإنَّ موالي بني أمية قائمون بالحَرْبِ، وإنَّ الأمرَ أشَدُّ مما كان»[(٢)]. ولم يَزَلْ يُخوِّفُهم الخُروجَ والظهورَ، ويُحذِّرُهم الهلاكَ والموتَ[(٣)]، حتى أرْعَبَهُمْ وأرْهَبَهُمْ، فهابُوهُ، ولم يأْمَنُوا أنْ يَقْتُلَهم، إن خالَفُوه[(٤)]. فلمَّا تكرَّرَ انقطاعُهُ عنهم، وكَثُرَ مَطْلُهُ لهم، أدرَكَ أبو العباس أنه يُخادِعُهُم، وأَيقَنَ أنه يَحتالُ لِنَقْلِ الخلافةِ إلى غيرهم، فَوَجَّهَ إليه أن يُوافِيَهُ، وأضْمَرَ أنْ يأمُرَ مَواليهِ بِضَرْبِ عُنُقِهِ إنْ لم يأذَنْ له في الخروج. وجاءَهُ فَجادَلَهُ فحجَّهُ. فأحْفَظَهُ، فَهمَّ بالانصراف مُغْضَباً، فاستَرضاهُ وتَرَكَهُ، ثم شاورَ أعمامَهُ في الأمر، فأشار عليه بعضُهم أنْ يعودَ إلى المدينة، وأشارَ عليه بعضُهم أن يظهَرَ ويُخبِرَ الناسَ بمكانِهِ، قال البلاذريُّ[(٥)]: «كان أبو العباس وأهلُ بيته بالكوفة، قد أخفاهم أبو سلمةَ في دارٍ في بني أَوْد، فكان إذا بعث إليه أبو العباس يسألُهُ عن خبرهم عنده يقول: لم يَأْنِ ظُهورُكم بعد، فلم يزل قبلَ ظُهُورِهِ كذلك أربعين ليلةً، وهو يريدُ أنْ يَعْدِلَها عنهم إلى وَلَدِ فاطمة. وكان أهلُ خراسان يسألونَهُ عن الإمام فيقول: نحنُ نَتَوَقَّعُهُ، ولم يَأْنِ لِظُهورِهِ. ثم أرسلَ أبو العباس إلى أبي سَلَمَة: إني على إتيانِكَ الليلةَ. فقد عَرَفتَ أني صاحبُ هذا

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٢٤، ٤٣٠، والعيون والحدائق ٣: ١٩٨، والكامل في التاريخ ٥: ٤١٠، وزعم أبو حنيفة الدينوري، وابن الطقطقي أن أبا سلمة اعتنى بهم عناية بالغة!! (انظر الأخبار الطوال ص: ٣٥٨ـــ ٣٥٩، والفخري في الآداب السلطانية ص: ١٢٩).

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ١٤٢.

(٣) البدء والتاريخ ٦: ٦٨.

(٤) البدء والتاريخ ٦: ٦٩.

(٥) أنساب الأشراف ٣: ١٣٩.

الأمر. فقال لسلم مولى قَحطبَة ، والأسد بن المرزبان : إنَّ رجلاً يأتيني الليلةَ ، فإنْ قُمتُ وتَرَكْتُهُ فاقْتُلوهُ ، فإنه يحاولُ فسادَ ما نحن فيه. فلما صار أبو العباس إليه ناظَرَهُ ، فَغَضِبَ أبو سَلَمَةَ ، وأرادَ القيامَ ، فَعَلِقَ أبو العباس بِثَوبِهِ ، وضاحَكَهُ ، ثم خرج فركِبَ ولم يَعْرِضْ له. فلما لَقيَ أهلَ بيته حَدَّثَهُم حَديثَهُ ، وقال : والله ما أفْلَتُّ منه حتى سَاعَدْتُهُ على ما يريد ، وإنه لَعَلَى صَرْفِ الأمْرِ عنا. فقال داود بن علي : الرَّأيُ أن نرجعَ إلى المدينة ، وقال عبد الله بن علي : اخْرُجْ فأعْلِمِ الناسَ أنَّك ها هنا ».

وتُزيلُ الرِّوايةُ السَّالفةُ بعضَ الغُموضِ الذي يَكْتَنِفُ مُقامَ أبي العباس بالكوفة ، ومَوْقِفَ أبي سَلَمَةَ الخلاَّلِ منه ، وتَدُلُّ على أنَّ أبا العباس اكْتَشَفَ غِشَّ أبي سلمةَ وغَدْرَهُ.

(٣) الاهْتِداءُ إلى أبي العباس بالكوفة

وذكَرَ أكثرُ المؤرّخين أنَّ أبا حُمَيْدٍ محمد بن ابراهيم الحِمْيَريَّ المَرْوزيَّ لَقِيَ سابقاً الخُوارزميَّ بالكوفةِ مُصادفةً، فعَرَفَهُ أبو حميدٍ، لأنه كان أهداهُ إلى الإمام ابراهيم بن محمدٍ[1]، ولأنه كان يراهُ عنده بالحُمَيمَةِ، إذ كان ممن يختلفُ إليه من النُّقباء والدُّعاة من أهل خراسان[2] فَقصَّ عليه خَبَرَ أبي العباس وأهْلِ بيته، وأرْشَدَهُ إلى مكانِهِم.

ورَوى البلاذري أيضاً ما يُفَسِّرُ لقاءَ الفُجاءَةِ بين أبي حميدٍ وسابقٍ، وما يَجلُو بعضَ الإبْهامِ الذي يُحيطُ باهْتِداءِ شيعةِ بني العباس إلى مَنزِلِ أبي العباس وأهْلِ بيته بالكوفة. فقد ذكَرَ ما يُوحي أن أبا العباس أخَذَ بِرأيِ عمِّه عبد الله بن علي، فأَمَرَ سابقاً الخوارزميَّ، وصالح بن الهيثم[3] أن يجولا في الكوفة ويجوباها ويَستَطلِعا الأخبار بها. وكان أبو حميدٍ قد جعَلَ يخرجُ من مُعَسكَرِ أبي سلمة بِحَمَّامِ أعْيَنَ، ويأتي سُوقَ الكُناسَةِ بالكوفة، ويَتَلَقَّطُ الأخبارَ بها، فَعَثَرَ عليهما فيها[4].

(١) البدء والتاريخ ٦ : ٦٨، وانظر الوزراء والكتاب ص : ٨٦.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٩، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٩، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٩، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٠.

(٣) هو من موالي بني العباس، وهو أخو أبي العباس من الرضاعة. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٨، ٤١٠، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٩، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٠).

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٩.

وتكادُ الرِّواياتُ تتطابَقُ بعد ذلك في وَصْفِ مَعْرِفَةِ شيعةِ بني العباس للمَوْضعِ الذي كان يُقيمُ فيه أبو العباس وأهلُ بيته ، ومَسيرهم إليه ، ومُبايَعَتِهم له بالخلافة ، على ما بينها من تفاوتٍ في التَّفصيلِ والإيجاز[1] ، وما حَفِظَهُ ابنُ جريرِ الطبريُّ منها هو أطْوَلُها وأوفاها[2] ، وفي بعض ما نَقَلَهُ المؤرخون الآخرون دَقائقُ ولطائفُ لم يَذْكُرْها .

فقد سألَ أبو حميدٍ سابقاً عن الإمام إبراهيم بن محمدٍ ، فأخبرَهُ أنَّ مروان ابن محمد قَتَلَهُ غِيلَةً ، وأنَّ ابراهيم أوْصى لأخيه أبي العباس ، واسْتَخْلَفَهُ من بعدِهِ ، وأنه قَدِمَ الكوفةَ ، ومعه عامةُ أهلِ بيتِهِ . فَسأَلَهُ أبو حميدٍ أنْ يَنطَلِقَ به إليهم ، فأبى ، وَوَعَدَهُ أن يعودَ إليه في الغَدِ ، لأنه كَرِهَ أنْ يَدُلَّهُ عليهم بغيرِ إذْنِهم . وانصرَفَ سابقُ إليهم ، قال المقدسيُّ[3] : «فأخبرَهم بخَبَرِ أبي حميدٍ ، فَخَشُوا وهابُوا وقالوا : لا نَأْمَنُ إنْ أظْهَرْنَا أبا حميدٍ على أمْرِنا أن يَقْتُلَنا أبو سَلَمَة ، لأنه كان يُحَذِّرُهُم الخُروجَ فقال أبو العباس : إلى متى نحن في خُفْيَةٍ ، وقد أوْعَدَنَا أبو هاشم [عبد الله بن محمد

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٨ ، ٦٢٣ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٥٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٨ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٨ ، ١٩٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٢ ، والفخري في الآداب اللطانية ص : ١٢٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٧ ، وشذرات الذهب ١ : ١٧٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢١ — ٤٣١ .

(٣) البدء والتاريخ ٦ : ٦٩ .

بن الحنفية] أنَّ الأمرَ إلينا ! فهاتِ أبا حميدٍ. ونَقَلَ الأزدي[1] والمسعوديُّ[2] أنَّ أبا العباس لامَ سابقاً «إذ لم يَأْتِ به معه إليهم»، وقال له: «هاتِهِ ولو قُتِلْنَا» !

ويوثِّقُ ما ذَكَرَهُ المقدسيُّ والأزديُّ والمسعوديُّ قَوْلَ البلاذريِّ ويُكمِلُهُ. وربما كان داود بن عليٍّ هو الذي أحجمَ عن لقاءِ أبي حميدٍ، ونَهى أبا العباس عنه، لأنه خافَ أبا سَلَمَةَ، فإنَّ ذلك يُوافقُ ما رواهُ البلاذريُّ من أنه نَصحَ لأبي العباس أن يَتَنحَّى عن الكوفةِ ويأتيَ المدينة، ويوافقُ ما رواهُ من أنَّ أبا العباس ارتابَ بأبي سَلَمَةَ، واتَّهَمَهُ بالخيانة، وضاق بمكرِهِ، واستْهانَ بتحذيرِهِ، وأخذ يُفكِّرُ في الانْفكاك من قَبْضَتِهِ، ويُقدِّرُ للانفلاتِ من أسْرِهِ، فلما واتَتْهُ الفُرصَةُ قَرَّرَ أنْ يَغتَنِمَها، وخَاطَرَ بحياتِهِ وحياةِ أهلِ بيتِهِ في سبيلِها.

وأنبأَ أبو حميدٍ أبا الجهْم أنه وَجَدَ سابقاً، وحكَى له ما سَمِعَ منه، وأعلَمَهُ أنهما اتَّفقَا أنْ يَتقابلا في الغَد[3]. فَسُرَّ أبو الجهم بما حمَلَ إليه من أخبارٍ، وشَجَّعَهُ على المُضيِّ في طَلَبِ أبي العباس وأهل بيته. فَرجعَ أبو حميدٍ من الغدِ إلى الموضعِ الذي وَعَدَ فيه سابقاً، فلقيه، فانطلَقَ به إلى أبي العباس وأهل بيته. فلما دَخَلَ عليهم سألَ مَنِ الخليفة منهم، فأشاروا إلى أبي العباس، وقالوا: هذا إمامُكم وخليفتُكم، فَسلَّمَ عليه بالخلافة، وقال: مُرْنَا بأَمْرِكَ، وعَزَّاهُ بالإمام إبراهيم.

ثم عاد أبو حميدٍ إلى أبي الجَهْم، ومعه إبراهيم بن سَلَمَة[4] فأخبرَهُ بمكان أبي

---

(١) تاريخ الموصل ص: ١٢١.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٧٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٧٠، وانظر تاريخ الطبري ٧: ٤٢٤، والكامل في التاريخ ٥: ٤١٠.

(٤) كان من خاصة الإمام محمد بن علي، ثم صار من خاصة الإمام إبراهيم بن محمد، وكان يقيم بالحُمَيْمَةِ، وكان يخدم بني العباس، وكان مأموناً عندهم، معروفاً بالإخلاص لهم. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ١٩٢، وتاريخ الطبري ٧: ٤٢٤، والكامل في التاريخ ٥: ٤١٠.

العباس وأهل بيتِهِ ، ونُزُولهم في بني أَوْدٍ ، وأنَّ أبا العباس كان سَرَّحَهُ إلى أبي سَلَمَةَ يسألُهُ مائة دينارٍ يُعطيها للجَمَّالِ كراءَ الجِمالِ التي قَدِمَ بهم عليها ، فلم يَبْعَثْ بها إليه. فَمَشى أبو الجهم وأبو حميدٍ ومَعَهما إبراهيم بن سلمة حتى دَخَلُوا على النقيب موسى بن كعب التميمي ، وقصُّوا عليه القصَّة ، فقال لأبي الجَهْمِ : عَجِّلِ البعثَةَ إلى الإمام بالدنانير ، فانصرَفَ أبو الجَهْمِ ، ودَفَعَ الدنانيرَ إلى ابراهيم بن سَلَمة ، وحَمَلَهُ على بَغْلٍ وأرسلَ معه رَجُلَينِ حتى أَدخلاهُ الكوفة . « ومضى أبو الجَهْمِ إلى أبي سَلَمة ، فَسَأَلَهُ عن الإمام ، فقال : ليس هذا وَقْتَ خُرُوجِهِ ، لأنَّ واسطاً لم تُفتَحْ بعد » (١) ، ويقال : بل قال له وقد شاعَ في العسكر أنَّ مروان بن محمد قَتَلَ الإمامَ إبراهيم : « فإن كانَ قد قُتِلَ كان أخوهُ أبو العباس الخليفةَ والإمامَ من بعده . فرَدَّ عليه أبو سَلَمة : يا أبا الجَهم ، اكْفُفْ أبا حميدٍ عن دُخولِ الكوفة ، فإنهم أصحابُ إرْجافٍ وفَسادٍ » (٢) .

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيمُ بن سَلَمَة أبا الجَهْم بن عطيَّةَ مَولى بَاهِلَة ، وموسى بن كعبٍ التميميَّ ، فبلغَهما رسالةً من أبي العباس وأهل بيته . ومَشى في القُوَّاد والجنودِ تلك الليلة . ثم اجتمع القُوَّادُ في منزل موسى بن كعب التميمي ، واتَّفقَ رأيُهم على أنْ يَلْقَوْا أبا العباس وأهل بيته . فَتَسلَّلوا من الغدِ حتى دخلوا الكوفة ، وزعيمُهُم موسى بن كعب التميمي ، وأبو الجَهْم بن عطية مَولى باهلة ، وأبو حميدٍ محمد ابن إبراهيم الحميري ، فانْتَهَوْا إلى دار الوليد بن سَعد ، فَدَخَلُوا عليهم ، فقال موسى ابن كعب وأبو الجَهْم : أيكم أبو العباس ؟ فأشاروا إليه ، فَسلَّموا عليه بالخلافة ، وعَزَّوهُ بالإمام إبراهيم . ورجعَ موسى وأبو الجَهْم إلى معسكرهم ، وتَخَلَّفَ أبو حَميدٍ عند الإمام .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٤ . .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٣٠ .

وبَلغ أبا سلمةَ الخلاَّل خَبَرُهم ، فأرسلَ إلى أبي الجَهْم ، فقالَ له : أين كنتَ؟ فقال له : كنتُ عند إمامي ! فأسرَعَ أبو سلمةَ إلى أبي العباس ، فبعثَ أبو الجَهْم إلى أبي حميدٍ : إنْ أتاكُمْ أبو سلمةَ فلا يَدْخُلَنَّ إلاَّ وَحْدَهُ ، فإن دَخَلَ وبايَعَ فسبيلُهُ ذلك ، وإلاَّ فاضْرِبُوا عُنُقَه . فلما انتهى أبو سلمة إليهم دَخَلَ وَحْدَهُ ، فَسلَّمَ على أبي العباس بالخلافة ، فقال له أبو حميد : على رَغْمِ أنْفِكَ يا ابنَ الخَلاَّلَة ! فقال أبو العباس : مَهْ ، وجَعَلَ أبو سَلَمَةَ يقول : إنما أردتُ إظهارَ أمير المؤمنين بعد أنْ أحْكِمَ له الأمور »[1] ، فقال له أبو العباس[2] : «عَذَرْناكَ يا أبا سَلَمَة ، غَيرَ مُفَنَّدٍ ، وحقُّكَ لَدَيْنا مُعَظَّمٌ ، وسابِقَتُكَ في دَوْلَتِنا مشكورةٌ ، وَزَلَّتُكَ مَغفُورَةٌ ، انْصَرِفْ إلى مُعَسكَرِكَ لا يَدْخُلُهُ خَلَلٌ ، فانْصَرَفَ إلى مُعَسكَرِهِ بحَمَّامِ أعْيَن» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٤٠ .

(٢) الوزراء والكتاب ص : ٨٧ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٣ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٩ .

(٤) إخراجُ أبي العباس ومُبايَعَتُهُ

وكان ظُهورُ أبي العباس بالكوفة عشية يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة[١] ، وأصبحَ الناسُ قد لَبِسُوا سِلاحَهُم ، واصْطَفُّوا لخروجِ أبي العباس ، وأتوه بالدَّوابِ ، فركبَ هو ومن معه من أهلِ بيته ، حتى دَخَلُوا قصرَ الإمارةِ بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرةَ ليلة خَلَتْ من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة[٢] ، ثم دخَلَ المسجدَ من قَصْرِ الإمارةِ ، فخطبَ ، وصَلَّى بالناس ، وبُويعَ له بيعةً عامةً ، وكانَ موسى بن كَعْبٍ التميميُّ هو الذي أَخَذَ له البيعةَ على الناس[٣] ، ويقال : بل أخذها له عليهم أخوه أبو جعفر[٤] .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٤١ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٤١ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٦ .

وفي تاريخ بيعة أبي العباس اختلاف كثير. (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٨ ، ٦٢٣ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٤١ ، والأخبار الطوال ص : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٣ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٩ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٠ ، والنجوم الذاهرة ١ : ٣٢٠ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٧).

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٤١ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٦ .

(٥) السَّيطَرَةُ على سائرِ الأمصار

وقَضَى أبو العباس بقيّةَ سنة اثنتين وثلاثين ومائة في القضاء على فُلولِ الجيوشِ الأموية ، وتَثْبيتِ سُلْطانِ الدولة العباسيّة ، فبعَثَ عَمَّهُ عبد الله بن علي لمحاربةِ مروان بن محمد ، فقاتَلَهُ فَهزَمَهُ بالزَّابِ يوم السبت لإحدى عشرةَ ليلةً خَلَتْ من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فهرب مروان إلى المَوْصل ، ثم ارْتَحَلَ إلى حَرَّان ، ثم انصرف إلى حمص ثم خرج الى دمشق ثم أتى فلسطين ، ثم مَضى إلى العريش ، ثم تَنَحَّى إلى صعيد مصر ، فنزلَ قرية بُوصير.

وكتَبَ أبو العباس إلى عمه عبد الله بن عليّ يَأمُرُهُ باتِّباعِ مروان ، فسار من الزَّاب ، فَغَلَبَ على الموصل ، وحَرَّان ، ومَنبِجَ ، وقِنَّسْرين ، وحِمْصَ ، وَبَعْلبك ، ثم أتى دمشق فَحاصَرَها ، ودَخَلَها عنوةً ، يوم الأربعاء لعشرٍ مَضَيْنَ من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وأقام بها خمسة عشر يوماً ، ثم سار إلى فلسطين ، فنزلَ بها ، وَوَرَدَهُ كتابُ أبي العباس يأمُرُهُ بإرسالِ صالح بن عليّ في طَلَبِ مروان ابن محمد ، فَفَصَلَ صالحٌ من نهر أبي فُطرُسٍ بفلسطين حتى بلَغَ صَعيدَ مصر ، فَقَتَلَ مروان بقرية بوصير لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، واحْتَزَّ

رأسَهُ ، وأرسَلَهُ إلى أبي العباس . ثم رجعَ صالحٌ إلى الشام ، وخَلَّفَ أبا عَوْن عبد الملك بن يزيد الأزدي على مصر[1] .

وَوَجَّهَ أبو العباس أخاه أبا جَعْفَرٍ لمُحارَبةِ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري بواسط ، فحاصَرَهُ بها أشهراً ، فلما جاءَهُ قَتْلُ مروان بن محمد ، طَلَبَ الأمانَ ، فأَمَّنَهُ المنصور ، وكتبَ له كتاباً ، واشْتَرَطَ عليه أنه إنْ نكثَ أو غَدَرَ فلا أمانَ له . وأقام بواسطٍ يَغْدُو ويروح إلى المنصور في جماعةٍ كثيرة وهو في ذلك يَدُسُّ إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالبٍ وغيره ، ويهمُّ بالدُّعاء لآل أبي طالبٍ وخَلْعِ أبي العباس ، فتَيَقَّنَ أبو العباس ذلك من أمرِهِ . وكان أبو مسلمٍ يكتبُ إليه فيشيرُ عليه بقَتْلِهِ ، ويقول : إنَّ الطريق إذا كثرتْ حجارته فَسَدَ ، وصَعُبَ سلوكُهُ . فكتَبَ أبو العباس إلى أبي جعفرٍ يأمُرُهُ بقَتْلِ ابن هبيرة ، فأبى ذلك وكَرِهَهُ لما أعطاه من الأمان . فكتب إليه : إنَّ هذا الرَّجُلَ غَدَرَ ونكثَ ، وهو يريدُ بنا العُظمى ، وما لكتاب أبي مسلمٍ فيه أقْتُلُهُ ، ولكن لما أبانَ لي من نكثِهِ وفُجورِهِ ، فلا تراجعني في أمْرِهِ ، فقد أحَلَّ لنا دَمَهُ ، فأمَرَ أبو جعفرٍ الحسنَ بن قَحطَبَةَ الطائي أن يَقْتُلَهُ فأبَى ، فَقَتَلَهُ خازمُ بن خزيمة[2] . وبذلك غلبتِ الجيوشُ العبَّاسيَّةُ على الأَمصَارِ المختلفة ، وقتلت آخر خلفاء بني أميّة .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١١ — ٦١٢ ، والمعارف ص : ٣٧٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، ٣٥١ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٥ — ٣٦٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٧ — ٤٤٢ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧١ — ٧٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٦ — ١٣٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٠ — ٢٦٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢ [illegible] ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٢ — ١٤٤ ، والأغاني ٤ : ٣٤٣ — ٣٥٥ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٩ — ١٣١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١ — ١٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٤ — ٤٢٧ ، وفوات الوفيات ٤ : ١٢٧ — ١٢٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٢ — ٤٦ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٩٩ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٣ — ١٨٤ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٤٥ — ١٤٦ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٩ ، والمعارف ص : ٣٧٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٣ ، والأخبار الطوال ص : ٣٧٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٥٦ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٠ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٠ ، والامامة والسياسة ٢ : ١٥٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٢ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣١٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٤ .

(٦) تَوْجيهُ العُمّالِ إلى الأمصارِ

واستعمَلَ أبو العباس العُمَّالَ ، وكانَ عُمّالُهُ من أهلِ بيتِهِ ، فقد وَلّى عمه داود بن عليٍّ الكوفةَ وسوادَها ، ثم عَزَلَهُ عنها وَولاَّها ابنَ أخيه عيسى بن موسى ، وَوَلّى عَمَّهُ سليمان بن عليٍّ البصرة وأعمالها وكُور دِجْلَةَ والبحرين والعَرْضَ وعمانَ ومِهْرجانْقَذَقَ ، وَوَلّى أخاه يحيى بن محمد الموصلَ ، ثم نحّاه عنها وَولاَّها عَمَّهُ إسماعيل بن عليٍّ ، وَوَلّى أخاه أبا جعفرٍ الجزيرةَ وأرْمينيةَ وأَذْرَبيْجانَ ، وَوَلّى عَمَّهُ داودَ بنَ عليٍّ المدينةَ ومكّةَ والطائفَ واليمامةَ واليمنَ ، وَوَلّى عَمَّيْهِ عبد الله بن عليٍّ وصالح بن عليٍّ أجْنادَ الشام ، فكان عبد الله بن عليٍّ على قِنّسرينَ وحمصَ وكُورِ دمشقَ والأردنِّ ، وصالح بن علي على فلسطينَ ، واستَخْلَفَ صالح بن عليّ أبا عَوْنٍ عبد الملك بن يزيد الأزديَّ على مصرَ ، فأقَرَّهُ أبو العباس عليها ، وَوَلّى عَمَّهُ عيسى ابن علي فارس ، إلاّ خراسانَ والجبالَ ، فقد كانَ عليها أبو مسلمٍ [1] .

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣٠ — ٦٣٣ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٥٨ — ٤٦٠ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٥ .

ويبدو مما تَقَدَّمَ أن أبا سَلَمَة الخلاَّلَ دَبَّر بعدَ موتِ الإمام إبراهيم بن محمدٍ أنْ يُصَيِّرَ الخلافةَ إلى الطَّالبيِّينَ ، فكتَبَ إلى ثلاثةٍ من رؤوسهم ، وَقَرَّرَ أنْ يُبايعَ أوَّلَ من يُجيبُهُ منهم . وكان أبو العباس وأهْلُ بيتِهِ قد هَرَبوا من الحُمَيمَةِ إلى الكوفةِ بعد قَبْضِ مروانَ بن محمدٍ على الإمام إبراهيم بن محمد ، فاستاءَ أبو سَلَمَة الخلاَّلُ من مجيئهم ، ثم أخفاهم ، وَسَتَرَ خَبَرَهم ، وهَجَرَهم ، وجَعَلَ يُخادِعُهُم ويُخادِعُ قادةَ أهلِ خراسانَ الذين كانوا يسألون عن وَقتِ ظهورِ الإمام . واستَنْكَفَ الطَّالبيُّونَ من إجابَتِهِ ، وَسَئِمَ قادةُ أهلِ خراسان مُراوَغَتَهُ ، فأخَذَ بعضُهُم يَتَسلَّلونَ من مُعَسكَرِهم ، ويأتونَ الكوفةَ فيَتَجسَّسونَ الأخبارَ بها ، وأمرَ أبو العباس بعضَ مواليه أن يَخْرُجُوا من مَخْبَئِهِم ، فكانوا يَطُوفونَ سوقَ الكناسةِ بالكوفة ، ويَتَتَبَّعونَ الأخبارَ بها أيضاً ، فَظَفَرَ أحدُ قادةِ أهلِ خراسانَ بمولى للإمام إبراهيم ، فعَرَّفَهُ ما كانَ من أمْرِ الإمام ، وأنَّ مروانَ ابن محمدٍ اعْتَقَلَهُ وقَتَلَهُ ، وأنه أوْصى بالإمامةِ إلى أخيهِ أبي العباس ، ثم دَلَّهُ على مَوْضعِ أبي العباس وأهل بيتِهِ بعد أن استَشارَهُم في ذلك ، فتَرَدَّدَ قادةُ أهلِ خراسان على أبي العباس ، ورَتَّبوا لإخراجِهِ من محبَسِهِ ، فلما أحْكَموا الأمرَ ، أخرَجوهُ وبَايَعُوهُ بالخلافةِ ، وقَضَوا على بقايا الجيوشِ الأمويةِ ، وابتدأتِ الدولة العباسية ، ومارسَ أبو العباس سُلْطَتَهُ السياسية .

«الفصل السابع»

«التَّخلُّص من النُّقباءِ والدُّعاةِ المُتَمَرِّدينَ»

(١) قَتْلُ لاهِزِ بن قُرَيْظٍ التَّميميِّ

أهلَكَ أبو مُسلمٍ مَنْ شَكَّ فيه منَ النُّقباءِ والدُّعاةِ ، ومَنْ أنكرَ بَغْيَهُ ، ومَنْ ثارَ عليه منهم ، وفتَكَ أبو العباس وأبو جعْفرٍ بِمَنْ تَغَيَّرَ للعباسيِّين منَ النُّقباءِ والدُّعاةِ ، ومَنْ نَدَّدَ بسياسَتِهِم ، ومَنْ خرَجَ عليهم[1] .

وكانَ النَّقيبُ لاهِزُ بن قُرَيْظٍ التَّميميُّ أوَّلَ مَنْ قَتَلَ أبو مسلمٍ من النُّقَباءِ والدُّعاةِ ، فقد اتَّهَمَهُ بالعَصَبيَّةِ القَبَليَّةِ للْمُضَرِيَّة ، وَرَماهُ بخيانةِ الدَّعوةِ العباسيّةِ ، لأنه حَذَّرَ نَصْرَ بن سَيَّارٍ اللَّيثيَّ ، ومكَّنَهُ منَ الفِرارِ والنَّجاةِ بنفسِهِ. فإنه وَجَّهَهُ في وَفْدٍ من النُّقَباءِ والدُّعاة[2] إلى نَصْرٍ ، ليأتوهُ به ، ويأخُذ بَيْعَتَهُ. فلمَّا لَقِيَهُ الوَفْدُ ، قرأَ لاهِزٌ قولَ الله عَزَّ وَجَلَّ : « إنَّ المَلأَ يَأتَمِرُونَ بكَ لِيَقْتُلوكَ فاخرُجْ إنِّي لكَ منَ النَّاصِحِينَ » (القصص : ٢٠) ، فَفَطِنَ نَصْرٌ لِمَا أرادَ مِنْ تَحذيرِهِ ، فَخَدَعَهم وهَرَب . وعلمَ أبو

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٥٩— ٦١ ، ٧١— ٧٥ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٧٩— ١٠٠ .

(٢) في رجال الوَفْدِ الذين بَعثهم أبو مسلمٍ إلى نَصْرِ بن سيارٍ الليثي اختلافٌ ، قال البلاذري : «كانَ رُسُلَهُ : لاهِزَ بن قُرَيْظٍ ، وسليمان بنَ كثيرٍ ، وعمرانُ بن إسماعيل ، وداودَ بن كَرَّاز ». (انظر أنساب الأشراف ٣ : ١٣٠).

وقال ابن جرير الطبري : أرْسَلَ إلى نَصْرٍ لاهِزَ بن قُرَيْظٍ ، وقُرَيْش بنَ شقيق السُّلَميَّ ، وعبد الله البَخْتَريَّ ، وداودَ بن كَرَّازٍ الباهليَّ ، وعدةً من أعاجم الشيعة. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٤).

مسلمٍ أنَّ نصراً قد هَرَبَ ، فَطَلَبَهُ فلم يُدْرِكْهُ ، فسألَ الوَفْدَ عمَّا جَرَى بينَهم وبين نَصْرٍ ، وهل أنذَرَهُ أحَدٌ منهم ؟ فأُخبِرَ بتلاوَةِ لاهِزٍ الآيَةَ ، فعَرَفَ أنه أنْذَرَهُ ، فقال له : «يا لاهِزُ ، أعَصبيَّةٌ في الدِّين» ! أو «أتَدْغِلُ[1] في الدِّين» ! وجَرَّمَهُ ، فأخَذَهُ وضَرَبَ عُنُقَهُ[2] .

---

(١) أَدْغَلَ في الأمر : أدخَلَ فيه ما يُفْسِده .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨١ ، ٣٨٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٤ .

(٢) قَتْلُ سليمانَ بن كثيرٍ الخزاعيِّ

وكانَ النَّقيبُ سليمانُ بن كثيرٍ الخُزاعيُّ ثاني مَنْ قَتَلَ أبو مسلمٍ من النُّقَباءِ والدُّعاةِ ، فقد ارْتابَ به لأنه أظهرَ مَيْلاً إلى العَلَويِّينَ ، فإنَّ أبا العباس وَجَّهَ أخاهُ أبا جَعْفَرٍ إلى خراسانَ ، لِيَعْلَمَ رأيَ أبي مُسْلمٍ في تَنَكُّرِ أبي سَلَمَةَ الخَلاَّلِ للعباسيِّينَ ، وسَعْيِهِ لِتحويلِ الخلافةِ إلى العلويِّين ، وكانَ عبيدُ اللهِ بن الحسين الطَّالبيُّ من رجالِ الوَفدِ الذين أرسَلَهم أبو العبّاس مع أخيهِ أبي جَعْفَرٍ إلى خراسانَ ، فَجَامَلَهُ سليمانُ ، وباحَ له بأنه كانَ يَودُّ أنِ تكونَ الخلافةُ من نَصيبِ العَلَويِّين ، وَوَعَدَ أن يُناصِرَهم إنْ هم طَلَبوها ، ونازَعُوا العباسيِّين فيها ، وغَالبوهم عليها ! ! وأخبرَ عبيدُ اللهِ أبا مسلمٍ ، بما أفْضى سليمانُ إليه ، فَخَوَّنَهُ أبو مسلمٍ وقَتَلَهُ ، قال المَدائني[1] : «لما قَدِمَ أبو جَعْفَرٍ على أبي مُسْلمٍ ، سَايَرَهُ عبيدُ الله بن الحُسينِ الأعْرَجُ[2] ، وسليمانُ بن كثيرٍ معه ، فقال سليمانُ بنُ كثيرٍ للأعْرَجِ : يا هذا ، إنَّا كنَّا نَرْجُو أنْ يتمَّ أمرُكُمْ ، فإذا شئتُم ، فادْعُونا إلى ما تُريدون . فَظَنَّ عبيدُ اللهِ أنه دَسيسٌ من أبي مسلمٍ ، فخافَ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٥٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٦ ، وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٨٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٩٠ .

(٢) سَمَّاهُ ابن عساكر عبيد بن الحسن الأعرج ، وذكر أنه كان أميراً على خمسة آلافٍ ، مع عبد الله بن علي في حصار دمشق . (انظر البداية والنهاية ١٠ : ٤٥) .

ذلك . وبلغَ أبا مسلم مُسايرَةُ سليمانَ بن كثيرٍ إياه ، وأتى عبيدُ اللهِ أبا مسلمٍ ، فَذَكَرَ له ما قالَ سليمانُ ، وظَنَّ أنه إنْ لم يَفعَلْ ذلك ، اغْتَالَهُ فَقَتَلَهُ . فبعَثَ أبو مسلمٍ إلى سليمانَ بن كثيرٍ ، فقالَ له : أتَحفظُ قَوْلَ الإمامِ لي : مَنِ اتَّهَمْتَهُ فاقْتُلْهُ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد اتَّهمتُكَ ! فقال : أنشُدُكَ اللهَ ! قال : لا تُناشِدْني اللهَ ، وأنتَ مُنطَوٍ على غِشِّ الإمامِ ، فأمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ . ولم يُرَ أحدٌ ممن كانَ يَضرِبُ عُنُقَهُ أبو مسلمٍ غيره » !

وكان أبو مسلمٍ ساخِطاً على سليمانَ بن كثيرٍ الخُزاعيِّ ، لأنه نَبَذَهُ وأهَانَهُ ، وضَرَبَهُ فَشَجَّ رأسَهُ ، حين بَعَثَهُ الإمامُ إبراهيمُ بن محمدٍ والياً على شيعةِ بني العباس بخراسان ، وكان سليمان هو القائمَ بأمْرِهم ، قبلَ قُدوم أبي مسلمٍ والياً عليه [1] ، فكان أبو مسلمٍ يَتَرَبَّصُ به ، وينتظرُ أنْ تُواتِيَهُ الفُرصَةُ ، حتى يَفْتِكَ به ، وَينتَقِمَ لِنَفسِهِ منه !

وكان خالد بن كثيرٍ التَّميميُّ حاقداً على سليمانَ أيضاً ، لأنه كان ممن سُمِّيَ للنِّقابةِ ، فَصَرَفَها عنه سليمانُ إلى خَتَنِهِ لاهِزِ بن قُرَيْظٍ التَّميميِّ ، فاضْطَغَنَ خالدٌ ذلك على سليمانَ . والتَمَسَ أبو مسلمٍ شُهوداً على غَدْرِ سليمانَ وخِيانَتِهِ ، فشهدَ له خالدٌ بذلك ، لما كانَ في نَفْسِهِ من إحْنَةٍ وعداوَةٍ لسليمان [2] ، فانتَهَزَ أبو مسلمٍ ذلك ، وسَوَّغَ به قَتْلَهُ لسليمان ! !

وكان أبو مُسلمٍ وسليمانُ قد أبدَيا أنهما تَراضَيا وتَصافَيا ، ثم تَعاوَنا على إظهارِ الدعوة وإعلانِ الثورة . ولكن البلاذريَّ رَوَى أنهما لم يزالا ، مع ذلك ، مُتنافِسَينِ مُتَحاسِدَيْنِ ، ومُتَباغِضَينِ مُتَباعِدَيْنِ ، وأنَّ كلاًّ منهما كان يَجدُ على صاحِبِهِ ، ويمكرُ

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧١ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٠ .

به، ويَتَوَقَّعُ أن تُمكِنَهُ الأيام منه، فيقضيَ عليه. وروى أنَّ سليمان شكا إلى أبي جَعفرٍ، حينَ قدمَ خراسان، تَسَلُّطَ أبي مسلمٍ وتجبُّرَهُ، وأفصَحَ عن استِيائِهِ لاستِبدادِهِ بالأمرِ بعدَ قيامِ الدولة، وتفرُّدِهِ به، وهَدَّدَ بالتَّمرُّدِ عليه، وتَوَعَّدَهُ بالمَوتِ، إنْ لم يَرتَدِعْ عن فَسادِهِ وعِنادِهِ، ولم يُقلِعْ عن كبريائِهِ وغُلَوائِهِ.

وساقَ سبباً آخر لِقَتلِ أبي مسلمٍ له ولابنه محمدٍ، فقد ذكر أنَّ سليمانَ أفضى إلى الكفيَّةِ من أنصارِ الدعوةِ العباسيةِ بامتعاضِهِ من تَقَدُّمِ أبي مسلمٍ عليه، وتأذِّيهِ بتَنحِيَتِهِ له، وتَمَنَّى هَلاكَهُ. ونُقِلَ كلامُهُ إلى أبي مسلمٍ، فتحامَلَ عليه، واحتالَ شُهوداً على ذلك، فَشَهِدَ له بعضُ الدُّعاةِ بما أحبَّ، واتَّهموا محمد بن سليمان بأنه على رأيِ خِداشٍ ومَذْهَبِهِ، فأخَذَ أبو مسلمٍ سليمانَ وابنَهُ فَقَتَلَهما، يقول[1]: «كانَ سليمانُ بن كثير الخزاعيّ من النُّقباء، فلما قدمَ المنصورُ خراسانَ على أبي مسلمٍ قال له: إنما كنا نُحِبُّ تمامَ أمْرِكُمْ، وقد تَمَّ بِحَمدِ اللهِ ونعمَتِهِ، فإذا شِئتُمْ قَلَبناها عليه. وكان محمد بن سليمان بن كثيرٍ خداشياً، فكرهَ تَسليمَ أبيه الأمرَ إلى أبي مسلمٍ. فلما ظَهَرَ أبو مسلمٍ، وغَلَبَ على الأمر، قَتَلَ محمداً. ثم قال سليمان للكَفيَّةِ، وهم الذين بايعوا على أنْ لا يأخذوا مالاً، وأنْ تُؤخَذَ أموالُهُم إنْ احْتيجَ إليها، ويدخلوا الجنةَ، ويقال: إنهم أُعطُوا كفّاً كفّاً من حِنطَةٍ فَسُمُّوا الكفيَّةَ[2]: حَفَرْنا نهراً بأَيدِينا، فجاءَ غيرُنا فأجرَى فيه الماء، يعني أبا مسلمٍ. فبلغَ قَوْلُهُ أبا مُسلمٍ، فاستَوحَشَ منه،

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٦٨.

(٢) هذا مخالف لِمَا ذكرهُ مصنفُ أخبار الدولة العباسية من أنَّ الإمام محمد بن علي أمرَ شيعة بني العباس أن يغمِدُوا السيوفَ، ويكُفُّوا أيديهم حتى يُؤْذَنَ لهم، وبهذا سُمِّيت الكفية، حتى إذا كتب الإمام ابراهيم ابن محمد إلى أبي مسلم يأمره بإظهار الدعوة ومجاهرة عدوه، شهروا سيوفهم. فكلُّ من أجاب الدعوة قبل ظهور أبي مسلم فهو كَفيٌّ، ومن دَخَلَ في الدعوة بعد ظهور أبي مسلم فليس من الكَفيَّة. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢٠٤).

وشَهِدَ عليه أبو تُرابٍ الداعية[1] ، ومحمد بن عُلوان المَروزيُّ[2] ، وغيرُهما في وَجْهِهِ بأنه أخذ عنقودَ عنبٍ فقال : اللهم ، سَوِّدْ وَجْهَ أبي مسلمٍ كما سَوَّدْتَ هذا العنقودَ ، واسْقِني دَمَهُ ، وشهدوا أنَّ ابنَه كان خِداشيّاً ، وأنه بال على كتاب الإمام ، فقال لبعضهم : خُذْهُ بيدك فألحِقْهُ بخوارزم ، وكذلك كان يقولُ لمن أرادَ قَتْلَهُ ، فَقَتَلَ سليمان ، وكتبَ إلى أبي العباس بِخَبَرِهِ وَقَتْلِهِ إياه ، فلم يُجِبْهُ على كتابِهِ » .

وذكر ابنُ خلدون أن أبا مسلمٍ قَتَلَ سليمانَ بن كثيرٍ الخزاعيَّ لأنه أنكرَ قَتْلَ أبي سلمةَ الخَلاَّلِ[3] .

(١) هو من دعاة الدعاة. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٣).

(٢) هو من كبار شيعة بني العباس وقادتهم. (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧١).

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٧٧.

(٣) قَتلُ شَرِيكِ بن شَيخِ المَهْرِيّ

وكان أبو مسلمٍ مُعْجباً بنفسه ، حتى أَخَذَتْهُ العزَّةُ بِعَظَمتِهِ وسَطوَتِهِ ، وأبى أن يكونَ كَمثلِهِ أحدٌ من الدُّعاةِ والنُّقباء من أهلِ السابِقَةِ والقُدْمَةِ والبَلاء والفَناء في الدّعوة ، فلم يُطِقْ أكثرهم غَطْرَسَتَهُ وتَطاوُلَهُ عليهم ، ولم يَحتَمِلوا عُدْوانَهُ على رِفاقِهِم ، وَقَتْلِهِ لهم ، فَنَدَّدُوا بعُنفه وعَسْفِهِ ، وأنكروا إسْرافَهُ في سَفْكِ الدِّماء بغيرِ حقٍّ ، وهتَفُوا بِظُلمِهِ وَجَوْرِهِ ، فزادَهُ ذلك كِبْراً على كِبْرٍ ، واشتَطَّ في قَتْلِهِمْ واحداً بعدَ الآخر !

في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة خَرَجَ شُرَيْكُ بن شيخ المَهْرِيُّ على أبي مسلمٍ ببخارى ، ونَقَمَ عليه ، وقال[1] : «إنما بايَعْناكُمْ على العَدْلِ ، ولم نُبايِعْكُمْ على سَفْكِ الدماء بِغيرِ الحَقِّ ، فاتَّبَعَهُ أكثر من ثلاثين ألفاً ، فبعثَ إليه أبو مسلمٍ زيادَ ابن صالح الخزاعيّ ، فحاربَهُ ، وأوقَعَ بأصحابه وقَتَلَهُ[2] .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٧١ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١١ . وقد سَمَّاهُ مصنف الإمامة والسياسة شريك بن عون الهمداني . (انظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٦٦) . والصحيح أنه قُضَاعي . انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٠) .

(٢) فصَّلَ المقدسي القول في ثورة شريك بن شيخ المهري ، وقضاء أبي مسلمٍ عليه ، وبَسْطِهِ لسلطانه على

(٤) قتلُ زياد بن صالح الخزاعيّ

وفي سنة خمسٍ وثلاثين ومائة خرج زياد بن صالح الخزاعيّ على أبي مسلمٍ وراء نهر بَلْخَ ، وكان من مجلس السبعين[١] ، ومن نُظَراء النُّقباءِ من أهلِ بَلْخ[٢] . وروى ابن جرير الطبريّ أنَّ أبا العباس استَعْمَلَهُ على خراسان ، وكَتَبَ له عَهْداً بذلك ، وأرسَلَهُ إليه مع سباع بن النعمان الأزدي ، فأوْصَلَهُ إليه ، وأمَرَهُ إن رَأى فُرصَةً أنْ يَثِبَ على أبي مسلمٍ فيَقتُلَه[٣] . ولكن المقدسي ذكر أنَّ زياداً افتَعَلَ كتابَ عَهْدِهِ بولاية خراسان افْتعالاً ، إذ لم يكن له أصْلٌ[٤] . ويبدو أنَّ أبا العباس قَرَّرَ أن يَتخَلَّصَ من أبي مسلمٍ ، فَوَلّى زياداً على خراسان ، وأَسَرَّ إليه أنْ يَقتُلَ أبا مسلمٍ ، فلما حاولَ ذلك ، فثارَ وأخفَقَ وقُتِلَ ، سارَعَ أبو العباس إلى اتِّهامِهِ وتجريمِهِ ،

بلاد ما بين نَهْرَيْ جَيْحونَ وسَيْحونَ ، وبلوغ قادتهِ حدود الصين ، وتهيئة لغزوها . (انظر البدء والتاريخ ٦ : ٧٤ــ ٧٥) . وراجع تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٧٩ .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٢ .

(٤) البدء والتاريخ ٦ : ٧٥ .

وصَحَّحَ قَتْلَ أبي مسلمٍ له. ونَوَّهَ به، وكَافَأَهُ عليه[1]، حتى لا يَرْتابَ أبو مسلمٍ به، ولا يَستوحِشَ منه، ولا يَتمَرَّدَ عليه! وربما كان أبو جَعفرٍ هو الذي حَمَلَهُ على ذلك.

وقال البلاذري[2]: «بلغ أبا مسلمٍ عن زياد بن صالح تَنَقُّصٌ له وذَمٌّ، وأنه كان يقول: إنما بايَعْنا على إقامةِ العَدْلِ وإحياءِ السُّنَنِ، وهذا جائرٌ ظالمٌ يسيرُ سيرةَ الجَبابِرَةِ، وأنه مخالفٌ له قد أفسَدَ عليه قُلوبَ أهل خراسان، فَدَعا به فَقَتَلَهُ».

وروى ابن جرير الطبريُّ أنَّ أبا مسلمٍ مضى إلى زيادٍ، حتى انتهى إلى آمل، وكان معه سباعٌ، فبَلَغَهُ أنه هو الذي قَدِمَ بِعَهْدِ زيادٍ، فَدَفَعَ سباعاً إلى عامِلِهِ آمل، وأمَرَهُ بِحَبْسِهِ عنده، وعَبَرَ إلى بخارى، فلما نزَلَها أتاه بعض قُوَّادِ زيادٍ خالعينَ له، فسألهم عمن أفسَدَ زياداً، فقالوا له: سِباعٌ، فكتبَ إلى عامله على آمل أنْ يَضربَ سباعاً مائةَ سوطٍ، ثم يَضْرِب عُنُقَهُ، ففعَلَ.

ولما أسلمَ زياداً قُوَّادُهُ ولحقوا بأبي مسلمٍ، لجأ إلى دِهْقان بارْكث من قرى أشْرُوسَنَة، فَوَثَبَ عليه الدِّهقانُ، فضربَ عُنُقَهُ، وجاء برأسه إلى أبي مسلمٍ[1].

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٩.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٨.

(٥) قتلُ عيسى بن ماهان الخُزاعي

وكانَ عيسى بن ماهان الخزاعي من مجلس السبعين[٢] ، ومن نُظراء النُّقباء من أهل مَرْو الشّاهجان[٣] . وكان صديقاً لزياد بن صالح الخزاعي ، وكان مُطابقاً له على بعض أمْرِهِ ، فقال للناس : إنَّ أميرَ المؤمنين قد أعْظَمَ قَتْلَ زيادٍ ، وذَمَّ أبا مسلمٍ ، وأنكرَ فِعْلَهُ ، وقال : إنه قَتَلَ رجلاً ذا قَدَمٍ وبلاءٍ حَسَنٍ في دولتنا ، وَبَرِئَ منه ، وقد بَعَثَ إليَّ بعهدي على خراسان . ودَعَا قوماً إلى حَرْبِ أبي مسلمٍ فأجابوه سِرّاً ، وخَالَفَهُ أقوامٌ قَتَلَهم . وكان عيسى يومئذٍ بإزاءِ قريةٍ وَجَّهَهُ أبو داود [خالدابن إبراهيم الذُّهْلي] إليها ليحاربَ أهْلَها ، وقدم رسُولُ أبي العباس ، وهو أبو حميد [محمد بن إبراهيم الحميري] إلى أبي مسلمٍ بِخلَعٍ وبِزٍّ وبكتابٍ يَلعَنُ فيه زيادابن صالح وأشياعَهُ ، ويُصَوِّبُ رأيَ أبي مسلمٍ في قَتلِهِ . فأمَرَ أبو مسلمٍ أبا داود بِقَتْلِ عيسى بن ماهان ، فكتب إليه : إنَّ رسولَ أمير المؤمنين قد قدم على الأمير بِخلَعٍ وبِزٍّ له وللأولياء ، وذكرناكَ له ، فَصِرْ إلينا لِتَشْرِكَنا في أمرنا وسُرورِنا ، وتَرَى رسولَ أمير المؤمنين ، فَتُعَرِّفَهُ حالك . فقدم على أبي داود فقال : خذوا ابن الفاعلة ، وأمرَ به

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٢ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٧ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٠ .

فأُدْخِلَ في جُوالق(١) ثم ضُرِبَ بالخُشُبِ حتى مات. فكتَبَ أبو العباس إلى أبي مسلمٍ يُعْظِمُ قَتلَ عيسى ، ويأمُرُهُ أن يَقتُلَ أبا داود به ، فكتَبَ في جواب ذلك يُعْذِرُ أبا داود خالد بن إبراهيم ، ويذكر أنَّ ابن ماهان لو تُرِكَ لكان منه مثلُ الذي كان من زياد بن صالح من إفساد الناس وحَمْلِهم على المعصية والخلاف»(٢) .

وذكر ابنُ جريرٍ الطبريُّ أنَّ أبا مسلمٍ ظَفِرَ بستةَ عَشرَ كتاباً كتبها عيسى إلى كامل بنُ مُظَفَّرٍ صاحبِ أبي مسلمٍ يعيبُ فيها أبا داود ، وَيَنسبُهُ فيها إلى العصبيّة وإيثارِ العرب وقومِهِ على غيرهم من أهل الدعوة. فبعثَ أبو مسلمٍ بالكتب إلى أبي داود ، وكتبَ إليه : إن هذه هي كتبُ العِلْجِ الذي صَيَّرْتَهُ عِدْلَ نَفْسِك فشأنك به . فكتب أبو داود إلى عيسى يَستَدعيه ، فلما قَدِمَ عليه حَبَسَهُ وضَرَبَهُ ، ثم أخْرَجَهُ فَوَثَبَ عليه الجندُ فَقَتلوهُ ، وَرَجعَ أبو مسلمٍ إلى مَرْو الشاهجان(٣) .

---

(١) الجوالق : الوعاء ، فارسي معرب.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٩.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٦.

(٦) قتلُ أبي سلمة الخلّال

وكان أبو سَلَمَة الخَلَّالُ قد جَدَّ في صَرْفِ الخلافةِ عن العباسيينَ ، ونَقْلِها إلى العَلَوِيِّينَ ، بعدَ مَوْتِ الإمامِ ابراهيم بن محمد ، وأخْفَى أبا العباسِ وأهْلَ بَيْتِه ، وجَفَاهُمْ ، حينَ قَدِمُوا الكوفة ، فارِّينَ من مروان بن محمد. ولكنَّ قادةَ أهل خراسانَ بحَثُوا عن أبي العباس حتى وَجَدُوهُ فأَخْرَجُوهُ وبَايَعُوه ، فأفسدُوا على أبي سَلَمَةَ الخَلَّالِ ما أرادَ.

وأَظْهَرَ أبو العباس في أَوَّلِ الأمرِ أنه عَفَا عن أبي سلمةَ ، وغَفَرَ زَلَّتَهُ ، وصَفَحَ عنهُ صَفحاً جميلاً ، وبالغَ في مُلاطفتِهِ حَتَّى يُمكِّنَ لنفسِه ، فأقام بمُعَسْكَرِهِ بحَمَّامِ أَعْيَنَ أشهراً ، ثم تَحوَّلَ عنه إلى المدينة الهاشِميَّة [1] ، وهو مُتنكِّرٌ له ، وقد عرفَ ذلك

---

(١) قال البلاذريُّ : «حُدِّثْتُ أنَّ ابنَ هبيرةَ لما بَنَى مدينَتَهُ هَمَّ بأنْ يُسمِّيَها الجامعةَ ، فقال له سلمُ بن قتيبةُ ، وهو يومئذٍ معه : أرأيتَ إنْ قِيلَ : أينَ الأمير؟ أيُقالُ في الجامعة! فتطيَّرَ فسمَّاها المحفوظة ، فلما قامَ أبو العباس ، سَمَّاها الهاشمية ، وأتَمَّ بناءها». (انظر أنساب الأشراف ٣ : ١٤٩). ثم ابتنى مدينتَهُ بالأنبار ، وتحوَّلَ إليها ، وبها تُوفي. (انساب الأشراف ٣ : ١٥٠). وقال ياقوت الحموي : «الهاشمية مدينةٌ بناها السفاحُ بالكوفة ، وذلك أنه لمّا ولي الخلافةَ نزل بقصْرِ ابن هبيرةَ ، واستُتِمَّ بناءَهُ ، وجعله مدينةً ، وسَمَّاها الهاشميةَ ، فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة ، فقال : ما أرَى ذِكرَ ابنَ هبيرة يَسقُطُ عنها ، فرفَضَها وبنَى حيالها مدينةً سمّاها الهاشمية ونزلها ، ثم اختار نُزولَ الأنبار ، فبنَى مدينتَها المعروفة ، فلما توفي دُفِنَ بها» (معجم البلدان : الهاشمية). وانظر العباسيون الأوائل ٢ : ١٥.

منه ، وأخذَ يُدبِّر لقتْلِه ، قال أبو جَعْفرٍ المنصور[1] : « دعاني أبو العباسِ فَذاكَرني أمرَ أبي سَلَمَةَ ، فقالَ : والله ما أدْري ، لعل الذي كان منه عن رَأْيِ أبي مسْلِمٍ ، وما لها غَيرُك ، اخْرُج إلى أبي مسلمٍ مُهنِّئاً بما وَهَبَ الله لَنا وبنجْح سعْيِهِ فيما قامَ به من أمْرِنا ، وخُذِ البيْعَة عليه ، وأَعْلِمْهُ بما كان من أمْرِ أبي سَلمةَ ، واعْرِفْ رأيه ، وعَرِّفْهُ الذي نحنُ عليه من شُكْرِهِ ومَعْرِفةِ حَقّه . فخرجْتُ إلى خراسان ، ومعي ثلاثونَ رجلاً ، منهم اسحاقُ بن الفَضْلِ الهاشميُّ ، والحجاجُ بن أرْطاةَ ، ونحن على وجَلٍ . فلما شارفتُ مَرْو تَلقَّاني أبو مسلمٍ ، فلما دَنَا مني نزلَ وقَبَّلَ يدي ، فقلتُ : ارْكَبْ ، فركبَ وقدمتُ مرو ، فَنَزَلْتُ داراً ، ومكثَ ثلاثةَ أيامٍ لا يسألني عن شيءٍ ، ثم قال : ما أَقْدَمَكَ يا أبا جَعْفرٍ؟ وأخبَرْتُهُ فقال : قد تَقَدَّمَتْ بَيْعَتي وأخَذْتُها لأميرِ المؤمنينَ ، قبلَ قدُومِكَ عليَّ ، ولكن أُمَاسِحُكَ[2] له فمَاسَحني ثم قال : أفعَلَها أبو سَلمة؟ قلتُ : قد فَعَلَها ، فقالَ : أكْفِيكُمُوه ، ودَعَا بمرار بن أنس الضَّبيِّ فقال : انْطَلِقْ إلى حَفْصِ بن سليمانَ بالكوفة ، فاقْتُلْهُ حيثُ لَقِيتَهُ ، فقدمَ مَرَّارُ الكوفة ، وكانَ أبو سَلمَةَ يسْمرُ عندَ أبي العباس ، فقَعَدَ له في بعض الليالي على طريقِه ، فلما خَرَجَ قَتَلَهُ ، فقالوا : قَتَلَتْهُ الخوارجُ » .

ورَوى ابنُ جريرٍ الطبريُّ دونَ إسنادٍ[3] أَنَّ أبا العباس كتبَ إلى أبي مسلمٍ يُعْلِمُهُ

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٤ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٣ .

(٢) ماسحه : صافحه .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٩ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٧٠ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٥ ، والوزراء والكتاب ص : ٩٠ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧١ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٢ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٦ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٩٦ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٤ ، وشذرات الذهب ١ : ١٩١ .

رأيَهُ في أبي سَلمَةَ الخَلاَّلِ ، وما كان هَمَّ به من الغِشِّ ، وما يتخوَّفُ منه ، « فكتبَ أبو مسلمٍ إلى أميرِ المؤمنين : إنْ كانَ أطّلَعَ على ذلك منه فَلْيقتُلْهُ ، فقال داوُد بن عليٍّ لأبي العباس : لا تَفْعَل يا أميرَ المؤمنين ، فيحتَجَّ عليك بها أبو مسلمٍ ، وأهلُ خراسان الذين معك ، وحَالُهُ فيهم حَالُهُ ، ولكن اكتبْ إلى أبي مسلمٍ فَلْيَبْعَثْ إليه مَنْ يَقتُلُهُ . فكتبَ إلى أبي مسلمٍ بذلك ، فبعثَ بذلك أبو مسلمٍ مرَّار بن أنس الضبيَّ ، فقدم على أبي العباس في المدينة الهاشمية ، وأعْلَمَهُ سببَ قُدُومِهِ ، فأمرَ أبو العباس منادياً فنادَى : إنَّ أميرَ المؤمنين قد رَضِيَ عن أبي سَلَمَةَ ودعاهُ وكَساهُ ، ثم دَخَلَ عليه بعد ذلك ليلةً ، فلم يزل عندَهُ حتى ذهبَ عامةُ الليل ، ثم خرجَ مُنْصَرِفاً إلى مَنْزِلِهِ يمشي وَحْدَهُ ، حتى دَخَلَ الطاقاتِ ، فعَرضَ لهُ مَرّارُ بن أنس ومَنْ كان معَهُ مِنْ أعوانه فَقتلوهُ ، وأغْلِقَتْ أبوابُ المدينةِ ، وقالوا : قَتَلَ الخوارجُ أبا سلمةَ ، ثم أخْرِجَ من الغَد ، فَصَلَّى عليه يحيى بنُ محمدٍ بن عليٍ ، ودُفِنَ في المدينة الهاشمية . . . . ، وكانَ يقالُ لأبي سلمةَ : وزير آل محمدٍ ، ولأبي مسلمٍ : أمينُ آل محمدٍ ، فلما قُتِلَ أبو سلمةَ وجَّهَ أبو العباس أخاه أبا جَعْفَرٍ في ثلاثين رجلاً إلى أبي مسلم ، فيهم الحجاجُ ابن أرطاة وإسحاق بن الفَضْلِ الهاشميُّ » .

والخبرُ مُلفّقٌ من ثلاثةِ أخبارٍ ، رَوى البلاذريُّ أوَّلَها من طريق اسحاق بن عيسى بن علي العباسي[1] ، ورَوَى ثانيها من طريقِ المُفَضّلِ الضّبيِّ[2] ، ورَوَى ثالثَها من طريقِ الهيثم بن عديٍّ الطّائي[3] .

ويبدو أَنَّ قوْلَ المنصور هو الصحيحُ الراجحُ ، فإنَّ أبا العباس وجَّهَ أخاه أبا جَعْفرٍ

(١) أنساب الاشراف ٣ : ١٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٥ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٦ .

إلى خراسان لأخْذِ البيعةِ علي أبي مسلمٍ ، بعدَ أنْ بايَعَهُ أهلُ خراسان وأهلُ الكوفةِ[1] ، وأمرَهُ أن يَستَطلِعَ رأيَهُ في قَتْلِ أبي سَلمَةَ ، وقَد حَفِظَ البلاذريُّ الرسالةَ التي كَتبهَا أبو العباس بخَطِّهِ أو بإمْلَائِهِ في أمْرِ أبي سَلمة ، وبَعَثَ بها إلى أبي مسلمٍ مع أخيهِ أبي جَعْفَرٍ[2] . وذكر الجهشياريُّ أنَّ أبا جَعفرٍ أخذَ البيعةَ على أبي مسلمٍ ، ورجع إلى أبي العباس في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ[3] ، وذكر أَنَّ أبا سلمةَ قُتِلَ في رجب سنةَ اثنتين وثلاثين ومائةٍ[4] ، أي بعد رُجُوعِ أبي جعفرٍ من خراسان بشهرين . ثم وجَّهَ أبو مسلمٍ محمد بن الأشعث الخزاعي إلى فارس وأمرَهُ أن يقتل عُمَّال أبي سلمة ، ففعل ذلك[5] .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٤ ، ٤٦٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٩ ، ٤٥٨ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٥ — ١٥٦ .

(٣) الوزراء والكتاب ص : ٩٠ .

(٤) الوزراء والكتاب ص : ٩٠ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٩٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٦ ، وقارن بما ورد في تاريخ الموصل ص ١٤٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٢ ، وشذرات الذهب ١ : ١٩١ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٥ .

(٧) قَتْلُ أبي مسْلمٍ الخُرَاسَانيِّ

وكان أبو جَعْفَرٍ أَخصَّ بني العباس بأبي مسلمٍ أثناءَ الدعوة[١] ، فلما قامت الدَّوْلَةُ ، وقدم أبو جَعْفَرٍ خراسان استخفَّ أبو مسلمٍ به ، واسْتَعْلَى عليه ، فأَحْفَظَهُ وأسْخَطَهُ ، فتباعَدَ ما بينهما ، وحَقَدَ كلٌّ منهما على صاحبه ، وأخذت شُقَّةُ الخلاف بينهما تَتَّسِعُ مع الأيام ، فلم يَتَقارَباً ولم يتآلفا بعد ذلك ، قال البلاذري[٢] : «كان أبو جَعْفَرٍ يأتي دهليزَ أبي مسلمٍ فيجلسُ فيه ، ويستأذنُ له الحاجبُ ، ثم أمرَهُ بعد ذلك أنْ يرفعَ له السُّتور ، ويفتح له الأبواب» . وحَضَرَ أبو جَعْفَرٍ قَتْلَ أبي مسلمٍ لسليمانَ بن كثيرٍ الخزاعيِّ دون استشارةٍ له في أمْرِهِ ، وشَهِدَ تَسلُّطَهُ واستبدادَهُ برَأيِهِ ، فهَالَهُ تَجبُّرُهُ وتكبُّره ، قال اليعقوبي[٣] : «فانْصَرَفَ واجداً عليه ، وشكاهُ إلى أبي العباس ، وأعْلَمَهُ ما نال منه ، وكَثَّرَ عليه في بابه . فقال أبو العباس : فما الحيلةُ فيه ، وقد عَرَفْتَ مَوْضِعَهُ من الإمام إبراهيم ، وهو صاحبُ الدولة والقائمُ بأمْرِهَا» ؟

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٣ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٩ ، وراجع ما ورد في البدء والتاريخ ٦ : ٧١ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٣ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١ ، وانظر العيون والحدائق ٣ : ٢١٣ ، وأنساب الاشراف ٣ : ١٥٢ .

ومَضى أبو مسلمٍ يَستَهينُ بأبي جَعْفَرٍ في خلافَةِ أبي العباس، قال اليعقوبي[1]: «قدم أبو مسلمٍ على أبي العباس، فأكْرَمَهُ وأعظَمَهُ، ولم يذكر له من أمرِ أبي جعفرٍ شيئاً. ودخل إليه يوماً من الأيام، وأبو جعْفرٍ جالس معه، فسلَّمَ عليه وهو قائمٌ، ثم خَرَجَ ولم يُسَلِّمْ على أبي جَعْفَرٍ! فقالَ له أبو العباس: مَوْلَاكَ، مَوْلَاكَ! لم لا تُسَلِّمُ عليه؟ فقال: قد رأَيْتُهُ، ولكنه لا يُقْضَى في مجلس الخليفة حَقٌّ أحدٍ غيرِهِ»!

وكتبَ أبو مسلمٍ إلى أبي العباس يَستَأْذِنُهُ في الحج سنة ستٍ وثلاثين ومائة، فأذِنَ له، وولّى أخاه أبا جَعفرٍ الموسم، فغضبَ أبو مسلمٍ من ذلك، لأنه أرادَ أن يقيمَ الحجَّ، ويُصَلّي بالناس، وقال: أما وَجَدَ أبو جعفرٍ سنة يَحُجُّ فيها إلاّ هذه السنة التي حَجَجْتُ فيها[2]؟ «فخرجَا إلى مكة، فكان أبو مسلمٍ يُصْلِحُ العُقابَ[3]، ويكسو الأعرابَ في كل منزلٍ، ويَصِلُ مَنْ سألَهُ. وكسا الأعراب البُتُوتَ[4] والملاحفَ، وحَفَرَ الآبارَ، وسَهَّلَ الطرقَ، فكانَ الصَّوْتُ له، وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوبُ عليه[5]»، قال البلاذري[6]: «فكان ذلك يَغِيظُ أبا جعفرٍ، ويرَى أنه استِطَالة منه عليه».

وصدر أبو جعفرٍ عن المَوْسمِ، ونفر أبو مسلمٍ قَبْلَهُ فتَقدَّمه، فأتاهُ كتاب من عيسى بن موسى بموتِ أبي العباس، واستخلاف أبي جعفرٍ، وكان أبو العباس عَقَدَ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥١.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٨٤، وتاريخ الطبري ٧: ٤٧٩، والكامل في التاريخ ٥: ٤٦٨.

(٣) العُقاب: الخزفُ يُدْخَلُ بين سُطُورِ الآجر واللبن في طَيِّ البئر لكي تَشْتَدَّ.

(٤) البُتُوت: جمع بَتٍّ، وهو كساءٌ غليظٌ مُرَبَّعٌ أخْضَرُ من وَبَرٍ وصوفٍ.

(٥) تاريخ الطبري ٧: ٤٨٠، وانظر أنساب الأشراف ٣: ١٨٥، والكامل في التاريخ ٥: ٤٦٨، وتاريخ ابن خلدون ٣: ١: ٣٨٨.

(٦) أنساب الأشراف ٣: ١٨٥.

له الخلافة ، وجعله وَلِيَّ عَهْدِ المسلمين ، ومن بعده عيسى بن موسى[1] ، فكتبَ أبو مسلم إلى أبي جعفرٍ يُعَزِّيهِ بأمير المؤمنين ، ولم يُهَنِّئْهُ بالخلافة ، ولم يُقِمْ حتى يَلْحَقَهُ ولم يَرْجعْ ، فلما قرأ كتابَهُ استشاطَ غَضَباً ، وكتبَ إليه كتاباً غليظاً[2] ، فبعث أبو مسلمٍ بالبَيْعَة بعد يومين ، وإنما أرادَ تَرْهِيبَ أبي جَعْفَرٍ بتأْخيرها[3] ، قال البلاذري[4] : « فَحقَدَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه » ، بل ازدادَ بُغْضاً له ، وحنقاً عليه .

وقدم أبو جعفرٍ الكوفة ، ثم سارَ منها إلى الأنبار ، فلما وردَها وَجَدَ بها عيسى ابن موسى ، وقد حَوَى الخزائن والأموال وحَفِظَها ، فسلَّمها إليه[5] . وقال البلاذري[6] : « ذكروا أنَّ أبا مسلمٍ لمَّا وردَ الأنبارَ أرادَ عيسى بن موسى على خَلْعِ المَنْصُورِ ومُخَالفته ، وقال له : أنتَ وَصِيُّ الإمام ، وأحَقّ بالأمْرِ من أبي جَعْفرٍ ، فقال له : الأمْرُ لِعَمِّي ، ولو قَدَّمني أبو العباس لَقَدَّمْتُهُ على نَفْسي » !

وكان أبو العباس عَقَدَ قبلَ وفاتِهِ لعبد الله بن عليٍ على الصائفة في أهل خراسان ، وأهْلِ الشام والجزيرة والمَوْصِل ، فبلَغَ دُلُوك ، ولم يُدْرِبْ حتى أتَتْهُ وفاة أبي العباس ، فبعث عيسى بن موسى وأبو الجَهْمِ بن عطية إليه يزيد بن زياد الخزاعي ببيْعةِ أبي جَعْفرٍ ، فخَلعَهُ ودعا إلى نَفْسِهِ[7] ، وأخبرَ مَنْ معه من الجنود

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٤.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦١.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٧٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٢.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٥.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٧٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٣.

(٦) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٩

(٧) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٢.

والقُوّاد أنَّ أبا العباس قال لبني أبيه حين أراد أن يُوَجِّهَ الجيوش إلى مروان بن محمد : مَن انْتَدَبَ منكم فسارَ إليه فهو وَليُّ عَهْدي ، فلم يَنْتَدِبْ له غيري ، فعلى هذا خرجتُ من عنده وقتَلْتُ من قَتَلْتُ ، فبايع له أكثرُهم ، فارْتحل بهم إلى حرّان ، وكانَ بها مقاتلُ بن حكيم العكي ، فخاصَرَهُ ثم استَنْزَلَهُ من حِصْنِهِ فقتلهُ (١) .

فندَب أبو جعفرٍ أبا مسلمٍ لمحاربته ، « فسارَعَ إلى ذلك ليتَخلَّصَ من يده » (٢) ، وعلم عَبدُ الله بن علي أنَّ أبا مسلمٍ سار إليه ، فخشيَ أنْ لا يُنَاصِحَهُ أهل خراسان ، فقتلَ منهم نحواً من سبعة عشرَ ألْفاً ، ثم تحوَّلَ إلى نَصِيبينَ ، فنزلها وخَنْدَقَ بها ، وتحصَّنَ فيها . وأقْبَلَ أبو مسلمٍ ، فكتب إلى عبد الله بن علي : « إنّي لم أُومَر بقتالِكَ ، ولم أُوَجَّهْ له ، ولكنَّ أمير المؤمنين وَلّاني الشام ، وإنّما أريدُهَا » ، فخاف أهلُ الشام الذين كانوا مع عبد الله بن علي أنْ يَقتُلَ أبو مسلمٍ رجالهم ، ويَسْبِيَ ذراريهم إنْ قدم الشام ، فأكْرَهُوا عبد الله بن عليٍ على المسيرِ إلى الشامِ ، فلما ارتحلَ عن معسكرِهِ تحوَّل إليه أبو مسلمٍ ، وعوَّر ما حوْلَهُ من المياهِ ، وألْقى فيها الجِيَفَ ، فَعرفَ عبدُ الله بن عليٍ أنه خُدِعَ ، فلامَ أصحابَهُ ، ورجعَ فنزلَ معسكر أبي مسلمٍ الذي كان فيه ، فاقتتلُوا خمسةَ أشهرٍ ، فانهزمَ عبدُ الله بن عليٍ ، وهربَ إلى البصرةِ ، وكان عليها أخوهُ سليمانُ بن عليٍ ، فآواهُ وأكرمَهُ ، وتوارَى عنده زمناً (٣) .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٧٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٤ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٥ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٠٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٧٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٠٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٧ .

وقال البلاذريُّ(١) : «كان أبو مسلمٍ مُسْتَخِفاً بمَواليهِ. فإذا أتاهُ كتابُ المنصور

• وفي سنة ثمانٍ وثلاثينَ ومائةٍ بايعَ عبدُ الله بن عليٍ لأبي جعفرٍ، وهو مقيمٌ بالبصرة مع أخيه سليمانَ بن علي. (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٧.

وفي سنة تسعٍ وثلاثين ومائةٍ عَزَلَ أبو جعفرٍ سليمانَ بن عليٍ عن البصرة، واستعمل عليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، قال البلاذري: «كتب سليمان إلى عيسى بن عليٍ يسأله أن يستأذنَ له المنصورَ في القدوم عليه منفرداً، فقدم، ودخل مع عيسى الى المنصور، فكلماهُ في إيمان عبد الله بن علي، فأجابهما الى ذلك. وكان عبد الله بن المقفع كاتب عيسى بن علي، فأمره فكتبَ له أماناً تعدّى فيه ما يكتب الخلفاءُ من الأمانات، وكتبَ: فإن لم يَفِ أميرُ المؤمنين بما جعل له فيه، فهو بريءٌ من اللهِ ورسوله، والأمةُ في حلٍّ وسعةٍ من خَلْعِهِ. (وقد حفظ الأزديُّ نَصَّ الأمان كاملاً. تاريخ الموصل ص : ١٦٧ — ١٧٠). ثم شخصَ عيسى وسليمانُ ابنا علي من البصرة، وأشْخَصَا عبد الله بن علي منها، وشخصا معه، ووكَّل بهم سفيان قائداً يقال له: عُقْبَة بن عازبٍ في ألفٍ، وسار أبو الأسد أيضاً معهم، فلما صاروا الى واسطٍ، تَسَلَّمَ عاملُها عبد الله بن عليٍ، ثم سلمهُ الى أبي الأسدِ، فأورده الكوفة. وكان المنصور قد وقّع في الأمان: هذا الأمانُ نافذٌ إن رأيتُ عبد الله، فلما قدم به، وأتي بابه، قال لأبي الأزهر المهلب بن العبيتر: إذا أمرتُكَ بإدخالِ عبد الله عليَّ، فلا تُرني وَجْهَهُ، وأَدْخِلْهُ المقصورةَ، ففعلَ ذلك، ووكَّلَ به الحرس، فكلّمه فيه بنو عليٍ، فجعل يقول: أقسمتُ عليكم لمّا لم تُكلِّموني فيه، فإنه أراد أن يُفْسِدَ علينا وعليكم أمْرَنا. ومكث محبوساً تسعَ سنين، ثم حوَّلَهُ من عنده إلى عيسى بن موسى، وأمَرَهُ بقَتْلِهِ خفيةً، فحبسَهُ وأرادَ قتلَهُ، فقال لهُ أبو عون يونس بن فَرْوة الأنباري، وكان كاتبه: إنْ قتلتَهُ قتلكَ به، فأمسك عن قتلِه. ثم إن المنصورَ سألَ عيسى بن موسى عنه، فقال: قتلتُهُ، فأظهرَ غضباً، وقال: أتقتلُ عمّي!! لأقتُلَنَّكَ به!! فقال: إني والله خفتُ منك فاستبقيتُه، قال: فادفَعْهُ الى المهلب بن العبيتر، فدفعه اليه، فغمهُ وجارية له حتى مات، ثم جعلها إلى جانبه، فكأنها تُعانِقُهُ، ثم عرقبَ البيت فسقط عليهما». (انساب الأشراف ٣ : ١١١ — ١١٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٨ — ٣٦٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٠١ — ٥٠٢ ، ٨ : ٧ — ٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٧٠ ، ٢٠٣ ، والوزراء والكتاب ص : ١٠٣ ، ١٣٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٣١٥ — ٣١٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٦ — ٢٢٧ ، ٢٥٧ — ٢٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٩٦ — ٤٩٧ ، ٥٨١ — ٥٨٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥ ، ١٠٤ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٧ — ٨ ، وشذرات الذهب ١ : ٢١٩ ، وراجع العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٧٠ — ٧١ ، والعباسيون الأوائل ١ : ١٣٨ — ١٤٦).

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٢٠١ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٨١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٣.

فقرأَهُ ، لَوَى شِدْقَهُ ، ثم ألقاهُ إلى أبي نَصْرٍ مالكِ بن الهَيْثَمِ فيتضاحَكَانِ ، ويبْلُغُ أبا جعْفرٍ ذلك فيقول : إنا لَنخافُ من أبي مُسْلمٍ أكثرَ مِمَّا نخافُ من حَفْصِ ابن سليمان » !

ولما فرغَ أبو مسلمٍ من مُحاربةِ عبد الله بن عليٍ ، وحَوَى ما في مُعسكرِهِ من الأموالِ والخزائنِ ، بعثَ أبو جعْفَرٍ مولاه أبا الخَصِيبِ لإحْصَاء ذلك ، فغَضِبَ أبو مسلمٍ ، وقال : ما لأبي جَعْفرٍ ولهذا؟ إنما له الخُمْسُ. فقال أبو الخصيب : هذا مالُ أمير المؤمنين دونَ الناسِ ، وليس سَبيلُ هذا سَبيلَ ما لَهُ منه الخُمْسُ ، فشَتَمهُ وهَمَّ بِقَتْلِهِ ، ثم أمْسَكَ ، إذْ قِيلَ له : إنّه رسولٌ ، والرسولُ لا يُقْتَلُ. فرجَعَ إلى أبي جَعْفرٍ ، فأخبرَهُ أنَّ أبا مسلمٍ هَمَّ بِقَتْلِهِ[1] .

ويقال : إنَّ أبا جعفرٍ وَجَّهَ يقطين بن موسى إلى أبي مسلمٍ ، بعد هزيمة عبد الله بن عليٍ ، ليُحْصيَ ما في معسكرِهِ ، وكان أبو مسلمٍ آنسَ الناس بيَقْطينَ ، فغَضِبَ وقال : أمينٌ على الدماءِ ، خائنٌ في الأموال ! ! وتَنَاوَلَ أبا جَعْفَرٍ بلسانه حتى ذكرَ أمَّهُ سلامةَ ! فقالَ يَقْطِينُ : عجلْتَ أيها الأميرُ ، إنما أمَرني أنْ أُحْصِيَ ما وُجِدَ في مُعَسْكَرِ النّاكِثِ ، ثم أُسَلِّمَهُ إليك ، لتَعْملَ فيه برأْيِكَ ، وتَصْنَعَ فيه ما أَرَدْتَ ، ويكونَ قد عَرَفَ مَبْلَغَهُ . فلما وَرَدَ يَقْطِينُ على أبي جَعْفرٍ أَعْلَمَهُ ما قال أبو مسلمٍ ، وما قالَ هو له . فخافَ أنْ يَمْضِيَ أبو مسلمٍ إلى خراسان فكتبَ إليه : إني قد وَلَّيْتُكَ الشامَ ومصرَ ، فهما أَفْضَلُ مِن خراسان ، ومَنْزِلُكَ بالشامِ أقربُ إلى أمير المؤمنين ، فمتى أحْبَبْتَ لِقَاءَهُ لقيتَهُ ، وأنفذَ الكتابَ إليه مع يَقْطينَ أيضاً . فلما قرأَهُ قال : أهُوَ يُوَلّيني الشامَ ومصرَ

---

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٠١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٨ .

مكانَ خراسانَ ، وخراسانُ لي ! ! وعَزَمَ على إتيانِ خراسانَ ، فنزلَ أبو جعفرٍ المدائنَ ، وأخذَ أبو مسلمٍ طريقَ حُلْوان[1] .

ولمّا أرادَ أبو مسلمٍ الشُّخُوصَ إلى خراسانَ عاصياً ، كتبَ إلى أبي جَعْفَرٍ يَذُمُّ الإمامَ إبراهيمَ : « من عبد الرحمن بن مسلمٍ إلى عبد الله بن محمدٍ ، أمَّا بعدُ ، فإني اتَّخَذْتُ أخاكَ[2] إماماً ، وكان في قرابتِه برسول الله صلى الله عليه وسلم ومَحلّه من العِلْمِ على ما كانَ ، ثمَّ استَخَفَّ بالقرآنِ ، فحرَّفَهُ طمعاً في قليلٍ منَ الدُّنيا قد نعاهُ اللهُ لأهلِهِ ، ومُثِّلَتْ له ضَلالَتُهُ على صُورةِ العَدْلِ ، فأَمَرَني أنْ أُجَرِّدَ السَّيْفَ ، وآخُذَ بالظِّنَّةِ ، ولا أَقْبَلَ معذرَةً ، وأنْ أُسَقِّمَ البَرِيءَ ، وأُبَرِّئَ السَّقيمَ ، وَوَتَرَ أهل الدين في دينهم ، وأوْطأني في غيركم من أهل بيتكم العَشوة[3] بالإفْك والعدوان . ثم إنَّ الله بحمدِهِ ونعمتِهِ اسْتَنقَذَني بالتَّوبَة ، وكَرَّهَ إليَّ الحَوْبة[4] ، فإنْ يَعْفُ فقديماً عُرِفَ ذلك منه ، وإنْ يُعاقَبْ فبذُنوبي ، وما الله بظلّامٍ للعبيد »[5] .

وكتبَ إليه أبو جعفرٍ يأمُرُهُ بالمصير إليه ، فكتب إليه أبو مسلمٍ أنه قرَّرَ التَنحّي عنه ، والتجنُّبَ له ، حِفاظاً على حياته ، وأنه لن يَغْدُرَ به ، فإنْ أصرَّ على أنْ يعودَ

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٢٠٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٦ ، والأخبار الطوال ص : ٣٧٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٦٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٨ .

(٢) في البداية والنهاية ١٠ : ٦٩ : « إنَّ أخاك السَّفاح » . ولم يرد اسمه في سائر روايات الرسالة والمعروف أن إبراهيم بن محمد هو الذي أوصى أبا مسلم وصيّته المشهورة .

(٣) العشْوةُ الظُّلمة ، وأوطاه العَشْوَةَ : حمله على أمرٍ غير رشيدٍ .

(٤) الحَوْبَةُ : ما يأثم الرجلُ إنْ ضَيَّعه ولم يُرَاعِهِ من حُرْمةٍ وحق .

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ٢٠٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٥٩ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٤ .

إليه ، خَالَفهُ وخرج عليه ،يقول[١] : « إنَّه لم يَبْقَ لأمير المؤمنين ،أكرمَهُ الله ، عَدُوٌّ إلاّ أمْكَنَهُ الله منه ، وقد كنا نَرْوي عن ملوك آلِ ساسان أنَّ أخوفَ ما يكونُ الوزراءُ إذا سَكَنتِ الدَّهْمَاءُ. فنحن نَافِرونَ من قُرْبك ، حَرِيصونَ على الوَفَاءِ بعَهدك ما وَفَيْتَ ، فإنْ أرْضَاكَ ذاك ، فإنا كأحْسَنِ عَبيدِكَ ، فإنْ أبيتَ إلاّ أنْ تُعْطِيَ نَفْسَكَ إرادَتَهَا نَقَضْتُ ما أبْرَمْتُ من عَهْدِكَ ، ضنًّا بنفسي » !

فراوَحَ أبو جَعْفرٍ في الرَّدِّ عليه بَينَ التَّأْنيبِ لهُ ، والعَفْوِ عنْهُ[٢] ، لأنَّه كان يريدُ أنْ يَظْفَرَ به فيَقْتُلَهُ ، «وأمرَ عُمُومَتَهُ ومَن حَضَرَ من بني هاشمٍ أنْ يكتبوا إليه ، فيُعظِّموا عليه حَقَّ الطاعة ، ويُحذِّروهُ سُوءَ عَواقِبِ الغَدْرِ والتَّبْديلِ والنَّكْثِ ، ويسألُوهُ الرُّجوع ، ويُشيروا عليه به ، وكتبَ إليه المنصُورُ : «إني أرَدْتُ مُذاكَرَتَكَ أشياءَ لم يَحْتَمِلْهَا الكتابُ ، فأقْبِلْ فإنَّ مُقَامَكَ قبلي يَسيرٌ. فلم يَلْتَفِتْ الى الكتاب[٣] » . فلم يَزَلْ أبو جَعْفرٍ يُوجِّهُ إليه الرُّسُلَ يُرَغِّبُونَهُ ويُرَهِّبُونَهُ حتى ثَنَوْهُ عن إتْيانِ خراسانَ ، وأقنَعوهُ بالرُّجُوع إليه. فيقال : إنه بعثَ إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البَجَليَّ ، وكانت المعرفةُ بينه وبين أبي مسلمٍ قديمةً بخراسان ، وكان صديقاً له ، راجحاً عنده ، وكان واحدَ أهل زَمانِهِ ، وداهيةَ عَصْرِهِ ، فأتاه «فلم يزَلْ يَمْسَحُ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٨٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٣ ، وانظر الوزراء والكتاب ص ١١١.

(٢) انظر رد أبي جعفر المنصور على رسالة أبي مسلمٍ الأولى في أنساب الأشراف ٣ : ٢٠٤ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٥٩.

وانظر رده على رسالته الثانية في تاريخ الطبري ٧ : ٤٨٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٤.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٢٠٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧١ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٩.

جَوانِبَهُ، ويَرْفُقُ به، ويُعرِّفُهُ قُبْحَ ما ركبَ، وأنَّ النعمةَ إنما دامتْ عليه بالطاعة. وقال له: إنَّ أمرَ القَوْمِ لم يَبْلُغْ بك ما تكره، وإنما لك إنْ عَصَيْتَهم خراسان، ولا تدْري ما يَنْبَاقُ[1] عليك من شيعتهم من أهل خراسان ممن تَرَى أنه مَعَك، وإنْ أطَعْتَهم فخراسان وغيرها من البلادِ لك، فانصرفَ راجعاً»[2].

ويقالُ: إن أبا جعفرٍ كَتَبَ إلى أبي مسلمٍ كتاباً لطيفاً، وبعث به إليه مع أبي حُمَيْدٍ محمد بن إبراهيم الحميري المَرْوزي[3] «وقال له: كَلِّمْ أبا مسلمٍ بألْيَنِ ما تُكَلِّمُ به أحداً، ومنِّه وأعْلِمْهُ أني رافِعُهُ وصانعٌ به ما لم يَصْنَعْهُ أحدٌ، إن هو صَلحَ وراجَعَ ما أُحِبُّ، فإنْ أبَى أنْ يرجع فقل له: يقول لك أميرُ المؤمنين: لستُ للعباس، وأنا بريءٌ من محمد إنْ مضيتَ مُشاقاً ولم تأْتِني، إنْ وكلتُ أمْرَكَ إلى أحدٍ سواي، وإنْ لم ألِ طَلَبكَ وقتالَكَ بنفسي، ولو خُضْتَ البَحْرَ لخُضْتُهُ، ولو اقْتَحَمْتَ النار لاقْتَحمْتُهَا حتى أقْتُلَكَ أو أموتَ قبل ذلك، ولا تَقُولَنَّ له هذا الكلام حتى تيأسَ من رجوعه، ولا تَطْمَعَ منه بخيرٍ».

فسار أبو حميدٍ في ناسٍ من أصحابه ممن يثق بهم، حتى قدموا على أبي مسلمٍ بحلوان، فدخل أبو حميدٍ وأبو مالك[4] وغيرهما، فدفع إليه الكتابَ، وقال له: إنَّ

---

(١) انباق عليه: هجم عليه بالداهية.

(٢) أنساب الاشراف ٣: ٢٠٢، وتاريخ الطبري ٧: ٤٨٣، وتاريخ الموصل ص: ١٦٥، والبدء والتاريخ ٦: ٧٩، ومروج الذهب ٣: ٣٠٢، والعيون والحدائق ٣: ٢٢٠، والبداية والنهاية ١٠: ٦٤.

(٣) في أنساب الأشراف ٣: ٢٠٢، وتاريخ الطبري ٧: ٤٨٤، والكامل في التاريخ ٥: ٤٧١ «المَرْوروذي» نسبة الى مرو الرُّوذ. وفي الوزراء والكتاب ص: ٨٦ «السمرقندي» نسبة الى سمرقند. والصواب المروزي، نسبة الى مرو الشاهجان. وهو من الدعاة، (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢١)، من أهل مرو الشاهجان. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢٣).

(٤) لعله أبو مالك أسيد بن عبد الله الخزاعي، وهو من مجلس السبعين من أهل نسا. (انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٨).

الناسُ يبلِّغُونَكَ عن أمير المؤمنين ما لم يَقُلْهُ وخِلافَ ما عليه رأيُهُ فيك حسداً وبَغْياً ، يريدون إزالةَ النِّعْمةِ وتَغْييرها ، فلا تُفْسِدْ ما كان منك ، ... ، فأقبلَ على أبي نَصْرٍ [مالك بن الهيثم الخزاعي] فقال : يا مالك ، أما تسمع ما يقول لي هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك ! قال : لا تَسْمَعْ كلامَهُ ، ولا يَهُولَنَّكَ هذا منه ، فلعمري لقد صدقتَ ما هذا كَلامَهُ ، ولَمَا بعد هذا أشَدُّ منه ، فأمْضِ لأمركَ ولا تَرْجعْ ، فوالله لئن أتيتَهُ ليَقْتُلَنَّك ، ولقد وَقَعَ في نفسهِ منك شيءٌ لا يأْمنك أبداً[1] . فقال : قوموا ، فنهضوا ، فأرسلَ إلى نَيْزَك[2] ، وقال : يا نيزك ، إني والله ما رأيتُ طويلاً أعْقَلَ منك ، فما تَرَى ؟ فقد جاءت هذه الكتب ، وقد قال القوم ما قالوا . قال : لا أرَى أنْ تأتِيَهُ ، وأرَى أنْ تأتي الريَّ فتقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والريَّ لك ، وهم جندك ما يُخالفكَ أحدٌ ، فإن استقامَ لك ، استقَمْتَ له ، وإنْ أبَى كنتَ في جُنْدِكَ ، وكانت خراسان من ورائك ، ورأيتَ رأيك . فدعا أبا حميدٍ ، فقال : ارجع إلى صاحبك ، فليس من رأيي أنْ آتيه . قال : قد عزمتَ على خِلافِهِ؟ قال : نعم ، قال : لا تَفْعَلْ ، قال : ما أريدُ أنْ ألْقاه ، فلما آيسَهُ من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفرٍ ، فوجمَ طويلاً ، ثم قال : قُمْ . فكسره ذلك القولُ ورَعَّبهُ[3] » .

وكان النَّقيبُ أبو داود خالد بن ابراهيم الذُّهْلي خليفة أبي مسلمٍ بخراسان ، فكتب إليه أبو جعفرٍ حين اتّهمَ أبا مسلمٍ يُعْلِمُهُ بمنابذته له ، ويسأله أنْ يشيرَ عليه

---

(1) ذكر اليعقوبي أنه قال له : «أرى أن تصير الى خراسان ، فتَسْتَعْتِبَ الرجل منها ، وتكتب إليه منها سمعك وطاعتك ، فإذا فعلت ذلك لم يلحقك لوم ، وإلاّ فهو آخر عهدك بالدنيا إنْ وقعت عينُهُ عليك» . (انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٧) .

(٢) هو من قادة أبي مسلم . (انظر البداية والنهاية ١٠ : ٦٥) .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٨٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧١ . وراجع أنساب الاشراف ٣ : ٢٠٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٥ .

بالطّاعةِ، على أنْ يُوَلِّيهُ خراسان مُدَّةَ خلافته. فأجابه إلى ما سأل، وكتبَ إلى أبي مسلمٍ: «إنا لم نخرج لمَعْصِيةِ خلفاء الله وأهل بيت نَبيِّهِ صلى الله عليه وسلم، فلا تُخَالِفَنَّ إمَامَك، ولا تَرْجعَنَّ إلاّ بإذنه». فوافاه كتابُهُ وهو على تلك الحال من الانكسار، فزاده رُعْباً وَهَمّاً. فارسل إلى أبي حميدٍ وأبي مالك فقال لهما: إني قد كنتُ مُعتزماً على المُضِيِّ إلى خراسان، ثم رأيتُ أن أُوَجِّهَ أبا إسحاق، وكان صاحب حَرَسه، إلى أمير المؤمنين، فيأتيني برأيه، فإنه ممن أثق به، فوجَّهَهُ، فلما قدم تَلقَّاه بنو هاشمٍ بكل ما يُحِبُّ، وقال له أبو جعفر: اصْرِفْهُ عن وَجْهِهِ ولك ولاية خراسان، وأجازه. فرجع إلى أبي مسلمٍ فقال له: ما أنكرتُ شيئاً، رأيتهم مُعظِّمين لحقِّكَ، يَرَوْنَ لكَ ما يَرَوْنَ لأنفسهم، وأشار عليه أنْ يرجع إلى أبي جعفرٍ، فيعتذر إليه مما كان منه، فأجمعَ على ذلك، فقال له نيْزك: أجمعتَ على الرُّجوع؟ قال: نعم، فقال: أمَّا إذا اعتزمتَ على هذا فخَار[1] اللهُ لكَ، واحفظْ عني واحدةً، إذا دخلتَ عليه فاقْتُلْهُ، ثم بايعْ لمن شئتَ، فإن الناس لا يُخَالفونك. وكتبَ أبو مسلمٍ إلى أبي جعفرٍ يُخْبِرُهُ أنه منصرفٌ إليه. فلما ورَدَ كتابُهُ عليه قرأه، ثم ألقاهُ إلى وزيره أبي أيوب المورياني، فقرأه، وقال له أبو جعفرٍ: والله لئن مَلأْتُ عَيْني منه لأقْتُلَنَّهُ!

فخافَ أبو أيوب أنْ يقدمَ أبو مسلمٍ حَذراً مُتوجِّساً، فلا يُقْدَرَ عليه إلاّ في شرٍ، وخشي أنْ يقتلَ أصحابُهُ أبا جَعْفرٍ ويقتلوه معه، فالْتمَسَ حيلةً حتى يقدم آمناً مطمئناً! فأرْسَلَ إلى سلمةَ بن سعيد بن جابرٍ[2]، وكان مُعْسراً، فسألهُ أنْ يتلقى أبا مسلمٍ في الطريق، ويطلب منه أن يستعمله على كَسْكر، لأن أبا جعفرٍ قرَّرَ أنْ يُولِّيهُ

---

(١) يقال: استُخرت الله في ذلك فخار لي: أي طلبتُ منه خير الأمرين فاختاره لي.

(٢) قال خليفة بن خياط: «كان صِهرَ أبي مسلمٍ، كانت خالته تحت أبي مسلمٍ». (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٦٣٧).

ما وراء بابه ليُريحَ نفسه. واستأذن له أبا جعفرٍ في لقاء أبي مسلمٍ فأذنَ له، وقال له: أقرأ أبا مسلمٍ السلام وأعْلمه بشوقنا إليه! فخرج سلمةُ فلقيه، وأخبره أنَّ أبا جعفرٍ أحسنُ الناس رأياً فيه، فطابَتْ نَفْسهُ، وكان قبلَ ذلك كئيباً حزيناً، وسرَّه ما أخبرهُ به سلمةُ، وصَدّقه، ولم يزل مَسْروراً حتى قَدِمَ على أبي جعفرٍ[1]!!

والرِّواية الأولى عن رُجُوع أبي مسلمٍ الى أبي جعفرٍ مَبْتُورةٌ ناقصةٌ، والرواية الثانية كاملةٌ وافيةٌ. ويبدو أنَّ أبا جعفرٍ بعث عيسى بن موسى إلى أبي مسلمٍ في أول الأمر، وحَمَّله إليه رسالة ليَسْكُنَ إليها، فلم يَستَجِبْ لها. فبعث إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البَجَلي فلاطَفَهُ ونافَقَهُ حتى خَدَعَهُ، فردّهُ عن التَّوجُّهِ إلى خراسان، ودَفَعَهُ إلى التَّفكُّرِ في عواقب مناهضته لأبي جَعْفرٍ[2]. ثم بعثَ اليه أبا حميد محمد بن إبراهيم الحميري، فكرَّه إليه المعصية، وحبَّبَ إليه الطاعةَ، ودَاهَنَهُ ومَنَّاه، وجادَله فقطَعه. فلما أنكرَ عليه أنْ يُصارِحَهُ القولَ، ويُناظره، ويَلُومَهُ أفضَى إليه برسالة أبي جعفرٍ الصارمةَ التي هَدَّده فيها، وتوعَّدَهُ أنْ يُحارِبَهُ بنفسه حتى يَقْضي عليه، فهدَّتْهُ. ثم جاءته رسالةُ النَّقيب خالد بن إبراهيم الذُّهْلي، خليفته على خراسان، التي نَهاهُ فيها عن مُفارقة أبي جعفرٍ ومُغَاضَبتِهِ فضاعَفَتْ انكسارَه. ثم انْصَرَفَ إليه أبو اسحاق، صاحب حرسه، من عند أبي جعفرٍ، فنَصحه أنْ يرجعَ إلى أبي جعفرٍ، لما رأَى من ثقتِه به وتَقْديمِهِ له، فاطمأنَ إلى قَوْلِهِ وزَايلَهُ الشَّكُّ والخَوْفُ. ثم سارَ إليه صِهْرُهُ سَلمةُ بن سعيد بن جابرٍ فنَقلَ إليه أنَّ أبا جعفرٍ لم يتغيَّرْ له، وأنه مُقِيمٌ على مودَّته له وحِرْصِه عليه، فاستَبْشَرَ به خيراً، ونَشطَ للقاء أبي جعفرٍ!!

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٨٥، وانظر أنساب الأشراف ٣: ٢٠٢، والعيون والحدائق ٣: ٢٢١، والكامل في التاريخ ٥: ٤٧٢، والبداية والنهاية ١٠: ٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٣: ١: ٣٩٠.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧: ٤٨٣، والبدء والتاريخ ٦: ٧٩.

وتتّفقُ الرواياتُ بعد ذلك في وَصْفِ مجيء أبي مسلمٍ إلى أبي جعفرٍ، واحْتيالِهِ لاغْتيالِه، وقَتْلِهِ له. فقد سار أبو مسلمٍ إلى أبي جعفرٍ، وخَلّفَ النَّقيبَ أبا نَصْرٍ مالك بن الهيثم الخزاعي على ثَقَلِهِ ومتاعِهِ بحُلْوَان. فلما دَنَا من أبي جعفرٍ، وهو على دجلةَ برُوميَّةَ المدائن، أمرَ بني هاشمٍ والناسَ بتلقّيه والتّرْحيبِ به. وقدم عليه بالعَشيِّ فقامَ إليه فعانَقَهُ وأكرَمَهُ، وقال له: كِدْتَ تَمْضي قبلَ أَنْ نَلْتَقي فأُلْقي إليك ما أريد، وأمَرهُ أنْ ينصرفَ إلى مَنْزِلِهِ فيسْتَريحَ ويَدْخُلَ الحمامَ ليذْهَبَ عنه كلال السفر، ثم يعود إليه من الغد. ثم ندم أبو جعفرٍ على انصراف أبي مسلمٍ، بعد أنْ أتَى إليه، وقام بينَ يَدَيْهِ، فقد ظنَّ أنه لن يَقْدِرَ على مثل هذه الحال منه. وقرَّعَ وزيره أبا أيوب المورياني، وتجنّى عليه، حتى خاف أنْ يأمرَ بقَتْلِهِ، لأنه كان أشار عليه أنْ لا يَقْتُلَ أبا مسلمٍ من ساعته، إذ خشيَ إنْ دخَلَ عليه ولم يخرج أنْ يثورَ أصحابُهُ فيفتكوا بأبي جعفرٍ ومن معه(١).

ويقال: إنَّ أبا مسلمٍ مكث يختلفُ إلى أبي جعفرٍ أياماً، فكان يزيده برًّا وإعظاماً، وهو ينتظرُ الفرصةَ فيه(٢). ويقال: إنه أتاه من الغد، فتلقّاه أبو الخصيب حاجبُ أبي جعفرٍ، فقالَ له: إنَّ أمير المؤمنين مشغولٌ، فانْصَرِفْ ساعة حتى يَفرغ. فأتَى منزل عيسى بن موسى، وكان يُحِبُّه، وكان عيسى شديدَ التعظيم له، فدعا عيسى له بالغداء. فبينا هو على ذلك إذ أتاهُ الربيع بن يونس، وهو يومئذٍ وَصِيفٌ يخدم أبا الخصيب، فقال له: إنَّ أمير المؤمنين يدعوك، فركب، وشُغِلَ عيسى بن موسى بالوُضُوء، وكان أبو مسلمٍ قال له: اركبْ معي فقد أحْسَسْتُ

---

(١) أنساب الاشراف ٣ : ٢٠٤، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٧.

(٢) أنساب الاشراف ٣ : ٢٠٣، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٧، والأخبار الطوال ص : ٣٨٠، ومروج الذهب ٣ : ٢٠٣، والبدء والتاريخ ٦ : ٨٠، والإمامة والسياسة ٢ : ١٦١، ووفيات الأعيان ٣ : ١٥٤، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٩.

بالشر ، وأريد أنْ أعْذل أبا جعفر بحَضْرتك ، فقال له : أنت في ذِمَّتي ، فتقدّمْ فإني أَلْحَقُ بك . فلما صار إلى الرُّواق ، قيل له : إنَّ أمير المؤمنين يتوضَّأ ، فلو جلستَ ، فجلس ، وأبطأ عليه عيسى ، فجعل يسأل عنه .

وكان أبو جَعْفَرٍ أعَدَّ عثمان بن نَهيكٍ العكيَّ ، رئيسَ حرسه[1] ، وأربعةً من أقوياء الحَرَس ، منهم شبيب بن واج ، وأبو حنيفة حرب بن قيس ، وأخفاهم وراء سِتْرٍ في الرواق ، خَلْفَ الوسادة التي هَيَّأها ليجلس عليها أبو مسلمٍ ، وقال لهم : إذا عاتبتُ أبا مسلمٍ فعَلا صوتي فلا تخرجوا ، فإذا صَفَّقْتُ فاضربوا عُنُقَهُ وما أدْركتم منه ، وقَطِّعوه بسيوفكم !

ثم قيل لأبي مسلمٍ : قد جلس أميرُ المؤمنين ، وأَذِنَ له في الدخول عليه ، فلما قام ليدْخُلَ ، قال له البَوّابُ : يُعْطيني الأميرُ سيفه ، وانْتَزعَهُ منه ، فقال : ما كان يُصْنَعُ بي مثلُ هذا ؟ فقال له : ليس ذلك إلاّ لخيرٍ . فدخل فسلَّمَ ، وجلسَ على وسادةٍ ليس في البيت غيرُهَا ، والقومُ خلفَ ظهره ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اسْتخِفَّ بي ، وأُخِذَ سيفي ! فقال : ومَنْ فعلَ بك هذا قَبَّحَهُ الله ! ثم قال له : أخْبِرني عن نَصْلَيْنِ أصَبْتَهُما في متاعِ عبد الله بن علي ، فقال : هذا أحدُهما الذي علي ، قال : أَرِنيهِ ، فانْتضاهُ فناولَهُ إياه ، فوضَعهُ تحت فراشهِ ، ثم جعلَ يُعَاتِبُهُ ، ويُعَدِّدُ ذُنُوبه ، قال البلاذري[2] : «ثم قال له : قتلتَ أهل خراسان ، وفعلتَ وفعلتَ ، ثم جعلتَ تقول بمكة : أيُصَلِّي هذا الغلامُ بالناس ! وألْقَيْتُ نَعْلي من رجلي فرَفَعْتَ نفسك عن

---

(١) هو من مجلس السبعين من أهل أبيورد . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨) .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٠٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٧ ، والأخبار الطوال ص : ٣٨١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٠ ، ٤٩١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٨١ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٦٢ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٩ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٥١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٥٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٦ ، ٧٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩١ .

مُنَاوَلتي إياها ، حتى نَاوَلنيها معاذ بن مسلم[1] ، وأعْجَبُ من هذا إقْعادُكَ إياي في دِهْليزك بخراسان مُسْتَخِفًّا بحقّي ، حتى أُشيرَ عليك بخلاف ذلك ، فتكارهتَ على تَسْهيلِ إذني وفَتْحِ الأبواب لي ! ثم كِتَابُكَ إليَّ تَبْدأُ بنَفْسِكَ ! وخِطْبَتُكَ إليَّ أمينَة بنت علي ! وقولُكَ : إنكَ ابن سليط بن عبد الله ! لقد ارتقيتَ يا ابن اللَّخْناء مُرتَقى صعباً ! ثم ذمُّكَ أخي وسيرتَه وقولُكَ إنه أوْطأكَ العَشْوة ، وحملَك على الإثم ! ثم أنت صاحبي بمكة تُنادي : من أكَلَ طعامَ الأمير فله درهم ! ثم كُسْوَتُكَ الأعرابَ ، وقوْلُكَ : لأتَّخِذنكم دونَ أهل خراسان ! وأعجبُ من هذا أني دَفَعْتُ في صَدْر حاجِبك بخراسان فقلتَ لي : أيُضْرَبُ حاجبي ! رُدُّوهُ عنا إلى العراق ! ! [وقَتَلْتَ سليمان بن كثير ، نَقِيبَ نُقبائنا ، ورئيسَ شيعتنا ، وشيخ دَعْوتنا ، وابنَهُ ، وقتَلْتَ لاهِزاً][2] . فقال أبو مسلم : إنه لا يُقَالُ لي هذا القول بعد بَلائي وعَنائي ! فقال : يا ابن الخَبيثةِ ، إنّما عملتَ ما عملتَ بدَوْلتنا ، ولو كان الأمرُ إليك ما قَطَعْتَ فتيلاً ! ثم فتَلَ شاربَهُ ، وفَرَكَ يَدَهُ ، فلما رأى أبو مسلم فِعْلَهُ قال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تُدْخِلَنَّ على نَفْسِكَ ما أرَى ، فإنَّ قَدْري أصْغَرُ من أنْ يبلغَ شيءٌ من أمري منكَ هذا المبلَغ ! وصَفَّقَ المنصورُ بإحدى يَدَيْهِ على الأخرى ، فضربَ عثمان بن نهيك أبامسلمٍ ضربةً خفيفةً ، فأخذ برِجْلِ المنصور ، فدَفَعَهُ برجلِهِ ، وضَرَبَهُ شبيبُ بن واجٍ ضربةً

---

(١) كان يلي السّكك لبني أمية ، وكان ممن أحسنَ إلى أبي مسلم ، وهو يتردد بين خراسان والحميمة ، وكان طريقه على نَسا وأبيورد ، فنزل في بعض سكك البريد ، فسألهم العلفَ فأبوا عليه ونالوا منه ، فمر به معاذ بن مسلم ، فأنكر ما كان من القوم ، وخلَّصه منهم ، فدعاه أبو مسلم الى دعوة بني العباس فأجاب . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٥) .

(٢) زيادة من أنساب الأشراف ٣ : ١٦٨ ، وقد ورد مثل ذلك في تاريخ الطبري ٧ : ٤٩١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٨١ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٣ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٥٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩١ .

أسْرَعَتْ فيه ، فقال : وَانَفْسَاهُ ! ألا قوةٌ ! ألا مُغيثٌ ! فقال المنصور : اضرُبوا ابن اللَّخناء ، فاعتَورهُ القومُ بأسيافهم ، وأمر به فَلُفَّ في مسحٍ ، ويقال : في عباءةٍ ، وصُيِّر ناحيةً » ، ثم أُلْقِيَ في دجلة . وكانَ قَتْلُهُ لخمسٍ بقين من شعبان سنة سَبْعٍ وثلاثين ومائةٍ .

وعلى هذا النَّحْوِ مَكَرَ أبو جعفرٍ بأبي مسلمٍ ، وبالغَ في خِداعِهِ حتى يَقُودَهُ إلى مَصْرَعِهِ ، فأعطاهُ الأمانَ ، ووَكَّدَهُ بأغْلَظِ العُهودِ والمواثيق ، ورَوَى المقدسي أنَّ أبا مسلمٍ احترسَ منه ، وأفْرَطَ في الاحْتياطِ ، حتى لا يَنالَهُ بمكروهٍ ، ولا يحتالَ عليه بحيلةٍ ، « وحَلَفَ لهُ أبو جعفرٍ بكل يمينٍ يَحْلِفُ بها ذوو الأديان من الطّلاقِ والعِتَاقِ والأيمان ، وضَمِنَ له عيسى بن موسى ، وجرير بن يزيد بن جرير [بن عبد الله البجليُّ] الوفاءَ من أبي جعفرٍ بالعَهْدِ ، وكَتَبُوا له كُتُبَ الأمان[1] » . وذلك مُخالفٌ لما ذكره الجهشياري من أنَّ أبا مسلمٍ قصَّرَ في التَّحرُّز والتّأهُّبِ ، ووردَ على أبي جعفرٍ غارًّا[2] . فلما أتاهُ نكث عَهْدَهُ ، ونَقَضَ ميثاقَهُ ، فسفَكَ دَمَهُ ، ومزقَهُ إرباً .

ويقال : إنَّ أبا مسلمٍ كان ينظرُ في كُتُبِ الملاحمِ ، فكان يَجِدُ فيها خبَرَهُ وصِفَتَهُ ونهايَتَهُ ، وأنه يُميتُ دَوْلةً ، ويُحْيِي دولةً ، وأنه يُقْتَلُ ببلادِ الروم ، فَقُتِلَ بِرُوميَّةِ المدائن التي بَنَاهَا كِسْرى[3] .

وقد قَتَلَهُ أبو جعفر لسَبَبَيْن : الأول ذاتيٌّ ، فإنّه أرادَ أنْ يَقْتَصَّ منه لكرامتِهِ التي اسْتَباحَهَا وأهْدَرهَا ، وأنْ يَنْتَقِمَ لهَيْبتِهِ التي انْتَهكَهَا وضَيَّعَها ، إذ كان أبو مسلمٍ

---

(١) البدء والتاريخ ٦ : ٧٩ ، وانظر الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٥٢ .

(٢) الوزراء والكتاب ص : ١١٢ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٣٠٣ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٨٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٤ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٥٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٦١ .

يُطَاوِلُهُ ويتنفَّحُ عليه ، وكان يَسْخَر منه ، ويستَهِينُ به ، وذلك واضحٌ في محاكمةِ أبي جعفرٍ له ، ومُحَاسَبته إياه ، وما أحْصَى من عَثَراتِهِ ، وما استَقْصَى من سَيِّئَاتِهِ .

والثاني سياسيٌّ ، فإنه أراد أنْ يَقْضِيَ على شَخْصِيَّته القَوِيَّةِ الطّاغية ، ويُنْهي سَطْوَتَهُ وجَبَرُوتَهُ ، ويتخلّص من تَهْديدِهِ لِمُلْكِ بني العباس [١] ، إذ كان أبو مسلمٍ يُدِلُّ بنَفْسِهِ وفَضْلِهِ وعَمَلِهِ [٢] ، وكان يَزْعُمُ أنَّهُ واحدٌ من بني العباس ، وكان يَدَّعي أنَّهُ لا يَقِلُّ قَدْراً عن أئمَّتِهم وخُلفائهم ، وكانَ يُرَدِّدُ أنه صاحبُ دَعْوتِهم ، والقائمُ بأمْرِهِمْ ، وكانَ يَفْتَخِرُ بأنَّهُ هو الذي ساقَ الخلافةَ إليهم ، وكان يَبْتَغي أنْ يُشَاطِرَهم السلطانَ ، ويُقَاسِمَهم الحُكْمَ ، وكان يَخافُ أن يتنكّروا لجهادِهِ واسْتِبْسَالِهِ في نُصْرتهم ، وأنْ يَطْمِسُوا كِفَاحَهُ ونِضَالَهُ عن قَضِيَّتهم ، وأنْ يَبْخَسُوه حَقَّهُ ومكانَتَهُ في دَولتهم ، وكان يُشيعُ أنهم إذا أنْصَفُوهُ أطاعهم وأخلصَ لهم ، وإذا ظَلَموهُ خَالَفَهُمْ وثارَ عليهم . وكان يُصَرِّحُ بذلك تصريحاً ، ويَجهرُ به جَهْراً ، لا يتلطَّفُ لما يَطْلُبُهُ ، ولا يَترفَّقُ فيما يُلَوِّحُ به ، وذلك ظاهرٌ فيما أفْضَى به إلى رُسُلِ أبي جعفرٍ ، وفيما حُفِظَ من كُتُبِهِ إليه .

وتَبَيَّنَ أبو جعفرٍ خطرَ أبي مسلمٍ منذ الأيام الأولى لخلافةِ أخيه أبي العباس ، واسْتَقَرَّ في نفسه أنَّ المُلْكَ لا يَتِمُّ لبني العباس ، ولا يستقيمُ لهم إلاّ إذا تَخلَّصُوا من أبي مسلمٍ . وقد حذَّرَ أبا العباس خَطَرَ أبي مسلمٍ ، حين رجع من خراسان ، سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ ، لما أفْزَعَهُ من استعبادِهِ للناس ، وتحكُّمِهِ في رِقَابهم ، وسَفْكِهِ لدمائهم ، وما رَوَّعَهُ من عُنْجُهِيَّته وقَسْوَتِهِ ، وما بَلاهُ من غِلَظِهِ وفَظَاظَتِهِ ، وما

---

(١) انظر الأخبار الطوال ص : ٣٧٦ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٢ .

اسْتَظْهَرَهُ من غُرورِهِ ومطامِعِهِ[1] ، وأوصاهُ أنْ يفتكَ به ، حتى يَصْفُوَ له الأمرُ ، فلا يُشارِكَهُ فيه ، ولا يُغالِبَهُ عليه ، وألحَّ عليه أنْ يَغْتالَهُ قبل أنْ يستَطيرَ شَرُّهُ ، ويستَفْحِلَ أذاه ، فتَستَحيلَ النَّجاةُ منه ، فلم يَقبَلْ قَوْلَهُ ، ونَصَحَ له أن يتسَلَّحَ بالصَّبْرِ ، ويُوَطِّنَ نفسَهُ على احتمالِ المَكْرُوه ، قال ابن جريرٍ الطبري[2] «انصرَفَ أبو جعفرٍ من عند أبي مسلمٍ فقال لأبي العباس : لستَ خليفةً ، ولا آمْرُكَ بشيءٍ إنْ تركت أبا مسلمٍ ولم تَقْتُلْهُ ، قال : وكيف؟ قال : والله ما يصنعُ إلاّ ما أرادَ! قال أبو العباس : أسْكُتْ فاكْتُمْهَا» !

وكانَ أبو جعفرٍ في خلافةِ أبي العباس جَبَّاراً عتيًّا ، ومُنْدَفِعاً مُتسَرِّعاً ، ومغامراً مخاطراً[3] ، يَوَدُّ أنْ يَقْمَعَ المناوئين لبني العباس قَمْعاً ، وأنْ يَعْسِفَ بالمتَّهمينَ عندهم عَسْفاً[4] ، حتى يكونوا عِبْرةً ونكالاً لغيرهم ، فَيستكينَ الناس لهم ، ويَرْهَبُوا التَّنْديدَ بهم ، ويهابُوا الخُروجَ عليهم . وكان أبو العباس حليماً سَمْحاً ، وهادئاً مُتأنِّياً ، يُفَضِّلُ أنْ يسوسَ الناس بالحكمةِ واللّين في غيرِ تهاون ، وبالحَزْمِ والشِّدةِ في غيرِ عُدْوانٍ[5] ، وكان يَسْتَحْسِنُ أنْ يتغاضى عن هَفواتِ شيعتِه ، وأنْ يَصْفَحَ عن زَلّاتِ قادَتِهِ ، ولا سيما مِثْلُ أبي مسلم ، فإنه كان مُطيعاً له ، مُمْتَثِلاً لأوامِرِهِ ، مُعْتَنِياً بمَرَاسيمه[6] ، وكان أبو العباس يُقَدِّرُ مُناصحَتَهُ للإمام ابراهيم بن محمدٍ ، ومكافحتَهُ لِعَدُوِّه ، وسابِقَتَهُ في الدَّعْوَةِ ، وأثَرَهُ في قيامِ الدولة ، وكان يُقَدِّمُهُ ولا يَقْطَعُ أمراً

(١) انظر وصف المدائني لأبي مسلم في وفيات الأعيان ٣ : ١٤٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٤ ، ٥٨.

(٣) انظر أنساب الأشراف ٣ : ٢٠٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٠٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٦.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٩٥.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٩٥.

(٦) البداية والنهاية ١٠ : ٦٨.

دُونَه[1] ، وكان يَخْشَى عواقبَ الغَدْرِ به ، ويخافُ جُنودَهُ من أهل خراسان الذين كانوا يُقَدِّمونَ طاعته على كُلِّ طاعة .

ولكن أبا جعفرٍ مضَى ينتظرُ الفُرصَ في أبي مسلمٍ ، وربما كان هو الذي دَفَعَ أبا العباس إلى تَوْلِيةِ زياد بن صالح الخزاعي على خراسان سرّاً ، سنة خمسٍ وثلاثين ومائة ، وأشارَ عليه أنْ يأمُره بِقَتْلِ أبي مسلمٍ[2] ، فإنه لم يزل يُهَوِّل عنده شر أبي مسلمٍ ، ويُهوِّنُ عليه عواقبِ قَتْلِهِ ! فقد أغراه بقَتْلِهِ يومَ ورَدَ عليه حاجاً ، سنة ستٍ وثلاثين ومائةٍ ، وقال له[3] : « إنَّ في رَأْسِهِ لغدْرَةً ! فقال : يا أخي ، قد عرفتَ بلَاءَهُ وما كان منه ، فقال أبو جعفرٍ : يا أمير المؤمنين ، إنما كان بدَوْلَتِنا ، والله لو بعثتَ سِنَّوراً لقامَ مَقامَه . وبلغَ ما بلغَ في هذه الدولة ! فقال له أبو العباس : فكيف نَقْتلُه ؟ قال : إذا دَخَلَ عليك وحَادَثْتَهُ وأقْبَلَ عليك ، دخلتُ فتَغفَّلْتُهُ فضربتُهُ من خَلْفِهِ ضربةً أتيتُ بها على نفسه . فقال أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يُؤْثِرونَهُ على دينهم ودُنياهم ؟ قال : يؤُولُ ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قُتِلَ ، تفرَّقُوا وذَلُّوا . قال : عزمتُ عليك إلاّ كففتَ عن هذا ، قال : أخافُ والله إنْ لم تَتغدَّه اليومَ ، يتعشّاكَ غداً ! قال : فدُونكَهُ ، أنتَ أعلم » . فلما تهيَّأ أبو جعفرٍ لقَتْلِهِ ، وكاد يَهِمُّ به ، نَدِمَ أبو العباس على إذْنِه له في قَتْلِهِ ، وأرْسَلَ إليه يأمُرهُ أنْ يكُفَّ عما عَزَمَ عليه ، فأمْسَكَ عن قَتْلِهِ مُغْضباً ، وظل يتربَّصُ به حتى قَتَلَهُ في صَدْرِ خلافته !

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٥٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٥ ، وراجع البدء والتاريخ ٦ : ٧٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٨٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٩ ، وانظر تاريخ الموصل ص : ١٥٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٣ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٨ .

وهل أدَلُّ على اعتقادِ أبي جَعفرٍ بانتِقاصِ أبي مسلمٍ لخلافة بني العباس، وتَهْديدِهِ لها ما دامَ حيّاً من مُناظَرَتِهِ لعيسى بن موسى في قَتْلِهِ، وقد أنكَرَهُ؟ قال ابنُ جريرٍ الطبري[1]: «قيلَ إنَّ عيسى بن موسى دَخَلَ بعدَما قُتِلَ أبو مُسلمٍ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أينَ أبو مسلمٍ؟ فقال: قد كان هاهنا آنفاً!! فقال عيسى: يا أميرَ المؤمنين، قد عرفْتَ طاعَتَهُ ونصيحَتَهُ ورأي الإمام إبراهيم كان فيه! فقال: يا أنْوَكُ! والله، ما أعْلَمُ في الأرضِ عَدُوًّا أعْدَى لك منه! ها هو ذاك في البِساط. فقال عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون! وكان لعيسَى رَأْيٌ في أبي مسلمٍ، فقالَ لهُ المنصور: خَلعَ اللهُ قَلْبَكَ! وهل كان لكُم مُلْكٌ أو سُلْطانٌ أو أمْرٌ أو نَهْيٌ مع أبي مسلم»!

وهل أدَلُّ على غاية أبي جعفرٍ من قَتْل أبي مسلمٍ، ورَغْبَتِهِ في أن تكونَ الخلافةُ خالصةً لبني العباس، دونَ جميع المسلمين من خُطْبَتِهِ بعد قَتْلِه؟ يقول[2]: «أيها الناس، لا تَخرُجوا من أُنس الطاعة إلى وَحْشَةِ المعصية، ولا تُسِرُّوا غِشَّ الأئمة، فإنه لم يُسِرَّ أحدٌ قط منكرةً إلاّ ظهرتْ في آثارِ يده، أو فلتاتِ لسانِه، وأبداها اللهُ لإمامه، بإعزاز دينِه، وإعلاء حَقِّه. إنا لن نَبْخسكم حُقوقكم، ولن نَبْخَسَ الدينَ حَقَّهُ عليكم. إنه مَنْ نَازَعَنا عُرْوَةَ هذا القَميص أجْزرناه[3] خِبِيَّ هذا الغِمْد. وإنّ أبا

---

(1) تاريخ الطبري ٧: ٤٩٢، وانظر أنساب الأشراف ٣: ٢٠٦، والأخبار الطوال ص: ٣٨٢، ومروج الذهب ٣: ٣٠٤، والإمامة والسياسة ٢: ١٦٢، وتاريخ بغداد ١٠: ٢١٠، والفخري في الآداب السلطانية ص: ١٥٢، والكامل في التاريخ ٥: ٤٧٦، والبداية والنهاية ١٠: ٧٠، وتاريخ ابن خلدون ٣: ١: ٣٩٢.

(2) تاريخ الطبري ٨: ٩٤، وانظر مروج الذهب ٣: ٣٠٥، وتاريخ بغداد ١٠: ٢١٠، والكامل في التاريخ ٥: ٤٧٨، والبداية والنهاية ١٠: ٧١.

(3) أجزرناه خِبِيَّ هذا الغِمْد: أي ذَبحناه.

مسلمٍ بايَعنا ، وبايَعَ الناسَ لنا ، على أنه مَنْ نكثَ بنا فقد أباحَ دَمَه ، ثم نكثَ بنا ، فحكمْنَا عليه حُكْمَهُ على غيرِه لنا ، ولم تَمنَعْنَا رعايةُ الحقِّ له من إقامةِ الحقِّ عليه » !

وتَعَقَّبَ أبو جَعْفَرٍ خاصةَ أبي مسلمٍ وقادَتَهُ ، فحبسَ من قَدَرَ عليه منهم ، ثم اسْتَتَابَ بعضَهم واستَصلَحهم ، وعَفَا عَمَّن نَصَحَتْ تَوْبَتُهُ ، وصَحَّت نِيَّتُهُ منهم ، واصْطَنَعُهم واستَعْمَلَهُم . وممن اعتقَلَهُ منهم ثم أطْلَقَهُ أبو إسحاق ، رئيسُ حَرَسِ أبي مسلم ، والنّقيب أبو نَصْرٍ مالك بن الهيثم الخزاعي ، رئيسُ شرطته ، وكان له كالوزير[1] . وقد راجَعَهُ فيهما أبو الجَهْم بن عطية مَوْلَى بَاهِلة ، واستشفَعَ عندَه لهما ، وكانَ هَمَّ بِقَتْلِهما ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، جُندُهُ جُنْدُكَ ، أَمَرْتَهُمْ بِطَاعَتِهِ فأطاعوه »[2] ، فدَعا بأبي إسحاق ، ولم يكن يعلمُ بمَقْتَلِ أبي مُسلمٍ ، فَعَنَّفَهُ ، فلما تَيَقَّنَ من بَرَاءَتِهِ صفح عنه ، قال ابن جرير الطبري[3] : « قالَ له أبو جعفرٍ : أنتَ المتابعُ لعَدُوِّ الله أبي مسلم على ما كان أَجمَعَ ؟ فكَفَّ ، وجعلَ يَلتَفِتُ يميناً وشمالاً تخَوُّفاً من أبي مسلمٍ ، فقال له المنصور : تَكَلَّمْ بما أردْتَ ، فقد قَتَلَ الله الفاسق ! وأمرَ بإخراجِهِ إليه مُقَطَّعاً ، فلما رآه أبو إسحاق خَرَّ ساجداً ، فأطال السُّجودَ ، فقالَ له المنصور : ارفعْ رأسَكَ وتكلَّمْ ، فرفعَ رأسَهُ وهو يقول : الحمد لله الذي آمَنني بك اليوم ، والله ما أَمِنْتُهُ يوماً واحداً منذُ صَحِبْتُهُ ، وما جِئْتُهُ يوماً قطُّ إلاَّ وقد أَوْصَيْتُ وتكفَّنْتُ وتَحَنَّطْتُ ! ثم رَفَعَ ثيابَهُ الظّاهرة فإذا تحتها ثيابُ كَتَّانٍ جُدُدٌ ، وقد تَحَنَّطَ ! فلما رأى أبو جعفرٍ حاله رَحِمَهُ ، ثم قال : استَقْبِلْ طاعَةَ خَليفَتِكَ ، واحْمُدِ الله الذي أراحَكَ منَ الفاسِقِ ، ثم قال له أبو جعفرٍ : فَرِّقْ عني هذه الجماعة » .

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ٢٢١ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩٢ .

وكان أبو مسلمٍ خَلَّفَ أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي في ثَقَلِهِ بحلوان ، وهو يَرى أنه يرجعُ إلى خراسان ، وقال له : إنْ أتاكَ كتابي مختوماً بِنِصْفِ خاتمٍ فأنا كتبتُهُ ، وإنْ أتاك بالخاتم كله فلم أكْتُبْهُ ولم أخْتِمْهُ[1] . فكتب إليه أبو جعفرٍ كتاباً عن لسان أبي مسلمٍ يأمُرُهُ بحمل ثَقَلِهِ وما خَلَّفَ عنده ، وأن يقدم عليه ، وخَتَمَ الكتابَ بالخاتم الذي أَخَذَهُ من إصبع أبي مسلم ، فلما رأى نَقْشَ الخاتَم تاماً علم أنَّ أبا مسلمٍ لم يَكْتُبِ الكتاب ، فامْتَنَعَ من القُدُومِ ، وانْحَدَرَ إلى هَمَذانَ وهو يريدُ خراسان ، فكتبَ أبو جَعْفرٍ إلى عامِلِهِ بهمذان بمَنْعِهِ من النُّفُوذِ ، فأخذَهُ وحَبَسَهُ ، وقال لأصحابه : واللهِ لَئِنْ رَمَى أحدُكم بِسَهْمٍ لأرْمِيَنَّ إليكم برأسِهِ ، ثم حمله إلى أبي جعفرٍ ، فيقال : إنه قال له : « أشرتَ على أبي مسلمٍ بالمُضِيِّ إلى خراسان ؟ فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، كانت له عندي أيادٍ وصَنائعُ فاسْتشارني فنَصَحْتُ له ، وأنت يا أميرَ المؤمنين ، إن اصْطَنَعْتَني نَصَحْتُ لك وشكرتُ » . ويقال : إنه اعتذر إليه بأنه أمَرَهُ بطَاعتِهِ ، وإنما خَدَمَهُ وخَفَّ له الناس بمَرْضاتِهِ ، وأنه قد كان في طاعتهم قَبْلَ أنْ يَعْرِفَ أبا مسلمٍ ، فقبلَ منه ، وأمرَهُ بمثل ما أمرَ به أبا إسحاق من تَفْريق جند أبي مسلمٍ[2] » . فلما كان يوم الرَّاوَنْدِيَّة[3] قام على باب القَصْرِ بالمدينة الهاشمية

---

(1) تاريخ الطبري ٧ : ٤٨٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩٢.

(2) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩٣ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٢١٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٤ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٢.

(3) انظر فيهم أنساب الأشراف ٣ : ٢٣٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٨٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٠٥ ، ٨ : ٨٣ ، ومقالات الإسلاميين ١ : ٩٤ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٧٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٧ ، والملل والنحل ١ : ١٣٧ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٠٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥.

بالكوفة ، وقال : أنا اليوم البوّابُ ، لا يَدْخُلُ أحدٌ القَصر ، وأنا حَيٌّ ، فَذَبَّ عن أبي جعفرٍ وأبْلَى ، فرأَى أنه نَصَحَ له ، فرضيَ عنه ، وصارت له مكانةٌ عنده ، وولّاهُ الموصل [1] .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٢١٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٤ ، ٥٠٦ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٧ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٨ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٨ ، ٥٠٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩٣.

(٨) قتلُ أبي الجَهْم بن عطية الباهليّ

وأمْهَلَ أبو جَعْفَرٍ طائفةً من خاصة أبي مسلمٍ وعمّالِهِ، ثم اتّهمهم وفَتَكَ بهم. وممن أَجَّلَهُ منهم ثم قَتَلَهُ أبو الجَهْم بن عطية مَوْلى باهلة. وكان عَيْناً لأبي مسلمٍ على أبي العباس، فكان يكتب إليه بأخباره كلها[١]. وقد وَلّاه أبو العباس الوزارة بعد أبي سلمة الخَلّال[٢]، فَغَلَبَ عليه[٣]. ويروي أنه أنكرَ على أبي جعفرٍ غَدرَهُ بأبي مسلم، وَسفْكَهُ لِدَمِهِ، ثم عَدَلَ عن ذلك، قال أبو أيوب المُوْرِيَاني[٤]: «أقْبَلْتُ على أبي الجهم، فقلتُ له: أمَرْتَهُ بِقَتْلِهِ حين خالَف، حتى إذا قُتِلَ قُلْتَ: هذه المقالةَ! فنَبَّهْتُ به رجلاً غافلاً، فتَكَلَّمَ بكلام أصلح ما جاء منه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألا أَرُدّ الناس؟ قال: بَلَى، قال: فَمُرْ بمتاعٍ يُحَوَّلُ إلى رُواقٍ آخر من أَرْوَاقِكِ هذه. فأمَرَ بِفُرُشٍ فأُخْرِجَتْ، كأنه يريدُ أنْ يُهَيِّئَ له رواقاً آخر، وخرجَ أبو

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٤، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٩، والإمامة والسياسة ٢ : ١٥٥، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٠، وأنساب الأشراف ٣ : ١٥٦.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧١، وتاريخ الموصل ص : ١٤٠، والوزراء والكتاب ص : ١٣٦، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٤، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٧، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦١.

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٤٨٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٧٦.

الجهم ، فقال : انصرفوا ، فإنّ الأميرَ يريد أنْ يَقِيلَ عند أمير المؤمنين ، ورأوا المتاعَ يُنْقَلُ ، فَظَنُّوهُ صادقاً ، فانْصَرَفُوا ، ثم راحوا ، فأمرَ لهم أبو جعفرٍ بجوائزهم ، وأعْطَى أبا إسحاق مائة ألفٍ.

ثم عَرَفَ أبوجعفرٍ أنه كان يُسَرِّبُ أخبارَهُ إلى أبي مسلم ، وأنه يَرْمِيهِ بالظُّلْمِ والجَوْر ، فتَغيَّرَ له ، ونَفَرَ منه ، فقَتَلَهُ بالسُّم ، قال البلاذري[1] : «كان أبو الجهم بن عطية مَوْلَى باهلة من أعظم الدُّعاة قَدْراً وغناءً ، وهو الذي أخرج أبا العباس من مَوْضِعِهِ الذي أخْفاهُ فيه أبو سَلمة وخزيمة ، وقام بأمره حتى بُويع ، وكان أبو العباس يعرفُ له ذلك ، وكان أبو مسلمٍ يثقُ به ويُكاتِبُهُ من خراسان ، ويأمُرُهُ أنْ يُكاتِبَهُ بالأخبار . فلما استُخْلِفَ المنصور بَلَغَهُ أنه يكتب إلى أبي مسلمٍ بخبره ، وأنه قال : ما على هذا بَايَعْنَاهُمْ ، وإنما بَايَعْنَاهُمْ على العَدْل . فدعاهُ ذات يومٍ فتغدّى عنده ، ثم سُقِيَ شربةَ عسلٍ ، فلما وَقَعتْ في جَوْفِهِ هاجَ به وَجَعَ ، فتوهَّمَ أنه قد سُمَّ ، فوثبَ ، فقال له المنصور : إلى أيني أبا الجهم ؟ قال : إلى حيثُ أرسلتني ! ومات بعد يومٍ أو يَوْمين» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٩٠ ، وانظر الوزراء والكتاب ص : ١٣٦ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٧ .

(٩) قَتْلُ خالدِ بن إبراهيمَ الذُّهْليِّ

وكان النّقيب أبو داود خالد بن إبراهيم الذُّهْليُّ نائبَ أبي مسلمٍ على خراسان ، وقد أشار عليه بطاعة أبي جعفرٍ ، فولّاهُ خراسان بعد مَصْرعِ أبي مسلم[1] ، فبقي عليها حتى إذا عَلِمَ أنه ينالُ منه ، ويُعرِّضُ به ، ويَدْمَغُهُ بالغِشِّ والخداعِ ، ويَقْذِفُهُ بالبَغْيِ والعُدْوان ، احتالَ لقَتْلِهِ ، قال البلاذري[2] : «استَخْلَفَ أبو مسلمٍ خالدَ بن إبراهيم أبا داود الذُّهْلي ، حين سارَ للحجِّ على خراسان ، فلما تُوفّيَ أبو العباس ، بايَعَ أبو داود للمنصور ، فكان مُتَخوِّفاً من أبي مسلمٍ ، إذ فَعَلَ ذلك بغير أمره ، فلم يكتبْ بالبَيْعةِ إلى أبي مسلمٍ إلاّ بعد حينٍ. فلما قُتِلَ أبو مسلمٍ أتاهُ البريدُ بخبر قَتْلِهِ ، فأنكرَ قَتْلَهُ ، وذكرَ المنصورَ ذكراً قبيحاً ، ونسبَهُ إلى الغَدْرِ. فكتبَ المنصور إليه بغَزْوِ ما وراء النهر ، ثم كتبَ إليه في القدوم عليه ، ووجَّهَ بكتابهِ إليه رسُولاً مُفْرداً. فقال : ما يُقدِمُني عليه إلاّ لمَسْألتي عن أمور أبي مسلمٍ وأمْوالِهِ ، ثم قَتْلي بعد ذلك ، ثم قام يُفَرْقِعُ أصابِعَهُ ويَرْقُصُ ويقول : يا أبا جعفرٍ ، غُرَّ غيري ، والرسول يَراهُ ، فرجع إلى

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٢٧٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٨٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢١ ، ٢٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٣.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٢٦ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٥٠٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٩٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩٦.

المنصور ، فأخبره بما عايَن ، ولم يُجِبِ المنصورَ على كتابهِ. فكتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن بن سليم مولى عبد الله بن عامر بن كَرَيْزٍ : إنْ قَتلْتَ أبا داود ، فأنتَ أميرُ خراسان ، فخَرَجَ أبو عصام إلى كُشماهن ، وقد دَسَّ إلى أهلها مَنْ هَيَّجَهُمْ ، ليَخْرُجَ أبو داود فيفتكَ به . وسمع أبو داود الضجَّةَ ، فصعدَ لينْظُر ، فمشى على جَنَاحٍ في دارِه ، وكان ضعيفَ البَصَرِ ، فسَقَطَ على وَتَدٍ ، فقالت له امرأتُهُ : من ذا؟ قال : أنا أبو داود ، قد نَزَلَ بي ما يريدُ أبو جعفرٍ! واحتمل فماتَ ودُفِنَ ، وذلك في سنة تسعٍ وثلاثين ومائةٍ. وكتبَ أبو عصام بموته إلى المنصور ، واجتمع الناس إلى أبي عصامٍ فبايعوه للمنصور» فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى قدم عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي والياً على خراسان ، فألحَ على استخراجِ ما على عمال أبي داود من الأموال(١) ، فقتلَ بَعْضَهم ، وقتلَ غيرهم ممن كان مُخَالصاً للعباسيين ، إذ كان يتشَيَّعُ ، ثم خَلَعَ أبا جعفر ، وقال : إنه دعاني إلى عبادته ، ودَعَا إلى آل أبي طالب ، فوجَّهَ إليه ابنه المهديَّ ، فقبض عليه ، وحمله إليه ، فقتله(٢) .

وثار بعضُ أصحابِ أبي مسلمٍ غَضَباً لِقَتْلِهِ ، وطَلَباً بِدَمِهِ ، وأشهرهم سنفاذ ، وإسحاقُ التُّرْكِ ، والمُقَنَّعُ الخراسانيُّ ، فبعث أبو جعفرٍ مَنْ قَضَى عليهم(٣) .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥٠٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٩٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٢٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٠٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٠٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٦. والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩٦.

(٣) انظر ثوراتهم وقضاء أبي جعفر عليهم في العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٣ــ ٩١ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٨٥ ــ ٣٠٤.

(١٠) قتل جهْور بن مرار العِجْليِّ

وكان جهور بن مَرَّارٍ العجليُّ من دُعاةِ بني العباس وقادتهم (١) ، وهو الذي أحْبَطَ ثوْرَةَ سنفاذ ، وفَضَّ جَمْعَهُ ، وقَتَلَ أتباعه ، وكان شجاعاً سَخِيّاً ، فقسم ما حَوَى من أموال سنفاذ على الجُنْدِ ، وكان فيها خزائن أبي مسلمٍ ، فلم يُوَجِّهْهَا إلى أبي جعفرٍ ، فخوَّنَهُ وعزَلَهُ عن الرَّيِّ ، وولّاها مجاشع بن يزيد الضَّبَعيَّ ، فلما قدم الريَّ أبي جَهْوَرٌ أنْ يُسَلِّمَهُ العَملَ ، فكلَّمَهُ ، فأمرَ به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وبعث برأسِهِ إلى أبي جَعْفرٍ ، وأظْهَرَ الخَلْعَ ، فأرسَلَ إليه عُمَرَ بن حَفْص المُهَلَّبِيَّ ، ومحمد بنَ الأشْعثِ الخُزَاعِيَّ في قُوَّادٍ ، فاجتمعوا بأصْبهَانَ ، فوجَّهَ إليهم زبارةَ البُخاريَّ فكسروا عسكره وفَرَّقُوهُ ، ورجعَ إلى الريِّ جريحاً . ثم ناجَزَهم جَهْوَرٌ فهزموه ، فمَضَى إلى أَذْربيجَان ، وعليها يزيدُ بن حاتمٍ المُهَلَّبِيُّ ، ليأْخُذَ له ولأخيهِ أماناً ، فلما صار بِبَعْضِ الطريق ، وثَبَ بعضُ أصحابِهِ بهِ وبأخيهِ ، فقتلوهما ، وأتوا يزيد برُؤُوسهما ، فقتَلَ قَتَلَتَهُما ، وبعثَ برؤوسهم جميعاً إلى أبي جعفرٍ ، فنَصَبَ رأسَ جَهْوَرٍ ورأسَ أخيهِ بالحيرةِ ، وأخَذَ زبارةَ البخاريَّ ، فقتَلَهُ وصَلَبَهُ بالكوفة(٢) .

---

(١) أنظر أنساب الأشراف ٣ : ١٠٧ ، ١٥٣ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٤٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٣ .

وعلى هذا النَّحْوِ كان أبو مُسْلمٍ مُطْلَقَ اليدِ بخراسان ، وكان جبَّاراً عنيداً ، ومُتَسَلِّطاً مُسْتَبِدّاً ، فقتلَ كلَّ النُّقباءِ والدُّعاةِ الذين انتقدوا مُمَارَسَاتِهِ ومُزَاوَلَاتِهِ ، وأنكروا سَطْوَتَهُ وقَسْوَتَهُ ، وهَتَفُوا بتَعَسُّفِهِ وتَعَدِّيهِ ، وجَهَرُوا بمُخَالفته ومُعارَضَتِهِ ، ونَصَبُوا أنفسهم لمُحاربته ومُناهَضَتِهِ. وقتلَ أبو العباس أبا سَلَمةَ الخَلاَّلَ ، لأنه أجمعَ على تَحْويلِ الخلافةِ إلى العَلويِّينَ ، وقتلَ أبو جَعْفَرٍ أبا مسلمٍ ، لأنه استَطَالَ عليه ، واسْتهَانَ به ، وأرادَ أنْ يُشاطِرَهُ الحُكْمَ ، وقضَى على أكثرِ أصْحابِهِ وقَادَتِهِ الذين كانُوا يمالِئونَهُ ويُعاوِنُونَهُ ، حتى تَخْلُصَ الخلافةُ للعباسيين ، ويَصْفُوَ لهم المُلْكُ ، فيَسْتَقِلَّ بالأمرِ ، وينفردَ بالسُّلْطان.

«الفصل الثامن»

«اسْتِئْصالُ العَبَّاسيّينَ للأُمويِّينَ»

(١) قَتْلُ مَرْوانَ بنِ محمدٍ

تَتَبَّعَ العبَّاسيون بني أمية، بعدَ أن طَوَّحُوا بدولتهم، فأخذوا أبناءَ الخلفاء والأمراء منهم، فقَتلوهم قَتْلاً ذريعاً، ومثَّلوا بهم تمثيلاً فظيعاً، وبَالَغُوا في الفَتْكِ بهم، انتقاماً منهم، وإفناءً لهم، فلم يُفْلِتْ منهم إلاَّ رَضِيعٌ ومَنْ استُخْفَى أو هَرَبَ إلى الأندلس[١]. فقد قَتَلَ عبد الله بن علي طائفةً منهم في معركة الزَّاب[٢]، وجَدَّ صالح بن علي في طَلَبِ مروان بن محمد، بأمْرِ أبي العباس، فَلَحِقَهُ عامرُ بن اسماعيل الحارثيُّ بقرية بُوصِير من صعيد مصر، فقَتَلَهُ، واحتَزَّ رأسَهُ، وبعث به إلى أبي العباس، فصلَّبهُ بالكوفة[٣]، ويقال: بل أرْسَلَهُ إلى أبي مسلمٍ، وأمَرَهُ أنْ يُطَافَ به في خراسان[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٠، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٣، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٤، وتاريخ الموصل ص : ١٣١، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٠، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٤، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٢، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٢، ومعجم البلدان : الزابيان، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٧، ٤٤٥، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٣.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٤، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٢، وتاريخ الموصل ص : ١٣٧، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٣، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٤، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٤، ومروج الذهب ٣ : ٢٧١، والأغاني ٤ : ٣٤٣، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣١، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣١، والكامل في التاريخ ٧ : ٤٢٤، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٦.

(٤) البدء والتاريخ ٦ : ٧٣.

وفي بعضِ الروايات الشّيعية أن أبا العباس تَشَفَّى بِقَتْلِهِ ، قال المسعودي[1] : «لمَّا أُتِيَ أبو العباس برأس مروان ، وَوُضِعَ بين يديه ، سَجَدَ فأطالَ السجودَ ، ثم رَفَعَ رأسَهُ فقال : الحمدُ لله الذي لم يَبْقَ ثأري قبلَكَ وقَبلَ رَهْطِكَ ، والحمدُ لله الذي أظْفَرني بك ، وأظْهرني عليك . ثم قال : ما أُبالي متى طَرَقَني الموتُ ، قد قَتَلْتُ بالحسين وبني أبيه من بني أميةَ مائتين ، وأحْرَقْتُ شِلْوَ هشامٍ بابن عمي زيد ابن عليٍ ، وقتلتُ مروان بأخي ابراهيم» .

وأسَرَ صالحُ بن عليٍ أبا عثمان ، ويزيدَ ابني مروان بن محمد ، وامْرأةَ مروان وبناته فحملَهم إلى أبي العباس بالكوفة ، فأطلقَ النساءَ ، وحَبَسَ الرجال[2] .

ونجا عبدُ الله وعبيدُ الله ابنا مروان ، فأوْغَلَا في صعيد مصر ، وخَرَجَ معهما جماعة من نسائهم من البنات والأخوات وبنات العمِّ ماشياتٍ هائماتٍ على وُجُوهِهِنَّ ، فوَافَوْا بلادَ النُّوبة فأكرمهم عظيمها . ثم ساروا إلى بلاد الحَبَشة ، فَقُتِلَ عبيدُ الله بها ، ومَضَى عبد الله حتى أتَى بابَ المَنْدبِ ، ثم خرج إلى مكة في زيِّ الحَمَّالين ، فوَرَدَهَا ، وأقامَ بها حتى دُلَّ عليه ، فأُخِذَ وحُبِسَ مع سائِرِ أهلِهِ ، فلم يزل محبوساً إلى خلافة الرشيد ، ومات ببغداد[3] . ويقال إن المهدي أخْلَى سبيله وأعْطَاهُ عشرةَ آلاف درهم[4] .

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٧١ ، والأغاني ٤ : ٣٤٣ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١ ، وانظر مروج الذهب ٣ : ٢٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٧ ، ٣٥١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٨ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٩٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١ ، ١٦٣ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٥ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٤ .

وفي بعض الرّوايات الشّيعية التي نَقلها المسعوديُّ أنَّ عامرَ بن اسماعيل الحارثي وَجَّهَ بنات مروان بن محمد وجواريه وحَشَمَهُ إلى صالح بن علي ، فاستَعْطَفَتْهُ بنت مروان الكبرى ، وسألته أنْ يُنْصِفها وأخواتها ، فأنذرها بِقَتْلِ جميع الرجال والنساء الذين سيقوا إليه من أهلها ، إذا كانت تَطْلُبُ العَدْلَ في الحُكْمِ ، لأن في ضَرْبِ أعْناقِهم قصاصاً لِقَتْلَى بني هاشمٍ من العباسيين والطّالبيين الذين سَفَكَ قَوْمُهَا دماءهم ! واسترسلَ في إحْصَاءِ قَتْلاهم ، وفي وَصْفِ مَصَارِعهم ، وفي تَصْويرِ ما لحق بأهْلِهم وذَويهم من العذاب والهوَان ، فذكر قَتْلَ أبيها للإمام إبراهيم بن محمد بحَرَّان ، وقَتْلَ هشام بن عبد الملك لزيد بن علي وصَلْبَهُ له بالكوفة ، وقَتْلَهُ لامْرأتِهِ بالحيرة ، وقَتْلَ الوليد بن يزيد ليحيى بن زيد بخراسان ، وقَتْلَ عبيد الله بن زياد لمسلم بن عَقيل بالكوفة ، وقَتْلَ يزيد بن معاوية للحسين بن علي بالكوفة ، وسَبْيَهُ لنسائهِ كما تُسْبَى نِسَاءُ المشركين ! فقالت : فَلْيَسَعْنا عَفْوكم إذاً ، فرقَّ لَهُنَّ ، واعْتَنى بهنَّ ، وأرْسَلَهنَّ إلى حَرَّان[1] .

ولا يَغِيبُ ما في هذا الخبر الطويل ونظائره من افتعالٍ وتَهْويلٍ ، ولا ما فيه من دعايةٍ شيعيَّةٍ ، ولَا ما له من غايةٍ إعلاميَّة ، فقد كان مُؤَرِّخُو الشيعة كالمسعودي يريدون أنْ يُظهروا تسلُّطَ الأمويين ، ويُضَخِّمُوا عُنْفَهم بالعَلويِّين ، وعَسْفَهم بالعباسيين ، وكانوا يريدون أنْ يُوَضِّحُوا لينَ العباسيين ، ويَنْفُخُوا في رِفْقِهم بالأمويين ، وكانوا يريدون أنْ يكشفوا عن رعاية العباسيين لأبناء عُمومتهم من العلويين ، وأن يُبَيِّنوا انْتقامَهم لهم من الأمويين ، وقد ألحُّوا على ذلك قبلَ أنْ يَفْتِكَ العباسيون بالعلويين ، لمنازعتهم لهم في الخلافة ، ومُغالبتهم لهم عليها[2] .

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٦٢ ، وانظر شرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٨ .

(٢) انظر العباسيون الأوائل ١ : ١٢١ .

وقال ابن أبي الحديد[1] : « لمّا قُتِلَ مروان بِبُوصير ، قال الحسن بن قَحْطَبة : أخرِجُوا إليَّ إحدى بنات مروان ، فأخرَجُوها إليه ، وهي تُرْعِد ، قال : لا بأسَ عليك ! قالت : وأيُّ بأسٍ أعظمُ من إخراجِكَ إيايَّ حاسرةً ، ولم أرَ رَجُلاً قبلَك قط ! ! فأجْلَسَهَا ، وَوَضع رأسَ مروان في حِجْرها ، فصرخَتْ واضْطَرَبَتْ ، فقيلَ له : ما أرَدْتَ بهذا؟ قال : فَعَلْتُ بهم فِعْلَهم بزيد بن عليٍ ، لما قَتَلوهُ ، جَعَلُوا رأْسَهُ في حجْرِ زينَبْ بنت علي بن الحسين» .

والغَرضُ من الخبر ظاهر ، وهو إبرازُ انْتِصَاف العباسيين وقادتهم للعلويين ، والتَّوْليدُ فيه بَيِّنٌ ، فإنَّ الحسن بن قَحْطبة الطائي لم يكن مِنَ القادة الذين ساروا مع صالح بن علي إلى مصر لِقَتْلِ مروان بن محمد[2] . وهو مُشْتَقٌّ من بعض الروايات لخَبرِ قَتْلِ عامر بن إسماعيل الحارثي لمروان بن محمد ، وما جاء فيها من أنه احتَزَّ رأسَ مروان ، وألْقاهُ في حِجْرِ ابْنَتِهِ[3] .

وفي بعض الرواياتِ الشِّيعيَّةِ أنّ أبا العباس استَهْجَنَ ما فَعَلَهُ عامر بن إسماعيل الحارثي بعدَ أنْ قتلَ مروان بن محمد ، وحَوَى عسكره ، فقد أنكرَ قُعُودَهُ على فراشِهِ ، وأكْلَهُ من طعامه ، ووضْعَهُ لرأسه في حِجْرِ ابنتِه الكبرى أم مروان ، وتَقْرِيعَهُ لها حتى أسْخطها ، فعَنَّفَتْهُ ، ونَدَّدَتْ بصَنيعِهِ ، وتَضَرَّعَتَ إلى الله أنْ يُهْلِكَهُ ، وكتبَ إليه يُوَبِّخَهُ ويأْمُره أنْ يُكَفِّرَ عن ذَنْبِه ، وأنْ يسأل الله العَفْوَ عنه ، قال المسعودي[4] :

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٣ ، وانظر خبراً آخر ص : ١٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٦ .

(٣) انظر شذرات الذهب ١ : ١٨٤ .

(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٧١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٤ .

«بَلَغَ السَّفاحَ فِعْلُهُ وكلامُهَا ، فاغتاظ من ذلك وكتب إليه : وَيْلَكَ ! أما كان لك في أدَبِ الله عَزَّ وجَلَّ ما يَزْجُرُكَ عن أنْ تأْكُلَ من طعام مروان ، وتَقْعُدَ على مهادِه ، وتتمكَّنَ من وِسَادِهِ ! أمَا والله لولا أَنَّ أميرَ المؤمنين تأَوَّلَ ما فَعَلْتَ على غيْرِ اعتقادٍ منك لذلك ، ولا شَهْوةٍ ، لَمَسَّكَ من غَضبِهِ وأليمِ أدَبِهِ ما يكون لك زاجراً ، ولِغَيرِكَ واعظاً ! فإذا أتاكَ كتابُ أمير المؤمنين فتقَرَّبْ إلى الله تعالى بِصَدقةٍ تُطْفئُ بها غَضَبَهُ ، وصلاةٍ تُظْهِرُ بها الاسْتِكَانة ، وصُمْ ثلاثة أيامٍ ، ومُرْ جميعَ أصْحَابِكَ أنْ يَصُومُوا مِثْلَ صِيَامِكَ» .

(٢) قَتْلُ الأمويِّينَ بمصر

وذكَرَ ابن تَغْري بَرْدي أنَّ صالح بن علي «قبضَ على جَمْعٍ كثيرٍ من المصريينَ الأمويين، منهم عبدُ الملك بن مروان بن موسى [بن نُصَيْرٍ اللَّخْمي] أميرُ مصر، وأخوه، وقَتَلَ كثيراً من شيعة بني أمية، وحَمَلَ طائفةً منهم إلى العراق، وقُتِلُوا بقَلَنْسُوَةَ من أرْضِ فِلَسْطين[1]». ثم عَفا عن عبد الملك بن مروان وأخيه معاوية[2].

وسمَّى ياقوتُ الحمويُّ من قُتِلَ بقَلَنْسُوَةَ من أُمَراءِ بني أمية، يقول[3]: «قُتِلَ بها عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان، وعمرو بن أبي بكر، وعبد الملك، وأبان، ومَسْلَمة بنو عاصم، وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، ويزيدُ، ومروانُ، وأبانُ، وعبدُ العزيز، والأَصْبَغُ بنو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز، حُمِلُوا من مصر إلى هذا المَوْضع، وقُتِلُوا فيه مع غيرهم من بني أمية».

---

(١) النجوم الزاهرة ١ : ٣٢٣.

(٢) النجوم الزاهرة ١ : ٣١٧.

(٣) معجم البلدان : قلنسوة.

(٣) قتلُ الأمويينَ بدمشق

ويقالُ : إنَّ عبد الله بن علي دَخَل دمشقَ عَنْوةً[١] ، ويقال : إنه أعْطَى أهْلَها الأمان ، فلما فتحُوا أبوابَهَا ، غَدَرَ بهم[٣] ، وقَتَلَ كثيراً منهم[٢] . وأباحَ القَتْلَ فيها ثلاث ساعاتٍ[٤] ، ففتَكَ جُنُودُهُ بأهلها ونَهَبُوها ، ثم هدَمَ سُورَهَا حجراً حَجراً ، وأقامَ بها خمسةَ عشر يوماً ، ثم تَوَجَّه إلى فلسطين[٥] .

وفي كثيرٍ من الرِّوايات أنَّ العصبيةَ القبليةَ ثارتْ بين أهل دمشق ، إذ كان اليمانية منهم يكرهون بني أمية ويُعَادُونهم ، وكان المُضَرِيَّةُ منهم يُحِبُّونهم ويُؤَيِّدُونَهم . فسَوَّدَ اليمانيةُ ، وأعلنوا مُولاتَهم لبني العباس ، وبَعثُوا بطاعتهم إلى عبد الله بن علي ، ثم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧١ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦١.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥ .

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٠ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥ .

وثَبُوا على المُضَرِيَّةِ فقتلُوهم ، ونَكَّلُوا بهم ، وقتلوا الوليد بن معاوية بن عبد الملك ابن مروان ، وكان عامل مروان بن محمد على دمشق[1] . ويقال : إنَّ عبد الله بن عليٍ قتلَهُ[2] ، ويقال : بل بعثَ به إلى أبي العباس ، فقتَله وصلَبهُ بالحيرة[3] ، والقولُ الأولُ أرْجَحُ لتواتُرِ روايته واسْتِفَاضتها ، وإجماع المؤرخين عليها .

ورَوَى أبو حنيفة الدينوري أنَّ عبد الله بن علي قَتَلَ من وَجَد بدمشق من وَلَدِ مروان بن الحكم[4] ، وذكر المقدسيُّ أنه قَتَلَ من كان بها من بني أمية[5] ، وأشارَ ابنُ أبي الحديد إلى أنه قَتَلَ بها خلقاً كثيراً من أصحابِ مروان بن محمدٍ ، وموالي بني أمية وأتْباعِهم[6] .

وقال خليفة بن خياط[7] : «أخذَ عبدُ الله بن علي حين دَخَلَ دمشق يزيد ابن معاوية بن مروان ، وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فبعثَ بهما إلى أبي العباس ، فصلبهما» .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٣ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٤ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٢ .

(٣) أنساب الاشراف ٣ : ١٠٤ .

(٤) الأخبار الطوال ص : ٣٦٦ .

(٥) البدء والتاريخ ٦ : ٧١ .

(٦) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٢ ، وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٤٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٩ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٨ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٨ ، وتاريخ دمشق المخطوط ٩ : ٣٩٠ و .

وقال اليعقوبي[1] : «مضى مروان إلى فلسطين هارباً ، فلَحِقَهُ عبد الله بن عبد الملك ، فأسره عبدُ الله بن علي ، وأسَرَ معه عبدَ الله بن يزيد بن عبد الملك ، فوجَّهَ بهما إلى أبي العباس ، فصلَبَهُمَا بالحيرة».

وقال المسعودي [2] : «أتَى عبدَ الله بن علي يزيدُ بن معاوية بن عبد الملك ابن مروان ، وعبدُ الجبَّار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فحملهما إلى أبي العباس السفاح ، فقتلهما وصلَبهما بالحيرة».

وقال المقدسي [3] : «بعث بمن ظفر به من أولادهم ومواليهم إلى أبي العباس ، فقتلهم وصلبهم كُلَّهم بالحيرة».

ولم يقتصر عبد الله بن عليٍ على قَتْلِ رجال بني أمية ، بل قَتَلَ نِسَاءَهُم أيضاً ، قال ابن كثير [4] : «أرسلَ امرأة هشام بن عبد الملك ، وهي عَبْدة بنت عبد الله ابن يزيد بن معاوية ، صَاحِبَةُ الخال ، معَ نَفَرٍ من الخُراسانيّة إلى البَرِّيَّة ماشيةً حافيةً حاسِرةً ثيابها عن وَجْهِهَا وجسدها ، ثم قَتَلُوهَا».

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦.

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٦١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٢.

(٣) البدء والتاريخ ٦ : ٧٢.

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ٤٥.

(٤) نَبْشُ قُبورِ الأمويين

واشْتَطَّ عبد الله بن علي في الانتقام من بني أميّة، فلم يَرْضَ بِقَتْلِ أحيائهم من رجالهم ونسائهم، بل نَبَشَ قبورَ موتاهم، واستخرجَ عِظامَهم، فَرمى بَعْضَها بالسّهام، وضَرَبَ بعضَها بالسِّياط، وعَلَّقَ بعضَها على العيدان، ثم أحْرَقَها، وذَرَّى رَمادَها في الريح، قال البلاذري[1]: «أمَرَ بِنَبْشِ قبرِ معاوية، فما وُجِدَ من معاوية إلاّ خَطٌّ، ونُبِشَ قبرُ يزيد بن معاوية، فوُجِدَ من يزيد سُلامَيَاتُ[2] رجْلِهِ، ووُجِدَ من عبد الملك ابن مروان بعضُ شُؤونِ رأسِهِ، ولم يُوجَدْ من الوليد وسليمان إلّا رُفاتٌ، وَوُجِدَ هشامٌ صحيحاً، إلّا شيئاً من أنفهِ، وشيئاً من صُدْغِهِ، وذلك أنه كانَ طُلِيَ بالزئبقِ والكافورِ وماءِ الفُوّه[3]، وَوُجِدَتْ جُمْجمةُ مسلمة، فاتُّخِذَتْ غرضاً حتى تَناثَرَتْ، ولم يَعْرِضْ لعمر بن عبد العزيز، وجُمِعَ ما وُجِدَ في القبور فأُحْرِقَ».

وما نَقَلَهُ البلاذري مِنْ خَبَرِ نَبْشِ عبد الله بن عليٍ لِقُبورِ بني أمية هو أشدّ رواياتِ الخبرِ حَيْدةً، وأكثرُهَا اعتدالاً، وقد حَفِظَ سائر المؤرخين الخبرَ السابق، وساقُوهُ

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٠٤.

(٢) السلاميات: جمع سُلامَى، وهي عَظْم الأصابع في اليد والقدم.

(٣) الفُوّه: ما يعالج به الطيب.

بقريبٍ من معناه ولَفْظِهِ عندَ البلاذري ، وزادوا بَعْضَ التّفاصيل ، فسمَّوا مَنْ تولّى نَبْشَ القبورِ بأجنادِ الشام ، وبيَّنوا ما صُنِعَ بالعظم الذي وُجِدَ في كلِّ قبرٍ منها [1] .

وحَفِظَهُ أيضاً مؤرخو الشيعة ، ولكنهم توسَّعُوا في عَرْضِهِ ، وبسَطُوا القَوْلَ فيه بَسْطاً . وذكَروا سببَ نَبْشِ عبد الله بن علي لِقُبورِ بني أمية ، واحْتَجُّوا له ، وسوَّغُوا عَبَثَهُ بعِظامِهِمْ ، وأحَلُّوه ، وأَفْتَوْا بصحَّتِهِ ، ولم يُحَرِّموه [2] ، فذكر بعضُهم أنه اقْتَصَّ منهم لمن جَلَدُوا من العباسيين ، قال اليعقوبي [3] : «لمّا صار إلى الرُّصافة ، أخرج هشام بن عبد الملك ، ووجَدَهُ في مغارةٍ على سَريره ، ... ، فأخرجَهُ فضَربَ وجْهَهُ بالعَمود ، وأقامه بين العُقَابَيْنِ [4] ، فضربَهُ مائة وعشرين سَوْطاً ، وهو يتناثر ، ثم جمَعَهُ فحرقَهُ بالنار ، وقال عبد الله عند ذلك : إنَّ أبي ، يعني علي بن عبد الله ، كان يُصَلّي يَوْماً ، وعليه إزارٌ ورداءٌ ، فسَقَطَ الرِّداءُ عنه ، فرأيتُ في ظَهْرِهِ آثار السِّياط ، فلما فرَغَ من صَلاتِهِ قلت : يا أبَهْ : جعلني الله فداءَك ، ما هذا؟ فقال : إنَّ الأحول ، يعني هشاماً ، أخذني ظُلْماً ، فضربني ستين سَوْطاً ، فعاهدتُ الله إن ظَفِرْتُ به أنْ أضْرِبَهُ بكل سَوْطٍ سَوْطَيْن» !

وجاء في بعض الروايات الشيعية التي أسندها ابن عساكر إلى محمد بن سليمان النّوْفلي ، وكان مع عبدالله بن علي أوَّلَ ما دَخلَ دمشق أنه «نبشَ قبور بني أمية ، ... ، وكان يَجِدُ في القَبْرِ العُضْوَ بعدَ العُضْوِ ، إلاّ هشامَ بن عبد الملك ، فإنه

---

(١) تاريخ الموصل ص : ١٣٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٩ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٣ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣١ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٦ .

(٤) العقابان : خشبتان يَشْبَحُ الرجلُ بينهما الجلْدَ.

وَجَدَهُ صحيحاً لم يَبْلَ منه غير أَرْنبةِ أَنْفِهِ ، فضربَهُ بالسياط ، وهو مَيِّتٌ ، وصَلَبهُ أياماً ، ثم أحرقه ، ودَقَّ رَمادَهُ ، ثم ذَرَّهُ في الريح ، وذلك أنَّ هشاماً كان قد ضَرَبَ أخاه محمد بن علي ، حين كان قد اتُّهِم بِقَتْلِ وَلَدٍ له صغير ، سبعمائة سَوْطٍ ، ثم نَفاهُ إلى الحُمَيمةِ بالبَلْقاءِ[1] ».

وما وَرَدَ في الخبر الأول من أنَّ هشام بن عبد الملك جلد علي بن عبد الله ، وما وَرَدَ في الخبر الثاني من أنه جَلَدَ محمد بن عليٍ فيه تخليطٌ وتلفيقٌ كثيرٌ ، وهو باطلٌ من الأباطيل ، فإن هشاماً لم يضْرِبْ علي بن عبد الله ، ولم يضْرِبْ ابنَهُ محمداً ، ولم يُخرِجْهُ إلى الحُمَيْمةِ.

والخَبرانِ مُحَرَّفان عن خبرٍ آخر صحيحٍ ، أَطْبَقَ المؤرخون عليه ، وهو أَنَّ الوليد بن عبد الملك ضَرَبَ علي بن عبد الله في قَتْلِ سليطٍ ، وغرَّبهُ إلى دَهْلَك ، ثم سمَح له أن يُقيمَ بالحِجْرِ من ديار ثمودَ بوادي القُرَى ، فلم يَزَلْ بها حتى ماتَ الوليدُ ، فردَّهُ سليمان بن عبد الملك إلى الحُمَيْمة[2] .

وذكَرَ بعْضُهم أنه أقادَ مَوْتَى بني أمية بمَنْ قَتَلُوا من العَلويِّين ، قال المسعودي[3] : «إنّما ذَكَرْنا هذا الخَبَرَ في هذا المَوْضع لِقَتْلِ هشامٍ زَيْدَ بن علي ، وما نَالَ هشاماً مِنَ المُثْلَةِ بما فَعَلَ بِشِلْوه من الإحراقِ ، كَفِعْلِهِ بزَيْد بن علي» ! وقال ابن أبي الحديد[4] : «قرأتُ هذا الخبر على النقيب أبي جعفرٍ يحيى بن أبي زيدٍ

---

(١) ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي بتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم : ٣٣٧٩ ، الجزء الخامس عشر. وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٤٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٧٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٧ ، وانظر رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٧٩ ، والمعارف ص : ١٢٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٨ ، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٣٨.

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢١٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٢.

العَلويِّ بن عبد الله في سنة خمسٍ وستمائةٍ ، وقلتُ له : أمَّا إحْرَاقُ هشامٍ بإحْرَاقِ زَيْدٍ فَمَفْهومٌ ، فما معنى جَلْدِهِ ثمانين سَوْطاً؟ فقال رحمهُ الله تعالى : أظُنُّ عبد الله بن علي ذهب في ذلك إلى حَدِّ القَذْفِ ، لأنه يقال : إنه قال لِزَيْدٍ : يا بْنَ الزَّانية ، لمَّا سَبَّ أخاهُ محمداً البَاقِرَ ، عليه السلام ، فسبَّهُ زَيْدٌ ، وقال له : سَمَّاهُ رسولُ الله ، صلى الله عليه وآلِهِ البَاقِرَ ، وتُسَمِّيهِ أنْتَ البَقَرَةَ ! لشَدَّ ما اخْتلفتما ! ولتخالِفَنَّه في الآخرة كما خَالَفْتَهُ في الدنيا ، فيَرِدُ الجَنَّةَ ، وتَرِدُ النارَ. وهذا اسْتِنْبَاطٌ لَطِيفٌ» ! !

كذلك كان بعضُ المؤرخين من الشيعة يَخْتَرِعُونَ الأحداثَ ، ويَضَعُونَ الأخبارَ ، ويَبْتَدِعونَ الأعْذَارَ ، وكانِ العلماءُ والفقهاءُ منهم يُنَقِّرونَ عن العِلَلِ ، ويُفَتِّشونَ عن الحُجَجِ ، ويَلْتَمِسونَ الرُّخَصَ ، ويَسْتَخْلِصون النتائجَ ، ويُصْدِرُونَ الأحكامَ ، حتى يجوِّزوا بها القبائحَ ، ويُصَحِّحُوا الفواحشَ التي ارْتكبها بعضُ العباسيين ، بِنَبْشِهِم لقُبورِ الأمويِّين ، وجَلْدهم لمَوْتَاهُمْ ، وصَلْبِهِمْ لعظَامِهِمْ ، وإحْرَاقهم لرُفاتِهم ، فَرِحينَ بانْتِقَامِهِمْ للعَلويِّين ، وإبادَتِهِمْ للأمويين !

وفي بعض الروايات الشِّيعية أنَّ أبا العباس هو الذي أمَرَ عَمَّهُ عبد الله بن علي أنْ يُفْنِيَ الأُمويين ، ويَقْتَص منهم للهاشميين ، قال اليعقوبي[1] : «يقال : إنَّ أبا العباس كَتَبَ إليه : خُذْ بثأرِكَ من بني أمية ، فَفَعَلَ بهم ما فَعَلَ ، وَوَجَّهَ فنَبَش قبور بني أمية ، فأخْرَجَهُمْ وأحْرَقهم بالنار ، فما تَرَكَ منهم أحداً» ، وقال أبو الفَرَج الأصفهاني[2] : «كتبَ إلى عُمَّاله في النَّواحي بِقَتْلِ بني أمية».

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٦.

(٢) الأغاني ٤ : ٣٤٦ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٧.

(٥) قَتْلُ الأمويين على نهر أبي فُطْرُسٍ بفلسطينَ

وغَدَرَ عبد الله بن علي بجماعةٍ من بني أمية على نهر أبي فطرُسٍ بفلسطين ، فقتَلَهُمْ بعدَ أنْ أعْطَاهُمُ الأمان ، ومَزَّقهم شَرَّ مُمَزَّقٍ ، وقد اخْتُلِفَ في عَدَدهم ، فقيل [١] : كانوا اثنين وسبعين ، وقيل [٢] : كانوا بِضْعاً وثمانين ، وقيل [٣] : كانوا اثنين وتسعين .

وحملَهُ علَى الفَتْكِ بهم ثلاثة أسباب : الأول لجَاجَتُهُ في الانتقام ، وكان جَافِيَ الطَّبْعِ ، فظَّ النَّفسِ ، غَلِيظَ الكَبِدِ ، قاسيَ القَلْب ، قد غَلَبَتْ عليه نَزْعَةُ الأخْذِ بالثَّأرِ ، واسْتَحكَمَتْ فيه ، وتمكَّنَتْ منه الشَّهْوَةُ لسَفْكِ الدَّمِ ، واسْتَبَدَّتْ به ، فنكَّلَ بالأمويين أبْشَعَ التَّنْكيل ، ومَثَّلَ بهم أشْنَعَ التَّمثيل ، وكان أعْتَى قوْمهِ عليهم ، وأكْثَرَهُمْ بَطْشاً بهم ، وأشْهَرَهُمْ قَتْلاً لهم ، قال ابن عبْدِ رَبِّهِ [٤] : «كان أشَدَّ الناسِ

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٣ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٣ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٥ ، والكامل ، للمبرد ٤ : ٨ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨٣ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ .

(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥ .

(٤) العقد الفريد ٤ : ٤٨٧ .

على بني أميةَ عبدُ الله بن علي» . ومن أجل ذلك سَمَّاهُ بعضُ المؤرخين السَفَّاحَ (١) ، وكان الناس من أهْلِ عَصْرِهِ هم الذين أطْلَقُوا عليه هذا اللَّقب (٢) . وجاء في شعر حَفْصٍ الأموي ما يُؤيِّدُ ذلك ، وكان حَفْصٌ من شعراء بني أمية المَعْدُودِينَ المُقَدَّمينَ في مَدْحِهِمْ ، والتَّشيُّعِ لهم ، وانصِبابِ الهَوَى إليهم ، وكان مُنْحَرِفاً عن بني هاشمٍ ، مَعْرُوفاً بالقَدْحِ فيهم ، والطَّعْنِ عليهم (٣) ، فطَلَبَهُ عبد الله بن علي ، فلم يَقْدِرْ عليه ، ولم يَزَلْ مُتوارياً عنْهُ ، حتى ضاقت الارضُ به ، ولم يَجِدْ مَهْرباً منه ، إلاَّ بالوُفُودِ عليه ، وطَلَبِ العَفْوِ منه ، فأتاهُ مُسْتأمناً ، فقال : أنا عائذٌ بالأمير ! فقال له : ومَنْ أنتَ؟ قال : أنا حَفْصٌ الأُمَويُّ ، فقال : أنتَ الهجَّاءُ لبني هاشمٍ ! فاعتذر له ، وأنشده قصيدةً طويلةً ، دمغَ فيها بني أمية بالبَغْيِ على الناس ، حتى قَيَّضَ الله لهم بني العباسَ فأنْقَذُوهم من شرِّهم ، وحَرَّروهم من ظُلمِهم ، واصْطَفى منهم عبدَ الله بن علي ، سَفَّاحَ آلِ الرَّسول» ، فقطَعَ دَابِرَهم ، واستأْصَلَ شَأْفَتَهم ، يقول (٤) :

وكانتْ أميةُ في مُلْكِهَا تَجُورُ وتُكْثِرُ عُدْوَانَها
فلمّا رأى الله أنْ قد طَغَتْ ولم يَحْمِلِ الناسُ طُغْيَانَها
رَمَاهَا بسَفَّاحِ آلِ الرَّسُولِ فجَذَّ بكَفَّيْهِ أعْيَانَها
ولو آمنَتْ قَبْلَ وَقْعِ العذاب فقَدْ يَقْبَلُ اللهُ إيمانَها

---

(١) العيون والحدائق ٣ : ٢٠٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٧٤.

(٢) البدء والتاريخ ٦ : ٧٤.

(٣) تاريخ الطبري ٨ : ١٠٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٩١ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١١٥ ، وانظر كتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٤٢.

(٤) البدء والتاريخ ٦ : ٧٤ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٩١ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١١٦.

فصَفَحَ عنه ، ووَصَلهُ بخمسمائةِ دينارٍ ، وقال له خادِمُهُ[1] : «لا تَقْطَعْنا ، وأَصْلِحْ ما شَعَّثْتَ منا» .

وأمَّا السَّببُ الثاني فهو ثَوْرةُ أبي محمدٍ زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ، فإنه خَرجَ بِقِنَّسْرِينَ سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وطمِعَ في الخلافة ، وقال : أنا السُّفياني الذي يُرْوَى أنه يَرُدُّ دولة بني أمية ، وكاتَبَ بَعْضَ أمراء بني أمية ، فأجابَهُ نَفَرٌ منهم[2] ، قال البلاذري[3] : «وبلَغَ عبد الله بن عليٍ الخَبرُ ، فقتَلَ جميعَ مَنْ كان معه من بني أمية ، ومن يَهْدي هَدْيَهم[4] » . فأراد أن يَقْضيَ عليهم ، ويتخلَّصَ من خَطرهم ، قبلَ أنْ يسيرُوا إلى أبي محمدٍ السفياني ويَنْضَمُّوا إليه ، ويُحاربُوا بني العباس معه .

وأمَّا السببُ الثالثُ فهو تحريضُ الشعراءِ مِنْ موالي بني هاشمٍ له عَلَى قَتْل بني أُميَّة ، .فقد قَدِمَ عليه منهم شِبْلُ بنُ عبد اللهِ ، وأنشَدَهُ قصيدةً سينيةً ، أغراهُ فيها بِضَرْب أعْناقِ مَنْ أعْطَاهُمْ الأمانَ مِنْ بني أمية ، حتى يقتَصَّ منهم لمن قَتَلُوا من الهاشميين ، كحمزة بن عبد المطلب ، والحسين بن علي ، وزيد بن علي ، والإمام

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٩١ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١١٦ .

(٢) انظر ثورة أبي محمد السفياني في أنساب الأشراف ٣ : ١٧٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٠ ، ١٤٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٧٠ .

(٤) يهدي هَدْيهم : يسير سيرتهم .

إبراهيم ، فأحْفَظَه عليهم ، ففتكَ بهم[1] ، قال المُبَرِّد[2] : «دَخَلَ شبل بن عبد الله ، مولى بني هاشم ، على عبد الله بن عليّ ، وقد أجْلَسَ ثمانين رجلاً من بني أمية على سُمُطِ الطّعام ، فمَثَلَ بين يَدَيْهِ ، فقال :

أصبحَ المُلْكُ ثابتَ الأساس ... بالبَهاليلِ من بني العباسِ[3]
طَلَبُوا وِتْرَ هاشمٍ فشَفَوْهَا ... بعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزّمانِ ويَاسِ[4]
لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَاراً ... واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وأواسي[5]
ذُلُّهَا أظْهَرَ التَّوَدُّدَ منها ... وبها مِنكُمْ كَحَزِّ المَوَاسي
ولقَدْ غَاظَني وغاظَ سَوَائي ... قُرْبُهُمْ مِن نَمارقٍ وكَرَاسي[6]
أَنْزِلُوها بِحَيْثُ أنْزَلَها اللـ ... ـه بدارِ الهَوانِ والإتْعاسِ
واذكُرُوا مَصْرَعَ الحسينِ وزَيْداً ... وقَتيلاً بجانبِ المِهْراسِ[7]

---

(١) انظر خبر قتلهم في تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٢ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٧٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦١ ، والأغاني ٤ : ٣٤٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٧ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٠ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١ ، والامامة والسياسة ٢ : ١٤٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥ .

(٢) الكامل ٤ : ٨ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٠ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٧ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٢١٢ .

(٣) الأساس : جمع أس . والبهاليل : جمع بُهْلول ، وهو الضَّحَّاكُ ، والحييُّ الكريم ، والجامع لكل خير .

(٤) الوِتْر : الثأر ، والمَيْلُ : الانحراف .

(٥) الرَّقْلة : النخلةُ الطويلة ، ويقال إذا وصف الرجل بالطول : كأنه رَقْلة . والأواسي ، جمع آسية ، وهي أصل البناء بمنزلة الأساس .

سوائي : غيري . والنمارق : جمع نُمْرقة ، وهي الوسادة .

(٦) الحسين : يعني الحسين بن علي بن أبي طالب . وزيد : يعني زيد بن عل بن الحسين ، كان قد خرج

والقتيلَ الذي بِحَرَّانَ أضحَى ثاوِياً بينَ غُرْبَةٍ وتَناسي[1]
نِعْمَ شِبْلُ الهِرَاشِ مَوْلَاكَ شِبْلٌ لو نجا مِنْ حَبائِلِ الإفْلَاسِ[2].

فأمَرَ بهم عبدُ الله ، فَشُدِخُوا بالعَمَدِ ، وبُسِطَتْ عليهم البُسُطُ ، وجَلَسَ عليها ، ودَعَا بالطعام ، وإنَّهُ لَيَسْمَعُ أنينَ بعضهم ، حتى ماتوا جميعاً . وقال لشِبْلٍ : لولا أنَّكَ خَلَطْتَ كلامَكَ بالمَسْأَلةِ ، لأغنَمْتُكَ جميعَ أموالهم ، ولَعَقَدْتُ لكَ على جميعِ مَوالي بني هاشمٍ » ! !

ونَسَبَ بعضُ الرواةِ قصيدةَ شِبْلِ بن عبد الله السِّينية إلى سُدَيْف بن مَيْمون مولى بني هاشمٍ[3] . وزعمَ بعضُ الإخباريِّين أنه أنشدَهَا أبا العباس[4] ، فَقَتَلَ مَنْ كان عنده مِنْ بني أمية[5] . وخَلَطَ بعضُ المؤرخين بين خبرِ قَتْلِ عبد الله بن عليٍ لبني أمية على نَهْرِ أبي فُطْرسٍ بفلسطين ، وما وَرَدَ فيه من شِعْرٍ لشِبْلِ بن عبد الله ، وبين خَبرِ قَتْلِ أبي العباس لسليمان بن هشام بن عبد الملك بالكوفة ، وما وَرَدَ فيه من شعرٍ لِسُدَيْفِ بن مَيْمون[6] ! وذلك كله خطأٌ ، والصَّوابُ أنَّ القصيدة السِّينية لشِبْلِ بن

على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفي ، وصلبه بالكناسة بالكوفة . وقتيلاً بجانب المهراس : يعني حمزة بن عبد المطلب ، والمهراس : ماءٌ بأحد. وإنما نَسَبَ شبلٌ قتل حمزة إلى بني أمية ، لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد.

(١) والقتيل الذي بحران : هو ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، قتله مروان بن محمد .

(٢) الهراش بالكلاب : تَحْرِيش بعضها على بعضٍ.

(٣) أنساب الاشراف ٣ : ١٦١ ، وتاريخ العقوبي ٢ : ٣٥٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٥٥ ، والأغاني ٤ : ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، والحماسة البصرية ١ : ٩١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٧ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٦١ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٩ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٣ .

(٥) طبقات ابن المعترض : ٤٠ ، والأغاني ٤ : ٣٤٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٥ .

(٦) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٩ ، وطبقات ابن المعترض : ٣٩ ، ٤٠ ، =

عبد الله ، وآخر بيتٍ منها يَدُلُّ على أنّها له ، فهو يَشْتَمِلُ على اسمِه وَوَلائِه لبني هاشمٍ ! ولكن بعضَ الرُّواةِ حذَفُوا ذلك البيتَ منَ القصيدة ، ومنهم مَنْ أبقاهُ ، ثم حَرَّفَهُ ، فأَسْقَطَ اسمَ شِبْلٍ منه ، واستعاضَ عنه بكلمةٍ أخرى يستقيمُ بها الوَزْنُ ! ! والصَّوابُ أيضاً أنه أنشدهَا عبدَ الله بن عليٍ ، فَقَتلَ من استأمَنَ إليه من بني أمية .

وفي بعض الرِّوايات غير الشيعية أنَّ عبد الله بن عليٍ قَتَلَ بني أمية برَأْيِهِ ، وقد سلم منهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، لأنه تَغيَّبَ ، فلم يُقْتَلْ معهم . وكان من صُلَحاءِ قَوْمِهِ ، وأثْرياءِ أهله ، فأرادَ عبد الله بن علي أنْ يَسْتَخْلِصَ أموالَه ، فامْتَنَعَ عليه ، وفرَّ منه فتعقَّبهُ حتى قَبَضَ عليه ، فضَرَبَ عُنُقَهُ ، وصَادرهُ . وعرف أبو العباس ذلك ، فلامَ عبد الله بن علي ، وأمرَهُ أنْ يَكُفَّ عن سَفْكِ دماء بني أمية ، وأنْ يسْتَشِيرَهُ قبلَ أنْ يَقْتُلَ أحداً منهم ، قال مُصَنِّفُ الإمامة والسياسة[1] : «استعْفَى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وكان عبد الواحد قد بَذَّ العابدينَ في زمانه ، وسَبَقَ المجتهدين في عصره . فركب السَفَّاحُ إلى أموال عبد الواحد ، وكان عبد الواحد قد اتَّخذَ أموالاً معجبةً ، يَطْرُدُ فيها المياه والعيون . فأمرَهُ السَّفاحُ أنْ يُصَيِّرَها إليه ، فأَبَى عليه ، واختفَى منه . فأخذ رجالاً من أهله ، فَتوعَّدَهم السفاحُ ، وأمرَ بحَبْسهم حتى دَلُّوهُ عليه ، فلما قبَضَهُ أمَرَ بقَتْلِهِ . ثم استَصْفَى مَالَهُ ، فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين ، وكان أبو العباس يَعْرِفُهُ قبل ذلك ، وكان عبد الواحد أفضلَ قرشيٍّ كان في زمانه عبادةً وفَضْلاً ، فقال أبو العباس : رحم الله عبد الواحد ، ما كان والله مِمَّن

= وتاريخ الموصل ص : ١٥٥ ، والأغاني ٤ : ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٨ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٣ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٥ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٨ .

(١) الإمامة والسياسة ٢ : ١٤٧ .

يُقْتَلُ لغائلةٍ ، ولا مِمَّا يُشَار إليه بفاحشةٍ ، وما قَتلتْهُ إلاّ أمْوالُه ، ولولا أنَّ السَّفاحَ عمي ، وذِمامُهُ ورعايةُ حَقِّهِ عليَّ واجبٌ ، لأَقَدْتُ منه ، ولكن الله طَالبُهُ ، وقد كنتُ أعرفُ عبد الواحد بَرًّا تَقيًّا صَوَّاماً قوَّاماً . ثم كتب إلى عمه السفاح ألّا يَقتُلَ أحداً من بني أمية حتى يعلمَ به أمير المؤمنين» .

(٦) قتْلُ سليمانَ بنِ هشامٍ وابْنَيْهِ بالحيرة

واستأمَنَ سليمانُ بن هشام بن عبد الملك إلى أبي العباس، فأمَّنَهُ، فقدم عليه بابْنَيْنِ له، فقرَّبهُ وأكرمَهُ. وشَفَعَ له عنده أنه كان بينهما مَعْرِفةٌ سابقةٌ، ومَوَدَّةٌ قَديمةٌ[١]. وشفعَ له أيضاً أنه كانَ مُخالفاً لمروان بن محمدٍ، وكان مِمَّن بايَعَهُ وأطاعه[٢]، ثم نَقَضَ بيْعَتَهُ، وخَلَعَهُ، ودعا إلى نَفْسِهِ وحَارَبَهُ بِقِنَّسْرين، وحِمْص، فهَزَمَهُ مروانُ، فتنَحَّى سليمان إلى تَدْمُر، ثم مضى إلى الجزيرةِ الفُراتيَّة، ولَحِقَ بالخوارج، وناهضَ مروانَ مع الضَّحَاك بن قيس الشَّيْبَاني حتى قُتِلَ، ثم ناجَزَه مع الخَيْبَريِّ حتى قُتِلَ، ثم قارعَهُ مع شيبان بن عبد العزيز اليَشْكُريِّ حتى دُحِرَ بفارس، وسار إلى عُمَان، فركبَ سليمانُ ومَنْ معه من أهلِه ومَواليهِ السُّفُنَ إلى السِّنْدِ[٣]. ويقال: إنه انْضَمَّ إلى بني العباس بعد ذلك، وأعانَهم على قِتَالِ مروان ابن محمد[٤]. وروى مُصَنِّف الإمامة والسياسة أنه كان ممن تَعقَّبَ مروان بمصر، وشارك

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٥١، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٣، وطبقات ابن المعترض : ٣٩، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٦، وتاريخ الطبري ٧ : ٣١٢، وتاريخ الموصل ص : ٦٤، والعيون والحدائق ٣ : ١٥٧، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٤، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٣.

(٣) أنساب الأشراف المخطوط ٢ : ٣٥٢، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٩، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٢٣، وتاريخ الموصل ص : ٦٨، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٨، والعيون والحدائق ٣ : ١٥٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٨٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣١، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٤.

(٤) الإمامة والسياسة ٢ : ١٤٣.

في قَتْلِهِ[١]. وليس ذلك بِثَبْتٍ، فإنَّ سليمان لم يكن من القادة الذين توَجَّهوا مع صالح بن علي إلى مِصْرَ لحَرْب مروان[٢].

وذكَرَ البلاذريُّ أنَّ أمَّ سلمَةَ بنت يعقوب المخزومية امْرأةَ أبي العباس «كلَّمتْهُ في سليمان بن هشام، وقالت: إنه كان مُبايناً لمروان، فأمرَ أنْ لا يُعْرَضَ له، فكان يَدْخُلُ عليه[٣]».

ولم يَزَلْ سليمانُ مُقيماً عند أبي العباس، مُقَدّماً لَدَيْهِ، يُجالِسُهُ ويُحادِثُهُ، ويَقْضي حوائجه، ثم تَغيَّرَ له، وقَتَلَهُ سنة أربعٍ وثلاثين ومائةٍ[٤].

ويبدو أنه كان لأبي مسلمٍ يَدٌ في قَتْلِهِ، فإنه كان يَحُثُّ أبا العباس على سَفْكِ دَمِهِ، قال البلاذريُّ[٥]: «كان أبو مسلمٍ يكْتُبُ إلى أبي العباس في أمْرِ سليمان: إذا كان عَدُوُّكَ وَوَلِيُّكَ عندكَ سواءً، فمتى يَرْجوكَ المُطيعُ لك، المائلُ اليك، ومتى يخافُكَ عَدُوُّكَ المُتجانِفُ عَنْكَ»؟ وقال ابن تَغْري بَرْدي[٦]: «أرسل إليه أبو مسلمٍ الخراساني يقول: قد بَقِيَ من الشجرةِ الملْعُونةِ فَرْعٌ، في كلامٍ طويل، فلم يَلْتفِتِ السَّفّاحُ إلى كَلامِهِ، فَدَسَّ أبو مُسلمٍ إلى سُدَيْفٍ الشاعر مالاً، وقال له: قُلْ في هذا المعنى شعراً».

---

(١) الإمامة والسياسة ٢ : ١٤٣ ، ١٤٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٦.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٦١.

(٤) تاريخ الموصل ص : ١٥٥ ، وانظر ما وَرَدَ في النجوم الزاهرة ١ : ٣٣٠.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٣.

(٦) النجوم الزاهرة ١ : ٣٣٠.

ووفد سديفٌ على أبي العباس ، وأنشدَهُ شعراً كثيراً ، حَرَّضَهُ فيه على بني أمية ، وحَضَّهُ على قَتْلِهم ، وربماكانت قصيدتهُ اليائيةُ الطويلةُ هي أوَّلُ ما أنشدَهُ من شعره ، وهو يُحَذِّره فيها مَكْرَهُمْ وغَدْرَهُم ، فإنهم لم يُقْبِلُوا عليه راغبين مُخْتَارينَ ، بل مُرْغَمينَ مُضْطرِّينَ ، ولم يُهنِّئُوهُ مُبْتهجينَ مَسْرُورين ، بل كارهينَ صَاغِرين ، ولم يَحُفُّوا به مبَجِّلين مُقَدِّرين ، بل فَزِعينَ مَذْعُورين ، داعياً له أنْ يَقْتُلَ مَنْ أوى إليه منهم ، وأنْ يُهْدِرَ دِمَاءَ سائرهم ، وأن يُعْمِلَ السَّيفَ فيهم حتى يُبيدَهم ويَمْحقَهم ، فقد فُطِرَتْ نُفُوسُهم على الحَسَدِ والحِقْدِ ، وطُبِعَتْ على الغِشِّ والفسَادِ[1] :

قد أتَتْكَ الوُفودُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مُسْتَعدينَ يُوجِفُونَ المَطِيَّا[2]
عَنْوةً أيُّها الخليفةُ لا عَنْ طاعةٍ بل تَخَوَّفُوا المَشْرِفيَّا
لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى مِنْ رجالٍ أَنَّ تَحْتَ الضُّلوعِ داءً دَوِيَّا[3]
فَضَعِ السَّيْفَ وارْفَعِ السَّوْطَ حتى لا تَرى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيَّا
بَطَنَ البُغْضُ في القَديمِ فأضْحَى ثاوياً في قُلُوبِهِمْ مَطْوِيَّا

ويَظْهَرُ أنَّ أبا العباس لم يَسْتَجِبْ لتَحْرِيض سُدَيفٍ إلى حينٍ ، بل وَفَى بِعَهْدِهِ لمن كان عنده من بني أمية ، وأعْظَمَ قَتْلَهُمْ ، وآيةُ ذلك أَنَّ سُدَيْفاً انْدَفعَ يعاتِبُهُ ويَلُومُهُ ويحتجُّ عليه في قصائد أخرى ، إذ يقولُ له في قصيدةٍ ثانيةٍ مُسْتَهْجِناً حِلْمَهُ عن

---

(١) العقد الفريد ٤ : ٤٨٦ ، وانظر الشعر والشعراء ٢ : ٧٦١ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٠٨ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٦٢ ، والكامل للمبرد ٤ : ٨ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٤٠ ، والأغاني ٤ : ٣٤٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٥ ، ٤٢٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٨ ، ١٤١ ، والحماسة البصرية ١ : ٩٢ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٨ .

(٢) في العقد الفريد : يُوجعون ، وهو تحريف ظاهر . ويُوجفون : يَحُثُّون .

(٣) الداء الدّوي : الشديد .

جرائِمهم ، ومُستَغرِباً تسامُحَهُ في أمْرِهم ، ومُنْكراً رِفْقَهُ بهم ، ومُستَعْدِياً له عليهم ، ومُقْنِعاً له بِقَتْلِهم ، لكي يأخُذَ بثأرِ الهاشميين منهم[1] :

كيفَ بالعَفْوِ عَنْهُمُ وقديماً قتَّلونا وهَتَّكوا الحُرُماتِ
قَتَلُوا سِبْطَ أحمدَ لا عفا الرَّحمنُ عنهُمْ مُكَفِّرُ السَّيئاتِ
أينَ زَيْدٌ؟ وأينَ يحيى بنُ زيدٍ؟ يا لها من مُصيبةٍ وَتِراتِ
والإمامُ الذي أُصيبَ بحَرَّا نَ إمامُ الهُدَى ورأسُ الثِّقاتِ؟

ويقولُ له في قصيدةٍ هَمْزِيَّة[2] :

عَلامَ وفيمَ تُتْرَكُ عبدُ شَمْسٍ لَهَا في كُلِّ ناحيةٍ ثُغاءُ[3]
فما بالرَّمْسِ من حَرَّان فيها وإنْ قُتِلَتْ بأجْمَعِها وَفاءُ

فأحْيَا هذا الشعرُ الضَّغائنَ في نَفْسِ أبي العباس ، واستَفَزَّهُ ، وأخرجه عن وَقارِهِ[4] ، فإذا هو يسْخَطُ على سليمان بن هشام بن عبد الملك وولَدَيْهِ ، ويأمرُ بِضَرْبِ أعناقهم انتِقاماً لِقَتْلَى الهاشميين مِنَ العلويين والعباسيين الذين صَرَعَهم بنو أمية . ونَقَلَ البلاذري خَبَرَيْنِ في وَصْفِ قَتْلِهم ، يقول[5] : قال الهيثم بن عدي الطائي : « دعا أبو العباس أبا الجهم بن عطية ، فقال له : قد بلغني عن سليمان ابن

---

(١) أنساب الاشراف ٣ : ١٢٦ ، والأغاني ٤ : ٣٥٠ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٣ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٣ ، والأوراق ، قسم أشعار أولاد الخلفاء ص : ٢٩٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٧ .

(٣) الثغاء : صوت الشاة ، ويعني أنهم لا يزالون أحياء آمنين ، فرحين مَرحين .

(٤) الأغاني ٤ : ٣٤٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤١ .

(٥) أنساب الاشراف ٣ : ١٦٣ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٠ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٦٤ .

هشام أمرٌ أكرهَهُ فاقْتُلْهُ ، فأَخْرَجَهُ إلى الغريَّيْنِ (١) فقتَلهُ وابناً له ، وصَلَبهما . وحَضَر غلامٌ له أسْوَدُ ، فجعَلَ يبكي على مَوْلاهُ ، ويقول : هكذا الدنيا ، تُصْبحُ عليك مُقْبلةً ، وتُمْسي عنكَ مُدْبرةً . وقال غيرُ الهيثم : دُفِعَ سليمان إلى عبد الجبار [بن عبد الرحمن الأزدي] صاحب شُرَطِ أبي العباس ، فأمرَ المُسَيَّبَ بن زهيرٍ فقتله » . قال ابن عبد ربه (٢) : « ثم جرُّوا بأرْجُلِهم حتى أُلْقوا في الصحراء بالأنْبارِ ، وعليهم سَراويلاتُ الوَشْي » . ووَقَفَ سديفٌ عليهم ، وقال مُتَشَفِّياً بهم (٣) :

طَمِعَتْ أميةُ أنْ سيرْضى هاشمٌ عنها ويذهبَ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا
كلاَّ وربِّ محمـــدٍ وإلهه حتَّى يُبَادَ كَفُورُهَا وخَؤُونُها (٤)

وقيلَ في قَتْلِ سليمان بن هشام بن عبد الملك وَوَلديهِ كلامٌ كثيرٌ ، بَعْضُهُ مَنْقُولٌ عن مَصْرَعِ أمراءِ بني أمية على نَهْرِ أبي فُطْرُسٍ بفلسطين (٥) ، وبَعْضُهُ صحيحٌ يُوافقُ ما ذَكَرَهُ البلاذري ويُكْمِلُهُ (٦) .

---

(١) الغَرِيَّان : بناءان كالصَّوْمَعَتَيْنِ بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب . (معجم البلدان : الغريان) .

(٢) العقد الفريد ٤ : ٤٨٧ .

(٣) العقد الفريد ٤ : ٤٨٧ .

(٤) في بعض الروايات أنّ عبد الله بن علي تمثَّل بهذا الشعر بعدَ أنْ قتَلَ أمراء بني أمية على نَهْرِ أبي فطرس بفلسطين . (انظر العقد الفريد ٤ : ٤٨٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٢) . وروى الأزدي ومُصَنِّفُ العيون والحدائق ما يُشبِهُ ذلك . وقد وَهِمَ مُحَقِّقاً الكتابين ، فظَنَّا أنَّ الشعر نَثْرٌ ! ! (انظر تاريخ الموصل ص : ١٣٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٧) . وذكر ابن قُتَيْبَةَ أن أبا جعفرٍ استشهد بهذا الشعر بعد أنْ قتَلَ أمراء بني أمية ! ! (انظر عيون الأخبار ١ : ٢٠٨) . وذلك كله خطأ . والصَّواب أن الشعر لسديف بن ميمون ، وأنه أنْشأهُ حين قتلَ أبو العباس سليمان بن هشام بن عبد الملك وولديه ، وكان ذلك بعد قَتْلِ عبد الله بن علي لأمراء بني أمية على نهر أبي فطْرُسٍ بفلسطين بسنتين ! !

(٥) طبقات ابن المعتز ص : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٨ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٦ .

(٦) الكامل للمبرد ٤ : ٨ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٤٠ ، والأغاني ٤ : ٣٥١ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣١ .

(٧) سَلامَةُ الأُمويِّينَ بالبَصْرة

وفي بعض الرِّوايات الشِّيعية أنَّ سليمان بن علي سفَكَ دماءَ بني أمية بالبَصْرة ، قال ابن أبي الحديد[١] : «كان سليمان بن علي بالبصرة يَضْرِبُ الأعناق» . وساقَ علماءُ الشيعة شواهد على قَتْلِه لهم ، وتَمْثيلِهِ بهم ، قال أبو الفرج الأصفهاني[٢] : «أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني علي بن محمد بن سليمان النَّوفلي عن أبيه عن عمومته : أنهم حَضَروا سليمان بن عليٍ ، وقد حضَرَهُ جماعة من بني أمية عليهم الثيابُ المَوْشيَّةُ المُرْتفعةُ[٣] ، فكأني أنظر إلى أحدهم ، وقد اسْوَدَّ شَيْبٌ في عَارِضَيْه من الغالية[٤] ، فأمرَ بهم فَقُتِلوا ، وجُرّوا بأرْجُلهم ، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنَّ عليهم لَسَراويلاتِ الوَشْي ، والكلاب تجرُّ بأرْجُلهم» .

وقال ابنُ أبي الحديد[٥] : «دَخَلَتْ إحدى نساءِ بني أمية على سليمان بن علي ، وهو يَقْتُلُ بني أمية بالبصرة ، فقالت : أيها الأمير ، إنَّ العَدْلَ لَيُمَلُّ من الإكثار منه ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٦ .

(٢) الاغاني ٤ : ٣٤٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٢ ، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٤٣١ .

(٣) يقال : ثوب رفيع ومُرْتفع أي ثمين نفيس .

(٤) الغالية : ضربٌ من الطيب ، يُصْطَبغُ به .

(٥) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٠ .

والإسراف فيه ، فكيف لا تَمَلُّ أنْتَ من الجَوْر ، وقطيعةِ الرَّحمِ ؟! فأطْرَقَ ثم قال لها :

سَنَنْتُمْ علينا القَتْلَ لا تُنكرونَهُ فَذُوقُوا كما ذُقْنَا على سَالفِ الدَّهْرِ

ثم قال : يا أمَةَ الله :

[فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَهَا] وأوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُهَا[1]

أَلَمْ تحاربوا عليًّا ، وتَدْفَعُوا حَقَّهُ؟ أَلَمْ تَسُمُّوا حَسناً ، وتَنْقُضوا شَرْطَهُ؟ أَلَمْ تَقْتُلُوا حُسَيْناً ، وتُسَيِّروا رأسَهُ؟ أَلَمْ تَقْتُلُوا زيداً ، وتَصْلُبُوا جَسَدَهُ؟ أَلَمْ تَقْتُلُوا يَحْيَى ، وتُمثِّلوا به؟ أَلَمْ تَلْعَنُوا علياً على مَنَابركم؟ أَلَمْ تَضْرِبُوا أبانا علي بن عبد الله بسِيَاطِكُمْ؟ أَلَمْ تَخْنُقُوا الإمامَ بجرابِ النُّورة[2] في حَبْسِكُمْ؟ ثم قال : أَلَكِ حاجةٌ؟ قالت : قَبَضَ عُمَّالُكَ أمْوَالي ، فأمَرَ بِرَدِّ أموالها عليها» .

وربما كان الخَبَرُ من القَصَصِ المُفْتَعل ، فإنَّ المُحاورةَ التي ذكر ابنُ أبي الحديد أنها جرت بين سليمان بن علي وتلك المرأة الأُموية المَجْهُولة تتكرَّرُ في كثيرٍ من الأخبار التي روَّجَهَا علماءُ الشيعةِ ومُؤَرِّخُوهم ، وصوَّروا فيها اقْتِصاصَ العباسيين من الأمويين لِقَتْلَى الهاشميين[3] ، وكأنها مُوَلَّدةٌ منها ، مَصْنُوعةٌ على مِثَالِهَا ! فقد انفردَ ابن أبي الحديد بروايتها ، ولم يُحَدِّدْ مَصْدَرَهَا ، وليس في المصادرِ الأخرى ما يُساعدُ على تَعْيينِ أصْلِهَا ! !

---

(١) البيت لخالد الهذلي . (انظر ديوان الهذليين ١ : ١٥٧) .

(٢) النورة : الحناء .

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٥ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٠٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٨ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٩ ، ١٥٣ ، ١٦٤ .

ومما يَدُلُّ على ضَعْفِ تلك الأخبار ، ويَبْعَثُ على التحرُّز منها ، ويَدْعُو الى الارْتياب بها ، ويَحْمِلُ على الحُكْمِ بزَيْفِهَا ، ويَدْفَعُ إلى رَفْضِهَا أنَّ سليمان بن علي كان من خيار قَوْمِهِ[1] ديناً وفَضْلاً ، وتقوى وعَقْلاً ، وطُهْراً ونُبْلاً ، وكان سَمْحَ النَّفْسِ ، كريمِ الخُلُق ، مُحبًّا للْعَدْلِ ، كارهاً للظُّلم[2] ، والرّاجحُ المشهورُ أنه كان أرْحَمَ أهله ببني أمية ، وأنْصَفَهُمْ لهم ، وألْطَفَهُمْ بهم ، فأبقى على نُفُوسهم ، وصانَ أعْراضهم ، وحَفِظَ أموالَهم ، ووَفَّرَ عليهم حُقوقَهم ، فعاشوا في كَنَفِهِ مُطْمئنين وَادِعينَ ، قال البلاذري[3] : «كانَ سليمان حليماً رفيقاً ، لم يَعْرِضْ لمن كان بالبصرة من بني أمية ، فلم يَسْلَمُوا في بلدٍ سَلامَتَهُمْ بالبصرة» .

ولم يزل يراجعُ أبا العباس في أمْرِهِمْ ، ويُزيِّنُ له العَفْوَ عنهم ، حتى أخَذَ لهم منه ميثاقاً، وكَتَبَ لهم به كتاباً، قال ابنُ عبد ربه[4] : «كانَ أحَنَّهُمْ عليهم سليمانُ ابن علي ، وهو الذي كان يُسَمِّيه أبو مسلمٍ كَنَفَ الأمان ، وكان يجيرُ كلَّ من استجارَ به ، وكتبَ إلى أبي العباس : يا أميرَ المؤمنين ، إنا لم نحاربْ بني أمية على أرْحامهم ، وإنما حَارَبْنَاهُمْ على عُقُوقِهِمْ ، وقد دافَتْ إليَّ منهم دافَّةٌ[5] ، لم يَشْهَرَوا سلاحاً ، ولم يُكثِّروا جمعاً ، فأُحِبُّ أنْ تُكْتبَ لهم منْشُورَ أمانٍ. فكتبَ لهم منشورَ أمانٍ ، وأنْفَذَهُ إليهم. فماتَ سليمان بن علي ، وعنده بِضْعٌ وثمانون حُرْمَةً لبني أمية» . وقال ابن الأثير[6] : «كتبَ إلى السَفّاح : يا أميرَ المؤمنين ، إنه قد وَفَدَ وافدٌ من بني أمية

---

(١) البداية والنهاية ١٠ : ٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٢١١.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٢١٢.

(٣) انساب الأشراف ٣ : ٩١.

(٤) العقد الفريد ٤ : ٤٨٧.

(٥) دافت دافّة : قدمت جماعة.

(٦) الكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٢.

علينا، وإنا إنما قَتلناهم على عُقوقهم، لا على أرْحامهم، فإننا يَجْمَعُنا وإياهم عبدُ منافٍ، والرَّحِمُ تُبَلُّ[1] ولا تُقْتَلُ، وتُرْفَعُ ولا تُوضَعُ. فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يَهَبَهُمْ لي فَلْيَفْعَلْ، وإنْ فَعَلْ، فلْيَجْعَلْ كتاباً عاماً إلى البلدان، نشكرُ اللهَ تعالى على نِعَمِهِ علينا، وإحسانِهِ إلينا. فأجابه إلى ما سأل، فكان هذا أوَّلَ أمانِ بني أمية».

وضَرَبَ البلاذريُّ أمثلةً على بِرِّ سليمان بن علي ببني أمية ورعايته لهم، وعلى رِفْقِهِ ببعض أصْهارِهم وأنصارِهم، وعنايته بهم، وهي أمثلةٌ أخَذَهَا عن الإخْبارِيِّينَ الثِّقاتِ الأثْباتِ المُبَرَّئين من الهوَى، المُنَزَّهينَ عن العَصبيَّة، ورواها بِسَنَدٍ فَرْديٍّ حيناً، وبسَنَدٍ جماعي حيناً آخر، مما يكشفُ عن إطْباقِ الإخْبارِيِّينَ عليها، وتَصْويبِهم لها. قال يَذْكُرُ إنفاذَهُ لبعض أمْرِ أبي العباس له باسْتِصْفَاءِ أموالِ بني زياد بن أبي سفيان، تَسْكيناً لغَضبه، ومُداراةً له، حتى لا يُوَجِّهَ إليهم مَنْ يُصادِرُهم ويَسْتولي على جميع أموالهم، ويذكرُ أيضاً إنكارَهُ على أخيه عبد الله بن علي تَهْدِيدَهُ بقَتْلِهِمْ، وصدَّهُ له عن الإساءة إليهم، ورَدْعِهِ إياه عن ظُلْمهم، قالوا[2]: «كتبَ أبو العباس إلى سليمان بن علي في قَبْضِ أموال بني زياد بن أبي سفيان، فأرسل إلى مسلمة بن محارب بن سَلْم بن زياد وغيره: إنَّ أميرَ المؤمنين كتبَ إليَّ في قَبْضِ كل خضْراءَ وبَيْضَاءَ[3] لكم، فإني إنْ كتبتُ أني لم أجِدْ لكم خضراءَ ولا بيضاءَ، لم آمَنْ أنْ يأتيكم مَنْ يَقْبضُ ذلك، فإنْ أحْبَبْتُهمْ فَحُدُّوا لي من أموالكم شيئاً ظاهراً أقْطَعْ به عني قالَتَهُ وسوءَ ظَنِّه. فَحدُّوا له ثمانيَ مائةَ جريبٍ أظْهروهَا فقبضَهَا. ولما صارَ عبدُ الله بن علي إلى سليمان، رأى رجلاً على بَغْلٍ أو بِرْذَوْنٍ فارهٍ[4]، وله سَرْجٌ نظيفٌ،

(١) تُبَلُّ: تُوجِبُ وَصْلَ القريب، وإصلاحَ حاله، واحتمالَ عيْبِهِ، واغتفارَ ذَنْبه.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ٩١.

(٣) الخضراء: الأرض الطَّيِّبةُ الخَصْبَةُ. والبيضاء: الأرض المَلْساءُ الجَدْبَةُ.

(٤) الفاره: النشيط الحادُّ القوي.

وبِجامُهُ مُحَلًّى ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال له سليمان : هذا سلم بن حَرْب بن زياد ، فقال : أَوَقَدْ بقيَ من آل زيادٍ مثلُ هذا ؟ فقال سليمان : نعم ، لم أجِدْ إليهم سبيلاً ، مَنَعني منهم الحقُّ ، قال : أما واللهِ لئن بَقِيتُ لهم لأُبيدَنَّهُمْ ! فبلغ ذلك سلماً ، فهربَ عن البصرة ، فلم يَدْخُلْهَا حتى شُخِصَ بعبد الله عنها » .

وقال يصِفُ تأمينَهُ لعمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، ورأْفَتَهُ به ، وشَفَقَتَه عليه (١) : « حَدَّثني عمر بن شبة عن محمد بن عبيد بن عمر ، وأخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبة بن أبي سفيان : جاءت هذه الدولةُ ، وأنا حديث السِّنِّ ، مُنْتَشِرُ الأحوال ، فكنت لا أكون في قبيلةٍ إلاّ شُهِرَ أمري ، فلما رأيتُ ذلك عَزَمْتُ على أنْ أفديَ حُرَمي بنفسي ، قال : فأرسلَ إليَّ أن الْقَني على باب الأمير سليمان بن علي ، فانتهيتُ إليه فإذا عليه طيلسانٌ مُطْبِقٌ جديدٌ ، وسراويلُ وَشْيٍ مَسْدُولةٌ ، فقلتُ : يا سبحان الله ! ما تَصْنَعُ الحداثةُ ! أهذا لبْسُ هذا اليوم ! فقال : لا ، ولكنه ليس عندي ثوبٌ إلاّ وهو أشْهَرُ مما ترى ! قال : فأعطيتُهُ طيلساني ، وأخذتُ طيلسانَهُ ، وشَمَّرْتُ سَرَاويلَهُ إلى رُكْبتيه ، قال : فَدَخَلَ على سليمان ، ثم خرجَ مسروراً . فقلت له : حَدِّثني بما جرَى ، فقال : دخلتُ على أكرم الناس ، وأحْلَمِهِمْ وأنْبلِهِمْ ، فلما وصلتُ إليه ، ولم يَرني قَطُّ ، قلت : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لَفَظَتْني البلادُ إليك ، ودَلَّني فَضْلُكَ عليك ، فإما قَبِلْتَني غانماً أو رَدَدْتَني سالماً ! قال : ومَنْ أنت ؟ فانْتَسَبْتُ له ، فقال : مرحباً بك ، اقْعُدْ فتكلَّمْ آمناً ، ثم اقبل عليَّ ، فقال : حاجتُكَ يا ابن أخي ؟ قلت : إنَّ الحُرَمَ اللائي أنتَ أقربُ الناس إليهن معنا ، وأنت أوْلى الناس بهن بعدَنا ، وقد خِفْنَ لخَوْفِنَا ، ومَنْ خافَ خيفَ عليه ! قال : فبكى ، ثم قال : يا ابنَ أخي ، يَحْقِنُ اللهُ

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٩٢ ، والأغاني ٤ : ٣٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٢ .

دَمَكَ ، ويَحْفَظُكَ في حُرَمِكَ ، ويُوَفِّرُ عليكَ مَالُكَ ، ولو أمْكَنني ذلك في جميع أهْلِكَ لَفَعَلْتُ ، فَكُنْ متوارياً كظاهِرٍ ، وَلْتَأْتني رِقَاعُكَ في حَوَائِجِكَ وأُمُورِك . قال : فكنتُ واللهِ أكتبُ إليه كما يكتبُ الرجلُ إلى أبيه وعَمِّه . قال : فلما فرغ من حديثه رددتُ عليه طَيْلسانَهُ ، فقال : مَهْلاً ، فإنَّ ثيابنا إنْ فَارَقَتْنَا لم تَرْجعْ إلينا » .

وقال يُصَوِّرُ حَنانَهُ على حَفَدةِ يوسف بن عمر الثَّقفي ، ورَحْمَتهُ لهم ، وقدوردُوا البصرةَ هاربينَ مُسْتَترين ، فَوُشي بهم إليه [1] : « قالوا : وقدم الحكمُ ومحمدُ وعمر بنو الصلت بن يوسف بن عمر . البصرة ، فنزلوا في بني سَعْدٍ مُسْتَخفينَ ، فظهرَتْ لهم هيئةٌ في لِباسِهِم ومَطْعَمِهِمْ ، فَحَسَدهم بعضُ جيرانهم أصحاب الدّار التي نزلوها ، فَسَعَوْا بهم إلى سليمان بن عليّ ، فأرسل إليهم من أتاه بهم في سترٍ فقال : مَنْ أنتم ؟ فانْتَسَبُوا له ، فقال : يا بني أخي ، كَانَ ينبغي لكم إذا اخترتم هذه الناحية أنْ تستخفوا في الزُّطِّ والأندِغار [2] ، وإلاَّ ففي عبد القيس أبو بني راسبٍ ، ثم أطلَقَهُم » .

وتجلو تلك الأخبار اللَّبْسَ الذي يحيطُ بموقف سليمان بن عليّ من بني أميّة وأصْهارهم من ثقيفٍ بالبصرة ، فهي تنقضُ الرواياتِ الشيعيّةَ التي تَنْسِبُ إليه أنه قَتَلَهمْ ونكَّلَ بهم ، وتقطع بِبُطلانِها قَطْعاً ، وهي تُبَيِّنُ أنه بلغَ الغاية ، وقام على النهاية في الرِّفْقِ بهم ،والحنان عليهم ! وكان ذلك قَصْدَهُ وَوُكْدَهُ في سياسَتِهِ لأهل البصرة جميعاً ، فقد سَوَّى بينهم على اختلافِ أهوائهم ، وتباين مذاهبهم ، واهتمَّ بأمورِهم ، وأصلحَ أحوالَهُم ، فاستَخْرَجَ لهم الماءَ، واحتَفَرَ الأَحْواضَ ، وشيَّدَ المنائرَ ، وبنى

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٩٢.

(٢) قال البلاذري : «أما السَّيابجة والزُّطُّ والأندغار فإنهم كانوا في جُنْد الفُرْسِ ممن سَبَوْهُ وفَرَضُوا له من أهل السند» . (انظر فتوح البلدان ص : ٣٧٥ ، والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ص : ٨٣— ٨٦) .

المساجدَ،[1] وتصدَّقَ على فُقرائِهم، وأغنى المُحتاجين منهم، وحمل الدِّياتِ عنهم[2] وأعتَقَ خَلْقاً كثيراً من الموالي، كان يُعْتِقُ في كلِّ عشيَّةٍ عَرَفَة مائةَ نسمةٍ، فهم مُتَفَرِّقُونَ بالبصرة، وكانوا يُشْتَرَوْنَ له في سائرِ السَّنة، فإذا كان ذلك اليوم أعْتَقَهُم[3].

وعَمَّ خَيَرُهُ أهْلَ المدينة، إذ يقال: إنه أنفَقَ في المَوْسِمِ في صِلاتِ قُرَيش والأنصار وسائر الناس في الصَّدقات خمسةَ آلافِ ألف درهم[4]، ويقال: ألف ألف درهم. وأكرَمَ عبد الله بن الحسن، قال البلاذري[5]: كتبَ عبدُ الله بن حسن بن حسن ابن علي إلى سليمان يَسْتَميحُهُ، فأرسلَ إليه بألفِ دينارٍ، وأمرَ كاتِبَهُ غسان بن عبد الحميد أنْ يكتبَ إليه فيُعلِمَهُ أنَّ البُقيَا عليه وعلى نَفْسِهِ مَنَعَتْهُ من أنْ يزيدَه».

وامتَدَحَهُ شعراءُ البصرة، فأثْنَوا على سياسَتِهِ العادلةِ، وأشادُوا بسيرتِهِ الحَسَنَةِ، ونَوَّهُوا بِفَضْلِهِ على أهلِ البصرةِ وغيرهم، وذكروا آثارَهُ الجميلةَ فيهم[6]. وتُوَثِّقُ هذه الأشعارُ الأخبارَ التي رواها البلاذري، فهي ترسمُ له شخصيّةً واحدةً سَوِيَّةً، تَتَعَلَّقُ بالمَثَلِ الأعلى في الحُكمِ، وتحاربُ الجَوْرَ والظُّلْمَ وتَسعَى في تحقيقِ الخَيرِ للناس.

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٩٠.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٩٣، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٨.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٩٣، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٨.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ٩٣، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٨.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ٩٠.

(٦) أنساب الأشراف ٣ : ٩٠، ٩٣، ٩٤، وديوان رؤبة بن العجاج ص: ١٢١، ١٣٣.

(٨) قتْلُ أنْصار الأُمويِّينَ بالمَوْصِلِ

وَوَلَّى أبو العباس أخاه يحيى بن محمدٍ على المَوْصِلِ، سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة، «فجرَّدَ في أهلها السيفَ، وهَدَمَ حائطاً كان عليها[١]». ويقال[٢]: إنه قتل منهم أحدَ عشر ألفاً، ويقال[٣]: ثمانية عشر ألفاً، ويقال[٤]: ثلاثين ألفاً.

واختُلِفَ في سبب قَتْلِهِ لهم، فيقال[٥]: كان سببُ ذلك أنَّ امرأةً غَسَلَتْ رأسها على سَطْحٍ لها، فأرَاقَتْ غُسَالتَهَا في الشارع، فوقَعَتْ على رأس بعض الخراسانية، فظَنَّ أنها فَعَلَتْ ذلك مُتعمِّدةً، فهاجَمَ الدارَ، فقتَلَ أهلَهَا، فنفَرَ الناسُ، واجتمعوا عليه فقتلوه، ثم ثارت الفتنةُ، وجرَّت إلى تلك المجزرة الرهيبة!

ويبدو أنه قتَلَهُمْ لسببٍ سياسيٍ، وهو مَيْلُهُمْ إلى بني أمية، وكَرَاهِيَتُهُمْ لبني العباس[٦]، ذكر ذلك الأزدي، ورَجَّحَهُ، وهو حُجَّةٌ في تاريخ الموصل. وقد

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٢٨١.

(٢) تاريخ الموصل ص: ١٤٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٧.

(٤) تاريخ الموصل ص: ١٥٢.

(٥) تاريخ الموصل ص: ١٤٥، ١٥٠، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٤.

(٦) تاريخ الموصل ص: ١٤٥، ١٥٠، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٤.

أعْرَبَ أهل الموصل عن مُعارَضَتِهِم لبني العباس ومُنَاهَضَتِهم لهم بِرَفْضِهِم للعامل الذي عَيَّنَهُ أبو العباس عليهم ، وهو محمد بن صُول مَوْلى خَثْعَمٍ ، وادَّعَوْا أنهم امْتَنَعُوا مِنْ طَاعَتِهِ لأنه مَوْلى، وأنهم يريدون أنْ يولّى عليهم رَجُلٌ من صميمِ العرب[1]. ومما يُقَوِّي ذلك أن اليعقوبي رَوَى أنَّ مَنْ قَتلَهُمْ كانوا من صَليبِ العَرب ، ثم قتَلَ عَبيدهم ومواليهم حتى أفناهم ، فجَرَتْ دماؤُهم ، فغيَّرَتْ ماءَ دِجْلة[2]. وروى اليعقوبيُّ أيضاً أنهم وثَبُوا على محمد بن صول ، فانْتَهبوهُ ، وأخْرَجُوه عنهم[3] ، فأقام بطَرَفِ المدينة ، وجعل يَقْتُلُ وُجُوهَهم ويُلْقيهم في دجلة[4] ، حتى قدم يحيى بن محمد عليه ، فمكَرَ بهم ، ثم قتلهم ، ووصف الأزديُّ غَدْرَهُ بهم ، وسَاقَهُ من طُرُقٍ مُخْتَلِفةٍ[5] ، وقد جاء في إحداها أنه «أقامَ شهراً لا يُظْهِرُ لأهلِ الموصل شيئاً يُنْكرونَهُ ، ولا يَعْتِبُ عليهم فيما فعلوه ، ثم دعاهُمْ دعوةً ، فقتل منهم اثني عشر رجلاً ، فنفر أهل الموصل ، وخرجوا بالسلاح ، فأعطاهم الأمان ، ونادَى مُناديهِ من دَخَلَ المسجد الجامعَ فهو آمنٌ بأمان الله وأمان رسوله ، فأتى الناسُ المسجد يُهْرَعُون ، فأقام الرِّجالَ على أبواب المسجد ، فقتَل الناسَ قَتْلاً ذريعاً أسْرَفَ فيه[6] » ، فسَمَّاهُ أهلُ الموصل : الحَتْفَ[7] . وبلغَ أبا العباس ما صنَع بهم ، فعزله عنهم ، وولّى عليهم عمه إسماعيل بن علي ، وأوصاه أن يرفق بهم ويتألّفهم ، فردَّ عليهم المَظَالم ، وأعطاهم دِياتِ قَتْلاهم[8] .

---

(١) تاريخ الموصل ص : ١٤٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٧ ، وانظر تاريخ الموصل ص : ١٤٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٤ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٧ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ٢٨١ .

(٥) تاريخ الموصل ص : ١٤٦ — ١٥٣ .

(٦) تاريخ الموصل ص : ١٤٦ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ٢٨١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٤ .

(٧) أنساب الاشراف ٣ : ٢٨١ . (٨) تاريخ الموصل ص : ١٥٦ .

(٩) قَتْلُ الأُمويِّينَ بمكَّةَ والمدينةِ

وقَلَّدَ أبو العباس عَمَّهُ داودَ بن عليٍّ المدينةَ ومكةَ والطائفَ واليمامةَ واليمنَ، سنة اثنتينِ وثلاثين ومائة. فلما وردَ مكة أَمَّنَ بني أميَّةَ، وعَفَا عمَّا سَلَفَ منهم، قال اليعقوبيُّ[١]: «قدم داودُ فخطبَ خطبةً له مشهورةً، ذكَّرهم فيها ما فَضَّلَهُمُ الله به، فظَلَّمَ مَنْ ظَلَمَهُمْ، ثم قال: إنما كانت لنا فيكم تَبِعاتٌ وطَلِباتٌ، وقد تَرَكْنَا ذلك كُلَّهُ، وانتم آمِنُونَ بأمانِ الله، أحمرُكم وأسوَدُكم[٢]، وصغيرُكم وكبيرُكم، وقد غَفَرْنَا التَّبعاتِ، وَوَهَبْنَا الظُّلامات، فلا وربِّ هذه البِنْيَةِ لا نهيج أحداً».

ثم سار إلى المدينة، ومعه كثيرٌ من الهاشميين والأمويين، فلما كان ببعض الطريق عُمِلَ له مجلسٌ، فجلسَ عليه هو والهاشميون، وجلسَ الأمويون تَحْتَهُمْ[٣]. فأنشده ابراهيمُ بن هَرْمَةَ القرشيُّ قصيدةً هَنَّأَهُ فيها بقيامِ دولة بني العباس، وأعْلَنَ فَرْحَتَهُ بانتصارهم، وإخلاصَهُ لهم، وذمَّ بني أمية، وجَرَّمهم، وصَرَّحَ بحَنَقِهِ عليهم، وشَماتَتِهِ بزَوالِ دَوْلَتهم، إذْ يقول فيها[٤]:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥١، وانظر أنساب الأشراف ٣: ٨٧.

(٢) الأحمر: العجمي، والأسود: العربي.

(٣) الأغاني ٤: ٣٤٧، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٤٠.

(٤) الأغاني ٤: ٣٤٧، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٤٠، وديوانه ص: ١٠٦.

فلا عَفا اللهُ عن مَرْوانَ مَظْلَمةً ولا أميَّةَ بِئْسَ المجلسُ النَّادي
كانوا كعادٍ فأمسى اللهُ أهْلَكَهُمْ بمِثْلِ ما أهْلَكَ الغَاوينَ مِنْ عَادِ
فلَنْ يُكَذِّبَني مِنْ هاشمٍ أحَدٌ فيما أقولُ ولو أكثرتُ تَعْدادي

فلم يَلْبثْ أنْ تحامَاهم وجفَاهم ، ثم نكثَ عَهْدَهُ لهم ، وضَربَ أعْناقَهُمْ ، قال البلاذري[1] : «لمّا بلغ داود قَتْلُ ابن هُبَيْرَةَ ، وقَتْلُ مَرْوانَ ، وهو بالحجاز ، الْتَقَطَ قوْماً من بني أمية فقتَلَهُمْ» . وقال اليعقوبي[2] : «لَمَّا انْقَضَى المَوْسِمُ وَجَّهَ داودُ الى قوم كانوا بمكة من بني أمية ، فقتلَ جماعةً منهم ، وأوْثق جماعةً منهم في الحديد ، ووَجَّههُم الى الطائف ، فَقُتِلُوا هنالك ، وحَبسَ خَلْقاً من الخَلْقِ ، فماتوا في حَبْسِهِ ، وصار الى المدينة ، ففعلَ مِثْلَ ذلك» .و ورَوَى سائرُ المؤرخين أنه أخذَ بني أمية بمكة والمدينة ، وقتَلهُمْ[3] .

ويقال : إنَّ عبد الله بن الحسن نَهاهُ عن قَتْلِ مَنْ نجا منهم بالمدينة ، وأشار عليه أنْ يَحْقِنَ دماءَهم ، ويتشفَّى بقُعُودِهم نَادِمينَ مَحْسُورينَ ، ومَلُومينَ مَدْحُورين ، فأبَى إلاّ أنْ يَستَأْصلهم ، قال الأزدي[4] : «جَمعَ مَنْ بقيَ بالمدينة من بني أمية ليَقْتُلَهُمْ ، فقال له عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي : يا أخي ، إذا قَتَلْتَ هؤلاء ، بمَنْ تُبَاهي؟ أمَا يكفيكَ أنْ يَرَوْكَ غادياً ورائحاً فيما يَسرُّكَ ويَسُوؤهُمْ ، فلم يَقْبَلْ منه ، وقتَلهُمْ» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٨ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٧.

(٤) تاريخ الموصل ص : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٨ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٦.

وفي بعض الروايات الشيِّعية أنَّ داودَ بن عليٍ قَتَلَ بمكة والمدينة نَحْواً من ثمانين رجلاً من بني أمية ، وأنه مَثَّلَ بهم تَمْثيلاً قبيحاً ، قال ابن ابي الحديد[1] : «كان عبد الله قَتَلَ من بني أمية على نهر أبي فُطْرسٍ من بلاد فلسطين قريباً من ثمانين رجلاً ، قتَلَهُمْ مُثْلةً ، واحتَذَى أخوه داودُ بن علي بالحجاز فِعْلَهُ ، فقتلَ منهم قريباً من هذه العِدَّةِ بأنواع المُثَلِ» ، وقال[2] : «كان داود بن علي يُمثِّلُ ببني أمية ، يَسْمُلُ العيون ، ويبْقرُ البُطُون ، ويَجْدَعُ الأُنوفَ ، ويَصْطَلِمُ الآذانَ» !

وليس ذلك بِثَبْتٍ ، وكأنه من توْليدِ ابن أبي الحديدِ وافْتِعاله ، فإِنَّ المؤرخين الذين حَمَلُوا خبرَ سَفْكِ داود بن علي لدماءِ بني أمية ، لم يذكروا عَدَدَ مَنْ قَتَلَ منهم ، ولم يُشيروا إلى أنه مَثَّلَ بهم !!

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٦.

(١٠) ملاحظاتٌ وتعقيباتٌ

واتّهم الدكتور فاروقُ عمر هذه السيول من أخبار مصارعِ الأمويين ، لما لاحظَهُ من اختلافِ المؤرخين فيها ، وإسقاطِ بعضهم لطائفةٍ منها ، وتَغافُلهم عنها ، ولما رآه من اضْطرابٍ في أحْداثها ، وتَداخُلٍ في مَشاهِدِها ، وتَهْويلٍ في وقائعها.

وذهبَ إلى أنَّ ذلك نَجَمَ عن تَطابقِ بعض ألْقابِ العباسيين ، وتَماثُل بعض أسماء الأمويين وكُناهم ، فقد كان أبو العباس يُلَقَّبُ بالسَّفاح ، وكان عمُّه عبدالله بن علي يُلَقَّبُ بالسَّفاح ، وكان ليزيد بن عبد الملك ابنٌ يقال له : الغَمْر ، وكان سليمان ابن هشام بن عبد الملك يُكَنَّى بأبي الغَمْر ، فأدّى التَّشابُهُ بين الألقاب والأسماء والكُنَى إلى شيءٍ من الاضطراب والتَّداخل [١] .

وذَهَبَ إلى أنَّ ذلك نَشأَ ايضاً عن تَضْخيمِ الرواة لمقاتل الأمويين ، وتَحْريفهم لها ، وزيادتهم عليها ، وإقْحَامِهم فيها ما ليس منها ، فإنَّ رواة الشيعة أرادُوا أنْ يُصَوِّروا بها انْتِصافَ العباسيين لأنفسهم ولِلْعَلويِّين من الأمويين ، قبل أنْ يَرْتَابَ العباسيون بأبناء عُمُومتهم من العَلويِّينَ ويُوجسُوا منهم خيفةً ، فلما نَازَعُوهم في الخلافة ، وغَالَبُوهم عليها ، وبَطَشَ العباسيون بهم ، أرادَ رواةُ الشيعة أنْ يَطْعنوا في

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ١٢٩.

العباسيين ، ويُظْهروا تَعَسُّفَهم وعُدْوَانهم على العَلويِّين ، فعَمِلوا هم ورواةُ الأمويين على تَهْوِيل مَصارعِ الأمويين ، فأفْضَى التَّوْليدُ والدَّسُّ إلى كثيرٍ من الخَطأ واللَّبْسِ [1] .

وما من شَكٍّ في أنَّ بعضَ الرواةِ على تَبايُنِ أهوائهم ومذاهبهم ، وتَعارُضِ غاياتِهمْ وأهْدَافهم قد بَالَغُوا في وَصْفِ تَعَقُّبِ العبَّاسيين للأمويين ، وتَنْكيلهم بهم ، وأسْرفوا في تَصْويرِ انتقامهم منهم ، ومَحْقِهم لهم ، تأييداً للعباسيين حيناً ، وتَنْديداً بهم حيناً آخر ، وفرحاً بفعْلهم مرَّةً ، وتَشْنيعاً عليهم مرَّةً ثانيةً ، فمدُّوا في أبعاد بعضِ الأخبار ، وتَزيَّدوا فيها ، وَوَضعوا بعضَ الأخبار ، وروَّجوها ، وخَلَطُوا بين السَّقيم والسَّليم من الأخبار خَلْطاً شديداً .

وعلى الرغم مما يَظْهَرُ في تلك الأخبار مِنْ تمازجٍ وتَداخُلٍ ، ومن تَكَثُّرٍ وافتعالٍ ، ومن فسادٍ وخَللٍ ، ومن غُموضٍ وإبهامٍ ، فليس من الصّعْبِ تَمْحيصُهَا ، وتَخْليصُ الصَّحيح من المصنوع منها !

وقد بَدَا ، بعدَ جَمْعِها وعَرْضِهَا ونَقْدِها ، أَنَّ ما فيها من تَحْريفٍ وتَزْييفٍ يَفْشُو فُشُوًّا واسعاً في خَبَرِ قَتْلِ أبي العباس لسليمان بن هشام بن عبد الملك بالكوفة ، وفي خَبرِقَتْلِ عبد الله بن علي لبني أمية على نَهْرِ أبي فُطْرسٍ بفلسطين . وقد أمْكنَ الفَصْلُ بين الخَبَرَيْن ، وتَمْييزُ أحدِهما من الآخر ، وتَصْحيحُهُ وتَدْقيقُه .

وبدا ، بعدَ جَمعها وعَرْضها ونَقْدها ، أنَّ رواةَ الشيعة ومُؤَرِّخيهم وعُلماءَهُم هُمُ الذين اسْتَرْسَلُوا في التَّهْويل لها ، واسْتَكْثَرُوا مِن الافْتِعالِ فيها ، وهم الذين نَقَلُوا المُتَضَاربَ المُتَناقِضَ منها . أمَّا الرُّواة والمؤرخون المَعْروفونَ بمَيْلهم إلى بني أمية أو

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ١٢١— ١٢٣ .

إلى بني العباس فلم يَعبَثُوا بها عَبَثَ رُواةِ الشيعة ومُؤَرِّخيهم وعلمائهم بها ، فإنَّ أثرهم فيها ضَعيفٌ لا يكادُ يُتبيَّنُ ! !

وبدا ، بعدَ جَمْعها وعَرْضها ونَقْدها ، أنَّ العباسيين تَتَبَّعُوا بني أميَّة ، فقتَلُوا رجالهم ، واستأصَلُوا المَشْهُورينَ منهم ، وطَلبوا مَن استَخْفَوا منهم ، حتى ظفروا بهم ، فمزَّقُوهم تمْزيقاً ، ومَثَّلوا بهم تَمْثيلاً[1] ، وضَيَّقُوا على المَغْمُورينَ منهم ، واستَذَلُّوهم . وكان ذلك دأْبهُمْ ودَيْدَنَهُمْ في الأمصار المُخْتَلِفة ، إلاَّ البصرةَ ، فإنَّ سليمان بن عليٍ لم يَقْتُلْ مَنْ كان بها من بني أمية ، ولم يَغْدُرْ بمن أتاهُ منهم مُستأْمِناً ، ولم يَفْتِكْ بمَنْ سُعِيَ به إليه من أنْصارهم ، بل حَقَنَ دماءَهُم ، واستَبْقاهم ، وبرَّهُمْ وأكْرَمهم ، وحَزِنَ لِسُوءِ أحْوالِ إخوانهم في الأمْصَارِ الأخرى ، وجَزِعَ لما أصَابَهُمْ فيها من خَوْف وذُعْر ، وأنكَرَ ما نَالَهُمْ فيها مِنْ قَتْلٍ ومُصادرةٍ ، ووَدَّ لو يكونُ إليه أمرُهم ، فيَرْفَعُ الظُّلْمَ عَمَّن نَجا منهم !

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٣ : ١٠٩.

(١١) مَصَارعُ الأُمويِّينَ في شِعْرِ المُخَضْرَمين

وفي شعر الشعراءِ من مُخَضْرَمي الدَّوْلتين قصائد ومُقَطَّعاتٌ تُدلُّ على سَفْكِ العباسيين لدماءِ الأُمويِّينَ، وإبادَتِهم لهم.

وعبدُ الله بن عمر العَبْليُّ العَبْشَميُّ المدَنيُّ هو أكبرُ شاعرٍ تفجَّعَ على قَوْمِهِ من بني أميَّة، وقصيدته السِّينيةُ هي أجودُ ما قاله في رثائهم. وهو يَسْتَهِلُّها بتصوير ما انتابهُ مِنْ ألَمٍ وهَمٍّ، وما حَلَّ به مِنْ هَوانٍ وضَيْمٍ، بعد زَوَال دَوْلتهم. ثم يَمْضي يُعَدِّدُ هزائمهم ومَذابحهم بالزَّاب، ونهر أبي فُطْرسٍ، ومكة، والمدينة، والطائف، ويذكر أنَّ العباسيين لم يرْحَمُوا صُلحاءَهُم وأهلَ الخَيرِ والفَضْلِ منهم، بل ضَربوا أعْناقَهم جميعاً، ودَفَنُوا بعضَهم، وتركوا أكثرهم على الطرقِ، فأكَلتْهُمْ سِباعُ الأرض، وهام بَعْضُهم على وَجْهِهِ، فلم يُعثَرْ له على أثرٍ، ولم يَسْلَمْ إلاّ نساؤُهم وأطفالُهم، وقليلٌ منْ رجالهم، فعاشُوا في مأْتمٍ دائمٍ، وحُزْنٍ مقيمٍ، وذُلٍّ لا يَنْتَهي، وعذابٍ لا يَنْقَضي، يقول[1]:

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها ص: ٤٩٨، وانظر القصيدة في التعازي والمراثي ص: ١٦٠، وتاريخ الموصل ص: ١٤١، والأغاني ٤: ٣٣٩، ١١: ٢٩٨، ومعجم البلدان: اللّابتان، ونهر أبي فطرس، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٢٣.

وأثبتُ رواية الزبير بن بكار للقصيدة، فهي أقدمُ رواياتها وأعْلَاهَا وأجْودَهَا. وأثبتُ أيضاً شرح الأستاذ محمود محمد شاكر لها.

تَـقُـولُ أمـامَـةُ لَـمَّـا رَأَتْ ... نُشُوزي عَنِ المَنْزِلِ المُنْفِسِ (١)
وقِـلَّـةَ نَـوْمِي على مَضْجَـعي ... لَـدَى هَـجْـعَـةِ الأَعْيُنِ النُّعَّسِ (٢)
أبي ما عَـرَاكَ؟ فَقُلْتُ: الهُمُومُ ... عَـرَيْـنَ أبـاكِ فَلَا تُبْـلِسي (٣)
عَـرَيْـنَ أبـاكِ فـحَـبَّسْـنَـهُ ... مِنَ الطَّرْدِ في شَرِّ ما مَحْبِسِ (٤)
لِـفَـقْـدِ الـعَشيرةِ إذْ نَـالَـهَـا ... سِهَـامٌ مِـنَ الـحَـدَثِ المُؤْيِسِ (٥)
رَمَـتْـهَـا الـمَـنُـونُ بلا نُصَّـلٍ ... ولا طَـائشـاتٍ ولا نُـكَّـسِ (٦)
بأَسْهُـمِـهَـا الـخَـالِسَاتِ النُّفوسَ ... مَتى ما تُصِبْ مُهْجَةً تَخْلِسِ (٧)
فَصَـرْعَـاهُـمُ في نَـواحي الـبلادِ ... تُـلْـقَى بأرْضٍ ولَـمْ تُـرْسَسِ (٨)
تَـقِـيٌّ أُصِـيـبَ وأثْـوَابُـهُ ... مِـنَ الـعَـارِ والـعَـيْـبِ لَـمْ تَـدْنَسِ
وآخَـرُ قَـدْ رُسَّ في حُـفْـرةٍ ... وآخَـرُ طَـارَ فَـلَـمْ يُـحْسَسِ
فكَـمْ تـركُـوا مِـنْ بواكـي العُيو ... نِ حَـرْبَـى ومِـنْ صِبْيَةٍ بُؤَّسِ (٩)

---

(١) نَشَزَ عن الشيء نشوزاً: ارتفعَ عنه وكَرِهَ المقام فيه. والمُنْفس: كل شيءٍ له قَدْرٌ وخَطَرٌ.

(٢) لَدَى: بمعنى عند، وهي هنا ظرفٌ للزمن لا للمكان، ولم يذكره أحد في «لدَى»، وذكروه في «لَدُن». وهجع هجوعاً: نام ليلاً.

(٣) عراهُ يعريه، وعراه يعروه: غَشِيَهُ وألمَّ به. وأبْلَسَ يُبْلسُ: تحيَّر وسكتَ وانكسرَ من الحزن أو الخوف والغم.

(٤) ما في «شَرِّما» زائدة.

(٥) المؤيس: من أيسْتُ من الشيء، بمعنى يَئِسْت.

(٦) نُصَّل: جمع ناصل، وهو السهم الذي سقط نَصْلُهُ، فلا يفعل شيئاً، وطائشات: قد عَدَلَتْ عن الهدف، ولم تقصد الرَّمية. ونكسَ: جمع ناكس. وهذا لم تذكره كتب اللغة في معنى السهام، وإنما قالوا: نكس (بكسر فسكون) وجمعه أنكاس، وهو السهم الذي ينكس أو ينكسر فُوقُهُ، فيجعل أعلاه أسفَلَهُ، فلا يرجع كما كان، ولا يكون فيه خير، وهو أضعف السهام.

(٧) خلس الشيء يخلسه خَلْساً: استَلَبَهُ في نُهْزةٍ ومُخَاتَلةٍ وحذقٍ.

(٨) رُسَّ الميت: قُبِرَ ودُفِنَ.

(٩) حَرْبَى: جمع حريب، وهو الذي سُلِبَ ماله الذي يعيش به.

إذَا مـا ذَكَـرْتُـهُـمُ لم تَـنَـمْ صِبَاحُ الوُجُوهِ ولم تَجْلسِ[1]
يُـرَجِّـعْنَ مِـثْلَ بُكَاءِ الحَمَا مِ في مَأْتَمٍ قُلَلِ المَجْلِسِ[2]
فـذَاكَ الـذي غـالني فـاصْمُتي ولا تَسَـلـيني وتَسْـتَـنْـحسي[3]
وفي ذاك أشيـاءُ قـدْ ضِـفْـنَني ولَسْتُ لهنَّ بـمُـسْـتَـخْـلِسِ[4]
أفـاضَ المدامعَ قَـتْـلَى كُدًى وقَـتْـلَى بـكُـثْـوَةَ لم تُـرْمَسِ[5]
وقَـتْـلَى بوجٍّ وبـاللاّبَـتَـيْـنِ مِنْ يَثْرِبٍ خَيْرُ ما أنْفُسِ[6]
وبـالـزَّابِـيَـيْـنِ نـفُـوسٌ ثَوَتْ وقَـتْـلَى بـنَـهْـرِ أبي فُطْرُسِ[7]
أولـــئك قَـوْمي أذَاعَتْ بهِمْ حوادِثُ مِنْ زَمَنٍ مُـتْـعِسِ[8]
إذا رَكِـبُـوا زَيَّـنـوا الـمَـوْكِـبَـيْـنِ وإنْ جَلَسُوا الزَّيْنُ في المَجْلسِ[9]

---

(١) الصِّباح : جمع صَبْحاء ، منَ الصُّبحَة والصَّبح ، وهو سوادٌ الى الحمرة.

(٢) الترجيع : تَرْديدُ الصوت . والمأتم : جماعة النساء في الغم والفرح ، ثم خُصَّ به اجتماعُ النساء للموت والنياحة. وقُلَلٌ : جمع قليل : يعني أنهى وُقوفٌ لا يَكَدْنَ يَجْلِسْنَ من فَرْطِ حزنهنَّ وتَلَدُّدهن.

(٣) استُنْحَسَ الأخبار : تَجَسَّسهَا وطلبهَا وتَتَبَّعها بالاستخبار سراً وعلانيةً.

(٥) ضافه الهم : نزل به. واستَخْلَسَ الأمر : لَزِمَهُ ولم يفارقه.

(٥) كُدًى : موضع بأسفل مكة. كثوة : اسم مَوْضع لم يُحدّده أحد. ورُمِسَ الميت : دُفِنَ في الرمس ، وهو القبر.

(٦) البيت زيادة من الأغاني ٤ : ٣٣٩ ، ١١ : ٢٩٩ ، ومعجم البلدان : اللابتان ، ونهر أبي فطرس ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٣.

وج : هي الطائف. واللاّبتان : يعني لاَبَتَي المدينة ، وهما الحَرَّتان اللتان تكتنفانها.

(٧) الزابيان : تثنية زاب ، وهو اسم نهر له روافد ، فالزاب الأعلى بين الموصل وإربل ، والزّابُ الأسفل بين واسط وبغداد . وبزاب الموصل كانت هزيمة مروان بن محمد. وثوت : هلكت فطال مقامها في قبورها.

(٨) أذاعت بهم : من قولهم : أذاع بالشيء : ذهب به وبدّده وطمس معالمه.

(٩) زيادة من الأغاني ٤ : ٣٣٩ ، ومعجم البلدان : نهر أبي فطرس ، وشرح نهج البلاغة ٧ :١٢٤.

أذَلَّتْ جِبالي لِمَنْ رَامَهَا وأنْزَلَتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ[1]
فما أنسَ لا أنْسَ قَتْلاهُمْ ولا عاشَ بَعْدَهُمُ مَنْ نَسي[2]

وله قصيدةٌ فائيةٌ في رثائهم ، روى ياقوتٌ الحمويُّ أبياتاً منها ، وهو يُرجِّعُ فيها مَواجِدَهُ ومَوَاجِعَهُ لما نَزَلَ بقومِه من هَلاكٍ بالزَّابِ الأعْلَى ، ونهر أبي فُطْرسٍ ، يقول[3] :

أبْكي على فِتْيَةٍ رُزِئْتُهُم ما إنْ لهمْ في الرِجَالِ مِنْ خَلَفِ
نهرُ أبي فُطْرُسٍ مَحَلُّهُمُ وَصَبَّحُوا الزَّابِيَيْنِ للتَّلَفِ
أشكو إلى الله ما بليتُ به مِنْ فَقْدِ تلكَ الوُجُوهِ والشَّرَفِ

ومِمَّن رَثَاهُمْ أبو سعيدٍ مولى فائد ، وهو من مَواليهم وشُعرائهم ، وقد أطال التَّحسُّرَ على دولتهم وأيامهم ، ومن شعره بعد زَوالِ أمْرِهم قوْلُهُ يَصِفُ آلامه ودُمُوعه على مَنْ قُتِلَ منهم بمكة[4] :

بكَيتُ وماذا يَرُدُّ البُكاءُ وقَلَّ البكاءُ لِقَتْلى كَداءْ
أُصيبُوا معاً فتَوَلَّوْا معاً كذلك كانوا معاً في رَخاءْ
بكَتْ لهُم الأرضُ مِنْ بعدهم وناحَتْ عليهم نُجُومُ السماءْ
وكانُوا الضِّياءَ فلما انْقَضَى الزَّمانُ بِقَوْمي تَوَلَّى الضياءْ

---

(١) الرَّغْم : التراب . والمعطس : الأنف . وأنزلت الرغم بالمعطس : أذلتني وأهانتني .

(٢) زيادة من الأغاني ١١ : ٢٩٩ ، ومعجم البلدان : اللابتان ، ونهر أبي فطرس .

(٣) معجم لالبلدان : نهر أبي فطرس .

(٤) الأغاني ٤ : ٣٥٢ ، ومعجم البلدان : كَداء ، وشرح البلاغة ٧ : ١٤٥ .

وقَوْلُهُ يذكُرُ كَثْرةَ مَنْ صُرِعَ منهم[١] :

أثَّـرَ الـدَّهْـرُ في رِجَالي فـقـلُّوا بَعْدَ جَمْعٍ فراحَ عَظْمي مَهيضَا
مـا تَـذكَّرْتُـهُـمْ فـتَمْلِكُ عَيْني فَيْضَ دَمْعٍ وحقَّ لي أنْ تَفيضَا

وقوله يَأْسَى على أخْذِ العباسيين لهم وَحْدَهم ، ولَجاجَتِهم في استِئْصالهم[٢] :

أولـئك قَوْمي بعـدَ عِزٍّ ومَنْعَةٍ تفـانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العَيْنُ أُكْمَدِ
كـأنهم لا نَـاسَ لِلْمَوْتِ غَيْرُهم وإنْ كان فيهم مُنْصِفاً غَيْرَ مُعْتَدي

ومِمَّن رَثاهم حَفْصٌ الأُمويُّ ، وهو من مَواليهم وشُعرائهم ، فهو يقول باكياً على ذهابِ مُلْكِهم ، وفَناء سَادتهم ، مُسْتَفْظِعاً إمْعانَ العباسيينَ في قَتْلهم ، وتَمادِيَهم في صَلْبهم ، وإسْرافهم في إبادتهم ، ومُحَذِّراً لهم عاقبةَ الإفْراطِ في اجْتثاثهم[٣] :

أَيْنَ رَوْقا عَبْدِ شَمْسٍ أيْنَ هُمْ؟ أينَ أهلُ الباعِ منهمْ والحَسَبْ؟
لم تـكُنْ أيْـدٍ لهم عـنـدكُـمُ ما فَعَلْتُمْ آلَ عبدِ المُطَّلبْ؟
أيُّـهـا الـسـائـلُ عنهـمْ أُولُو جُـثَثٍ تَـلْـمَـعُ فَوْقَ الخشبْ!
إنْ تَـجُذُّوا الأصْلَ منهم سَفَهاً يا لقَوْمٍ للزَّمانِ المُنْقَلِبْ!
فاحْلبُوا ما شِئتُم في صَحْنِكُمْ فَسَتُسْقَوْنَ صَرَى ذاكَ الحَلَبْ[٤]

ومِمَّنْ رَثاهُمْ أبو العباس الأعْمَى ، وكان من شُعرائهم ومُدَّاحهم . وفيهم يقولُ

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٥٢ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٥ .

(٢) الأغاني ٤ : ٣٥٣ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٨ : ١٠١ .

(٤) الصرى : اللبن الفاسد.

جازعاً لانْهيارِ دَوْلتهم، ومُلْتاعاً لموْتِ رجالهم، ومُتَوجِّعاً لِمَا ألَمَّ بنسائهم وبناتهم من تَشرُّدٍ وبُؤْسٍ[1]:

آمَتْ نساءُ بني أميةَ منهمُ وبناتُهُمْ بمَضيعةٍ أيْتَامُ[2]
نامَتْ جُدُودُهُم وأسْقِطَ نَجْمُهُمْ والنجمُ يَسْقُطُ والجُدُودُ تَنَامُ[3]
خَلَتِ المنابرُ والأسِرَّةُ منهمُ فعليهمُ حتَّى المماتِ سَلَامُ

ومِمَّنْ رَثَاهُمْ ابنُ مَيَّادةَ المُرِيُّ، وكان أثيراً عندهم، معروفاً بمُوالاتهم. وهو يقول ناعياً على العباسيين عَسَفَهُمْ بالأمويين، وداعياً لهم أنْ يَكُفُّوا عن أخْذِهم وقَتْلِهم، فهم منهم وإليهم، وحَسْبُهُمْ ما ألْحَقُوا بهم من دَمارٍ، وما صَبُّوا عليهم عذابٍ[4]:

حَذَوْتُمْ قَوْمَكُمْ ما قد حَذَوْتُمْ كما يُحْذَى المثالُ على المِثَالِ
فرُدُّوا في جِرَاحِكُمُ أسَاكُمْ فقد أبْلَغْتُمُ مُرَّ النَّكالِ[5]

ومِمَّنْ رَثَاهُمْ أبو عطاء السِّنْدي، وكان من شعرائهم المَعْدُودينَ المَشْهُورينَ بالتَّعصُّبِ لهم، والدِّفاع عنهم. وفيهم يقول مُتَرحِّماً عليهم، ومُتَألِّماً لانْتهاء سُلْطانهم[6]:

---

(١) الأغاني ١٦ : ٣٠٠، ومروج الذهب ٣ : ٢٩٥، ومعجم الادباء ٤ : ٢٢٥، ونكت الهميان ص : ١٥٥.

(٢) آمت المرأة : مات عنها زوجها أو قتل وأقامت لا تتزوج. والمضيعة : من الضياع بمعنى الاطراح والهوان، كأنه فيه ضائع.

(٣) نامت : خملت. والجدود : الحظوظ.

(٤) الأغاني ٢ : ٣٣١.

(٥) الأسى : المداواة والعلاج، وهو يشير عليه بالعفو عن بني أمية، ويذكره بأرحامهم.

(٦) الأغاني ١٧ : ٣٣٣.

ألـيسَ اللهُ يَـعـلـمُ أنَّ قَـلْبي يُحِبُّ بني أميـةَ مـا اسْتطاعَـا
ومـا بي أنْ يكونوا أهلَ عَدْلٍ ولـكني رأيتُ الأمْـرَ ضـاعَـا

ويقولُ مُفَضِّلاً أيامَهم وما يُنْسَبُ إليهم من ظُلْمٍ على أيام العباسيين ، وما يَدَّعُون من إنصافٍ في الحُكْم[1] :

يا لَيْتَ جَوْرَ بني مَرْوانَ عادَ لنا وأنَّ عَدْلَ بني العباس في النَّارِ

ويقُولُ ساخراً من العباسيين ، ومُحْتجاً على قَسْوتِهم ، ورادّاً نَظريتهم في الخلافةِ ، فإن قرابتهم بالرسول الكريم لا تُقَدِّمهم على غيرهم ، ولا تُحِلُّ لهم العُنْفَ بالناس ، ولا تَشْفَعُ لهم عند الله ، فإنما المسلمُ بِعَمَلِهِ لا بأصْلِهِ[2] :

بني هاشمٍ عُودُوا إلى نَخلاتِكُمْ . فَقَدْ عادَ سِعْرُ التَّمْرِ صاعاً بِدِرْهَمِ !
فـإنْ قُـلْتُـمُ رَهْـطُ الـنـبيِّ محمدٍ فإنَّ النَّصارَى رَهْطُ عيسَى بن مَرْيمِ !

وهذه الأشعارُ شواهدُ صادقةٌ على عُنْفِ العباسيين ، ووثائقُ ناطقةٌ بِقَتْلِهم للأمويين ، فهي تشتملُ على المواضع التي أوقعَ فيها العباسيون بالأمويين ، وهي تَدُلُّ على إمْعانهم في سَفْحِ دمائهم ، وصَلْبِ قَتْلاهم ، واضْطهادِ أهاليهم وأطفالهم ، وهي توافقُ الأخبارَ الصحيحةَ التي رَواهَا المؤرخون في هذا الباب ، وتُقَوِّيها .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٥ ، والشعر والشعراء ٢ : ٧٦٩ ، والأغاني ١٧ : ٣٣٣ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٥ ، والشعر والشعراء ٢ : ٧٧٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٩١ ، وسمط اللآلي ص ٦٠٣ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٧٠ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٠٢ .

(١٢) أسماءُ قَتْلَى الأمويِّينَ في المصادرِ المختلفة

وفي كُتُبِ التاريخ[١] ، والبلدان[٢] ، والتراجم[٣] ، والأدب[٤] ، إشاراتٌ إلى بعض الأمويين الذين قَتَلهُمُ العباسيون ، ولكنها لا تحتوي إلاّ على أسْماءِ النابهين منهم . وفي تاريخ دمشق خاصةً ذِكْرٌ لكثيرٍ من الأمويين الذين فتَكَ العباسيون بهم ، فقد سَمَّى ابن عساكرٍ قريباً من ثلاثينَ منهم ، ونَقَلَ أخبار قَتْلِهِمْ من طُرقٍ مختلفةٍ[٥] .

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١١ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٣ ، ٥٢ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ .

(٢) انظر معجم البلدان : قلنسوة.

(٣) من الصعب في هذا المقام حَصْرُ ما وَرَدَ في كُتُبِ التراجم من أسماء الأمويين الذين قَتَلهم العباسيون ، فطائفةٌ من أسمائهم منثورة مبعثرة في تلك الكتب ، ولا يتميز كتابٌ من كتابٍ منها في ذلك.

(٤) انظر الكامل للمبرد ٤ : ٨ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٣٩ ، ٤٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، والأغاني ٤ : ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ .

(٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٢ : ١٥٧ظ ، ٢٨٠و ، ٣ : ٦٩ ظ ، ١٤٠و ، ٢٦٠و ، ٦ : ١٠ و ، ١٨٥و ، ٧ : ١٥٣ظ ، ٣٠٢و ، ٣٢٥و ، ٣٢٦ظ ، ٨ : ٣١٤ظ ، ٩ : ٣٩٠ و١٠=

وفي كُتُبِ الأنساب سَرْدٌ لغيرِ قليلٍ من الأمويين الذين ضَرَبَ العباسيون أعْناقَهم ، فَقَدْ عَدَّ مُصْعَبٌ الزبيريُّ زهاءَ عشرةٍ منهم[1] ، وأحاط ابنُ حَزْمٍ بأكثرهم ، فقد أحْصَى حوالي خمسين منهم ، أربعون منهم قَتَلَهُمْ عبد الله بن عليٍ على الزَّابِ الأعلى بالمَوْصِلِ[2] وعلى نهرِ أبي فُطْرسٍ بفلسطين[3] ، وسائرهم قَتَلَهُمْ أبو العباس بالكوفة[4]، وعَمُّه داود بن علي بالحجاز[5] ، والمُسَوِّدَةُ بأمْكِنَةٍ مَجْهُولةٍ[6] .

وإذا استُقْصِيَتْ أسماءُ الأمويين الذين نَصَّ المُؤَرِّخُون والنَّسابُونَ وغيرُهم من المُؤَلِّفينَ على أنَّ العباسيين سَفَكُوا دماءَهم ، وضُمَّ بَعْضُها الى بعضٍ ، فإنَّ عَدَدَها يكادُ يبلغُ المائة .

ويمكن أن تُصَنَّفَ أسماؤهم ، وتُحَرَّرَ أخبارُ مَقاتلهم ، وقد صَنَعَ الدكتور صَلاحُ الدين المُجَنّد ما يُغني عن ذلك ، فإنه استخرج من «تاريخ دمشق» جميع تراجم بني أمية ، ورتَّبها وهَذَّبها . واسْتَدْرَكَ عليه بَعْضَها ، وأضاف إليها ما عثر عليه من تراجم بني أمية من أهل الأندلس ، لأن ابنَ عساكرٍ تَرْجَمَ لبني أمية من أهل دمشق وَضَواحيها ، وسَمَّى الكتاب «معجم بني أمية» .

= ٢٨٣و، ١٤ : ٧٠و، ١٥٤و، ١٨٥و، ١٥ : ٢٠١و: ٤٨٩و، ١٦ : ١٢٣و، ١٩١و، ١٧ : ٤٥٥و، ١٨ : ٩٤ظ، ١٩ : ٧٠و.

(١) نسب قريش ص : ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٣.

(٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٧٦ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢.

(٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٧٦ ، ٨٢.

(٦) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٤.

وهو من الكُتُبِ النَّافعة في هذا المجال ، ففيه ذِكْرٌ لما يُنَاهِزُ ثلاثين ممن قَتَلَ العباسيون من بني أمية[1] ، وفيه أخبارٌ نادرةٌ عن بعض من أُمِّنَ منهم ، أو اسْتَخْفَى ، أو هرَبَ إلى الأندلس .

(١) معجم بني أمية ص : ٩ ، ٢٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١١٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ .

(١٣) التَّهوينُ من قَتْلِ العباسيينَ للأمويين

وعلى الرغم من أن الدكتور فاروق عمر يُقرُّ بِعُنْفِ العباسيين ، ويُسَلِّمُ بِقَتْلهم للأمويين ، فإنه يَرَى أنهم اضْطُرُّوا إلى ذلك اضْطراراً ، فإنهم كانوا يُؤَسِّسون دولتهم ، وكانوا يَخْشَوْنَ بقايا الأمويين وأنصارهم ، فأعْمَلُوا السيفَ فيهم ، لكي يَأْمَنُوا شَرَّهم ، ويتَّقُوا خَطرهم[١] .

وهو يَرَى أنَّ عُنْفَ العباسيين بالأمويين فيه تَعْميمٌ كثيرٌ ، وتَخْليطٌ شديدٌ. ثم أوْرَدَ أمثلةً على رِفْقِ العباسيين ببعض الأمويين ، وحَثَّ على تَتَبُّعِ نَظائرها وجَمْعِها من المصادر والمَظَانّ المُخْتَلِفة . وخلصَ من الأمثلة المعدودةِ التي اسْتَشْهَدَ بها إلى أنَّ العباسيين لَاينُوا الأمويين وأنصارهم ، وأظْهَروا الودَّ لهم[٢] . وبَالغَ في إطْلاقِ هذا الحُكْمِ ، وتَوسَّعَ فيه تَوسُّعاً كبيراً ، لأنه حَمَّلَ الأخبارَ القليلةَ التي احْتَجَّ له بها أكثر مما تَحْتَمِل ، فقد زادَ في مَعَانيها ، ومَدَّ في دِلَالَاتها[٣] !!

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ١٥٠.

(٢) العباسيون الأوائل ١ : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦.

(٣) العباسيون الأوائل ١ : ١٥٤ ، وقارن بأصْلِ الخبر عن عَفْوِ أبي العباس عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز في الأغاني ٤ : ٣٤٦ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٦.

أمّا أنَّ عُنْفَ العباسيِّين بالأمويِّين فيه تعميمٌ كثيرٌ وتخليطٌ شديدٌ فهذه مسألة لا جِدالَ فيها. وفيما مضى من القَوْلِ إيضاحٌ عنها وتمحيصٌ لها.

وأمّا أنَّ العباسيِّين لَايَنُوا الأمويِّين وأنْصارَهُم، وأظهروا الوُدَّ لهم فهذه مَسألةٌ فيها نَظَرٌ، وهي تَتطلَّبُ التَّحقيقَ، وتَستَوْجِبُ البيانَ، فَإنَّ العَبَّاسيِّين مالُوا إلى العِقابِ دونَ العَفوِ، وآثروا القَتْلَ على الحَبْسِ في أوَّلِ أمْرِهم، فلم يَستَبقُوا أحداً ممن قَبضُوا عليه من الأمويِّين وأنصارِهم إلّا قليلاً، وقد بَعَثَهم على ذلك المُصَانَعَةُ أو القرابةُ أو الضَّرورة، ولكنَّهم سَجَنوا من استَبقُوا منهم، أو أطلَقوهُ، وكَرِهُوا مُساكَنَتَهُ، فأبعدُوهُ وراقبُوهُ، وظَلُّوا يَتخوَّفُونَ منه، ويَتحامَلونَ عليه، ويُعْلِنونَ البُغْضَ له.

(١٤) استبقاء بعضِ الأمويّينَ وأنصارهم

ومن الأمويين الذينَ حَبَسهم أبو العباس يزيد(١) وأبو عُثمان(٢) وعبد الله(٣) بنو مروان بن محمدٍ، والحكم بن عبد الله بن مروان بن محمدٍ(٤).

ومن الأمويين الذين حَقَنَ العباسيون دماءهم، وأخْلَوا سَبيلهم عبدالعزيز ابن عمر بن عبد العزيز، قال أبو الفرج الأصفهاني في خَبرِ قَتْلِ أبي العباس لسليمان ابن هشام بن عبد الملك(٥): «أقْبَلَ أبوالعباس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرَى قَتْلاكُم من أهلي قد سَلَفُوا، وأنتم أحياءٌ تَتَلذَّذون في الدنيا! خُذُوهم! فأخَذَتْهُمُ الخراسانية بالكافركوبات، فأُهْمِدُوا، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١، وتاريخ دمشق المخطوط ١٩ : ٧٣ظ.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٧، ٣٥١، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٣٨، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٢، ومروج الذهب ٣ : ٢٩٦، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٥، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٧، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢١، ١٦٣، وشذرات الذهب ١ : ١٨٥.

وروى ابن عساكر أن عبد الله هو الذي قُتِلَ ببلاد الحبشة، وأن أخاه عبيد الله هو الذي سلم وحُبس. (انظر تاريخ دمشق المخطوط ١٠ : ٣٧١و).

(٤) تاريخ دمشق المخطوط ٥ : ١٠٣ظ.

(٥) الأغاني ٤ : ٣٤٦، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٦، وتاريخ دمشق المخطوط ١٠ : ١٨٩ظ.

العزيز ، فإنه استجار بداود بن عليٍ ، وقال له : إنَّ أبي لم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ صَنيعَتَهُ إليكم ، فأجارَهُ ، واستَوْهَبَهُ من السَّفاح ، وقال له : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صَنيعَ أبيه إلينا ، فوَهَبَهُ له وقال له : لا تُريني وَجْهَهُ ، وليكن بحيث تأْمَنُهُ » .

ومنهم آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال ابن عساكر[1] : « كان بالشام حين ذهبَ مُلْكُ آل بَيْتِهِ ، وأرادَ عبد الله بن عليٍ قَتْلَهُ فيمن قَتَلَ منهم ، بنهر أبي فُطْرُسٍ ، فاستَعْطَفَهُ فتركه ، فسكنَ العراقَ بعد ذلك » ، وقال أبو الفرج الأصفهاني[2] : « هو أحدُ مَنْ مَنَّ عليه أبو العباس السَّفاح مِنْ بني أمية لمّا قتَلَ مَنْ وجَدَ منهم » .

ومنهم أبان بن يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم ، قال ابن عساكر[3] : « كان عاملاً لعمه مروان بن محمدٍ ، فلما قدم عبد الله بن علي الجزيرة ، لَقِيَهُ أبان مُسَوِّداً ومُتابعاً فأمَّنَهُ » .

ومنهم إبراهيم بن سليمان بن هشام بن عبد الملك ، قال ابن عساكر[4] : « كان ممن اختَفَى ابراهيم بن سليمان ، فما زال مُخْتَفياً حتى أخَذَ له داود بن علي الأمان من أبي العباس » .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣٦٤.

(٢) الأغاني ١٥ : ٢٨٦.

(٣) تاريخ دمشق المخطوط ٢ : ١٥٧و.

(٤) تاريخ دمشق المخطوط ٢ : ٢١٩و، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢١٦.

ومنهم محمد بن مسلمة بن عبد الملك ، قال ابن عساكرٍ[(١)] : «شهد مع مروان بن محمدٍ يومَ الْتَقَى مع عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان صديقاً له ، فأمَّنه عبد الله ، فلحق به . فلما رأى فِعْلَ أهل خراسان في أهل الشام ، حَمِيَتْ نَفْسُهُ ، ... ، ثم لحق مروان ، وبقي معه حتى قُتِل ، وبَلَغني من وَجْهٍ آخر أنَّ محمدابن مسلمة لم يُقْتَلْ يومئذٍ» .

وصَفَحَ أبو العباس عن عبد الله بن عمر العَبْليِّ العَبْشَمي ، وأحْسنَ إليه ، وسببُ ذلك أنه «كان يَميلُ في أيَّام بني أمية إلى بني هاشمٍ ،ويَذُمُّ بني أمية ، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ ، فَسلِمَ بذلك في أيَّام بني العباس[(٢)] » .

وقد طَلَبهُ داود بن علي بالمدينة ، فَفرَّ منه ، فحَبَسَ أهْلَهُ ، واحْتَجَزَ مالَهُ ، فوفد عَلى أبي العباس ، وشكا إليه ظُلْمَ داود بن عليٍ له ، فأمَّنَهُ ، وأمرَ عَمَّهُ بالكفِّ عنه ، قال أبو الفرج الأصفهاني[(٣)] : «كان أبو عَديٍّ الذي يقال له العَبْلي مَجْفُوًّا في أيام بني مروان ، وكان مُنْقطعاً إلى بني هاشمٍ ، فلما أفْضَتِ الدولةُ إليهم لم يُبْقُوا على أحدٍ من بني أميّة ، وكانَ الأمْرُ في قَتْلِهم جداً ، إلاَّ من هَربَ وطَارَ على وَجْهِهِ. فخافَ أبو عديٍّ أنْ يقعَ به مكروهٌ في تلك الفَوْرةِ ، فتوَارَى ، وأخذ داود بن علي حُرْمَهُ ومالَهُ ، فهربَ حتى أتَى أبا العباس السفاح ، فدخَلَ عليه في غِمارِ الناس مُتنكِّراً ، وجَلَسَ حَجْرَةً[(٤)] حتى تَقَوَّضَ القومُ وتفرَّقوا ، وبقي أبو العباس مع خَاصَّته ، فوثَبَ إليه أبو عَديٍّ فوقَفَ بين يَدَيْهِ ، وقال :

....

(١) تاريخ دمشق المخطوط ١٥ : ٤٨٩و.

(٢) الأغاني ١١ : ٢٩٤.

(٣) الأغاني ١١ : ٢٩٥.

(٤) حجرة : ناحية.

أَتُؤْخَذُ نِسْوَتِي وَيُحَازُ مَالِي ... وقد جَاهَرْتُ لو أَغْنَى جِهَارِي
وأُذْعَرُ أَنْ دُعِيتُ لعبد شَمْسٍ ... وقد أمْسَكتُ بالحُرَمِ الصَّوارِي[1]
بِنُصْرَةِ هاشمٍ شَهَّرْتُ نَفْسي ... بِدَارِي لِلْعِدَى وبِغَيْرِ دَارِي
بقربى هَاشمٍ وبحَقِّ صِهْرٍ ... لأَحْمَدَ لَفَّهُ طِيبُ النِّجارِ
ومَنْزِلُ هاشمٍ من عبد شَمْسٍ ... مكانَ الجِيدِ من عُلْيَا الفَقَارِ

فقال له السفاح : مَنْ أنت ؟ فانْتَسَبَ له . فقال له : حَقٌّ لعمري أعْرِفُهُ قديماً ، ومَوَدَّةٌ لا أَجْحَدُهَا . وكَتَبَ له إلى داود بن عليٍ بإطْلاقِ مَنْ حَبَسَهُ من أَهْلِهِ ، ورَدِّ أمواله عليه وإكْرَامِهِ ، وأمَرَ لهُ بِنَفَقَةٍ تُبَلِّغُهُ المدينة » .

ومن أنصارِ الأمويين الذينَ عَفا أبو العباس عنهم ، وقَرَّبهم ، وتَغاضَى عن هَفَواتهم سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ بن هبيرة المخزومي الكوفي ، وكان أثيراً عند هشام بن عبد الملك ، إذ كان مُؤَدِّبَ ولده[2] ، وكان أحَدَ وزراء مروان بن محمد وسُمَّاره[3] . « فلما ظهر أمرُ أبي العباس السفاح ، انحاز إلى بني هاشمٍ ، ومَتَّ إليهم بأمِّ هانئ بنت أبي طالبٍ ، وكانت تحتَ هبيرة بن أبي وَهْبٍ ، فأَتَتْ منه بجَعْدة[4] » ، وانضاف إلى أبي العباس ، وصار في عدادِ أصحابه وخواصِّه[5] .

وقد تَرَحَّمَ على مروان بن محمد بمجلسِ أبي العباس ، ووَصَفَهُ بأنه كان خليفةَ المسلمين ، فأسْخَطَ قَوْلُهُ أبا العباس ، ولكنه حلُمَ عنه ، واغْتَفَرَ سَقْطَتَهُ ، لخُؤُولته في

---

(١) الصواري : المائلة .
(٢) أنساب الأشراف المخطوط ٢ : ٢٤٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٦٧ .
(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٧٢ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٦ .
(٤) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٧ .
(٥) مروج الذهب ٣ : ٢٧٢ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٧ .

بني هاشم ، وَوَفائِهِ لصاحبه ، روَى المسعوديُّ في خَبرِ حَمْلِ رأس مروان بن محمد إلى أبي العباس[1] : أَنَّ سعيداً «كان في ذلك اليوم حاضراً لمجلس أبي العباس ، ورأسُ مروان بين يَدَيْهِ ، وهو يومئذٍ بالحيرة ، وأَنَّ أبا العباس الْتَفَتَ إلى أصحابه ، فقال : أيكم يعرف هذا؟ قال أبو جعدة : فقلت : أنا أعْرِفُهُ ، هذا رأسُ أبي عبد الملك مروان بن محمد ، خليفتنا بالأمس ، رضي الله عنه ! قال : فحَدَّقتْ إليَّ الشيعةُ ، فأخذتني بأبصارها ، فقال لي أبو العباس : في أيِّ سنةٍ كان مَوْلده؟ قلت : سنةَ ستٍ وسبعين ، فقام وقد تغَيَّرَ لَوْنُهُ غَيْظاً علي ! وتَفرَّقَ الناس من المجلس ، وانصرفتُ وأنا نادِمٌ على ما كان مني . وتَكَلَّمَ الناس في ذلك ، وتحَدَّثُوا به ، فقلت : هذه زَلَّةٌ واللهِ لا تُسْتَقالُ ، ولا يَنْساها القومُ أبداً . فأتيتُ منزلي ، فلم أَزَلْ بَاقيَ يومي أعْهَدُ وأُوصي ، فلما كان الليلُ اغْتَسَلْتُ وتهيَّأْتُ للصلاة ، وكان أبو العباس إذا هَمَّ بأمْرٍ بعثَ فيه ليلاً ، فلم أزل ساهراً حتى أصبحتُ . فلما أصبحتُ ركبتُ بَغْلتي ، واستعرضتُ بقلبي إلى مَنْ أقْصِدُ في أمري ، فلم أجدْ أحداً أَوْلَى من سليمان بن خالد مولى بني زهرة ، وكانت له من أبي العباس منزلةٌ عظيمةٌ ، وكان من شيعة القوم ، فأتيتُهُ فقلت : أذكَرَني أميرُ المؤمنين البارحة؟ فقال : نعَم ، جَرَى ذِكْرُك ، فقال : هو ابن أختنا ، وَفَّى لصاحبه ، ونحن إنْ أوليناهُ خيراً ، كان لنا أشكرَ ، فشكرتُ ذلك له ، وجزيْتُهُ خيراً ، ودَعَوْتُ له ، وانصرفتُ ، فلم أزل آتي أبا العباس عَلَى ما كنتُ عليه لا أرى إلاّ خيراً . ونُميَ الكلام ، ... ، فبلغَ أبا جعفرٍ وعبد الله بن علي ، فكتبَ عبدُ الله بن علي إلى أبي العباس يُعْلمُهُ بما بَلَغَهُ من كلامي ، وأنه ليس [مثلُ][2] هذا [مما] يُحْتَملُ . وكتب أبو جعفرٍ يخبر بما بلغه من ذلك ، ويقول : هو ابنُ أختنا ، ونحن أَوْلَى باصْطناعه ، واتِّخاذ المعروف عنده ، وبلغني ما كان منهما فأمسكتُ» .

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٧٢ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٧ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٦.

(٢) زيادة من شرح نهج البلاغة ٧ : ١٣٧.

ومنهم إسحاقُ بنُ مسلمٍ العُقَيْليُّ ، وكان والياً لمروان بن محمدٍ على أرمينية ، وهو من أنصار الأمويين الذين حَارَبُوا العباسيين ، ثم استَسْلَمَ فأعطاهُ أبو العباس أماناً ، وَوَفى له به ، لأنه كان سَيِّد قَيْسٍ بالجزيرة الفُرَاتيَّة ، وكانت قبيلتُهُ قويَّةً منيعةً ، وكان لها غَنَاءٌ في قتالِ الرُّوم ، فاستَبْقَاهُ لخَوْفِهِ منها ، وحاجتِهِ إليها . وصَبَرَ على خُشُونته ، وتَغافل عن عَصَبيَّتِهِ لأهل الشام وأهل الجزيرة ، قال المدائني[1] : «جلس أبو العباس للناس ذاتَ يومٍ ، فقامَ رَجُلٌ فذَمَّ أهلَ الشام والجزيرة ، فقال له إسحاق : كذبتَ يا ابنَ الزَّانية ! فقال زياد بن عبيد الله : خُذْ للرَّجُل بحقِّهِ يا أمير المؤمنين. فقال أبو العباس : أتَرَى قَيْساً تَرْضَى بأنْ يُضْرَبَ سَيِّدُهَا حدًّا ! لو دَعَوْتُهُ بالبيِّنَةِ لجاءَ مائةٌ من قيسٍ يَشهدونَ أنَّ القولَ قَوْلُهُ ! فترك الرَّجُلُ مُطالبتَهُ» .

وظَلَّ أبو جعفرٍ يُقَدِّمُهُ ويَحْتَفِي به ، وقد حجَّ معه ، فكان عَديلَهُ[2] ، وكان يَسْتَشِيرُهُ ، ويُعَوِّل على رَأْيِه[3] . واحْتَمَلَ خُرُوجَ أخيه بكَّار بن مسلم العُقَيْليِّ مع عبد الله بن عليٍ ، ونكايَتَهُ في أهل خراسان ، قال المدائني[4] : «لمَّا خالَفَ عبدُ الله بن عليٍ أبا جعفرٍ ، وصار بكارُ بن مسلمٍ معه ، فكان أشدَ الناس على أهلِ خراسان ، قال أبو جَعْفرٍ : يا إسحاق ، ألا تكفينا أخاك ! قال : اكْفِني عَمَّكَ حتى أكفيكَ أخي ، فضَحِكَ لقَوْلِه» . وكان يُعَاتِبُهُ على حُبِّهِ لبني أمية وتَعَلُّقِهِ بهم ، وثنائِهِ عليهم ، بعد زَوالِ مُلْكهم ، قال ابن عساكر[5] : «قال له المنصورُ يوماً : أفْرطتَ في

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٨ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٩٠ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٩ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٧ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٥٥ .

وَفَائِكَ لبني أمية ! فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ وَفَى لمَنْ لا يُرْجَى ، كانَ لمَنْ يُرْجَى أوْفَى ! فقال له : صَدَقْتَ » .

وكان أبو مسلمٍ اقْتَرَحَ على أبي جَعْفَرٍ أنْ يسْكُتَ عن ثورة أهل الشام والجزيرة مع عبد الله بن علي ، وأن يُصَافِيَهُمْ ، لبَلائهم في حَرْب الروم ، ويبدو أنه أخذ باقتراحه ، قال البلاذري (١) : «كتبَ أبو مسلمٍ إلى المنصور يُعْلِمُهُ أنَّ أهل الجزيرة والشام بمواضعَ من الثُّغور ، مَشْحنةٍ للعدوِّ ، وأنها لا تُسَدُّ إلاَّ بهم ، وسألهُ الصَّفْحَ عنهم ، وأشار عليه باسْتِصْلَاحِ وُجُوههم واصْطِنَاعهم ، ووفدَ معه إليه عِدَّةٌ من أشْرَافهم » .

وصَرَّحَ أبو جعْفرٍ بأنه كان يُلاطِفُ إسحاق بن مسلمٍ العُقَيْليِّ ويُدَاهِنُهُ لخَشْيتِهِ من قبيلته ، قال المدائني (٢) : «جَرَى عند المنصور [ذكر إسحاق] ، وما كان من مُداراتِهِ إياه ، فقال المنصور : إذا مَدَّ عَدُوُّكَ إليكَ يدَهُ فإنْ أمْكَنَكَ أنْ تَقْطَعَهَا ، وإلاَّ فقَبِّلْهَا » !

فلما تُوفي إسحاق فرحَ أبو جعفرٍ بوفاته ، وأعلن أنّه كان يخافُ غائِلَتَهُ ، فخلَّصهُ القدرُ من يَدِهِ ، ونَجَّاهُ من تَهْديدِهِ ، قال المدائني : «ماتَ إسحاق بن مسلمٍ من بَثْرةٍ خرَجَتْ به في ظَهْرِهِ ، فَحضرَ المنصورُ جنازَتَهُ ، وحملَ سَريرَهُ ، حتى وَضَعَهُ وَصلَّى عليه ، وجَلَسَ عند قَبْرِهِ ، فقال له موسى بن كعبٍ أو غيرُهُ : يا أميرَ المؤمنين ، أتَفْعَلُ هذا به ، وكان والله مُنْبغِضاً لك ، كارهاً لخِلافَتِكَ ؟ قالَ : ما فَعلْتُ هذا إلاَّ شكراً لله ، إذْ قَدَّمَهُ أمامي ، قال : أفَلا أُخبِرُ أهلَ خراسان بهذا من رَأْيك ؟ فقد دَخلتم وَحْشَةٌ لما فَعَلْتَ ! قال : بَلَى ، فأخبرَهُم ، فكَبَّرُوا » !

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٩ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٩٠ .

تلك هي أشهرُ الأخبار التي تشيرُ إلى رِفْقِ أبي العباس وعَمَّيْهِ عبد الله بن عليٍ وداود بن عليٍ بالأمويين وأنصارهم ، وهي أخبارٌ معدودةٌ بالقياس إلى ما رُويَ من أخبارِ عنْفهم بهم وإبادتهم لهم . وهي تَدُلُّ على أنهم تَسامَحُوا في أمْرِ نَفرٍ من الأمويين وأنصارهم ، فرَاوَحُوا بين الحبْسِ لهمْ والعَفْو عنهم ، لأسبابٍ شخصيَّةٍ أو سياسيَّةٍ أو عَسْكَريةٍ ، ولكنها لا تُقلِّلُ من غَدْرِهم بسائرهم ، واسْتِئصالهم لأكثرهم .

فلما استُخْلفَ أبو جَعْفرٍ رَفعَ السَّيْفَ عنهم ، وأمْسَكَ عن قَتْلِهم ، غير أنه مَضَى يَذُمُّهم ويَلْعَنُهُم ، ويَجْهَرُ بكراهيته لهم[٢] ، وَظَلَّ يَغَصُّ بذِكْرِهم ، ويَغْضَبُ على مَنْ يُنَوِّهُ بهم[٣] ، إلاّ هشام بن عبد الملك ، فإنه كان مُعْجباً بحُنْكَتِهِ وحِكْمتِهِ ، وتَيَقُّظِهِ ودِقَّتِهِ ، وسياستِهِ وسيرته ، وكان في أكثرِ أمورِهِ وتَدْبيرِهِ مُتَّبعاً له[٤] ، ورأيُهُ في الخلفاء الأمويين مُتَناقَلٌ مُتداوَلٌ ، ومَوْقِفُهُ منهم مَعْلومٌ مَعْروفٌ ، إذ كان يقول[٥] : «أمَّا عبد الملك فكان جباراً لا يُبالي ما أقْدَمَ عليه ، وأمَّا الوليدُ ابنُهُ فكان مَجْنوناً ، وأمَّا سليمان فكان هَمُّهُ بَطْنَهُ وفَرْجَهُ ، وأمَّا عمر بن عبد العزيز فكان أعْوَرَ بينَ عميان ، وأمَّا يزيدُ بن عبد الملك فكان رَكيكاً ماجِناً ، ورَجُلُ القَوْم هشام» .

وكان التَّكْفيرُ للأمويين ، والتَّجريمُ لهم ، والطَّعْنُ فيهم ، والتَّشْهيرُ بهم أهمَّ ما

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٩٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ٩٦ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٩٨ .

(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٣ .

(٥) أنساب الأشراف المخطوط ١ : ١١٦٩ ، ٢ ، ٢٤١ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٩٦ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٦٢ .

تَميَّز به عَهْدُ أبي العباس، وعَهْدُ أبي جَعْفرٍ. وذلك بَيِّنٌ مُسْتَفِيضٌ في خُطَب أبي العباس[1]، وأعمامِه[2]، وعُمَّالِه[3]، وفي بعض خُطَبِ أبي جَعْفرٍ[4].

فلما اسْتَتَبَّ الأمرُ للعباسيين، ورَسَخَ سُلْطانُهم، كَفَّ خُلفاؤُهم وأُمَراؤُهم عن مُهاجمة الأمويين، ونَزَعُوا عن رَمْيِهم بالضَّلالِ والمُروقِ من الدِّين، وأقْلَعُوا عن قَذْفِهِم بالظُّلْمِ والعُدْوان[5]، ورَدَعُوا الرُّواةَ الذين كانوا يُنَافِقُونَهم عن التَّعْريض بهم، والتَّشنيعِ عليهم[6]، ودَافَعُوا عن بَعْضِهم، ونَزَّهُوهُمْ عن كثيرٍ من التُّهَم[7].

وكان الإنْصَافُ للأمويين، والتَّبْرِئَةُ لهم، والتَّألُّفُ لبقاياهم وحَفَدتهم، والعَطْفُ عليهم أظْهَرَ ما اتَّصَفَتْ بها أيامُ المَهْدِيِّ، وأيامُ الهادي، وأيامُ الرشيد.

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٤١، ١٤٢، والأخبار الطوال ص: ٣٧٠، وتاريخ الطبري ٧: ٤٢٦، والعقد الفريد ٤: ٩٧، والعيون والحدائق ٣: ٢٠٠، والكامل في التاريخ ٥: ٤١٣، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٥٤، والبداية والنهاية ١٠: ٤١، والنجوم الزاهرة ١: ٣٢٠.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٤١، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥١، ٣٥٦، وتاريخ الطبري ٧: ٤٢٧، والعقد الفريد ٤: ٩٩، والعيون والحدائق ٣: ٢٠١، والمامل في التاريخ ٥: ٤١٤، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٥٥، ١٦١، والبداية والنهاية ١٠: ٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة ٧: ١٦١.

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٥٧٠، ٥٧١، ٨: ٩١، ٩٢، والكامل في التاريخ ٦: ٢٩.

(٥) انظر خطب المهدي والرشيد في العقد الفريد ٤: ١٠١ — ١٠٤، وجمهرة خطب العرب ٣: ٥٠، ٨٠.

(٦) أنساب الأشراف المخطوط ٢: ٣٣٥، والأغاني ٧: ٨٣، وتاريخ دمشق المخطوط ١٧: ٤٨٢، وسير أعلام النبلاء المخطوط ٥: ١١٢ ظ، وتاريخ الاسلام ٥: ١٧٥، والبداية والنهاية ١٠: ٨، وتاريخ الخلفاء ص: ٢٥٢.

(٧) الأغاني ٧: ٨٢، والكامل في التاريخ ٥: ٢٩٠، وتاريخ ابن خلدون ٣: ١: ٢٢٦.

وفي نهاية القرنِ الثاني [١] ، وبدايةِ القَرْنِ الثالث [٢] تعَلَّقَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة [٥] بمعاوية بن أبي سفيان ، فَعَظَّمُوهُ ، وأشادُوا بسيرتِهِ ، وجَعَلُوهُ مثالاً للخليفةِ العادل الفاضل ، واتَّخَذوا ذلك وسيلةً إلى التَّعبير عن ضِيقهم بسياسة العباسيين. فعادَ الخلفاءُ العباسيون ، وكُتَّابُهم السياسيون يَقْدَحُونَ في الأمويين ، ويُنَدِّدُونَ بهم ، ويتجَنَّوْنَ عليهم ، وأهْدَرَ المأمونُ دَمَ كلٍّ مَنْ نَوَّه بمعاوية أو قَدَّمَهُ على غيرِهِ من الصحابة ، قال ابنُ جريرِ الطبريُّ [٤] : « أمرَ المأمونُ مُنادياً فنادَى : بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ ذكَرَ معاويةَ بخيرٍ ، أو فضَّلَهُ على أحدٍ من أصحابِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ! !

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٣٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ٥٥٤ ، ٥٥٨ ، ٦١٨ ، ٦٣٢.

(٣) رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٢٩٤ ، والجاحظ في البصرة ص : ٢٧٢ ، والعباسيون الأوائل ١ : ١٥٧ ، وكتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٢٩ ، وكتابي الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٣٣٥.

(٤) تاريخ الطبري ٨ : ٦١٨ ، ومروج الذهب ٤ : ٤٠ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٠٦ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٣٠٨.

(١٥) تَعْليقٌ وخُلاصةٌ

والتَّهْوينُ من مَصَارِعِ الأمويين كالتَّهْويلُ فيها. وقد اتَّضحَ من الأخبارِ الرَّاجحة والأشعار الصحيحة أنَّ أبا العباس وأعمامَهُ عبد الله بن علي، وداود بن علي، وصالح بن علي أخذوا الأمويين أخذاً شديداً، ولم يُفَرِّقُوا بين المُشْتَغِلينَ بالسياسة والمُعْتَزلينَ لها منهم، ولا بين تُقَاتِهم وعُتَاتِهم، ولا بينَ عُبَّادِهم ومُجَّانهم، بل سَوَّوا بينهم جميعاً، وقَطَّعوهم في الأمصار المختلفة تقطيعاً، إلاَّ في البصرة، فإنهم سَلِمُوا بها من القَتْلِ والتَّمثيل، لأنَّ سليمان بن علي رَحِمهم وحماهم. وكادوا يَقْضُونَ عليهم قضاءً مُبْرماً، ويَسْتَئْصلونَهم استِئْصالاً تامًّا، فإنه لم يَفْلِتْ منهم إلاَّ منْ تَغَيَّبَ أو هَرَبَ إلى الأندلس، ومَنْ تَركُوهُ وصَفَحُوا عنه، وهم قِلَّةٌ قليلةٌ. وضَيَّقُوا على نسائهم وأبنائهم وشَرَّدُوهم، وتَحاموا شعراءَهُم وهَدَّدوهم (١)، وتحاملوا على عُلمائهم واطَّرحوهم (٢). وقَسَوْا على أهلِ الشام خاصةً، وهل أدلُّ على ذلك من قَوْلِ صالح

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٢٢١، وأنساب الأشراف ٣ : ١٦٥، ٢٢٥، وطبقات ابن المعتز ص : ١٠٧، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٨، والأغاني ٢ : ٣٢٩، ٤ : ٣١٦، ٦ : ١١١، ٧ : ٣٣٢، ١١ : ٢٩٥، ١٦ : ٣٠٠، ١٧ : ٣٢٩، ٢٠ : ٣٩٩، وانظر كتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٣٤— ٣٦.

(٢) تقدمة كتاب الجرح والتعديل ص : ٢١١— ٢١٦، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٥، ١١٨.

بن علي[1] لهم[2] : «يا أهلَ الشام، إنَّ اللهَ وَصَفَ إخوانكم في الدِّين، وأشباهكم في الأجسام، فحذَّرهم نَبِيَّهُ محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: «وإذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجْسَامُهم وإنْ يَقُولوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عليهم هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أنَّى يُؤفكُونَ» (المنافقون: ٤). فقاتَلكم اللهُ أنَّى تُصرفونَ، جُثَثٌ مَائِلَةٌ، وقلوبٌ طائرةٌ، تَشبُّونَ الفِتَنَ، وتُولُّونَ الدُّبُرَ، إلاّ عن حُرَمِ اللهِ، فإنها دَرِيئَتكُمْ[3]، وحُرَمِ رَسُولِهِ، فإنها مَغْزاكم، أما وحُرْمَةِ النُّبوَّةِ والخلافةِ لتنفرنَّ خفافاً وثقالاً، أو لأُوسعنكم إرغاماً ونكالاً».

وأخَّروهم وظلموهم، وأسْرَفُوا في إهْمالهم ومُعاقبتهم، حتى عَاتبهم بعضُ أهل الشام ولاَمُوهم، قال محمد بن علي السَّرخسيُّ[4]: «تَعرَّضَ رَجُلٌ للمأمون بالشام مراراً، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، انْظُرْ لعَرَبِ الشام كما نظرتَ لِعَجمِ أهل خراسان! فقال: أكثرتَ عليَّ يا أخا أهْلِ الشام. والله ما أنزلتُ قَيْساً عن ظُهُورِ الخيل إلاّ وأنا أرَى أنه لم يَبْقَ في بيت مالي درهمٌ واحدٌ، وأمَّا اليمن فوالله ما أحْبَبْتُهَا ولا أحبتني قطُّ، وأما قُضاعةُ فسادَتُهَا تنتظر السّفيانيَّ وخرُوجَهُ فتكون من أشياعِهِ، وأما ربيعةُ فساخِطةٌ على الله منذ بعثَ نبيَّهُ من مُضَر، ولم يَخرُجْ اثنان إلاَّ خَرَجَ أحدهما شارياً، أعزُبْ، فَعَلَ اللهُ بك»!

وقد اشتطّ العباسيون في الانتقام من الأمويين وهم يُنْشِئُونَ دَوْلَتهم، فَلمَّا ثَبَّتُوا مُلكَهُمْ خَفَّفُوا عنهم العذابَ، وساروا فيهم سيرةً حسنةً. ثم رجعوا إلى سياستهم

---

(١) في الأصل عبد الملك بن صالح، وهو خطأ. (انظر تاريخ الطبري ٧: ٥١١، والكامل في التاريخ ٥: ٥٠٨).

(٢) العقد الفريد ٤: ٩٩.

(٣) الدريئة: الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها.

(٤) تاريخ الطبري ٨: ٦٥٢، وتاريخ الموصل ص: ٤٠٨، والكامل في التاريخ ٦: ٤٣٢.

الأولى ، وهم يُناهِضُونَ أهلَ السنَّةِ والجماعة ، ويُقَاومونَ إحياءَهم لمآثرِ معاوية بن أبي سفيان ومَساعيه ، ويُحاربونَ إعلاءَهم له على سائر الصَّحابة ، فشوَّهوا تاريخَ الأمويين ، ومَسَخُوا شَخْصياتهم ، وطَمَسُوا مَحاسِنَهم ومَكارِمَهم ، ونَسبُوا إليهم كثيراً من المعايب والمثالبِ ، وألْصَقُوا بهم غيرَ قليلٍ من التُّهَمِ والجرائمِ [1] ، وكَبَتُوا أنصارهم ، وتَوَعَّدُوهم بالموت والهَلاك .

(١) رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٦٧ ، ٢٩٢ ، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ١٩٨ ، وراجع كتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٩٣ — ٩٤ .

« الفصل التاسع »

« انْتِفاضاتُ الأمويِّينَ والشَّاميِّين »

(١) انتِفاضاتٌ مُتقطِّعَةٌ فاشلةٌ

استَوْلَى عبد الله بن عليٍ على أجناد الشام ، وغَلَبَ على أكثر مُدُنِهَا صُلْحاً ، وبايعَ أهْلُهَا لبني العباس ، ودَخلُوافي طاعتهم . ولكنهم لم يَلْبثُوا إلاَّ قليلاً حتى خَرَجُوا على بني العباس ، سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ ، وحاربوهم ، وحَاوَلُوا القضَاءَ على دولتهم .

وكان الشِّقاقُ قد دَبَّ بين اليمانية والقَيْسية منْ أهلِ الشام والجزيرة الفُراتية منذ أيام هشام بن عبد الملك ، ثم ازدادَ النِّزاعُ القبليُّ والسياسيُّ بينهم بعد ذلك ، إذْ قَدَّمَ الوليدُ بن يزيد القَيْسيَّةَ على اليمانِيَّةِ ، وحَاباهم ، ثم انحازَ ابن عَمِّهِ يزيدُ بن الوليد إلى اليمانيةِ ومالأَهُمْ ، فلما استُخْلِفَ مروانُ بن محمدٍ مالَ إلى القَيْسيَّة واصْطَنَعَهُمْ ، واتَّخذَ منهم قادَتَهُ وولاَتَهُ ، وتعصَّبَ لهم تَعَصُّباً شديداً[١] .

وقد استَفزَّ انهيارُ الدولةِ الأمويةِ اليمانِيَّةِ والقيسية من القبائلِ الشَّاميةِ والجَزَرِيَّةِ وأوشَكَ أنْ يُؤَلِّفَ بينهم ، فإنهم آلُوا إلى نهايةٍ واحدةٍ ، والْتَقَوْا على غايةٍ مُشْتَرَكةٍ ، إذ أدْرَكُوا أنَّ الدَّوْلَةَ العباسيةَ دَوْلةُ أهلِ خراسان وأهلِ العراق ، وأنها طَمستْ مكانَتَهُمْ السياسية ، وعَطَّلَتْ فَوَائِدَهم الاقتصادية ، وكانت الدولةُ الأمويةُ دَوْلَتهم ، فقد

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي الوليد بن يزيد ، عَرْضٌ ونقد ص : ٤١٩ — ٤٤١.

كانوا أصحابَهَا وأهلَ السُّلطان فيها . وكانت مَصَالِحهُم فيها مُفَضَّلةً على مَصالحِ أهلِ الأمصار الأخرى (١) . فثاروا على الدولة العباسية في أنحاءٍ مختلفةٍ من أجناد الشام ومن الجزيرة الفُرَاتيَّة ، مُبْتَغِينَ اسْتِعادةَ دَوْلتِهم الضائِعةِ ، واسْتِرْدَاد سيادتهم المَفْقُودةِ ، واسْتِرْجَاع مَنَافِعِهم المسْلُوبَةِ . ولكنَّ ثَوْرَتَهُمْ عليها كانت ضَعيفةً ، فلم يَبْلُغُوا ما أرادُوا من إسْقاطِها ، فإنهم كانوا مُتَباعدينَ مُتناثرينَ ، ومُفرَّقينَ مُبَعْثَرينَ ، ليس لهم رَئيسٌ يَثُوبونَ إليه ، ويَصْدُرونَ عن رَأْيِهِ ، فيَلُم شَعَثَهمْ ، ويَجْمَع شَتَاتَهم ، ويُوَحِّد كَلِمتَهُمْ ، ويُدَبِّر أمْرَهُمْ ، ويتولَّى قيادَتهم (٢) ، وكانوا مُتنافسينَ ، وإنْ أظْهَرُوا أنهم نَسُوا ما بينهم مِنْ عداوةٍ قديمةٍ ، فكانتِ الإحَنُ تَعْمَلُ في نُفوسهم ، والضَّغائِنُ تُمَزِّقُ صُفوفَهم .

وفي أكْثَرِ الرِّواياتِ أنَّ اليمانيَّةَ والقَيْسيَّةَ وأبا محمدٍ زياد بن عبد الله بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان بَيَّضوا رَاياتِهمْ وثِيَابَهُمْ ، وفي بعض الرِّواياتِ أنَّ أبا محمدٍ السُّفْياني حَمَّرَ رَاياتِهِ وثيابَه (٣) . وإذا صحَّ ذلك فإنه يَدُلُّ على اختلافِ الثَّائرين ، ورَغْبةِ كلِ واحدٍ منهم في التَّفرُّدِ والتَّميُّزِ ، وطَمعهِ في الزَّعامةِ والرئاسةِ !

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ١٣١ ، ١٣٥ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٤ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٧٠ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٢ .

(٢) ثَوْرَةُ حبيب بن مُرَّة المُريِّ بالبلْقاءِ والبثنيَّةِ وحوْرَانَ

وكانَ حَبيبُ بن مُرَّة المُريُّ أوّلَ مَنْ بَيَّضَ بالكُور الجنوبية مِنْ جُنْدِ دمشق. وسببُ تَبْييضِهِ أنه كان من قُوَّادِ مروان بن محمدٍ وفُرْسانِهِ، فخافَ على نَفسِهِ وعلى قَوْمِهِ، فثارَ وخلَعَ أبا العباس، وبايَعَهُ القَيْسيَّةُ وغيرُهم من أهلِ البَلْقاءِ والبثنيَّةِ وحَوْرانَ، فقاتَلَهُ عبدُ الله بن علي مراراً فلم يَهْزِمْهُ. فلما بَلَغَهُ تَبْييضُ أهلِ قِنَّسْرينَ دعاه إلى الصُّلْحِ، فصالَحَهُ وأمَّنَهُ ومن مَعَهُ، وخرج مُتَوجِّهاً إلى قِنَّسْرينَ للقاءِ أبي الوَرْدِ الكلابي(١).

وذكر الأزديُّ أنَّ عبد الله بن علي عاد إلى مُناجزةِ حَبيب بن مُرَّةَ المريِّ، بعد أن أخْبَطَ ثورةَ أهلِ قِنَّسْرينَ، وثورةَ أهل الجزيرة. وكان أهلُ دمشقَ من اليمانيَّةِ والمُضَريَّةِ قد تَهيَّأوا لمنازلَتِه قَبْلَ أنْ يَرْجِعَ إليهم، ويُحاربهم، لأنهم بَيَّضُوا، وحاصَرُوا عامِلَهُ عليهم، وقَتَلُوا كثيراً من أصحابه. فلما صار على مشارف دمشقَ، رَاسَلَ اليمانيةَ من أهلها، ولم يزل يَستهْويهم ويَستَميلُهم، ويَعِدُهُمْ ويُمَنِّيهمْ حتى انْفَصَلُوا عن المُضَريَّةِ، وانْضافُوا إليه، فتحوَّلَ المُضَريَّةُ عن دمشق، وأتَوْا حبيبَ بن مرَّةَ المريَّ، فلاذُوا به، فمضَى عبدُ الله بن علي إليهم، ومعه عثمانُ بنُ عبدِ الأعْلَى

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٣، ٤٤٦، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٢، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٢.

بن سراقةَ الأزْديُّ ، زعيمُ اليمانيةِ من أهلِ دمشق ، فلَقيَ حبيبَ بن مُرَّةَ المُريَّ ، فأوْقَعَ به سنةَ ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ ، يقول[1] : «خَرَجَ أهْلُ دمشق ، وهم ثمانونَ ألفاً ، فَعَسْكَرُوا لقتالِ عبد الله بن عليٍ ، فلما بَلَغَهُ ذلك ، كتبَ إلى رُؤَساءِ اليمنِ كُتُباً لطيفةً يقول فيها : إنكم وإخوتكم من رَبيعَةَ كنتم بخُراسانَ شيعَتَنا وأنصارَنا ، وأنتم دَفَعْتُمْ إلينا مدينةَ دمشق ، وقَتَلتُمُ الوليدَ بن معاوية ، وأنتم منّا ، وبكم قوامُ أمْرِنا ، فانْصَرِفُوا وخَلُّوا بيننا وبين مُضَر. فانْفَسَخَ القوم عن حرْبهِ ، فلما رأت مُضَر ذلك رَحَلَتْ عن دمشق بذراريهم وأمْوالهم إلى حبيب بن مُرَّة المُريِّ[2] ، فواسُوهُ على أنفسهم ، وسار عبد الله مسرعاً حتى نزل دمشق في المحرم سنةَ ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ ، فأقام بها خمسة عشر يوماً ، ثم سار إلى ابن مُرَّةَ فهزمَهُ ، وعلى مُقَدِّمتِهِ عثمان بن عبد الأعْلى بن سُراقةَ الأزديُّ في أربعة آلافٍ من اليَمَن».

ورَوَى اليعقوبيُّ أنَّ حبيب بن مُرَّةَ المُريَّ أمَّر بعضَ الأُمويين على صُفُوفِ الثَّائرين مَعَهُ ، وأنَّ عبد الله بن علي نَاهَضَهُ وصَرَعَه ، يقول[3] : «خَرَجَ حبيبُ ابن مُرَّة المريُّ بالحَوْران ، فبَيَّضَ ونصَبَ رجلاً من بني أمية ، فزَحَفَ إليه عبدُ الله ابن علي ، فقتَلهُ وفَرَّقَ جَمْعَهُ».

---

(١) تاريخ الموصل ص : ١٤٤.

(٢) في الأصل : «المزني». وهو تحريفٌ ظاهرٌ.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٧.

(٣) ثَورةُ عثمانَ بنِ عبد الأعْلَى الأَزْديِّ بدمشقَ

ومَرَّ عبدُ الله بن عليّ بدمشق، وهو في طريقه إلى قِنَّسرينِ لقتالِ أبي الوَرْدِ الكلابي ، وكان بدمشق امرأَتُهُ أم البنين بنت محمد بن عبد المطلب النَّوْفلية ، وأمهاتُ أوْلادِهِ ، وثَقَلٌ له ، فخلَّفَ فيها أبا غانمٍ عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف رَجُلٍ من جنده ، فلما قدم حمص انتقضَ عليه أهلُ دمشق ، فبيَّضُوا ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سُراقة الأزدي ، فلقوا أبا غانمٍ ومن معه ، فهزموه ، وقتلوا من أصحابه مَقْتَلةً عظيمةً ، وانْتَهَبُوا ثَقَلَهُ ، ولم يَعْرِضُوا لأهلِهِ ، فلما قَضَى على أبي الوَرْدِ الكلابي ، انْصَرَفَ إلى دمشق ، فلما دَنَا منها هَرَبَ الناس وتَفَرَّقُوا ، ولم يكن بينهم وَقْعَةٌ ، وأمَّنَ عبد الله بن علي أهلَها ، فَبَايَعُوهُ ولم يَأْخُذْهُم بما كان منهم[١] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٢ ، وانظر بعض أخبار عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي في أنساب الأشراف ٣ : ١٠٥ ، ١٨٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٦٥ .

(٤) ثَوْرَةُ مَجْزَأَةَ بن الكَوْثرِ الكلابيِّ بِقنَّسْرِينَ

وكان أبو الورْد مَجْزأَةُ بن الكَوْثرِ بن زفر بن الحارث الكلابي من رُؤَسَاءِ القَيْسِيَّةِ بقنَّسْرينَ ، وكان من قُوَّادِ مروان بن محمدٍ وفُرْسانه . فلما هَزَمَ عبدُ الله بن علي ٍ مَرْوانَ بن محمدٍ ، وأتى قِنَّسْرينَ ، بايَعَهُ أبو الوَرْد ، وأطاعه ، وكان وَلَدُ مَسْلَمةَ بن عبد الملك مُجاورين له ببالَسَ والنَّاعورة ، فقدم بالسَ قائدٌ من قُوَّادِ عبد الله بن علي ٍ من الخراسانية ، في مائةٍ وخمسين فارساً ، فعبثَ بولدِ مسلمة بن عبد الملك ونسائِه ، ويقال : إنه خَطَب ابنةً لمسْلمةَ ، فاستجارتْ بأبي الوَرْدِ ، فخرجَ أخوهُ أبو ألوازع في جماعةٍ من أهل بيتِه حتى هجمَ على القائد ، وهو نازلٌ بحصْنِ مَسْلمة ، فقاتله حتى قَتَلهُ ومَنْ معه ، وأظْهَرَ التَّبْييضَ والخَلْعَ لعبد الله بن علي ، ودَعَا أهل قِنّسْرين إلى ذلك ، فبيَّضُوا وأجابهُ زهاء سبعة آلافٍ أكثرهم من القَيْسيَّة .

ويقال : إنهم كاتبوا مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ أهلِ حمْصَ وتدْمُر ، ويقال : بل بلَغَ أبا محمدٍ زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خَبَرُهم ، فطمع وقال : أنا السُّفياني الذي يُرْوَى أنه يَرُدُّ دولةَ بني أمية ، فالْتَفَّ حَوْلَهُ الكَلْبيَّةُ ، وكانوا نَحْواً من أربعين ألفاً ،وساروا إلى قِنَّسرين ، فانْضَمُّوا إلى مَنْ خرجَ بها من القَيْسية ، فرأَّسوا أبا محمدٍ السفياني عليهم ، وقالوا : هو السُّفيانيُّ المُنتظَر ، وكان أبو الوَرْدِ هو المُتولِّي لأمرِ الجنود ، والمُدبِّر له ، وصاحبَ القِتالِ والوقائع .

وكان عبد الله بن علي بنهر أبي فُطْرسٍ بفلسطين ، وكان يُقارعُ حبيبَ بن مرة المريَّ ، فكتبَ إليه أبو العباس من الحيرة أنْ يُقاتلَ أبا الوَرْدِ الكلابيَّ وأبا محمدٍ السُّفيانيَّ ، فوجَّه إليهما أخاه عبد الصمد بن علي في سبعةِ آلافٍ أو عشرةِ آلافٍ من الفرسان ، فاقْتَتَلُوا بمَرْجِ الأخْرَمِ من قِنّسرين ، فانهزم أصحابُ عبد الصمد حتى أتَوْا حِمْصَ . فبعثَ عبد الله بن علي إلى حمصَ ثلاثةً من قُوّادِهِ مُنْفَردين ، كل قائدٍ في أصحابه ، وأقْبَلَ بنفسه إلى حِمْصَ ، فنزلَ على أربعة أميالٍ منها ، ووجَّهَ بَسَّام ابن إبراهيم ، وخفافاً المازنيَّ بين يَدَيْهِ . وكتب إلى حُمَيْد بن قَحْطبةَ الطائيِّ ، فقدم عليه من الأردنّ ، فالْتَقوا فاقْتَتَلُوا ، فانهزمَ أصحابُ عبد الله بن علي . ثم الْتَقَوْا ثانيةً في آخرِ ذي الحجَّة ، سنةَ اثنتين وثلاثين ومائةٍ ، فاقْتتلوا أشدَّ قتالٍ . وكان على مَيْمنةِ أبي محمدٍ السفياني أبو الوَرْدِ الكلابي ، وعلى مَيْسرتِهِ الأصبغُ بن ذُؤالةَ الكَلْبي ، فانهزمَ أهل الشام ، وجُرِحَ أبو الوَرْدِ ، فحُمِلَ إلى أهله فمات ، ولجأَ قومٌ من أصحابِهِ إلى أجمةٍ فأُحْرِقَتْ عليهم . وتوارَى أبو محمدٍ السفياني بتَدْمُر زمناً ، ثم لَحِقَ بأرض الحجاز ، واسْتخفَى بقرية قُبَا على ميلين من المدينة ، وكان عليها زياد بن عبيد الله الحارثي ، فاستُدَلَّ عليه حتى عرفَ الدار التي هو فيها ، فوجَّهَ إليه منْ يأخذُهُ ، فخَرَجَ من الدار فقاتَلَ ، ورماهُ رجلٌ بسهمٍ ، فأصابَ ساقَهُ ، فصَرَعَهُ ، واعتَوَرَهُ القومُ فقَتَلُوه ، وكَبَّرَ فسمعَ التَّكْبيرَ ابنٌ له ، يُقالُ له : مَخْلَدٌ ، فخرجَ فقاتَلَ حتى قُتِلَ ، وصُلِبَ هو وابْنُهُ في أوَّلِ خلافةِ أبي جعفرٍ . ويقال : إن زياداً أخذَ ابنين له أسِيرَيْنِ ، فبعث بهما إلى أبي جعفرٍ ، فأمرَ بتَخْليةِ سبيلهما وأمَّنهما(١) .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٧٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٤ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٢ ، والبدء والتاريخ ٦ : ١٧٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٢ ، ٥٣ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٥٢٥ ، والعباسيون الأوائل ١ : ١٣٦ .

(٥) ثَوْرةُ إسحاقَ بن مسْلمٍ العُقَيْليّ بالجزيرة.

وعَلِمَ أهْلُ الجزيرة بتَبْييضِ أهلِ قِنَّسْرينَ، فبيَّضوا ونَقَضُوا وخَلَعُوا أبا العباس، وساروا إلى حَرَّان، وبها موسى بن كعب التميميُّ، في ثلاثةِ آلاف من الجنود، فحاصَرُوهُ ومن معه، وأمرهُم مُشَتَّتٌ ليس عليهم رأسٌ يَجْمَعُهُم، فتحصَّنَ في مدينتها، وتَشَبَّثَ بها.

وكان إسحاقُ بن مُسْلمٍ العُقَيْليُّ والياً على أرمينية لمروان بن محمدٍ، فلما بلغَهُ هزيمةُ مروان بالزَّاب الأعْلَى، رَجَعَ إلى الجزيرة، فاجتمعَ عليه أهْلُهَا، وألْقَوْا إليه مَقاليد أمْرِهم، وانضافَ إليهم محمد بن مَسْلمةَ بن عبد الملك[1]، فحاصروا موسى بن كعب التميمي نَحْواً من شهرين.

وبعثَ إسحاق أخاه بكَّاراً إلى الرَّبعيَّةِ بدارَا ومَارِدينَ، وكان رئيسُهم رجلاً من الحَرُوريَّة يقال له: بريكة، فانْضَمُوا إلى الثائرين.

ووجَّهَ أبو العباس أخاه أبا جعفرٍ لمحاربتهم، فمضَى إليهم من واسطٍ بمَنْ كانَ معه من الجنود الذين كانوا يُحاصرون يزيد بن عمر بن هبيرة الفَزاري، فمرَّ بِقَرْقيسيَا، وكان أهلُهَا قد بَيَّضُوا، فأغْلَقُوا أبوابَ مدينتهم دُونَهُ، ثم قدم مدينةَ الرَّقَّة، وأهلُهَا

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥٤.

مُبَيِّضُونَ خَالِعُون ، وعليهم بَكَّارُ بن مسلمٍ العُقَيْليُّ ، فسار إلى حرَّان ، فرَحَلَ عنها إسحاق بن مسلم العُقَيْليُّ إلى الرَّها ، وخرجَ منها موسى بن كعب التميميُّ ، فلَقِيَ أبا جعفرٍ ، وانضمَّ إليه. فعَمَدَ أبو جَعْفرٍ إلى الرَّبعيَّة بدارا ومَارِدِينَ ، فواقَعَهم حتى هزمهم وقَتَلَ زعيمهم. ونجا بَكَّارٌ ، فانصرفَ إلى أخيه إسحاق بالرَّها ، فخَلَّفَهُ إسحاق بها ، وتحوَّلَ إلى سُمَيْساط ، فنزلها ، وخَنْدَقَ على جُنُودِهِ ، وكانوا ستينَ ألفاً من أهل الجزيرة كلها. فتوجَّهَ أبو جعفرٍ إلى الرَّها ، فناهضَ بكاراً مراراً ، فصَمَدَ له.

ثم أمَرَ أبو العباس عَمَّهُ عبد الله بن علي أنْ يسير إلى إسحاق بسُمَيْساط ، فأقبلَ من الشام حتى نَزَل بإزاء إسحاق بسُمَيْسَاط ، وجاء أبو جعفرٍ من الرَّها ، فحاصرا إسحاق سبعةَ أشْهُرٍ ، فلم يتَغلَّبا عليه. وكان يقول : في عُنُقي بَيْعةٌ ، فأنا لا أدَعُهَا حتى أعلَمَ أنَّ صاحبَها قد ماتَ أو قُتِلَ ، فأرسلَ إليه أبو جعفرٍ أنَّ مروان قد قُتِل ، فلما تَيقَّنَ من قَتْلِهِ ، طَلَبَ الصُّلْحَ ، فأجابوه إلى ذلك ، وكتبوا إلى أبي العباس ، فأمَرَهُمْ أنْ يُؤَمِّنُوه ومَنْ معه ، ففعلُوا ، وكَتَبُوا بينهم كتاباً ، وَوثَّقُوا له فيه. فخرجَ إسحاق إلى أبي جعفرٍ ، وتَمَّ الصُّلْحُ بينهما ، وحُمِلَ إلى أبي العباس ، فكان أثيراً عنده وعندَ أبي جَعْفَرٍ ، وكانوا يَنْسِبُونَهُ إلى الوَفَاءِ ، وكان فيه جَفَاءٌ يُدَارَى له[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٤٦ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٤ ، وبهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٥٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٣.

(٦) ثَوْراتٌ أخرى بالجزيرة

ولم يَسْتَسْلِمِ الأمويونَ وأنْصارُهم من أهلِ الجزيرة بعد انتهاءِ ثورةِ إسحاق ابن مسلمٍ العُقَيْلي ، بل ظلوا يُنَاوِئونَ العباسيين ، ويَنْتَهِزُونَ الفُرَصَ للقَضاءِ عليهم ، حيناً يترأسُ بعضُ الأمويين على جموعِ الثائرين من أهلِ الجزيرةِ ويَقُودهم بنفسه ، وحيناً يَلْحَقُ بَعْضُهم بالحَرُوريَّةِ من أهلِ الجزيرةِ ، ويُقَاتِلُ العباسيين معهم .

في آخر خلافة أبي العباس ثار أبانُ بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بالجزيرة ، وأقْبَلَ يريدُ عبدَ الله بن عليٍ في أربعة آلافٍ ، حينَ تَوجَّهَ لِغَزْوِ الصائفة ، فقَصَدَ له عبد الله ، ووجَّهَ على مقدمته حميد بن قحطبة الطائي ، والعباس ابن زبيد ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، حتى انهزم أبان وأصحابه ، وتحصَّنُوا في حِصْنِ كَيْسوم ، فنزل عليه عبد الله ، فطلبُوا الأمان ، فأمَّنهم ، وهَرَبَ أبانُ ، فَدُلَّ عبد الله عليه ، وكان في غارٍ ، فقطع عبد الله يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ ، ثم ضربَ عُنُقَه[1] .

وخرجَ علي أبي العباس ، وأبو جَعْفَرٍ عامِلُهُ على الجزيرة ، قومٌ من الخوارج ، وأميرُهُم بكرُ بن حميدٍ الشيباني ، وكان معهم محمد بن سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، فوجَّه إليهم محقن بن غزوان ، فهزَمهم ، فأتى

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٠٩ .

بكرٌ رأْسَ العَيْن ، وبلغ ذلك أبا جعفرٍ ، فوجَّهَ إليه مقاتل بن حكيم العَكي ، واتبعه أبو جعفرٍ من كَفَرْتُوثي إلى بعض قرى دَارَا ، فالْتَقَوْا ، فَقُتِلَ محمدُ بن سعيدٍ ، وانهزم الخوارجُ ، واعْتَصَمَ بكرٌ بجبلِ دارا ، فتوجَّهَ إليه العكيُّ ، فقتلَهُ ، وأمرَ أبو جعفرٍ بهَدْمِ مدائن الجزيرة إلاَّ حَرَّان[٢] .

وهكذَا أخْفَقَتْ انتفاضاتُ الأمويّين وأنصارِهم من أهل الشامِ والجزيرة ، ولم يُكْتَبْ لها النجاحُ ، لأنَّ القائمين بها كانوا مُشتَّتين غيرَ مُنَظَّمين ، ووَفَوْضَى مُخْتَلِطين ، ولأنّ العباسيِّين سارعوا إلى مُحاصرتِهم ومُحاربَتِهم ، فَقَتَلُوا رؤوسَهم ، ومزَّقُوا جُموعَهم ، وتَعقَّبُوا الأمراء الأمويين الذين قَادُوهم أو انْتَظَمُوا في صُفُوفِهِم ، فَفَتَكُوا بهم خاصّةً ، وَبَطَشُوا بالقَيْسيَّةِ الذين أيَّدُوهُم ، إلاَّ إسحاق بن مسلمٍ العُقَيْلي ، فإنهم أمَّنوهُ وصَفَحُوا عنه ، لِضَخامَةِ قبيلتِهِ.

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٥١.

خاتمة

لم يكنْ للعباسيِّين شَخصيَّةٌ مُستقِلَّةٌ ، ولا كانَ لهم مَطامحُ سياسيَّةٌ خاصةٌ في صَدْرِ الإسلام ، بل كانُوا يَذْكُرُونَ أنهم من الهاشميِّينَ ، ويَعتَزُّونَ بنَسَبِهم فيهم ، وكانوا يُقِرُّونَ بِفَضْلِ أَبناءِ عُمُومَتِهم الطَّالبيِّينَ ، ويَحْرِصُونَ على صِلَتِهم بهم ، وكانوا يُـؤَخِّرُونَ أنْفُسَهم عنهم ، ولا يُقَدِّمُونَها عليهم !

وفي أكثَرِ الرِّواياتِ وأَرْجَحِها ، وأعْلَاها وأَصَحِّها أَنَّ جَدَّهم العباس بن عبد المُطَّلب تَبَاطأَ عن الدُّخُولِ في الإسلام ، فلم يكنْ من السَّابقينَ الأَوَّلينَ ، ولا من المُهَاجرينَ ، فقد أسلَمَ في السَّنةِ السَّابعةِ من الهِجْرَةِ ، وأعْلَنَ إسْلَامَهُ في السَّنَةِ الثامنةِ ، قَبْلَ فَتْحِ مكةَ بقليلٍ .

ولكنَ الرِّواياتِ العباسيَّةَ تَنْسِبُ إليه التَّبكيرَ في اعْتِناقِ الإسلامِ ، فهي تُشيرُ إلى أَنَّهُ أسْلَمَ في بَيْعَةِ العَقَبةِ ، وأظْهَرَ إسْلَامَهُ في السَّنةِ الثانيةِ من الهِجْرة ، بعدَ غَزْوةِ بَدْرٍ .

فلما أسْلَمَ أجلَّهُ الرَّسُولُ وبَجَّلَهُ ، وأَنْزَلَهُ بمَنْزِلةِ الوالِدِ من الوَلَدِ . وكان العباسُ يَوَدُّ أنْ يَجْمعَ إليه الرَّسُولُ الحجابةَ والسِّقايَةَ ، فأبْقَى له السِّقايةَ ، ونزَعَ منه الحِجابةَ ، وكان يَوَدُّ أنْ يَجْعَلَ الخلافةَ لبني هاشمٍ ، أو أنْ يُوصيَ الناسَ بهم ، إنْ أخرَجَها منهم ، فنهاهُ الرَّسُولُ عن طَلَبِ الخلافةِ ، وصَدَّهُ صَدًّا شديداً . وكان يُرَشِّحُ عليَّ ابن

أبي طالبٍ للخلافةِ ، وينْصَحُ له أنْ يَطْلُبها ، فكان عَلِيٌّ يَأْبى تَرْشيحَهُ ، ويَرْفُضُ نُصْحَهُ .

وكانَ أبو بَكْرٍ وعمرُ وعثمانُ يُوَقِّرونَ العباسَ ، ويُشاوِرُونَهُ ، ويَأْخُذونَ برأيِهِ ، ولم يُجاوِزُوا تَوْقِيرَهُ ومُشاوَرَتَهُ ، ولم يَزِيدُوا عليهما شيئاً ، فقد مَضَوْا يُبْعِدُونَهُ عن السياسةِ ، ويُقْصُونَهُ عن الولايةِ ، مُسْتَضيئينَ بمعاملةِ الرَّسُولِ له ، ومُسْتَنيرينَ بمَنْعِهِ بني هاشمٍ من وراثةِ الإمامة ، وتَداوُلِ الخلافةِ بعدَ وَفاتِهِ .

وقد ضَخَّمَ العباسيُّونَ شَخْصيَّةَ جَدِّهم في أثناءِ الدَّعْوَةِ تَضْخيماً عَظيماً ، ونَفَخُوا فيها بعدَ قيامِ الدَّوْلَةِ نَفْخاً قويًّا ، فتَزَيَّدُوا في محامِدِهِ ومحاسِنِهِ ، ومَدُّوا في مآثِرِهِ ومَساعيه ، وَزَعموا أنَّ الرَّسُولَ نَصَّ عليه ، ونَصَبَهُ إماماً ! ! ورَوَوْا في ذلك أحاديثَ كثيرةً مُوَلَّدةً ، ليسَ لها أُصُولٌ في كُتُبِ الصِّحاحِ السّتةِ ، وأنْكَرَهَا نُقَّادُ الحديثِ الأَثْباتُ ، ورَوَوْا فيه أخباراً غزيرةً مُلَفَّقةً ، ليس لها أُصُولٌ في المَصَادرِ التاريخيَّةِ والأدبيَّةِ التي تَحَرَّى مُصَنِّفُوهَا الأخبارَ الصَّحيحةَ ، وأبْطَلَهَا العلماءُ الثِّقاتُ .

وكان عبدُ الله بنُ العباس أرْفَعَ إخْوتِهِ قَدْراً ، وكان حَبيباً إلى الرَّسول ، فدعَا الله أنْ يُفَقِّهَهُ في الدِّينِ ، ويُعَلِّمَهُ التَّأْويلَ ، وكان يُدْنِيهِ ، ويُطْرِيهِ ، ويُنَوِّهُ بِفِطْنَتِهِ وحَصَافَتِهِ ، ويُشيدُ بحُنْكَتِهِ ورَصَانَتِهِ .

ولم يزل أبو بَكْرٍ وعمرُ وعثمانُ يُقَدِّرُونَهُ ، ويُقَرِّبُونَهُ ، ويَسْتَفْتُونَهُ ، ويَرْضونَ حُكْمَهُ ، ويَقْبَلُونَ اجْتِهادَهُ ، ولكنهم نَحَّوْهُ عن السياسةِ والولايةِ والخِلافةِ ، كما نَحَّوا وَالِدَهُ عنها .

فلما استُخلِفَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ انْضَمَّ عبدُ الله بنُ العباس إليه ، وَعَمِلَ له ، وناضَلَ عنه ، وقاتلَ معه . ثم رَجَعَ من البَصْرةِ إلى مكةَ بعدَ اغْتِيالِهِ ، ولَزِمَ الحَيْدَةَ ، فاعْتَزَلَ السياسةَ ، وتَفَرَّغَ لِلْعِلْمِ ، فبَلَغَ فيه الغايةَ ، ووَقَفَ منه على النهاية ، واتَّسَعَتْ

ثقافَتُهُ، وتَنَوَّعَتْ مَعَارِفُهُ حتَّى قِيلَ له: تَرْجُمانُ القرآنِ، وحَبْرُ قُرَيْشٍ أوْ حَبْرُ الأُمَّة، وسُمِّيَ البَحْرَ من كَثْرةِ عِلْمِهِ.

وبَايَعَ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ، وتَطَامَنَ له. ثم بَايَعَ يزيد بنَ معاوية، ودَعَا إلى طَاعَتِهِ، ونهَى عن مُخَالَفتِهِ. واستَنكَفَ من بَيْعَةِ عبدِ الله بن الزُّبير، وامْتَنَعَ عنها، وَفَضَّلَ عليهِ عبدَ الملك بنَ مروان، وقرَّرَ أنه أَصْلَحُ منه للخلافةِ، وأجْدَرُ بها. فنفاهُ عبدُ الله بنُ الزُّبير إلى الطائفِ، وحَذَّرَهُ وأنْذَرَهُ، وهَدَّدَهُ وتَوَعَّدَهُ، فظَلَّ على مَوْقِفِهِ منه، ولم يُغَيِّرْ رأْيَهُ فيه حتى تُوُفِّيَ سنةَ ثمانٍ وستِّينَ.

وقد فَخَّمَ العباسيُّونَ شَخْصيَّةَ عبدِ اللهِ بن العباس في أثناءِ الدَّعْوَةِ تَفْخيماً كثيراً، وهَوَّلُوهَا بعدَ قيامِ الدَّوْلَةِ تَهْويلاً كبيراً، فتكَثَّروا من مَنَاقبِهِ ومكَارِمِهِ، وسَاقُوا في ذلك أحاديثَ وفيرةً مَصْنوعةً، ليس لهَا ذِكْرٌ في كُتُبِ الصِّحاحِ الستَّة، وشَكَّ فيها حُفَّاظُ الحديثِ المُدَقِّقُونَ، فأسْقَطُوا مُعْظَمَهَا، وأبْقَوا أقَلَّهَا، وهو ما أجْمَعَ عليه الحُجَّةُ من العُلماء، وهو ثلاثةُ أحاديث، لا صِلَةَ لها بالإمامةِ والخلافةِ!!

وجَعَلوهُ بَطلاً سياسيًّا، فأسْنَدُوا إليه أنه كانَ يُخْبِرُ بانْتقالِ الخلافةِ إلى وَلَدِهِ، وخُروجِ المَهْديِّ منهم، وبقاءِ الأمْرِ فيهم، وأنه سَمِعَ الرَّسُولَ يُبَشِّرُ بانْتِهَاءِ الخلافةِ إليهم، عندَ انْقِضَاءِ مُلْكِ بني أميَّة. وروَّجوا أنه كان يُقَارِعُ عن حَقِّ الهاشميِّينَ في الخِلافةِ، ويَجْهَرُ به، ويَنْتَصِرُ له، ويُنَاظِرُ السُّفيانيِّينَ والزُّبيْريِّينَ فيه، فيَقْطَعُهُم قَطْعاً، ويُقَوِّضُ دَعْوَاهُم في الخلافةِ، ويَنْقُضُهَا نَقْضاً!! وأيَّدُوا ذلك بأخبارٍ ثَرَّةٍ مُخْتَرَعةٍ، لا ذِكْرَ لها في المصادرِ التاريخيَّةِ والأدبيَّةِ التي عُنِيَ مُؤَلِّفوهَا بالأخبارِ المُتَواتِرةِ، وارتابَ بها العُلماءُ المُتَحَرِّزونَ، فأعْرَضُوا عنها، ولم يَحْمِلُوا شيئاً منها.

وكان عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بن العباسِ أوَّلَ شَخْصِيَّةٍ عبَّاسيَّةٍ كان لها مَطَامِحُ سياسيَّةٌ، وكان مثالاً للرَّجُلِ الكاملِ في جَمالِهِ وعِلْمِهِ وأدَبِهِ وفَضْلِهِ وعبادَتِهِ وزهادَتِهِ، وكان له مكانةٌ عاليةٌ في قريشٍ.

وقد أمَرَهُ أبوهُ أنْ يَرْحَلَ عن الحجازِ ، ويأْتيَ الشامَ ، لأنه كان يخافُ عبدَ اللهِ ابنَ الزُّبيرِ عليه ، ويَخْشَى أنْ يَغْدِرَ به. فلما ماتَ أبوهُ تَحوَّلَ إلى الشامِ ، فاسْتَقْبَلَهُ عبدُ الملكِ بنُ مروان ، واحْتَفَلَ به ، وأحْسَنَ إليه .

وابْتَنى داراً بدمشقَ ، وأقامَ بها إلى حينٍ ، ثم لم يأْمَنْ حَسَدَ أهلِ الشامِ له ، وارْجافَهم به ، فسكَنَ الحُمَيْمَةَ ، ليكونَ بمَنْجاةٍ من حِقْدِهم وكَيْدِهم ، وبدأ فيها نَشاطَهُ السياسيَّ ، وسعَى سَعْيَهُ لإزالَةِ مُلْكِ بني أميَّةَ .

وتَغَيَّرَ له عبد الملك بن مروان ، لأنه تَزوَّجَ لُبانةَ بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالبٍ ، بعدَ أنْ طَلَّقَهَا عبدُ الملك وفارقهَا ، ثم جَفاهُ ونالَ منه ، لأنَّ الكُهَّانَ أعْلَمُوهُ أنَّ الخلافةَ تَصيرُ إلى وَلَدِه ، وأنهم يَظْهَرونَ على مَنْ يُنَاهِضُهم ، ويَمْحَقونَهُ محْقاً . فساءَتْ حالُهُ في آخرِ أيامِ عبد الملك بن مروان ، وازدادتْ سُوءاً في أيامِ الوليد ابن عبد الملك ، لأنه توثَّقَ من طَلَبِهِ للخلافةِ ، فتَصدّى له ، وعنُفَ به ، وجَلَدَهُ ، وشَنَّعَ عليه ، وأخْرَجَهُ من الشامِ ، فلم يزل مَنْفِيًّا بالحِجْرِ حتى ماتَ الوليدُ .

فلما استُخْلِفَ سليمانُ بن عبد الملك رَدَّهُ الى الشام ، وأنْصَفَهُ وأعْتَبَهُ ، فاسْتقامَتْ حالُهُ ، وعادَ لمُزَاوَلَةِ عَمَلِهِ السياسيِّ ، وبرَّهُ عمرُ بنُ عبدِ العزيز ، كما بَرَّ بني هاشمٍ ، وأكْرَمَهُ هشامُ بن عبدِ الملكِ ، فأدّى عنه دُيُونَهُ ، وأسْنَى له الجوائزَ ، وأغْضَى على ما كان يَبْلُغُهُ من تَنَبُّهِ بانْتِقالِ الخلافةِ إلى وَلَدِهِ ، إذْ ظَنَّ أنه أُهْتِرَ في شَيْخُوخَتِهِ ، وأنه كانَ يهْذِي في آخرِ حياتِهِ !

وتُوُفِّي عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ العباس سنةَ ثمانيَ عَشْرَةَ ومائةٍ ، وقد نَشَأَتِ الدَّعْوَةُ إلى بني العباس وتأسَّسَتْ ، وفَشَتْ في خراسانَ وتَوَطَّدَتْ .

وكان محمدُ بن عليٍّ أكبرَ إخوَتِهِ مقاماً ، إذ كانَ عالماً جليلاً ، وتَقِيًّا فاضِلاً ، ومُتَقَشِّفاً مُتَقَلِّلاً ، وصَوَّاماً قَوّاماً ، وحَمُولاً صَبُوراً ، وعَفُوًّا غَفُوراً ، وقويًّا صَليباً ،

ولَسنا منْطيقاً ، فعَهِدَ إليه أبوهُ بقيادةِ الدَّعْوةِ ، وألْقَى إليه مقاليدَها ، فقامَ بأمْرِهَا في حياتِه .

وكانَ محمدُ بن عليٍّ من تلاميذِ أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحَنَفيَّةِ ، إمام فِرْقة الهاشميَّةِ من الكَيْسانيَّة ، وكان أبو هاشمٍ يَصْطفيهِ على إخوتِه ، ويُقَدِّمُهُ على جميعِ الهاشِميِّينَ ، وكانَ يقول : لا أعرِفُ أحداً أعْلَمَ منه ، ولا خَيْراً منه .

فلما مرضَ أبو هاشمٍ ، وهو في الطريقِ من دمشقَ إلى المدينةِ ، عَدَلَ إلى الحُمَيْمَةِ ، ونَزَلَ على محمد بن عَليٍّ ، فأوْصَى إليه ، ودَفَعَ إليه كُتُبَهُ ، وأخْبَرَهُ أنَّ الأمْرَ في وَلَدِهِ ، فمالَ إليه الناسُ ، فَثَبَّتُوا إمامَتَهُ وإمامةَ وَلَدِهِ .

وكانت وَصِيَّةُ أبي هاشمٍ الأساسَ الذي بَنَى عليه العباسيُّون حَقَّهُم في الإمامة في أثناءِ الدَّعْوَةِ ، وفي صَدْرِ الدَّوْلَةِ ، ولم يكن لهم قَبْلَها حُجَّةٌ واضحةٌ يتوسَّلون بها إلى الإمامةِ ، ويُسَوِّغونَ بها حَقَّهُمْ فيها .

واسْتَنَدَ محمدُ بنُ عليٍّ إلى وَصِيَّةِ أبي هاشمٍ ، واستَوْعَبَ شيعَتَهُ ، ورَضَخَ لِوُجُوهِهم وأعْيانِهم ، واتَّكَلَ عليهم في إنشاءِ الدَّعْوَةِ وتكْوينِها ، وفي نَشْرِهَا وتَرْسيخِهَا ، فاتَّخَذَ منهم كِبارَ دُعَاتِهِ ، وجَعَلَ مَقَرَّهُمُ الكوفةَ ، وانْتَخَبَ منهم دُعَاتَهُ ، وجَعَلَ مَسْرَحَهم خراسانَ .

وفي سنةِ مائةٍ أرْسَلَ أوَّلَ فريقٍ من الدُّعاةِ إلى خراسان ، وأمَرَهم أنْ يَدعُوا الناسَ إلى الرِّضا من آلِ محمدٍ ، ولا يُسَمُّوا أحداً ، ورأسَ عليهم زيادَ بن دِرْهَمٍ مولى هَمْدانَ ، وكَنَّاهُ أبا محمدٍ ، وهو يُذْكَرُ حيناً بكُنْيتِهِ الأولى ، وهي أبو عِكْرِمَةَ السَّراجُ ، ويُذْكَرُ حيناً آخرَ بكُنْيتِهِ الثانية ، وهي أبو محمدٍ الصادقُ ، فقدِمُوا خراسانَ ، فبَثُّوا الدَّعْوَةَ فيها ، واستَمالُوا جماعةً من أهْلِهَا ، ورَجعُوا إليه بكُتُبٍ مَن

استجابَ لهم . فكتبَ إليهم كتاباً ليكونَ لهم مثالاً وسيرةً يَسيرون بها ، فاختارَ منهم أبو عِكْرَمةَ السَّراجُ سبعين رَجُلاً دُعاةً ، واختارَ منَ السَّبعينَ اثني عَشَر نَقيباً .

وظلَّ محمدُ بن عَليٍّ يبعثُ وُفُودَ الدُّعاةِ إلى خُراسان مُدَّةَ حياتِهِ ، فكان كلُّ وَفْدٍ منهم يجتهدُ في نَشْرِ الدَّعْوَةِ ، ويَجِدُّ في اجْتِذابِ الناسِ إليها ، حتى كَثُرَ أتباعُهَا ، وظَهَرَ أمْرُهَا . فقاوَمَهَا بعضُ عُمَّالِ هشامِ بن عبد الملك ، وتَتَبَّعُوا دُعَاتَهَا ، فقَبَضُوا على طائِفةٍ منهم ، وضَرَبوا أعْنَاقَهم ، ولكن بقيَّةَ عُمَّال هشامٍ تَسامَحُوا في مُحَاربتِهم . لأنه أمَرهم أنْ يَنْفُوا مَنْ يَظْفَرونَ به منَ الدُّعاةِ ، وأنْ يَسُوسُوا الناسَ بالحُسْنَى ، ولا يَرْغبوا في الدِّماءِ . وكانَ زُعماءُ اليمانية والرَّبعية يَشْهَدُونَ ببراءةِ مَنْ يُؤْخَذُ مِنَ الدُّعاةِ مِنْ قَبائِلهم ، ويَسْتَشْفِعُونَ لهم ، فكانَ عُمَّالُ هشامٍ يُخْلُونَ سَبيلَهم .

وكان كبارُ النُّقباءِ والدُّعاةِ يَلْقَوْنَ محمدَ بن عليٍّ بمكةَ والمدينة في أكثرِ مواسمِ الحجِّ ، وكانوا يَلْقَوْنَهُ بالحُمَيْمَةِ ، فيُطْلِعونَهُ على أوْضَاعِ الدَّعْوَةِ وأحْوالِهَا ، ويُشَاورونَهُ في مشاكِلِهَا ، ويَسْتَرْشِدُونَ برأيِهِ ، ويتزوَّدُونَ أوامِرَهُ ونَوَاهِيهِ ، ثم يَعُودُونَ إلى خراسان فيُوَاصِلُونَ عَملَهم ، فنَمَتِ الدَّعْوَةُ وقَوِيَتْ ، وثَبَتَتْ وانْتَظَمَتْ وعَظُمَتْ .

وكان شُذُوذُ الدَّاعيةِ عَمَّارِ بن يزْدَاد عن مِنْهَاجِ الدَّعْوَةِ أخْطَرَ المُشْكلاتِ التي صَادَفَهَا محمدُ بنُ عليٍّ وعَانَاهَا ، فقد وَجَّهَهُ بكيرُ بنُ ماهانَ والياً على شيعةِ بني العباس بخراسانَ ، فنزلَ مَرْوَ الشَّاهجانِ ، وغيَّرَ اسْمَهُ ، وتَسَمَّى بخداش بن يزيد ، ودَعَا إلى محمد بن عليٍّ ، فسارَعَ إليه الناسُ ، وأطاعُوهُ ، ثم بَدَّلَ ما دَعاهم إليه ، وتَكَذَّبَ وأظْهَرَ دِينَ الخُرَّمِيَّةِ ، ورَخَّصَ لبعضهم في نساءِ بعضٍ ، وأحَلَّ لهم المُحَرَّماتِ ، وأسْقطَ عنهم المَفْرُوضاتِ ، وزعمَ أنَّ محمد بنَ عليٍّ أمَرَهُ بذلك ،

فاستَهْوَى الناسَ وفتَنهم ، وتابَعَهُ على مَقَالَتِهِ جماعةٌ من النُّقباءِ والدُّعاة . فاضْطَرَبتِ الدَّعْوَةُ ، وعصَا شيعتُهَا محمدَ بن عليٍّ ، وخَالَفُوا عن سيرَتِهِ ، فانْبَرَى محمدُ بن عليٍّ لعلاجِ الفَسادِ ، ولم يزَلْ يَحتالُ له حتى أرْسَلَ بكيرَ بنَ ماهانَ إلى خراسان سنةَ عشرين ومائةٍ ، فأصْلَحَ ما كان خداشٌ أفْسَدَهُ ، وردَّ الناسَ إلى أمْرِ محمد بن عليٍّ وسُنَّتِهِ ، وحملَهم على طاعَتِهِ ، ولكن بَقِيَتْ منهم بَقِيَّةٌ تَدِينُ بدينِ الخُرَّمِيَّةِ ، دينِ الفَرحِ والبَهْجَة .

وكانَ خِداشٌ أول من فَسَحَ المجال للخرميَّةِ في الدَّعْوَةِ العباسيَّةِ ، وقَبلَ فيها غَيْرَهم منْ أرباب الدِّياناتِ الفَارِسيَّةِ . وعلى أنه خَرَجَ على هَدْيِ محمدِ بن عليٍّ وطريقتِهِ ، وانحرفَ عن هَدَفِهِ وغايتِهِ ، فإنه وَسَّعَ قواعدَ الدَّعْوَةِ ، وكثَّرَ أنصارَهَا ، وجمعَ بين العرب والعَجَمِ منهم ، على تَبايُنِ مَذَاهبهم ، واختلافِ مآربهم ، وكان له أثَرٌ بارِزٌ في اجْتِلابِ الغُلاةِ إلى الدَّعْوَةِ العباسية .

وعُمِّرَ محمدُ بنُ عليٍّ عُمراً طويلاً ، فقد جاوزَ الستينَ ، وأدْرَكَ أكثر الخلفاء المَرْوانيِّينَ من عبدِ الملك بن مروان إلى الوليد بن يزيد . وكانوا جميعاً يتغافَلُونَ عن مَساعِيهِ السياسية ، ويُقدِّرونَهُ ، ويَقْضُونَ عنه دُيُونَهُ ، ويَصِلُونَهُ ، ولاسيَّما هشامُ ابنُ عبدِ الملك ، فلمَّا تَيقَّنَ هشامٌ أنه يَدْعُو الناسَ إلى نَفْسِهِ ، ويتوقَّعُ دولةَ بني العباس ، ويَرْوي فيها الأحاديث ، ويُرَشِّحُ لها الأحْدَاثَ ، سخَطَ عليه ، واطَّرحَهُ ، وأنَّبَهُ ، ويقال : إنه حَبَسَهُ ، وعَذَّبَهُ ، ثم أطْلَقَهُ ، ولم يزَلْ حانقاً عليه ، كارهاً له إلى آخر خلافتِهِ .

وماتَ محمدُ بنُ عليٍّ سنةَ خمسٍ وعشرينَ ومائةٍ . وهو أكبرُ الشَّخْصيَّاتِ العَباسيَّةِ السياسيَّةِ ، وهو المُنْشِئُ الحقيقيُّ للدَّعْوَةِ العباسيَّةِ ، إذ كان عَقْلَها المُفكِّرَ ، ورأسَهَا المُدَبِّرَ والقائمَ بأمْرِهَا ، والضَّابِطَ لسَيْرِهَا ما يزيدُ على رُبْعِ قَرْنٍ من الزَّمانِ .

وهو المُشَرِّعُ لمبادئها وشعاراتها ، وهيَ البَيْعَةُ للرِّضا من آل محمدٍ ، والعملُ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وإزالةُ الظُّلْمِ ، وإقامةُ العَدْلِ .

وهو المُبْدِعُ لمؤسساتها ومُنظَّماتِها ، وهيَ مَجْلِسُ النُّقباءِ ، ومَجْلِسُ السَّبْعينَ ، ومَجْلِسُ الدُّعاةِ ، ومجلسُ نُظَراءِ النُّقباءِ ، ومَجْلِسُ دعاةِ الدُّعاةِ .

وهو الصَّانعُ لأساليبِها وسياساتِها ، وهي الدَّعْوَةُ في السرِّ ، واتِّخاذُ زيِّ التجارِ ، والتَّبْشيرُ بالمَهْدِيِّ المُنْتظَرِ ، والإكثارُ من الاعتماد على القصصِ والتَّنبُّؤاتِ ، والإخبار بالمُغيَّبات .

وهو الواضعُ لمقاصِدِها وغاياتِها ، وهي التَّفْريقُ بينَ دَعْوةِ أهْلِ البَيْتِ من الهَاشميِّينَ ودَعْوةِ العَلَويِّينَ ، واسْتغلالُ العَلويِّينَ وشيعتهم ، وتحْذيرُ دُعاتِهِ وأتباعِهِ مُخالَطتهم ، والانْدِماجَ فيهم ، والخروج معهم ، والإلحاحُ على التَّميُّزِ منهم ، حتى يَسْتَخْلِصَ العباسيُّون الدّعوةَ لأنْفُسِهم ، ويستأثروا بالدَّولَةِ من دُونهم .

وكانَ إبراهيمُ بنُ محمدٍ سَيِّدَ وَلَدِ أبيهِ ، فإنه كان أرْسَخَهم مَعْرفةً وعِلْماً ، وأكثرَهم روايةً وفِقْهاً ، وأشْهَرَهم فصاحةً وأدَباً ، وأعظَمَهم صلاحاً وورعاً ، وأجْمَلَهم احْتِمالاً وصَبْراً ، وأوْسَعَهم مَعْروفاً وكَرَماً ، وأشَدَّهُم عَزْماً وحَزْماً ، فأوْصَى إليه أبوهُ بالإمامة .

فلما قامَ بالأمْرِ ، أرْسَلَ بكيرَ بنَ ماهانَ إلى خراسان ، ليُخبرَ مَنْ بها مِنْ شيعَةِ بني العباس بتَوَلِّيهِ قيادةَ الدَّعْوَةِ بعدَ وَفاةِ أبيهِ ، فسار بكيرٌ إليهم ، فأخذَ له البَيْعَةَ عليهم ، وأتَى معه بعدَّةٍ من نُقبائهم ودُعاتهم ، فقابَلُوا إبراهيم بن محمدٍ بمكة ، وأعْلَمُوهُ بطاعَتِهم ، ثم قَابَلَهُ وَفْدٌ آخر منهم بمكةَ بعد ذلك ، وكان معهم أبو مُسْلمٍ ، فزكَّوْهُ عِنْدَهُ ، فضَمَّهُ إليه ، ووجَّهَهُ إليهم بكُتُبِهِ مراراً ، فتوثَّقتْ صِلَةُ إبراهيمَ بن محمدٍ بهم ، وقَوِيَ سُلطانُهُ عليهم .

ثم قرّر أنْ يُرْسِلَ بكيرَ بنَ ماهانَ مرةً ثانيةً إلى خراسانَ ، ليُخْبرَ الشيعةَ بهَا بلَوْنِ راياتِ الدَّعْوَة ، وشعارِها في الحَرْبِ ، ويُعِدّهُم ليوم الثَّوْرةِ المُرْتقَبِ ، فسُجنَ بالكوفةِ في دَيْنٍ لَزِمَهُ ، فبعثَ إليها صِهْرَهُ أبا سَلمةَ الخَلاَّلَ ، فأدّى الرِّسالةَ ، وقَضى الأمْرَ.

ومرضَ بكيرُ بنُ ماهانَ ، فاستَخْلَفَ قبلَ مَوْتِهِ أبا سلمةَ الخَلاَّلَ ، وكتبَ إلى إبراهيمَ بن محمدٍ يُثْني عليه ، فعَيَّنَهُ كبيراً للدُّعاةِ بالكوفةِ ، وكتبَ إلى الشيعةِ بخراسانَ يُعْلِمُهم بذلك ، ثم مضَى أبو سلمةَ الخَلاَّلُ إليهم ، فصَدَّقُوهُ ، وانْقَادُوا له .

وفي سنة ثمانٍ وعشرينَ ومائةٍ أخذتِ الفرصةُ تتهيَّأُ لإعلانِ الثَّوْرةِ ، وكانَ النَّقيبُ سليمانُ بنُ كثيرٍ الخزاعيُّ هو القائمُ بأمْرِ الدَّعْوَةِ بخراسان ، وكان قَويَّ الجانبِ ، كبيرَ الطُّموح ، فكان ابراهيمُ بن محمدٍ يَخْشَى سَطْوتَهُ ، ويخافُ تمرُّدَهُ ، ففكَّرَ في الأمرِ ، وقَدَّرَ أنْ يشرفَ بنفسهِ على الدَّعوَةِ بخراسان ، فوجَّهَ إليها أبا مسلمٍ ، وأمرَ الشيعةَ بالانْصياع له ، وأوْصَاهُ أنْ ينزل في أهْلِ اليمن ، ويتألّفَ ربيعةَ ، ولا يَنْسَى نَصيبَهُ من صَالحي مُضَر ، ويَجْمَعَ إليه العَجَمَ ، وأَذِنَ له في قَتْلِ مَنْ يَتَّهِمُهُ مِنَ العَرب . فلما وَرَدَ مَرْو الشّاهجان ، استَخَفَّ به سليمانُ بنُ كثيرٍ الخزاعيُّ ، وضَرَبَهُ فشَجَّهُ في رأسِهِ ، وأبَى أنْ يتنازلَ له عن الرئاسة . وكان سائرُ النقباءِ يَسْتَثْقِلُونَ سليمانَ بن كثيرٍ الخزاعيَّ ، ويَكْرَهُونَهُ ، لأنه كان تيّاهاً فخوراً ، ومُستَبداً متكبِّراً ، فتَواطئُوا على عَزْلِهِ عنهم ، وأجْمَعُوا على تأْميرِ أبي مسلمٍ عليهم . فصارَ سليمانُ مُفْرداً مَنْبُوذاً ، فلم يَلْبَثْ أنْ أذْعَنَ لأبي مسلمٍ ، وأظْهَرَ أنه رضيَ به ، وصالحَهُ وصافاهُ ، وأقام أبو مسلمٍ عنده بِقَرْيةِ سَفيذَنْجَ.

فلما استَقرَّ بأبي مسلمٍ المقامُ ، شَمَّرَ لبثِّ الدّعوةِ وتَنْظيمها ، ونجحَ في ذلك نجاحاً باهراً ، فقد اجتذَبَ إليها كثيراً من العربِ والعَجَم ، وضَبَطَ أُمورَهَا ضَبْطاً مُحكَماً .

وفي سنة تسعٍ وعشرين ومائةٍ أمَرَهُ إبراهيمُ بن محمدٍ بتفْجيرِ الثَّورةِ، فصدَعَ بأمْرِهِ، وانتهزَ اختلافَ اليمانية والرَّبعيَّةِ والمُضَريَّةِ وتقاتُلَهُمْ وتفانيَهُمْ، ولم يزَلْ يتأتّى لهم حتى فرَّقَ بينَهم بعدَ اتّفاقهم على مُحاربتِهِ، وتمكَّنَ من استمالةِ اليمانيةِ إليه، وأقْنَعَ شيبانَ بنَ سَلمةَ اليَشْكُريَّ الحَرُوريَّ بمُهادَنَتِهِ والتَّنحّي عن مَرْوِ الشاهجان، واسْتعانَ باليمانيَّةِ على احْتِلالِ المدينةِ، فغلبَ عليها، وفرَّ نَصْرُ بن سيارٍ الليثيُّ منها، لأنه بَلَغَهُ أنه يأتَمِرُ به ليَقْتُلَهُ. فأخذَ أبو مُسلمٍ قادةَ نَصْرٍ وَوُلاتَه وأنصارَهُ من المضريَّةِ فضربَ أعْناقَهم، ثم وَجَّهَ إلى شيبانَ بن سلمةَ اليشكريِّ الحَرُوريِّ مَنْ قتلَهُ، وأفنى عامةَ أصحابهِ من بكر بن وائل. ثم فرَّقَ بينَ عليٍّ بن جُدَيْعٍ الكرمانيِّ الأزديِّ وأخيهِ عثمانَ، وقتلَهُما في يومٍ واحدٍ، وتتبَّعَ مَنْ عاداهُ من اليمانيَّةِ والرَّبعيَّةِ والمُضَريَّةِ فأبَادَهُم.

وولّى أبو مسلمٍ النّقيبَ قَحْطبةَ بنَ شبيبٍ الطائيَّ قيادةَ الجيوشِ العباسيَّةِ بأمْرِ إبراهيم بن محمدٍ، فانْدَفعَ قحطبة نحوَ العراق، وانْتَصرَ على الجيوشِ الأمويةِ في معاركَ مُتَلاحقةٍ حتى وَصَلَ إلى نَهْرِ الفُراتِ، فعَسْكَرَ على ضِفَّتِهِ الشَّرْقية، ثم عَبَرَهُ، ولاقى يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزاريَّ بضفَّتِهِ الغربية، فهَزَمَهُ، وشتَّتَ جُمُوعَهُ، فهربَ ابنُ هُبَيرةَ إلى واسطٍ، فتحصَّنَ بها.

وأجْلَتْ مَعْرَكَةُ فم الزَّابِ عن مَصْرَعِ قَحطَبَة في ظُروف غامضةٍ، فتولّى ابنُهُ الحسنُ قيادةَ الجيوشِ العباسيَّةِ، وزَحفَ إلى الكوفةِ، فنزلَ بأطْرافِها، وأمرَ أبو سلمَةَ الخلاَّلُ محمدَ بنَ خالد بن عبد الله القَسريَّ أنْ يخرجَ بالكوفة، وكان مِمَّن انضمَّ إلى الدَّعْوَةِ العباسيَّة، فلما خرجَ بهَا، واستَوْلَى عليها، أشارَ أبو سلمةَ الخلاَّلُ على الحسن بن قَحطبةَ الطائيِّ بدُخُولهَا، فدخلَهَا، وسلَّمَ إليه الأمرَ. ولم يَدْعُ أبو سلمةَ الخَلاَّلُ إلى بَيْعَةِ رَجُلٍ مَعْروفٍ من بني العباس، لأنَّ مروان بنَ محمدٍ كانَ أخذَ ابراهيمَ ابن محمدٍ، وحبسَهُ بحرَّانَ، ثم قتلَهُ في صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ.

وكان إبراهيمُ بنُ محمدٍ أوْصَى إلى أخيهِ أبي العباس بالإمامة ، وهو في سِجْنِ مروانَ بن محمدٍ بحرّانَ ، وأمرَهُ أنْ يرحَلَ إلى الكوفة ، فسار أبو العباس وأهْلُ بيتِهِ إليها ، فلما بلَغُوا مَشَارفهَا ، أعْلَموا أبا سَلَمَةَ الخَلاَّلَ بِقُدُومهم ، فاستاءَ منهم ، ثم أخْفَاهُم في دارِ الوليد بن سَعْدٍ مَوْلَى بني هاشمٍ ، وكتمَ أمْرَهُمْ عن شيعةِ بني العباس زُهاءَ شَهْرَين.

وأُخْبرَ أبو سلمةَ الخلاَّلُ أنَّ مروانَ بنَ محمدٍ قَتَلَ ابراهيم بنَ محمدٍ ، فحارَ وتخَبَّطَ ، وخافَ انتقاضَ الأمْرِ وفسادَهُ عليه ، وكان ولاؤُهُ لابراهيمَ بن محمدٍ ، وكأنه أصْبَحَ في شكٍ من قُدْرَةِ أبي العباس على النُّهُوضِ بأعباءِ الخلافةِ. وكان في الأصْلِ من شيعة أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفيَّةِ ، فراجعهُ هواهُ العلويُّ الدّفينُ ، وقرّرَ أنْ يَصْرِفَ الخلافةَ الى العَلَويِّينَ ، فكتبَ إلى ثلاثةٍ من الحَسَنيِّينَ والحُسَيْنِيِّينَ ، وكان يميلُ إلى الإمام جَعْفَر بن محمدٍ الصادق ، وكانَ يَوَدُّ أنْ يعقدَ له الخلافة ، ووجَّهَ رَسُولَهُ إليهم ، وأمَرَهُ أنْ يَبْدَأَ بالإمام الصَّادِقِ ، فإنْ أجابَهُ إلى ما دَعَاهُ إليه ، لم يَأْتِ العَلَوِيِّينَ الآخَرين ، وأقامَ يَنْتَظِرُ جَوابَ أحَدِهِمْ ، فلم يَنْصَرِفْ إليه الرَّسولُ بجوابٍ منهم ، لأنهم جميعاً رَفَضُوا ما دَعاهُمْ إليه.

وكان أبو مسلمٍ واعدَ إبراهيمَ بن محمدٍ أنْ يخرجَ بالكوفة في يومٍ مَعْلُومٍ ، وأنْبأَ النُّقباءَ والدُّعاةَ الذين ساروا إلى الكوفة بالموْعدِ المضْرُوب. فلما فاتَ الموْعِدُ ، وطالَ انتظارُهم لقُدومِ ابراهيم بن محمد إليهم ، واتَّصَلَ خداعُ أبي سلمةَ الخَلَّالِ لهم ، اتّهموا أبا سلمة الخلاَّلَ ، وكان الدّاعيةُ أبو الجَهْمِ بنُ عطيةَ مَوْلَى باهلة أكثرهم مراجعةً له ، وأشدّهم جُرأةً عليه. فلما تيقَّنَ قادةُ أهْلِ خراسان من مُماطلةِ أبي سلمةَ الخلاَّلِ لهم ، أخَذَ بعضُهم يَخْرجُ من مُعسكرِهِ بحمَّامِ أعْيَنَ ، ويأْتي سوقَ الكُناسةِ بالكوفة ، ليتحَسَّسَ الأخبارَ بها.

وارتابَ أبو العباس بأبي سلَمَةَ الخَلاَّلَ، وحَنِقَ عليه، لأنه انقطعَ عنه، وأفرطَ في التَّخْويف له. فأمرَ بعضَ مواليهِ أنْ يَخرُجَ من مَخْبَئِهم، ويأتيَ الكوفةَ، ليتجسَّسَ له الأخبارَ بها أيضاً. فلقيَ أبو حميدٍ محمدُ بنُ ابراهيمَ الحِمْيَريُّ من قادةِ أهْلِ خراسانَ سابقاً الخُوارزميَّ مِنْ مَوَالي أبي العباس بالكوفة، وسأَلَهُ عن إبراهيم ابن محمدٍ، فأنْبأَهُ بموْتِهِ، وقصَّ عليه خَبَرَ أبي العباسِ وأهْلِ بيتِهِ، فطَلَبَ منه أبو حُمَيْدٍ أنْ يُوصِلَهُ إليهم، فأبَى، لأنه لم يُرِدْ أنْ يُرْشِدَهُ إلى مَوْضِعهم بغيرِ مُوافقتِهم، ووعَدَهُ أنْ يلقاهُ في الغَدِ. ورجعَ سابقٌ إلى أبي العباسِ وأهْلِ بيتِهِ، فأخبَرَهُمْ بما جرَى بينَهُ وبينَ أبي حُمَيْدٍ، فعنَّفَهُ أبو العباس لأنه لم يأْتِ بأبي حُمَيْدٍ إليهم، وأمرَهُ أنْ يَلْقَاهُ في الغَدِ، ويأتيَ به إليهم، مهما تكنْ عواقِبُ اتِّصالِهِ بهم.

وعادَ أبو حُمَيْدٍ إلى مُعَسْكرِهِ بحَمَّامِ أعْيَنَ، فأعْلَمَ أبا الجَهْمِ أنه وَجَدَ سابقاً، وأفْضَى إليه بما رَوَى له سابقٌ من خَبَرِ أبي العباس وأهْلِ بيتِه، فحمَّسَهُ أبو الجَهْمِ على البَحْثِ عنهم. فلما كان من الغَدِ رَجَعَ أبو حُمَيْدٍ إلى المكانِ الذي وَاعَدَ سابقاً فيه، فقابله، وأخذَهُ سابقٌ إلى أبي العباس وأهْلِ بيتِه، فأدْخلَهُ عليهم، فسألَهم: مَن الخليفةُ منهم؟ فأشاروا إلى أبي العباس، فسلَّمَ عليه بالخلافةِ، وعزَّاهُ في أخيهِ ابراهيمَ، ثم عادَ إلى رفاقِهِ من قادةِ أهْلِ خراسان، فاتَّفقَ رأيُهم على أن يُقابِلُوا أبا العباس، فمضَى إليه منهم النَّقيبُ موسى بن كعبٍ التَّميميُّ، وأبو الجَهْمِ، وأبو حُميْدٍ، فقابلوهُ وبايعُوهُ بالخلافةِ، وانصرَفَ موسى بن كعبٍ التميميُّ وأبو الجهمِ إلى مُعَسْكرهم، وبقيَ أبو حُمَيْدٍ عندَ أبي العباس.

ونُميَ إلى أبي سلَمةَ الخَلاَّلِ خَبَرُهم، فاستَدعَى أبا الجَهْمِ، وسأَلَهُ عن حقيقةِ الأمْرِ، فلما أعْلَمَهُ أنهم عثَروا على أبي العباس، أُسْقِطَ في يَدِهِ، فسَارَ من فَوْرِهِ إلى أبي العباس، فبايعَ له بالخلافةِ، واعتَذَرَ إليه مما كان منه، فزَعمَ أنه تأنَّى تحرُّزاً وتَحوُّطاً، لأنه كان يريدُ أنْ يُحكِمَ له الأمْرَ إحْكاماً دقيقاً، ويُبْرِمَهُ إبراماً وثيقاً.

وأُخْرِجَ أبو العباس من مَخْبئِهِ ، وحُمِلَ إلى قَصْرِ الإمارةِ بالكوفَةِ ، فبُويعَ بيْعةً عامةً في الثالث عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ ، وأنفقَ أبو العباس بقيةَ السنةِ في تَدْميرِ فُلُولِ الجيوشِ الأموية ، وتَثْبيتِ سُلْطانِ الدَّوْلَةِ العباسيَّة .

وسَيْطَرَ أبو مُسْلمٍ على خراسانَ بعدَ إعْلانِ الثورةِ ، وقيامِ الدَّوْلَةِ ، فضَبَطها ضَبْطاً صارماً ، وحكمها حُكْماً حازماً ، ولم يَسْمَحْ لأحدٍ أنْ يُنَدِّدَ بسياسته ، ولا أنْ يَنْتَقِدَ بعضَ ممارسَاتِهِ ، بل بَطَشَ بكلِّ مَنْ خَالَفَهُ ، وقتَلَ كلَّ مَنْ عَارَضَهُ من النُّقباء والدُّعاةِ ، وأذنَ له أبو العباس في قَتْلِ جماعةٍ منهم ، وحَذا أبو جعْفرٍ حَذْوَ أبي العباس ، فسفَكَ دماءَ عِدَّةٍ من النُّقباءِ والدُّعاةِ والقادةِ والوُلَاةِ ، لأنهم احتَجُّوا على مُزاولاتِهِ ، وأنكروا سيرَتَهُ ، ثم ثارَ بعضُهم عليه ، فزعْزَعُوا مُلْكَهُ ، وضَعْضَعُوا مكانَتَهُ .

وكان لاهِزُ بنُ قُرَيْظٍ التَّميميُّ أوّلَ مَنْ قَتلَ أبو مُسْلمٍ من النُّقباءِ بعدَ إعلانِ الثَّوْرةِ ، فإنّهُ اتَّهمَهُ بالتحيُّزِ لِلْمُضَرِيَّةِ ، وجَرَّمَهُ بالغِشِّ للدَّعْوَةِ العباسيَّةِ ، لأنه ألْمحَ إلى نَصْرِ بن سيَّارٍ اللَّيْثيِّ ، عامل مروانَ بن محمدٍ على خراسانَ أنَّ ابا مسلمٍ أضْمر الغَدْرَ به ، فأنْذَرَهُ ، ويَسَّرَ له الهَرَبَ ، ومكَّنَهُ من النَّجاة ، فأخذه أبو مسلمٍ ، فضَرَبَ عُنُقَهُ .

وفتكَ أبو مسلمٍ بالنَّقيبِ سليمانَ بن كثيرٍ الخُزاعيِّ ، بعدَ قيامِ الدَّولَةِ ، فإنه رَماهُ بالمَيْلِ إلى العَلَويِّينَ ، وقَرَفَهُ بالكُرْهِ للعباسيِّينَ . والغالبُ أنه فتَكَ به بُغْضاً له ، وحنقاً عليه ، وانْتِقاماً منه ، لأنه أذلّهُ حينَ قَدِمَ خراسانَ والياً على مَنْ بها مِنْ شيعَة بني العباس .

ثم قَتَلَ أبو مُسْلمٍ الدّاعيةَ شُرَيْكَ بنَ شيخٍ المَهْريَّ ، والدّاعيةَ زيادَ بن صالحٍ الخُزَاعيَّ ، والدّاعيةَ عيسى بن ماهانَ الخُزَاعيَّ ، لأنهم هَتَفُوا ببغْيِهِ وطُغيانِهِ ، وثاروا على جَوْرِهِ وعُدْوانِهِ .

وسكتَ أبو العباس عن سَعْيِ أبي سلمةَ الخَلّال لتَحْويل الخلافةِ إلى العَلويِّينَ ، لأنه كانَ عاجزاً عن التَّخلُّصِ منه في أوّلِ الأمْرِ ، فلما استَتَبَّ مُلكُهُ ، تغيَّرَ له ، وزايَلَ مُعَسكَرَهُ ، وهو غاضبٌ عليه . ثم أخذَ يَحتَالُ لقَتْلِهِ ، فأرْسَلَ أخاه أبا جعفر إلى أبي مُسْلمٍ ، ليعرفَ رأيَهُ في غَدْرِهِ ، لأنه خافَ أنْ يَنْفرَ أبو مسلمٍ منه إذا قَتَلَهُ بغيرِ علْمِهِ . فلمَّا خَوَّنَهُ أبو مسلم ، وتكفَّلَ بِقَتْلِهِ ، استَقدَمَهُ أبو العباس ، وأظْهَرَ أنه صَفَحَ عنه ، وأجازَهُ ، فاطْمأَنَّ أبوسلمةَ الخلاَّلُ ، وجَعَلَ يَسْمُرُ عندَه ، وكان أبو مسلمٍ قد بَعَثَ مراراً بن أنس الضَّبيَّ ليغْتَالَهُ ، فكمَنَ له في بَعْضِ الليالي ، فاغْتَالَهُ ، وأُشيعَ أنَّ الخوارجَ قتلتْهُ .

ثم دَارَتْ دائرةُ السّوء على أبي مسلمٍ ، فإنه استْعلى على أبي جعفرٍ ، واستْهانَ به ، وتَطَاوَلَ عليه ، وأراد أنْ يُقاسِمَهُ السُّلْطَانَ ، فلم يزل يتلطَّفُ به حتى قَتَلَهُ ، وتتبَّعَ خاصّتَهُ وقادَتَهُ ، فقضى على أخْطرهم ، ومنهم أبو الجَهْم بن عطيةَ مولى بَاهِلَةَ ، فإنه كان عَيْناً لأبي مُسْلمٍ على أبي العباس وأبي جَعْفرٍ ، فكان يُسَرِّبُ إليه الأخبار . وعَرَفَ أبو جَعْفرٍ أنه يَرْميهِ بالظُّلْمِ والجَوْرِ ، فقتلَهُ بالسُّم . ومنهم النَّقيبُ خالدُ ابن ابراهيم الذُّهْليُّ ، وكان خليفةَ أبي مسلمٍ على خراسانَ ، فلما بلَغَهُ أنَّ أبا جَعْفرٍ قتلَهُ ، أساءَ القَوْلَ في أبي جَعْفرٍ ، ونَسَبَهُ إلى الغَدْرِ ، فاستَحْضَرَهُ أبو جَعْفرٍ ، فامْتَنَعَ عليه ، فزيَّنَ لعَبْدِ الرحمن بن سليم أنْ يَقتُلَهُ على أنْ يُوَلِّيَهُ خراسانَ ، فأثارَ الناسَ عليه ، ليخرجَ من دَارِهِ ، فيفتِكَ به ، فصعدَ إلى سَطْحِ دارِهِ ، ليَستَطْلِعَ الأمرَ ، فوقَعَ على الأرض فمات !

وخرجَ بعضُ أصحابِ أبي مُسلمٍ من أهْلِ خراسان غَضباً لقَتْلِهِ وطَلَباً بثأرِهِ ، فحارَبَهُم أبو جَعْفرٍ ، وقتلَ منهم سنْفاذ ، وإسحاقَ التُرك ، والمُقَنَّعَ . وكانوا يَرومُونَ إطفاءَ الإسلامِ ، والقَضاءَ على سُلْطَانِ العَرب ، وإحياءَ الخرّمية والمجُوسيَّةِ ، وإعلاءَ شَأْنِ الفُرْسِ ..

وقَتَلَ أبو جَعْفرٍ عبد الجَبَّارِ بن عبد الرحمن الأزديَّ ، والي خراسان بعدَ خالدابن إبراهيم الذُّهْليِّ ، لأنه خَلَعَهُ ، وأفْنَى طائفةً من شيعةِ العباسيّينَ ، وتَعَصّبَ للْعلويِّين .

وعَزَلَ أبو جعفرٍ جَهْوَر بنَ مَرّارٍ العِجْليَّ عن الريِّ ، وخَوَّنَهُ ، وحاوَلَ قَتْلَهُ . فعصاهُ وخَلَعَهُ ، فوجَّهَ إليه أبو جعْفَر مَنْ نَاجزَهُ وهَزَمَهُ ، ففرَ إلى أذرْبيجَانَ ، فقتَلَهُ وأخاهُ بَعْضُ جُنْدِهِ ، وحُمِلَ رأْسَاهما إلى أبي جعْفَرٍ، فنصبهما بالحيرةِ .

وتَعقَّبَ بنو العباس بني أميَّةَ بعدَ أنْ أزالوا دَوْلَتهم ، فبطَشُوا بهم بَطْشَ الجبابرةِ حتى كادُوا يَستأْصِلُونهم ، فقد قَتَلَ عبدالله بنُ عليٍّ جماعةً منهم في معركةِ الزَّاب ، وفَرَّ مروانُ بنُ محمدٍ إلى مصرَ ، فأتْبعَهُ صالحُ بن عليٍّ ، فقتَلَهُ بقَرْيةِ بُوصِيرَ من صَعيدِ مِصْرَ ، وقَطَعَ رأسَهُ وأرْسَلَهُ إلى أبي العباس ، فنَصَبهُ بالكوفةِ. وأسَرَ ابْنَيْنِ له ، فساقَهما مع امرأةِ مروانَ وبعض بناتِهِ إلى أبي العباس بالكوفة ، فسجَنَ الرِّجال ، وتَرَكَ النِّسَاءَ. ونَجا ابنانِ له ، فهربا إلى الحَبَشةِ مع كثيرٍ من نسائِهم من البناتِ والأخواتِ وبناتِ العَمِّ ، فقُتِلَ عَبيْدُ اللهِ بالحَبَشةِ ، وسَلِمَ أخوهُ عبد اللهِ ، فأتَى مكةَ ، فاستْخْفَى بها ، فدُلّ عليه ، فأُخِذَ وحُبِسَ مع سائرِ أهْلِهِ.

وقَتَلَ صالحُ بن عَليٍّ عِدَّةً من المِصْريّينَ الأُمويِّينَ ، وقَبضَ على طائفةٍ منهم ، فدفعهم إلى العراق ، فَقُتِلُوا بقَلَنْسُوَةَ من فلسطين.

ودخَلَ عبدُ الله بن عليٍّ دمشقَ ، فأباحَهَا ثلاثَ ساعاتٍ ، وقَتَلَ مَنْ وجَدَ فيها مِنْ بني أميَّةَ ومواليهم وأتْباعهم ، ونَبَشَ قُبُورَ بني أميَّة بالشام ، واستَخْرجَ عِظَامَ مَوتاهم ، فرمَى بعضَهَا بالسِّهامِ ، وضَرَبَ بعضَهَا بالسِّياطِ ، وعلَّقَ بعضَهَا على العيدان ، وأحْرَقَ بعضَهَا ، وذَرَّ رَمادَهَا في الرِّياح.

وفتَكَ عبدُ الله بن عليٍّ بحوالَيْ ثمانين من أمراءِ بني أميَّةَ على نهر أبي فُطْرسٍ

بفلسطين. ويقالُ : إنه قَتلَ بني أميَّةَ بمَحْضِ إرادَتِهِ ، ويقال : إنَّ أبا العباس هو الذي أمرَهُ أنْ يَقْتُلَهم إبادةً لهم ، واقْتِصاصاً منهم.

وطلبَ سليمان بنُ هشامٍ بن عبد الملك الأمانَ مِنْ أبي العباس ، فأمَّنَهُ ، لأنه كانَ يَعْرِفُهُ ، ثم قَتَلَهُ وابنين له بالحيرةِ!

وأعْمَلَ يحيى بن محمدٍ السيفَ في أهْلِ المَوْصِلِ بسببِ حُبِّهم لبني أُميَّة وتَعَصُّبهم لهم ، وكُرْهِهم لبني العباس وتحزُّبهم عليهم. ويقال : إنه أهْلَكَ آلافاً منهم ، حتى سَالَتْ دِماؤُهم في دِجْلَةَ فغيَّرتْ لَوْنَهُ!

وقتلَ داودُ بنُ عليٍّ كثيراً من بني أميَّةَ بمكةَ والمدينة والطائفِ ، ولم يَقْبَلْ شَفاعةَ عبدِ الله بن الحسن فيهم.

وكانَ سليمانُ بنُ عليٍّ أرْحَمَ أهْلِهِ ببني أميَّةَ ، وأحَنَّهم عليهم ، فلم يَمْسَسْ أحداً منهم بسوءٍ في البَصْرةِ ، وأجارَ كُلَّ مَن استجارَ به منهم ، وأخذَ لهم العَفْوَ من أبي العباس.

واكْتَفَى أبو العباس بحَبْسِ بعض الأُمويِّينَ وأنْصارهم دونَ قَتْلِهم ، وصَفحَ عن قليلٍ منهم لعلاقاتٍ انسانيةٍ أو ضرورات سياسيَّةٍ أو حاجاتٍ عَسْكريَّةٍ.

وفي بَعْضِ مَصارعِ الأمويين ووقائعِ قَتْلِهم تَهْويلٌ كثيرٌ ، وتَخْليطٌ شديدٌ ، وتَوْليدٌ بَيِّنٌ. ويبدو أنَّ إخْبارِيِّي الشّيعةِ وعُلماءَهم ، ومُؤَرِّخيهم وأُدباءَهُمْ هم الذين بَالَغُوا في تَصْويرِ إفناءِ العباسيِّينَ للأُمويِّينَ ، وعَبِثُوا ببعضِ أخبارِهِ ، فحرَّفُوها عن مَواضِعِها وداخَلُوا بينَها ، وتَزَيَّدُوا فيها ، تَشفِّياً بالأُمويِّينَ ، وإظهَاراً لانْتصافِ العباسيين منهم لصَرْعَاهم من العَلَويِّينَ ، وتَشْنيعاً على العباسيِّينَ ، بعدَ أنْ سَفكُوا دماءَ العَلويِّين!!

ولم يَسْتكِنْ أهلُ الشامِ والجزيرة وبعضُ من نَجا منْ بني أميَّةَ ، بعدَ انْقِراضِ دَوْلتِهم ، بل ثاروا على بني العباس بالبَلْقاءِ والبثنيَّةِ وحَوْرَانَ ، ودمشقَ ، وقِنَّسْرِينَ ، والجزيرةِ ، ولكنهم كانوا مُتباعدينَ مُتناثرينَ ، ومُتنازعينَ مُتنافرينَ ، فأحْبطَ العباسيُّونَ ثَوراتِهم ، وقتَلوا زُعماءَهُم ، وفرَّقُوا أولياءَهُم .

وعلى هذا النَّحْوِ أنشأَ العباسيُّونَ دَعْوتهم ، ونَشرُوها بخراسانَ ، وعَبَّئُوا شيعَتَها ، وانتَظَرُوا حتى وَاتَتْهُمُ الفُرْصَةُ فاغْتَنَمُوهَا ، وأعْلَنُوا الثورةَ ، وجاهدُوا في سَبيلِ الخلافةِ ، فطَوَّحُوا بالدَّوْلَةِ الأمويَّةِ ، وأدالوا منها ، وأهْلَكُوا بني أميَّةَ ، وفتكُوا بمن ناهضَهُمْ من نُقبائِهم ودُعاتِهِم ، وقَتَلُوا أبناءَ عُمُومتِهم العَلويِّينَ ، واسْتَصفوا الخلافةَ ، وغَلَبُوا عليها ، واستَبدُّوا بها .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع المطبوعة :

(١) **الآمدي** : أبو القاسم ، الحسن بن بشر (— ٣٧٠هـ) المؤتلف والمختلف تحقيق عبد الستار أحمد فراج — طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦١ .

(٢) **ابن الأثير** : أبو الحسن ، عي بن محمد (— ٦٣٠هـ)

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة — نشر المكتبة الاسلامية ببيروت .

(٢) الكامل في التاريخ — طبع دار صادر ببيروت ١٩٧٩ .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب — طبع القاهرة ١٣٦٩ هـ .

(٣) **أحمد أمين** :

(١) ضحى الإسلام — طبع دار الكتاب العربي ببيروت .

(٢) ظهر الاسلام — طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٦ .

(٣) فجر الإسلام — طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٢٩ .

(٤) **أحمد زكي صفوت** : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية — طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٣ .

(٥) **الأزدي** : أبو زكريا ، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (— ٣٤٠هـ) تاريخ الموصل — تحقيق الدكتور علي حبيبة — طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٧ .

(٦) **الأشعري** : أبو الحسن ، علي بن إسماعيل (— ٣٣٠هـ) — مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ .

(٧) **الإصطخري** : أبو القاسم ، إسحاق بن إبراهيم (توفي حوالي منتصف القرن الرابع) — المسالك والممالك — تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني — طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ١٩٦١ .

(٨) **الأصفهاني** : أبو عبد الله ، حمزة بن الحسن (— ٣٦٠ هـ) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء — طبع دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦١ .

(٩) **ابن الأنباري** : أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد (— ٥٧٧ هـ) نزهة الألباء في طبقات الأدباء — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم — طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٦٧ .

(١٠) **البحتري** : أبو عبادة ، الوليد بن عبيد الطائي (— ٢٨٤ هـ) الحماسة — تحقيق الأب لويس شيخو — طبع دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧ .

(١١) **البخاري** : أبو عبد الله ، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم (— ٢٥٦ هـ)
(١) التاريخ الكبير — طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ .
(٢) صحيح البخاري — طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٥ هـ .

(١٢) **ابن برد** : بشار (— ١٦٨ هـ) : ديوانه — نشر محمد الطاهر بن عاشور — طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٠ — ١٩٦٦ .

(١٣) **البصري** : صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (— ٦٥٩ هـ) الحماسة البصرية — تحقيق الدكتور مختار الدين أحمد — طبع حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .

(١٤) **البغدادي** : أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت (— ٤٦٣ هـ) — تاريخ بغداد — طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣١ .

(١٥) **البغدادي** : عبد القادر بن عمر (— ١٠٩٣ هـ) — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب — طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٩ هـ .

(١٦) **البغدادي** : أبو منصور ، عبد القاهر بن طاهر (— ٤٢٩ هـ) الفرق بين الفرق — تحقيق طه عبد الرؤوف سعد — طبع مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة .

(١٧) **ابن بكار** : الزبير (— ٢٥٦ هـ)
(١) الأخبار الموفقيات — تحقيق الدكتور سامي مكي العاني — طبع مطبعة العاني ببغداد ١٩٧٢ .

(٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها — شرحه وحققه محمود محمد شاكر — طبع مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨١ هـ.

(١٨) **البلاذري** : أحمد بن يحيى بن جابر (—٢٧٩ هـ)
(١) أنساب الأشراف : القسم الثالث : أخبار العباس بن عبد المطلب وولده— تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري— طبع بيروت ١٩٧٨.
(٢) أنساب الأشراف : الجزء الرابع — القسم الثاني — اعتنى بنشره شلوسنجر— طبع القدس ١٩٣٨.
(٣) فتوح البلدان— تحقيق دي خويه— طبع ليدن ١٩٦٨.

(١٩) **البيروني** : أبو الريحان، محمد بن أحمد (— ٤٤٠ هـ)— الآثار الباقية عن القرون الخالية— اعتنى بنشره إدوارد سخلو— طبع ليبزك ١٩٢٣.

(٢٠) **الترمذي** : أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة (— ٢٩٧ هـ) سنن الترمذي— تحقيق ابراهيم عطوة عوض— طبع القاهرة.

(٢١) **ابن تغري بردي** : أبو المحاسن، يوسف (— ١٨٧٤ هـ)— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة— طبع دار الكتب المصرية.

(٢٢) **الجاحظ** : أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب (— ٢٥٥ هـ)
(١) البيان والتبيين— حققه وشرحه حسن السندوبي— طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢.
(٢) الحيوان— تحقيق عبد السلام هارون— طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٥.
(٣) رسائل الجاحظ — جمعها ونشرها حسن السندوبي— طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٣.
(٤) رسائل الجاحظ— تحقيق عبد السلام هارون— طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٥.

(٢٣) **ابن الجزري** : أبو الخير، محمد بن محمد (— ٨٣٣ هـ)— غاية النهاية في طبقات القراء— عني بنشره براجستراسر— طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣٢.

(٢٤) **الجهشياري** : أبو عبد الله، محمد بن عبدوس (— ٣٣١ هـ)— الوزراء والكتاب— تحقيق مصطفى السقاوزميليه— طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٨.

(٢٥) **ابن الجوزي** : أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي (— ٥٩٧ هـ)— المنتظم في تاريخ الملوك والأمم— طبع حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ.

(٢٦) **جولدتسهر** : مذاهب التفسير الإسلامي— ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار— طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥.

(٢٧) **ابن أبي حاتم الرازي** : محمد بن عبد الرحمن (—٣٢٧ هـ)— الجرح والتعديل— طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٢.

(٢٨) **ابن حبيب البغدادي** : أبو جعفر ، محمد (—٢٤٥ هـ)— المحبر— تحقيق الدكتورة ايلزه ليختن شتيتر— طبع حيدر آباد الدكن ١٩٤٢.

(٢٩) **ابن حجر العسقلاني** : أحمد بن علي (— ٨٥٢ هـ).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة— طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ.

(٢) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه— تحقيق علي محمد البجاوي— طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ١٩٦٧.

(٣) تقريب التهذيب— حققه عبد الوهاب عبد اللطيف— طبع دار المعرفة ببيروت ١٩٧٥.

(٤) تهذيب التهذيب— طبع حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ هـ.

(٣٠) **ابن أبي الحديد** : أبو حامد بن هبة الله بن محمد (— ٦٥٥ هـ)— شرح نهج البلاغة— تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم— طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٥.

(٣١) **ابن حزم** : أبو محمد، علي بن سعيد (—٤٥٦ هـ).

(١) جمهرة أنساب العرب— تحقيق عبد السلام هارون— طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل— طبع أحمد ناجي الجمالي وأحمد أمين الخانجي بمصر ١٣٢١ هـ.

(٣٢) **حسين عطوان** :

(١) الشعر العزبي بخراسان في العصر الأموي— طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٤.

(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية — طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٥.

(٣) الوليد بن يزيد عَرْضٌ ونَقْدٌ — طبع دار الجيل ببيروت ١٩٨١.

(٣٣) **ابن أبي حفصة**: مروان (— ١٨٢ هـ) — شعره — جمعه وحققه حسين عطوان — طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

(٣٤) **ابن حنبل**: أحمد بن محمد (— ٢٤١ هـ) — مسند الإمام أحمد بن حنبل — طبع المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ببيروت.

(٣٥) **أبو حنيفة الدينوري**: أحمد بن داود (— ٢٨٢ هـ) — الأخبار الطوال — تحقيق عبد المنعم عامر — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٠.

(٣٦) **ابن حوقل**: أبو القاسم، محمد (— ٤٠٠ هـ) — صورة الأرض — نشر مكتبة دار الحياة ببيروت.

(٣٧) **ابن خرداذبه**: أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله (— ٣٠٠ هـ) — المسالك والممالك — اعتنى بنشره دي خويه — طبع ليدن ١٨٨٩.

(٣٨) **الخزاعي**: كثير بن عبد الرحمن (— ١٠٥ هـ) — ديوانه — جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس — نشر دار الثقافة ببيروت ١٩٧١.

(٣٩) **الخطفي**: جرير بن عطية (— ١١٤ هـ) — ديوانه — تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه — طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٤٠) **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد (— ٨٠٨ هـ) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر — طبع ذار الكتاب اللبناني ببيروت ١٩٥٧.

(٤١) **ابن خلكان**: أحمد بن محمد بن أبي بكر (— ٦٨١ هـ) — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان — تحقيق الدكتور إحسان عباس — طبع دار صادر ببيروت.

(٤٢) **ابن خياط**: خليفه (— ٢٤٠ هـ).

(١) تاريخ خليفة بن خياط — تحقيق سهيل زكار — طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨.

(٢) كتاب الطبقات — تحقيق سهيل زكار — طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٦.

(٤٣) **أبو داود** : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ـــ ٢٧٥ هـ)ــ سنن أبي داود ــ أعده وعلق عليه عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ــ طبع دار الحديث بحمص.

(٤٤) **الذهبي** : أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان (ـــ ٧٤٨ هـ).

(١) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ــ نشر مكتبة القدسي بالقاهرة.

(٢) تذكرة الحفاظ طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٨.

(٣) المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٢.

(٤) ميزان الاعتدال ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٣.

(٤٥) **الراغب الأصفهاني** : أبو القاسم، حسين بن محمد (ـــ ٥٠٢ هـ)ــ محاضرات الأدباء ــ طبع المطبعة الشرقية بالقاهرة ١٣٢٦ هـ.

(٤٦) **ابن رسته** : أبو علي، أحمد بن عمر (توفي في أوائل القرن الرابع)ــ الأعلاق النفيسة ــ اعتنى بنشره دي خويه ــ طبع ليدن ١٨٩٢.

(٤٧) **الزبيدي** : أبو بكر، محمد بن الحسن (ـــ ٣٧٩ هـ)ــ طبقات النحويين واللغويين ــ تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

(٤٨) **الزبيري** : أبو عبد الله، المصعب بن عبد الله بن المصعب (ـــ ٢٣٦ هـ)ــ نسب قريش ــ عني بنشره ليفي بروفنسال ــ طبع دار المعارف بمصر.

(٤٩) **الزمخشري** : أبو القاسم، محمود بن عمر (ـــ ٥٣٨ هـ)ــ أساس البلاغة ــ طبع مطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٠.

(٥٠) **السبكي** : تاج الدين، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ـــ ٧٧١ هـ)ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ.

(٥١) **ابن سعد** : محمد بن سعد بن منيع (ـــ ٢٣٠ هـ)ــ الطبقات الكبرى ــ طبع دار صادر ببيروت ١٩٥٨.

(٥٢) **ابن سلام** : أبو عبد الله، محمد بن سلام الجمحي (ـــ ٢٣١ هـ)ــ طبقات فحول الشعراء ــ قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ــ طبع مطبعة المدني بالقاهرة.

(٥٣) **السمعاني** : عبد الكريم بن محمد (ـــ٥٦٢ هـ)ـــ الأنساب ـــ عني بنشره مرجوليوت ـــ طبع ليدن ١٩١٢ .

(٥٤) **السهيلي** : أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ـــ٥٨١ هـ)ـــ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ـــ غني بنشره طه عبد الرؤوف سعد ـــ طبع مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٢ .

(٥٥) **السيد الحميري** : إسماعيل بن محمد (ـــ١٧٣ هـ)ـــ ديوانه ـــ جمعه وحققه وشرحه شاكر هادي شكر ـــ نشر مكتبة دار الحياة ببيروت .

(٥٦) **السيرافي** : أبو سعيد ، الحسن بن عبد الله (ـــ٣٦٨ هـ)ـــ أخبار النحويين البصريين ـــ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٣٦ .

(٥٧) **السيوطي** : عبد الرحمن بن أبي بكر (ـــ٩١١ هـ) .

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـــ نشر دار المعرفة ببيروت .

(٢) تاريخ الخلفاء ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــ طبع مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٦٤ .

(٣) لب اللباب في تحرير الأنساب ـــ طبع ليدن ١٨٤٠ .

(٥٨) **شارل بلات** : الجاحظ في البصرة ـــ ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ـــ طبع دار اليقظة العربة بدمشق ١٩٦١ .

(٥٩) **ابن شاكر الكتبي** : محمد بن شاكر بن أحمد (ـــ٧٦٤ هـ)ـــ فوات الوفيات ـــ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـــ طبع دار الثقافة ببيروت .

(٦٠) **ابن الشجري** : هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ـــ٥٤٢ هـ)ـــ الحماسة الشجرية ـــ تحقيق عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي ـــ طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠ .

(٦١) **الشريف المرتضي** : علي بن الحسين (ـــ٤٣٦ هـ)ـــ أمالي المرتضي ـــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـــ طبع دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧ .

(٦٢) **الشهرستاني** : محمد بن عبد الكريم (ـــ٥٤٨ هـ)ـــ الملل والنحل ـــ تخريج محمد بن فتح الله بدران ـــ نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٦ .

(٦٣) **الشيرازي** : ابراهيم بن علي بن يوسف (ـــ ٤٧٦ هـ)ـــ طبقات الفقهاءـــ تحقيق الدكتور إحسان عباســـ طبع دار الرائد العربي ببيروت ١٩٧٠ .

(٦٤) **صالح العلي** :

(١) استيطان العرب في خراسانـــ مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٥٩ .

(٢) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجريـــ طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٦٩ .

(٦٥) **الصفدي** : خليل بن آيبك (ـــ ٧٦٤ هـ) .

(١) نكت الهميان في نكت العميانـــ طبع مصر ١٩١١ .

(٢) الوافي بالوفيات الجزء الثالث والجزء الرابعـــ باعتناء هلموت ريتر ، وس . ديدرينغـــ مطبوعات سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية .

(٦٦) **صلاح الدين المنجد** : معجم بني أميةـــ طبع دار الكتاب الجديد ببيروت ١٩٧٠ .

(٦٧) **الصولي** : أبو بكر ، محمد بن يحيى (ـــ ٣٣٥ هـ)ـــ الأوراقـــ قسم أشعار أولاد الخلفاءـــ طبع مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٦ .

(٦٨) **أبو طالب بن عبد المطلب** : ديوانهـــ طبع طنطا ١٩٥١ .

(٦٩) **الطبري** : محمد بن جرير (ـــ ٣١٠ هـ) .

(١) تاريخ الرسل والملوكـــ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيمـــ طبع دار المعارف بمصر .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآنـــ طبع دار المعرفة ببيروت ١٩٧٨ .

(٧٠) **الطرماح** : الحكم بن حكيم الطائي (ـــ ١٠٥ هـ)ـــ ديوانهـــ تحقيق الدكتور عزة حسنـــ نشر وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨ .

(٧١) **ابن الطقطقي** : محمد بن علي بن طباطبا (ـــ ٧٠٩ هـ)ـــ الفخري في الآداب السلطانيةـــ راجعه ونقّحه محمد عوض ابراهيم وعلي الجارمـــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٥ .

(٧٢) **أبو الطيب اللغوي** : عبد الواحد بن علي (ـــ ٣٥١ هـ)ـــ مراتب النحويينـــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيمـــ طبع دار نهضة مصر بالقاهرة ١٩٧٤ .

(٧٣) **ابن عبد البر** : يوسف بن عبد الله بن محمد (ـــ٤٦٣ هـ)ـــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـــ تحقيق علي محمد البجاوي ـــ طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .

(٧٤) **ابن عبد ربه** : أحمد بن محمد (ـــ٣٢٨ هـ)ـــ العقد الفريد ـــ تحقيق أحمد أمين وزميليه ـــ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥ .

(٧٥) **عبد العزيز الدوري** :

(١) ضوء جديد على الدعوة العباسية ـــ مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٥٩ .

(٢) ضوء جديد على الدعوة العباسية ـــ مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٦١ .

(٣) العصر العباسي الأول ـــ طبع بغداد ١٩٤٥ .

(٤) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ـــ دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى احسان عباس ـــ الجامعة الأميركية في بيروت ١٩٨١ .

(٥) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ـــ طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٦٩ .

(٦) نشأة علم التاريخ عند العرب ـــ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٦٠ .

(٧٦) **أبو عبيد البكري** : عبد الله بن عبد العزيز (ـــ٤٨٧ هـ)ـــ سمط الآلي ـــ تحقيق عبد العزيز الميمني ـــ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦ .

(٧٧) **أبو عبيدة** : معمر بن المثنى (ـــ٢١٣ هـ)ـــ نقائض جرير والفرزدق ـــ تحقيق بيفان ـــ طبع ليدن ١٩٠٥ .

(٧٨) **ابن العجاج** : رؤبة (ـــ١٤٥ هـ)ـــ ديوانه ـــ اعتنى بنشره وليم بن الورد البرونسي ـــ طبع برلين ١٩٠٣ .

(٧٩) **ابن عساكر** : أبو القاسم ، علي بن الحسن بن عبد الله (ـــ٥٧١ هـ)ـــ تهذيب تاريخ ابن عساكر ـــ طبع دار المسيرة ببيروت ١٩٦٩ .

(٨٠) **ابن العماد الحنبلي** : أبو الفلاح ؛ عبد الحي (ـــ١٠٨٩ هـ)ـــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـــ طبع المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت .

(٨١) **فؤاد سيزكين** : تاريخ التراث العربي ـــ المجلد الأول ، القسم الأول ـــ نقله إلى العربية الدكتور فهمي أبو الفضل ـــ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧١ .

(٨٢) **فارون عمر** : العباسيون الأوائل ـــ طبع دار الإرشاد ببيروت ١٩٧٠ .

(٨٣) **فان فلوتن** : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية — ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم — طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٥ .

(٦٨) **أبو الفداء** : عماد الدين إسماعيل (—٧٣٢ هـ) — المختصر في أخبار البشر — طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

(٨٥) **أبو الفرج الأصفهاني** : علي بن الحسين بن محمد الأموي (—٣٥٦ هـ) .

(١) الأغاني — طبع دار الكتب المصرية .

(٢) مقاتل الطالبيين — تحقيق السيد أحمد صقر — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٤٩ .

(٨٦) **الفرزدق** : همام بن غالب (—١١٤ هـ) — ديوانه — طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٦ .

(٨٧) **ابن الفقيه الهمذاني** : أبو بكر ، احمد بن محمد (توفي في أوائل القرن الرابع) — مختصر كتاب البلدان — طبع ليدن ١٣٠٢ هـ .

(٨٨) **القالي** : أبو علي ، إسماعيل بن القاسم بن عيذون (—٣٥٦ هـ) — امالي القالي — طبع مطبعة الساعادة بمصر ١٩٥٣ .

(٨٩) **ابن قتيبة** : أبو محمد ، عبد الله بن مسلم (—٢٧٦ هـ) .

(١) الشعر والشعراء — تحقيق أحمد محمد شاكر — طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

(٢) عيون الأخبار — طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٤ .

(٣) المعارف — تحقيق ثروت عكاشة — طبع دار الكتب المصرية ١٩٦٠ .

(٩٠) **القزويني** : زكريا بن محمد بن محمود (—٦٨٢ هـ) — آثار البلاد وأخبار العباد — طبع دار صادر ببيروت .

(٩١) **القشيري** : مسلم بن الحجاج (—٢٦١ هـ) — صحيح مسلم — اعتنى بنشره محمد فؤاد عبد الباقي — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٩٢) **القفطي** : أبو الحسن ، علي بن يوسف (—٦٤٦ هـ) — إنباه الرواة على أنباه النحاة — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم — طبع دار الكتب المصرية .

(٩٣) **كارل بروكلمان** : تاريخ الأدب العربي — الاجزاء الستة المترجمة إلى العربية — طبع دار المعارف بمصر.

(٩٤) **ابن الكازروني** : علي بن محمد البغدادي (—٦٩٧ هـ) — مختصر التاريخ — حققه الدكتور مصطفى جواد — طبع وزارة الإعلام ببغداد ١٩٧٠.

(٩٥) **ابن كثير** : أبو الفداء، اسماعيل بن عمرو (—٧٧٤هـ) — البداية والنهاية في التاريخ — طبع مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦.

(٩٦) **ابن ماجة** : أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني (— ٢٧٥ هـ) — سنن ابن ماجة — اعتنى بنشره محمد فؤاد عبد الباقي — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٩٧) **المبرد** : أبو العباس، محمد بن يزيد (— ٢٨٥ هـ).

(١) التعازي والمراثي — حققه محمد الديباجي — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦.

(٢) الكامل : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة — طبع مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦.

(٩٨) **المتقي الهندي** : علي بن حسام الدين بن عبد الملك القرشي (— ٩٧٥ هـ) — منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال — بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل — طبع دار صادر ببيروت.

(٩٩) **مجهول** : من أهل المشرق من رجال القرن الثالث — الإمامة والسياسة — طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٩.

(١٠٠) **مجهول** : من موالي العباسيين من رجال القرن الثالث — أخبار الدولة العباسية — تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري، والدكتور عبد الجبار المطلبي — طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٧١.

(١٠١) **مجهول** : من رجال القرن الرابع — العيون والحدائق في أخبار الحقائق — اعتنى بنشره دي خويه — طبع ليدن ١٨٦٩.

(١٠٢) **مجهول** : من رجال القرن الحادي عشر — تاريخ الخلفاء — منشورات معهد الدراسات الشرقية، آثار الآداب الرقية، موسكو ١٩٦٧.

(١٠٣) **المرزباني** : أبو عبيد الله ، محمد بن عمران (ـــ ٣٨٤ هـ)ـــ معجم الشعراء ـــ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٠ .

(١٠٤) **المرزوقي** : أبو علي ، أحمد بن محمد بن الحسن (ـــ ٤٢١ هـ)ـــ شرح ديوان الحماسة ـــ تحقيق احمد أمين ، وعبد السلام هارون ـــ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥١ .

(١٠٥) **ابن مزاحم** : نصر (ـــ ٢١٢ هـ)ـــ وقعة صفين ـــ تحقيق عبد السلام هارون ـــ طبع المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٣٨٢ هـ.

(١٠٦) **المسعودي** : أبو الحسن ، علي بن الحسين (ـــ ٣٤٦ هـ)

(١) التنبيه والاشراف ـــ تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي ـــ طبع مكتبة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٨ .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــ طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨ .

(١٠٧) **ابن مطير الأسدي** : الحسين (ـــ ١٧٠ هـ)ـــ شعره ـــ جمعه وحققه حسين عطوان ـــ طبع دار الجيل ببيروت ١٩٨٢ .

(١٠٨) **ابن المعتز** : عبد الله (ـــ ٢٩٦ هـ)ـــ طبقات الشعراء ـــ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـــ طبع دار المعارف بمصر.

(١٠٩) **المقدسي** : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي (ـــ ٣٩٠ هـ)ـــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـــ اعتنى بنشره دي خويه ـــ طبع ليدن ١٨٧٧ .

(١١٠) **المقدسي** : مطهر بن طاهر (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع)ـــ البدء والتاريخ ـــ اعتنى بنشره كلمان هوار ـــ طبع باريز ١٨٩٩ ـــ ١٩١٩ .

(١١١) **المقريزي** : أحمد بن علي (ـــ ٨٤٥ هـ)ـــ المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار ـــ طبع القاهرة ١٢٧٠ هـ.

(١١٢) **ابن منظور** : محمد بن مكرم الأنصاري (ـــ ٧١١ هـ)ـــ لسان العرب ـــ طبع المطبعة الأميرية ببولاق .

(١١٣) **ابن النديم** : محمد بن إسحاق (ـــ ٣٨٥ هـ)ـــ الفهرست ـــ طبع دار المعرفة ببيروت .

(١١٤) **النرشخي** : أبو بكر، محمد بن جعفر (—٣٤٨هـ)— تاريخ بخارى— ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي— طبع دار المعارف بمصر.

(١١٥) **أبو نعيم الأصبهاني** : أحمد بن عبد الله (—٤٣٠هـ)— حلية الأولياء وطبقات الأصفياء— طبع دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧.

(١١٦) **النووي** : أبو زكريا، محي الدين بن شرف (—٦٧٦هـ)— تهذيب الأسماء واللغات— طبع إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

(١١٧) **ابن هشام** : أبو محمد، عبد الملك (—٢١٨هـ)— السيرة النبوية)— راجع أصولها محمد محي الدين عبد الحميد— طبع كتاب التحرير بالقاهرة ١٣٨٣هـ.

(١١٨) **الواقدي** : محمد بن عمر (—٢٠٧هـ)— الغازي— تحقيق الدكتور مارسدن جونس— طبع مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

(١١٩) **ياقوت** : أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (—٦٢٦هـ).

(١) معجم الأدباء— تصحيح مرجوليوت— طبع مصر ١٩٢٣.

(٢) معجم البلدان— طبع دار صادر ببيروت ١٩٧٧.

(١٢٠) **اليعقوبي** : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (—٢٩٢هـ).

(١) كتاب البلدان— اعتنى بنشره دي خويه. طبع ليدن ١٩٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي— طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٠.

(١٢١) **ابن أبي يعلي** : أبو الحسين، محمد بن الحسين (—٥٢٦هـ)— طبقات الحنابلة— طبع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٥٢.

(١٢٢) **اليغموري** : أبو المحاسن، يوسف بن أحمد (—٦٧٣هـ)— نور القبس من المقتبس— تحقيق رودلف زلهايم— طبع فسبادن ١٩٦٤.

(١٢٣) **يوليوس فلهاوزن** : تاريخ الدولة العربية— نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة— طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٨.

المصادر المخطوطة

(١٢٤) **ابن أعثم الكوفي** : أحمد (—٣١٤هـ)— كتاب الفتوح— مخطوطة مكتبة أحمد الثالث— اسطنبول— رقم ٢٩٥٦.

(١٢٥) **البلاذري** : أحمد بن يحيى بن جابر (—٢٧٩ هـ)— أنساب الأشراف— مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة اسطنبول رقم ٥٩٧— ٥٩٨.

(١٢٦) **الذهبي** : أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان (—٧٤٨هـ)— سير أعلام النبلاء— مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث— اسطنبول— رقم ٢٩١٠/ ١٥.

(١٢٧) **ابن عساكر** : أبو القاسم، علي بن الحسين بن عبد الله (—٥٧١هـ)— تاريخ دمشق.

(١) مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٦٧— ٣٣٨٣.

(٢) مصورة المكتبة الظاهرية بدمشق عن مخطوطة مكتبة الأزهر. المجلدة : ٢٩.

(١٢٨) **ابن الكلبي** : هشام بن محمد بن السايب (—٢٠٤ هـ)— جمهرة النسب— مصورة الجامعة الاردنية عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٢٠٢.

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

97
01